منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد

(←---)

مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن

(ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب)

تأليف

الإمام أبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري

(1052 - 988)

دراسة وتحقيق

الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

مقدمة المحقق

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد الفاتح الخاتم، وعلى آله الأطهار، وصحابته الكرام الأبرار، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. . . . وبعد:

فيسرني أن أقدم للعلماء والباحثين والقراء الأفاضل هذه الخزانة العلمية، والذخيرة السنية: "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن"، تأليف شيخ الإسلام أبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري، المتوفى عام (1642/1052)، رحمه الله تعالى ورضي عنه .

وقد كنت قرأت عن هذا الكتاب أول ما قرأت حين مطالعتي لكتاب "عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد"، للسلطان أبي الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي (1766/1180 – 1822/1238)، في حدود عام (1992/1412) ، لأسباب من أهمها: انحداري من هذه الأسرة الفاسية الفهرية العريقة عن طريق جدتي لوالدي المربية الصابرة السيدة أم هانئ بنت العلامة الوزير عبد السلام بن العلامة الوزير عبد الله الفاسي الفهري حفظها الله تعالى .

وكانت مطالعتي لذاك الكتاب من باب معرفة الجذور، وأداء حق أبوة على بنوة ، اقتداء بصفاتهم، ومعرفة لمقدارهم، ونشرا لأخبارهم وتراثهم، واستغفارا لهم ودعاء. . .

ثم عند انتقالي لعمان -عاصمة الأردن- للدراسة بكلية الصيدلة بجامعتها الأردنية الغـراء عام (1994/1414)؛ جذبت اهتمامي مكتبة الجامعة التي تضم ما يربو عن مليون عنوان، مرتبة على أجهزة الحاسوب، ميسرة الوصول إلى مختلف المصادر العلمية في مختلف مجالات العلوم. . .

ومما جذب اهتمامي بها: احتواؤها على جملة عظيمة من مصورات المخطوطات المغربية، وأكثر من مائة عنوان من المطبوعات الحجرية الفاسية الأصلية .

فاتخذتها هجيراي ألازمها في أوقات الفراغ، وأتجسس على مكنونات جواهرها وذخائرها العلمية الراقية، وقد يكون ذلك – في كثير من الأحيان – أول أعمالي صباحا وآخرها مساء، علاوة على الأشغال الكثيرة التي كانت تفرضها علي طبيعة دراستي .

وكنت كلما وقفت على كتاب أشغف به وبندرته؛ أصوره تصويرا كاملا، وأجلده احتفاظا به وبمضمونه، وقد أذيع قيمته في الأوساط الثقافية ليعم النفع به، وبعضها كنت – بحمد الله تعالى – واسطة طباعته بالمشرق، وإخراجه من مهامه الطبعة الحجرية .

وكان من ضمن المصادر المهمة التي صورتها واحتفظت بها: كتاب "مرآة المحاسن" المذكور، وهو في ترجمة الشيخ يوسف بن محمد الفاسي الفهري اللبلي المتوفى عام (1604/1013) ، رضي الله عنه وأرضاه.

وكان من ضمن أهم الأسباب التي استلفتتني إلى هذا الكتاب:

1. أنه يتكلم عن سيرة الشيخ يوسف الفاسي الذي يمثل بالنسبة لي أحد أجدادي الذين أفتخر بهم وبما قدموه للأمة الإسلامية من خدمات جليلة، علاوة على سيرة جذور آل الفاسي الفهري أخوال والدي الذين أحببناهم منذ نعومة أظفارنا .
2. أن الكتاب يمثل خزانة علمية في العديد من مجالات العلوم، إضافة إلى المقصد الأول من كتابته؛ وهو: المقصد التاريخي .
3. سلاسة عبارته، وقوة جمله، بحيث يعد أسلوبه من روائع ماكتبه الكتاب المسلمون عبر التاريخ؛ إنشاء واسترسالا؛ خاصة التاريخ المغربي .

. . .وغير ذلك من المزايا التي سأذكرها – بإذنه تعالى – في عنوان مستقل .

ثم صادف أن كنت مدعوا للغداء عند محل العم الغالي الشريف المبجل مولاي الطيب بن سيدي الحبيب بن نسابة فاس ومؤرخها الشيخ محمد بن إمام نسابي المغرب الشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني حفظه الله تعالى، وكان في المجلس ابن عم جدتي وصديق والدي، الأستاذ المحامي، الذي صافى فصوفي: سيدي المأمون بن الشيخ عبد الوهاب الفاسي الفهري؛ رئيس رابطة الشيخ أبي المحاسن ابن الجد للثقافة والتعاون . فجرى الحديث عن الكتب المتعلقة بآل الفاسي الفهريين وطباعتها، فاقترحت عليه طباعة كتاب "مرآة المحاسن" لأهميته الكبرى بالنسبة للعائلة الفاسية، إذ يعد أحد أول ما كتب عنها وعن أعلامها . ولأهميته من الناحية الثقافية الموسوعية الكبرى من ناحية أخرى . خاصة وأنه يعد من المراجع المغربية المهمة التي مازالت لم تر النور بعد .

فما كان من الأستاذ الفاسي إلا أن عرض علي فكرة تحقيق هذا الكتاب. ففوجئت لطلبه الكريم، وثقته المتزايدة في، وفوجئت كذلك لقدر الله تعالى الذي جعل خدمة هذا الكتاب الكريم على يدي !؛ فما كان مني إلا أن قبلت عرضه الكريم، وأسرعت بالموافقة عليه – على كثرة الأشغال والعوائق – نظرا لأن كتابا كهذا تحتسب خدمته لله تعالى، ويفتخر بالانتساب إليه ولو بأقل عمل:

لقد أعــدوك لأمر لو فــطنت له　　　فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

ته دلالا فـأنت أهـل لـذاك　　وتحكم فالحسن قد أعطاك!

وسرعان ما شرعت في إعداد الكتاب للطباعة على الطريقة التي سأذكرها – بحوله تعالى – في نهاية هذه المقدمة .

قيمة كتاب "مرآة المحاسن":

لماذا "مرآة المحاسن"، وما هي قيمته، وما هو موضوعه، وما هي نظرة المؤرخين والعلماء إليه؟. هذه أسئلة سأجيب عنها – بحوله تعالى – في هذه السطور قدر المستطاع، عل القارئ يستنير بها أثناء مطالعته لفصول الكتاب بإذنه تعالى .

أ – زمن كتابة "مرآة المحاسن" :

تتجلى قيمة الكتاب في الفترة الزمنية التي اختص بها، والتي عاشها مصنفها، والتي تجلت أهم أدوارها في الكتاب تجليا واضحا . فقد عاش الوالد الشيخ أبو المحاسن بن عامي (1530/937 – 1604/1013) ، وعاش المؤلف الشيخ أبو حامد بن عامي (1580/988 – 1642/1052) ، إضافة إلى مشيخة والده ومشايخهم، وتلامذته وأبنائه، بحيث تمتد الفترة المغطاة تركيزا بين منتصف القرن التاسع الهجري (الخامس عشر الميلادي) ، ومنتصف الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) . وهي فترة غطاها من الناحية السـياسية العلامة المؤرخ محمد الصغير الإفراني (1670/1080 – ؟115 / ؟174) في كتابه "نزهة الحادي" تغطية شاملة .

وتتجلى أهمية هذه الفترة في أنها تمثل فترة اضطراب سياسي وعلمي واجتماعي، فترة انتقال من أوج الحضارة المغربية التي مثلها الدور المريني، إلى حضيض الانحدار السياسي المغربي ممثلا في الفترة بين وفاة المنصور الذهبي وتولي المولى إسماعيل بن الشريف (1605/1012 – 1671/1082) .

وقد تعاقبت في هذه الفترة الدول: المرينية، والإدريسية الجوطية، والوطاسية، والسعدية، والدلائية، ثم العلوية . والمؤلف في هذا الكتاب يتحدث إلى أن يصل إلى دور الفتنة الذي تمثل في الفترة ما بين عامي (1605/1012 – 1671/1082) ، والسيبة، وعدم انتظام الحكم، وعدم وجود مملكة تضم التراب المغربي كافة. . .واتسمت كذلك باحتلال الدول الأوروبية (إسبانيا، البرتغال، بريطانيا) لمعظم الشواطئ المغربية.

ويجب التوقف في هذه الفترة عند عدة محطات هامة:

1. هي فترة سقوط الأندلس، وفترة طوفان المهاجرين منها إلى المغرب، والذي كان له دور مهم في تغير التشكيلة السكانية المغربية، وتطور الثقافة والحضارة المغربية؛ سواء من الناحية العلمية، واللباس، والتجارة، واللهجة (انتشار القاف المشبعة مثلا)، ومنطق التفكير (التفكير الطبقي، صوفية الأوراد والأحزاب والأناشيد الأندلسية)، والطبقية الاجتماعية. . .وامتدت هذه الفترة فيما بعد على طول فترة الهجرة الموريسكية إلى المغرب . والتي عمت نطاق التغطية في هذا الكتاب كله[1] .

2. معركة وادي المخازن، أو معركة الملوك الثلاثة، أو غزوة تامدة كما يسميها المؤلف . وهي معركة كان لها ما بعدها في التاريخ المغربي، بل امتد تأثيرها على السياسة الخارجية المغربية، وهيبته الدولية منذعام (1579/986) ، إلى عام (1843/1260) حيث معركة إيسلي بين المغرب وفرنسا، والتي مثلت آخر مسمار في نعش العزة المغربية ودخل الاستعمار فيما بعد . فالمؤلف – رحمه الله تعالى – عند حديثه عن هذه المعركة – والتي حضرها المترجم له الشيخ أبو المحاسن وغزا فيها هو وطائفة من أتباعه – يتحدث عن الواقعة حديث من أدرك مشاهدها، ويصفها وصف معاصر. ولا يخلو حديثه من فوائد؛ كالكلام عن الغنائم وكيف سلبها العامة ولم تقسم. . .إلخ [2] .

3. فتنة تسليم العرائش عام (1610/1019)، وكيف تمت، وموقف المؤلف منها. وهذه الفتنة نجد أخبارها في تاريخ الإفراني ص291 أوسع وأكثر تفصيلا . وهي التي كانت السبب الأكبر في هجرة الشيخ أبي حامد (المؤلف) من فاس إلى البادية، ثم انتقاله لتطوان حيث توفي رحمه الله تعالى .

ومن أثر هذه الفترة: صراحة المؤلف السياسية، حيث كان قد كتب كتابه في وقت فتنة واضطراب . وكذا شدة تعظيمة لأمراء الزاوية الدلائية الذين كان يعتبرهم ممن أحيى السنة في المغرب، وسببا من أسباب الأمان فيه .

ب – المترجم له: الشيخ أبو المحاسن:

تتجلى أهمية مرآة المحاسن كذلك في المترجم له الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي؛ حيث إن كل ترجمة تصطبغ بصبغة المترجم له في الدرجة الأولى .

فالشيخ أبو المحاسن كان في وقته رأسا من رؤوس التصوف، بل والد الطريقة الصوفية الشاذلية في فاس وإمامها، وقد كان تصوفه من صنف التصوف السني السلفي؛ فقد كان جامعا بين الشريعة والحقيقة، محمدي المشرب . والقارئ لترجمته يتحقق باندماج الشريعة في الحقيقة، وانبثاق الحقيقة من الشريعة، على طريقة السلف الصالح . بل الرسائل الصوفية التي أثبتها المؤلف – رحمه الله تعالى – تعتبر ترياقا هاما

[1] أرخ لهجرة الأندلسيين والمورسكيين من الأندلس بإسهاب والدنا إمام الدعوة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني الشهيد رحمه الله تعالى، بإسهاب في كتابه: "انبعاث الإسلام في الأندلس"، فليراجع.
[2] "مرآة المحاسن" ص34 .

حبذا أن تجمع مفردة ، ويتفرغ باحث بلم شتاتها من مختلف الكتب والمراجع ، مع تقديمها بدراسة خاصة؛ فتكون صحيفة يهتدي بهديها كل من رام السلوك وطريق التصوف النقي الطاهر .

والشيخ أبو المحاسن كان عالما كبيرا، عاملا، متوسعا، تحصل على أدوات العلوم وأتقنها، بل كان يرجع إليه ويهتدي بإرشاداته كبار علماء فاس وقته حسب ما ذكره المؤلف في طي الكتاب . والرسائل والأجوبة التي أوردها المؤلف – رحمه الله تعالى – في علوم التوحيد والمنطق والكلام والفقه وفلسفة التشريع . . .وغير ذلك ، دليل كبير على ذلك، وحبذا أن تفرد كذلك بدراسة مستقلة .

والشيخ أبو المحاسن كان مدرسة أخلاقية، ومثالا للسياسة الاجتماعية والورع، والتخلق بالأخلاق الفاضلة. . .فعلاقته بالملوك والساسة لم تزحزحه قط عن صفاته المحمدية التي تمثل بها رضي الله عنه .

وكان رجل سياسة ومثاخنة للملوك بما فيه إصلاح للمجتمع، وكان له دور رائد في الإصلاح السياسي في البلاد يتجلى ذلك في محاولته الإصلاح بين المنصور الذهبي وبعض ولده[3] . وتوسط ملوك المغرب به في جملة من القضايا التي تخص البلاد . ولا أكمل نبلا من عدم قبوله عرض المنصور الذهبي له بجعل نجله أبي العباس أحمد (الحافظ) قيما على خزانة القرويين التي قال بأنه ما جمعها إلا له ولولده، واعتذاره لولده عن ذلك بقوله: « ما كرهت لكم مطالعة الكتب والاستفادة منها؛ ولكني كرهت لكم عملا يحوجكم إلى الوقوف بباب السلطان!!![4] » . فعوضه الله تعالى في ذريته عن ذلك بالعلم الذي استمرت لهم فيه الزعامة قرنين من بعده، وبالخطابة في جامع القرويين التي استمروا فيها على طول الفترة الممتدة في القرن الثالث عشر ونصف الرابع عشر .

وكان زعيما إصلاحيا وحربيا؛ يتمثل ذلك في مشاركته الفعالة بنفسه وأتباعه في معركة وادي المخازن، ودوره الجريء في تثبيت الجيش المقاوم للبرتغال – ومن خلفها سائر أوروبا – عند انكسار جيش المغرب بادئ ذي بدء . ومن أتباعه: الشهداء السبعة المدفونون جوار ضريحه بالقباب من فاس، أسفل من قبته ، والشهيرة قبتهم بقبة سبعة رجال .

والحاصل: كانت حياة الشيخ أبي المحاسن حياة عظيم من عظماء الإسلام، حياة صوفي كبير يحتاج إلى معرفتها والاطلاع عليها كل صوفي، وحياة عالم كبير يحتاج إلى معرفتها كل من له اعتناء بالعلم والعلماء، وحياة مجاهد من علية المجاهدين يستفيد منها ويعود إليها كل من صقلت نفسه بمجاهدة أعداء الإسلام، وحياة سياسي محنك لا ينفصل إلا عن قوس السيرة النبوية والهدي المحمدي، حري بكل من له مراسة من الساسة المسلمين والمغاربة – خاصة – الاطلاع عليها، وحياة رجل تجسدت فيه قيم السلوك الإسلامي الطاهر النقي، والأخلاق المحمدية، بحيث يجب أن يعتمد هذا الكتاب في تربية النشء

[3] "مرآة المحاسن" ص29 .
[4] "مرآة المحاسن" ص30 .

الإسلامي أحسن تربية . وختاما : ترجمة علم من أعلام المغرب لا تستقيم دراسة التاريخ المغربي دون دراسة شخصيته وأخباره .

كل هـــذه السمات تعطي للكتاب أهمية كبرى تجـعـله في مصاف الكتب المرجعية التي يحتاجـها كل قارئ . . .

<u>*جـ - موسوعية الكتاب:*</u>

ومن أهم المزايا التي تتصف بها "مرآة المحاسن": الموسوعية والشمولية والعمق .

فالمؤلف يستطرد أثناء كتابته عند ذكر أي فائدة علمية، أو خصلة أخلاقية، أو حادثة تاريخية.

فهو كتاب توحيد وعقيدة: يبحث في عدة مسائل عقيدية مهمة؛ كوجوب النظر في أدلة العقائد وعدمه، ومباحث في الحدوث والقدم. . .وغير ذلك .

وهو كتاب فقه وأصول: يبحث في مسائل فقهية عديدة؛ كالبدعة وتقسيمها، وشد الرحال لزيارة القبور، وأحكام الفيئ والمغانم، وهدايا الولاة وحكم أخذها، والسنن الرواتب، والاجتماع للقراءة والذكر. . .وغير ذلك .

وهو كتاب سيرة: يبحث في أمور دقيقة في السيرة النبوية الشريفة؛ كوقت ولادته ﷺ، وولادته عليه السلام من السبيل المعتاد. . .وغير ذلك .

وهو كتاب حديث: عمل مؤلفه – رحمه الله تعالى – على تخريج مجموعة من الأحاديث التي تخص مختلف المواضيع، مع ذكر مرتبتها من حيث التصحيح والتضعيف . وتحدث عن صحيحي البخاري ومسلم ونسخهما العتيقة الموجودة بالمغرب بإسهاب؛ خاصة نسخة ابن سعادة لصحيح البخاري التي تعتبر أهم نسخة للبخاري وأصحها .

وهو كتاب تاريخ: بحث فيه مؤلفه وتحدث عن عدة أمور تاريخية هامة؛ كتاريخ اختطاط القصر الكبير، ونبذة من تراجم أعلامه، وتاريخ مدينة شفشاون وبنائها، وأخبار معركة وادي المخازن، وفصل في ذكر أخبار تاريخية كثيرة في طيات الكتاب .

وهو كتاب أنساب: تحدث فيه مؤلفه عن عدة فوائد في علم النسب؛ كالقاعدة الخلدونية في صحة النسب وعدمها، وثبوت نسب المدعي وعدمه، وشروط ذلك . وتحدث بإسهاب كذلك عن أنساب عدة من أشراف المغرب؛ كالأدارسة والقادريين والعلويين. . .وغيرهم . ونقل في خصوص ذلك سماعات وأجوبة لجملة من أعلام المغرب؛ خاصة الإمام القصار رحمهم الله تعالى .

وهو كتاب جغرافيا؛ تحدث فيه عن عدة مسائل تتعلق بالجغرافيا؛ خاصة: قبلة فاس واتجاهها وسمتها، موضحا أفكاره وآراءه برسوم تخطيطية آثرنا إثباتها كما جاءت في المطبوعة الحجرية .

وهو كتاب أسانيد علمية وطرقية كانت مرجعا لمن أتى بعده؛ كصاحب "ممتع الأسماع" و"ابتهاج القلوب"، و"المنح البادية"، و"البرهان الجلي". .وغيرهم في تحقيق أسانيد السادة الشاذلية . ويأتي الحديث عن هذا الموضوع قريبا بإذنه تعالى .

والمؤلف – رحمه الله تعالى – في جميع هذه العلوم وغيرها يبحث بحث عالم متعمق متبحر، حر الفكر والضمير، يذكر آراءه استقلالا وتعليلا بكل صراحة ووضوح، ويحرر مختلف المسائل التي يتطرق إليها تحريرا علميا دقيقا .

ولا بدع – من أجل ذلك – أن نجد النقل عن "المرآة" في كتب العقائد والكلام، والفقه والنوازل، والحديث والأنساب، والتصوف والسلوك، والسياسة الشرعية والأصول. . .إلخ ، علاوة على كتب التاريخ والتراجم؛ الأمر الذي أعطى للكتاب أهمية جعلته في الصدارة من بين كتب التراجم المغربية ، وأضافت إلى المترجم له حلة أخرى زادت في ذيوع ذكره وشهرته .

د – *تغطية النواحي الاجتماعية والعادات:*

من الجوانب المهمة التي تبرز بها أهمية "مرآة المحاسن": تصوير مؤلفها للحياة الاجتماعية للمجتمع المغربي؛ وخاصة الفاسي . وهذا جانب قلت أو عدمت المؤلفات التي غطته قبل ذلك التاريخ؛ على الأقل ضمن المطبوعات من الكتب .

فالمؤلف عند وصفه للباس الشيخ أبي المحاسن، يصف كل ثوب ثوب ونعال نعال مما كان يستعمله، فيذكر اسمه باللهجة المغربية، ويصفه وصفا دقيقا، ثم يذكر قرينته عند العرب القدامى إن وجدت .

وعند حديثه عن دور فاس؛ يتكلم عن البنيقة والسطوان. . .وغير ذلك من عادات أهل فاس في بيوتاتهم، ويصفها وصفا دقيقا يجعل قارئه يتصوره في ذهنه كما هو .

وكذلك يتحدث عن عادات فاس وبعض المدن الأخرى كالقصر الكبير في المأكل والحياة اليومية وبعض المناسبات الدينية؛ كيوم المولد الشريف . . .وغير ذلك .

فالمؤلف يؤدي لنا صورة متكاملة عن المغرب الفاسي – خاصة – في زمانه، ويمكن لهذه الناحية وحدها أن تفرد بالدراسة والبحث .

ولا ريب أن نجد بعد ذلك حفيد أخي المؤلف العلامة المهدي بن أحمد بن علي الفاسي (1698/1109) يفرد هذه الناحية بمؤلف خاص سماه: "العرف الآسي في العرف الفاسي" استدل فيه

لكل عادة عادة من عادات فاس بما يوافقها من السنة والسيرة النبوية الشريفة وأصول التشريع ، على ضوء قول الشيخ أبي المحاسن: ((لا تخلو العوائد العامة بفاس من مستند))[5] . وهو معدود من مفقودات الخزانة المغربية، وما أحراه بالوجود والطبع .

ولا بدع بعد ذلك أن يأتي حفيد أخي المؤلف الحافظ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (1685/1096) ويؤلف منظومته الشهيرة فيما اتفق عليه علماء فاس وجرت عليه عادتهم بالحكم به في الفتيا، وهي الشهيرة بمنظومة العمل الفاسي، أو "العمليات الفاسية" . وقد شرحها جملة من أعلام المغرب فيما بعد وعارضوها بمنظومات أخرى .

إن لم يكـنها أو تكنه فإنها ربيبته غـذته أمه بلبانها

هـ - تراجم الكتاب:

لقد تضمن كتاب "مرآة المحاسن" أكثر من تسعين ترجمة؛ تتضمن أشياخ الشيخ أبي المحاسن في التصوف والعلم، وأشياخهم، وأصدقاءه، وآباءه، وإخوانه، وأبناءه، وتلامذته. .وترجمة المؤلف نفسه وذكره جملة من مشيخته، وتراجم جملة من أعلام التصوف بالمغرب؛ كالشيخ أبي سلهام، والشيخ ابن مشيش. .وغيرهما، وتراجم جملة من الملوك والثوار؛ كمحمد بن علي الشريف الجوطي وغيره، وتراجم جملة من أعلام الحديث كالحافظ الصدفي وابن سعادة وابن خير. . .وغيرهم .

وتكمن أهمية هذا الجانب من الكتاب أنه ضمنه تراجم لجملة من صلحاء وعلماء فاس والمغرب أدركهم المؤلف نفسه أو أدرك بعض ذويهم وتلامذتهم، وجالسهم ووصف حالهم ومقامهم، ورتبتهم في العلم، والميادين التي برعوا فيها، بحيث كان مادة أساسا لجميع من جاء بعده، بل انفرد بتراجم يعد الوحيد الذي ترجم لأصحابها؛ خاصة آباء الشيخ أبي المحاسن وبعض تلامذته والمختصين به.

وبذلك فإننا نجد هذا الكتاب مادة أساسية لجميع من كتب بعده في تراجم أعلام المغرب في تلك الفترة؛ خاصة أعلام فاس . كحفيد أخيه المهدي بن أحمد في" ممتع الأسماع"، فقد ساق تراجم كاملة من عنده، والقادري في "نشر المثاني" و"التقاط الدرر"، والمولى سليمان في "عناية أولي المجد"، وجد جدنا الإمام محمد بن جعفر الكتاني في "سلوة الأنفاس"، والشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني في "زهر الآس"، والعباس ابن إبراهيم في "الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام"، ومحمد داود في "تاريخ تطوان". . .وغيرهم .

و – جذور مشيخة فاس في العلوم:

[5] مرآة المحاسن" ص31 .حجرية.

سبق أن تحدثت عن فترة كتابة "مرآة المحاسن" من الناحية السياسية، وأنها كانت فترة اضطرابات وقلاقل.

أما من الناحية العلمية؛ فيعد المؤرخون هذه الفترة فترة ركود علمي وانزواء[6] . ولا شك أن الدارس للتاريخ الثقافي المغربي يلاحظ أنها كانت – كذلك – فترة حاسمة في التاريخ العلمي المغربي . وذلك للأسباب التالية:

1. الاضطراب السياسي الذي دام لفترة مائة وخمسين عاما تقريبا .

2. الاستعمار الأجنبي لمختلف السواحل المغربية، والذي كان له دور في انحسار المد الثقافي خارج المدن . وإن كان المختار السوسي استثنى سوسا من هذا الانحسار[7]، وكذلك نستثني جبال الأطلس منه كذلك (الزاوية الدلائية) .

3. التغير السكاني للمغرب نتيجة هجرة الأندلسيين إليه بمختلف أفكارهم ونزعاتهم وثقافاتهم.

4. ورود جملة من علماء الأندلس إلى المغرب بتلاميذهم، وتأثيرهم المباشر في السلوك العلمي لدى المغاربة، خاصة وأن القرن الأخير من تاريخ الإسلام في الأندلس شاهد روادا على المستوى الثقافي والعلمي والفكري؛ كأبي إسحاق الشاطبي، وابن جزي الكلبي، وابن أبي عاصم الغرناطي، وأبي عبد الله ابن المواق. . .وغيرهم .

5. انتقال الحكم في المغرب من البيوتات البربرية إلى بيوتات الأشراف الهواشم، والذي – مع العامل السابق – ربما كان له تأثير في انقراض جل البيوتات العلمية الفاسية التي اشتهرت قبل القرن الحادي عشر؛ كآل المكودي، والونشريسي، والسراج، والمواق، والزقاق. . .وظهور أخرى ذات جذور أندلسية أو منتمية لبعض الأقليات كالفاسي الفهري، وابن سودة، وجسوس، وميارة. . .وغيرهم .

وعلى العموم؛ فإن الانتقال إلى الألفية الهجرية الثانية كان له تأثير على عموم العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، سواء من حيث المنهجية، ومن حيث النوع .

وقد كان القرن العاشر الهجري النواة التي انطلقت منها أسانيد المدارس العلمية، واستمرت إلى ظهور الاستقلال المغربي من الاستعمار الفرنسي عام (1956/1376) حيث بدلت الأرض غير الأرض والسماوات . والمؤلف في "مرآة المحاسن" يترجم لعامة علماء فاس أصحاب هذه الطبقة؛ كالقصار الذي قال عنه ابن إبراهيم[8]: ((كان سوق العلم كاسدا في فاس فضلا عن سائر أقطار المغرب؛ فنفق في زمان القصار!))، وعبد الرحمن سقين العاصمي والد علم الحديث والإسناد بالمغرب هو ورضوان بن عبد الله الجنوي. وأبي العباس المنجور ومحمد خروف التونسي إمامي علم المعقول، وأبي

---

[6] مع اعتبارنا للنهضة العابرة التي شهدها عصر المنصور السعدي أواخر القرن العاشر .

[7] "سوس العالمة" ص21 .

[8] في "الإعلام بمن حل مراكش" (5 : 215) . عن الشيخ الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي في "مطمح النظر" .

القاسم ابن أبي النعيم الغساني القاضي الفيلسوف، وأحمد ابن القاضي المكناسي إمام علم التاريخ، وعبد الرحمن بن محمد الفاسي إمام التفسير والمفسرين، وأبي المحاسن يوسف الفاسي إمام التصوف الشاذلي بالمغرب، وأبي بكر الدلائي الجاطي شيخ الاجتهاد والمجتهدين. . .إلخ .

والمؤلف في جميع ذلك ينقل جملة من أجوبة بعضهم العلمية، وأماليهم، وأخبارهم، ومن أهم ذلك: الرسالة التوجيهية التي أرسلها الإمام القصار للشيخ الشريف أحمد بن علي العلمي الشفشاوني، والتي تعد في درجة كبيرة من الأهمية للعالم والمتعلم [9] .

ز – جذور مشيخة فاس والمغرب من الناحية الصوفية:

أفرد المؤلف – رحمه الله تعالى – فصلا خاصا في مشيخته الصوفية ومشيخة والده، ثم أسانيدهم إلى رسول الله ﷺ، وربما يعد هذا الكتاب أول كتاب يفرد هذا المبحث بتلك الدراسة المستفيضة؛ دراسة عالم بحاثة مطلع اطلاعا عز نظيره، مدرك لتراجم أغلب الرواة الذين يذكرهم، موضوعي في بحثه واستنتاجاته .

وقد اعتمد هذا الفصل الشيخ المهدي الفاسي في" ممتع الأسماع" أثناء عرضه لأسانيد الطريقة الشاذلية، وكذلك في "تحفة أهل الصديقية في أسانيد الطائفة الجزولية والزروقية"، والشيخ عبد الرحمن ابن عبد القادر الفاسي في "ابتهاج القلوب بأخبار الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب"، والشيخ عبد السلام بن الطيب القادري في "المقصد الأحمد بترجمة الشيخ أبي عبد الله أحمد"، وآخر من بحث في هذا الباب: شيخ جملة من شيوخنا، فخر المغرب وحافظه الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الإدريسي الحسني في كتابه: "البرهان الجلي في انتساب الصوفية إلى سيدنا علي"، حيث جمع فيه جميع ما بلغه اطلاعه النادر، ودرس تلك الأسانيد دراسة مسهبة، وأفردها بهذا البحث، وهو مطبوع مغن عما سواه .

ولا بد تحت هذا العنوان من الحديث عن التصوف: ماهيته، منشئه، علاقة التصوف بآل البيت الكرام، الطرقية والدولة الإدريسية، ثم تحرير رأينا في سند الشيخ ابن مشيش – رضي الله عنه – في طريقته وسلوكه.

I – التصوف – ماهيته:

لا شك أن الدين الإسلامي الحنيف ينقسم إلى: إسلام وإيمان وإحسان.

---

[9] انظر "مرآة المحاسن"ص 171 حجرية .

فالإسلام: هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك . وهو شريعة رسول الله ﷺ وعلى آله التي هي ناسخة لجميع الشرائع التي سبقتها، ولا يقبل الله تعالى عملا بدون هديها . ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ [آل عمران : 19] . ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ . [آل عمران : 85] .

والإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وتطبيق بالأعمال . خلافا للأديان الأخرى التي لم يبق لها من اسم الإيمان سوى الاعتقاد القلبي دون عمل . فالاعتقاد ما لم يصدقه العمل والقول يعتبر خواء لا قيمة له .

والإحسان: هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك . كما في حديث جبريل الشهير.

فيلتقي الثلاثة في مسألة الاعتقاد القلبي حتى تترسخ في الإحسان الذي عليه مبنى الشريعة كلها؛ لقوله ﷺ كما في البخاري عن عمر رضي الله عنه: ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ مانوى. . .))[10] .

والتصوف مختص بهذه النقطة القلبية؛ فهو: العلم المختص بترويض القلوب لتهيئتها إلى استحضار الله تعالى في كل نفس وحركة، خلف البرزخ المحمدي الذي هو: الشريعة .

ولما كان مقام الإحسان أدق مقامات الإسلام؛ كان لا يتوصل إليه إلا بظاهر الشريعة، كما قال الإمام مالك رضي الله عنه: ((من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن تصوف وتفقه فقد تحقق))[11] .

والمرء إذا صفا قلبه صفت أخلاقه؛ فالتصوف أخلاق فمن زادك أخلاقا زادك تصوفا كما قال الإمام أبو بكر الكتاني رضي الله عنه .

ومن حسن خلقه وصفا للأخذ عن الشريعة الغراء وتفقهها وملاحظتها حتى يتلون بها كالإناء يتلون بحسب ما انضاف إليه؛ كان مثالا للنبل والعفة والاتباع وكل سيما الخير. . .ولذلك اختلف الناس في تعريف التصوف إلى أكثر من ألف تعريف حتى أنشد الإمام زروق في مقدمة "قواعد التصوف:

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا ... وظنه البعض مشتقا من الصوف
ولست أمنح هذا الاسم غير فتى ... صفا فصوفي حتى سمي الصوفي[12]

وقد عرف جمع من الصحابة الكرام بأخذهم هذا العلم عن رسول الله ﷺ ونقله إلى تلامذتهم من كبار التابعين؛ فمن الصحابة الكرام: علي بن أبي طالب، وجابر بن عبد الله، وأبو ذر الغفاري، وحذيفة

---

[10] صحيح الإمام البخاري رقم (1) .
[11] نسب هذه المقولة محتسب الفقهاء والصوفية الشيخ أحمد زروق للإمام مالك في بعض كتبه .
[12] كما في ديباجة كتاب "قواعد التصوف" لزروق .

بن اليمان. . .وغيرهم . ومن التابعين: الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعلي زين العابدين بن الحسين. . .وغيرهم . وهكذا طبقة بعد طبقة [13] .

II – التصوف وآل البيت الكرام:

عند عرضنا لسلاسل أسانيد التصوف نجد كثيرا منها يرتبط بأئمة آل البيت عليهم السلام؛ خاصة الإمام جعفر الصادق وولده، وبغض النظر عن صحة تلك السلاسل وعدمها؛ فإنه ما من شك أن إمام الصوفية في وقته: معروفا الكرخي كان تلميذا للإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهم السلام، بل أسلم على يديه، وعنه أخذ السري السقطي وبه اهتدى .

ولا ينكر مطلع على تاريخ التصوف ومذاهبه التعظيم الخاص الذي يوليه الصوفية للأئمة الاثني عشر: محمد بن الحسن العسكري[14] وآبائه إلى سيدنا علي عليهم السلام، واعتبارهم أن أول الأقطاب في الإسلام هو الحسن بن علي أو والدته سيدتنا فاطمة الزهراء .

بل صرح جملة من متقدميهم – بله متأخريهم – بذلك؛ فقد قال سيد الطائفة الجنيد رضي الله عنه فيما رواه عنه أبو عبد الرحمن السلمي: « صاحبنا في هذا الأمر بعد النبي ﷺ: علي بن أبي طالب . ذلك امرؤ أعطي عـلما لدنيا »، وقال كذلك فيما رواه عنه أبو نصر الطـوسي في "اللمع": « رضوان الله على أمير المؤمنين علي؛ لولا أنه اشتغل بالحروب لأفادنا من علمنا هذا معاني كثيرة »[15] . وقال الحافظ أبو العباس يوسف الفاسي في "المنح الصفية": « قال الشيوخ رضي الله عنهم في حق علي عليه السلام: إنه أعطي العلم اللدني، ولا تصح النسبة إلى الولاية – التي هي منبع الولاية الحقيقية والمعارف الإلهية – إلا من جهته وحقيقته، فهو إمام الأولياء المحمديين كلهم، وأصلهم، ومنشأ انتسابهم إلى الحضرة المحمدية. . .»[16] . وقال الإمام الحرالي : « سلسلة أهل الطريق تنتهي من كل وجه من جهة المشايخ والمريدين إلى أهل البيت. . .»[17] .

ثم إن أغلب مشايخ الطرق الكبار ينتسبون لآل البيت الكرام؛ كالشيخ عبد القادر الجيلاني، والشيخ أحمد الرفاعي، والإمام البدوي، والشيخ عبد السلام بن مشيش، والإمام الشاذلي. . .وغيرهم .

---

[13] انظر "التراتيب الإدارية" (1 : 270) .
[14] مع اعتبارنا للخلاف الموجود لدى النسابين في ولادته وعدمها .
[15] "البرهان الجلي" ص 59
[16] البرهان الجلي ص62 .
[17] البرهان الجلي 65 .

III – الصوفية – الباطنية – المعتزلة – الشيعة:[18]

عند استعراض تاريخ المذاهب الإسلامية نجد أن عدة من الطوائف الإسلامية الزائغة ينتسبون إلى أئمة آل البيت الكرام؛ خاصة الإمام الصادق وولده، والإمام زيد بن علي وولده؛ كالباطنية – خاصة الإسماعيلية – ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، والمعتزلة الزيدية ينتسبون إلى الإمام القاسم بن إسماعيل الرسي وولده، والشيعة الإمامية ينتسبون إلى الحسن العسكري بن محمد الجواد ابن علي الرضا وآبائه . أما الصوفية؛ فينتسبون إلى من انتسبت إليهم الشيعة، وإلى الإمام إدريس بن عبد الله الكامل وولده، والإمام أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق وآبائه وتلامذتهم .

وبالنظر إلى أفكار مختلف هذه الطوائف؛ نجدها تتوافق في كثير من الأسماء والأفكار وتنسبها إلى الأئمة الذين تدعي الانتساب إليهم، مع اختلاف بين في المداول والمفهوم:

1. فالمعتزلة والشيعة والصوفية يتفقون في أن العباد لا يرون الله تعالى يوم القيامة . غير أنهم يختلفون في مدلول الرؤية؛ فالمعتزلة والشيعة ينكرون أصلها وفرعها . أما الصوفية؛ فإنهم يثبتون أصل الرؤية، غير أنهم يذكرون بأن الذات العلية تكون مرتدية برداء الكبرياء لولاه لأحرقت سبحات وجهه تعالى كل ما تصل إليه ، طبقا للحديث الوارد في ذلك[19] .
2. والباطنية والصوفية يتفقون على مسألتي وحدة الوجود والاتحاد؛ غير أن الباطنية يرون أن هذه المسألة حقيقة تقتضي عندهم مدلولات كثيرة تنفي الألوهية مطلقا، ويدخلون فيها الفلسفة اليونانية والزرادشتية وغيرهما . أما الصوفية؛ فيرون بأن تلك حالة معنوية يستشعرها السالك أثناء جولانه في مقامات السلوك، حتى لا يرى في الوجود غير الله تعالى، ويتحقق بالحديث القدسي: ((وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه؛ فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه. . .)) [20] . فالمقصود بذلك عندهم: انمحاق إرادة العبد وتدبيره في إرادته تعالى، واقعا لا تصورا، حتى يصبح في رتبة من رتب المشاهدة الإلهية بحيث لا يتحرك إلا بما يرضي الله تعالى، طبقا للحديث الشريف: ((الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. . .)) [21]، مع بقاء اعتبار الفرق بين الخالق والمخلوق .

---

[18] انظر في هذا الفصل تفصيلا في كتاب "الصلة بين التشيع والتصوف"؛ تأليف د/ مصطفى الشيبي، وكتاب "دراسات في التصوف الإسلامي: شخصيات ومذاهب" تأليف د/ محمد جلال؛ غير أنهما يتحدثان حديث من تأثر بالاستشراق ولم يفهم التصوف بالمعنى التربوي والتأصيلي .

[19] كما في بعض رسائل جد جدنا لوالدتنا الإمام الشهيد أبي الفيض محمد بن عبد الكبير الكتاني رضي الله عنه . و ليس مقصود السادة الصوفية إنكار الرؤية، وأنها بالعين الحسية، وحاشا ذلك، فقد ورد خبرها بالأحاديث المتواترة، بل والقرآن الكريم، وإنما المعنى باطني تفصيلي.

[20] رواه البخاري (6137) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[21] رواه الإمام مسلم في صحيحه (8) من حديث طويل عن ابن عمر رضي الله عنهما .

3. يرى الصوفية والباطنية بأن للشريعة ظاهرا وباطنا . غير أن الباطنية يرون أن باطن الشريعة – وهو: العمق في معاني ظاهرها – إنما هو المقصود منها، وأن الظاهر ما هو إلا ما يفهمه العامة . أما الصوفية؛ فيرون بأن ظاهر الشريعة هو المقصود بالأمر والنهي، والوجوب والمنع . أما الباطن؛ فهو: مدلولات ذلك ومستنبطاته، فلا باطن بدون ظاهر، ولا ظاهر حقيقي من غير الاستقاء والفهم للباطن . فلا شريعة بدون حقيقة، ولا حقيقة بدون شريعة، وما الحقيقة إلا البعد والعمق في فهم الشريعة ومدلولاتها وعللها، لا أنها ند لها ومخالف! . وأن هذا العمق والفهم لا يتأتى إلا بمجاهدة النفس وصقلها بالعبادة وفقا لأوامر ظاهر الشريعة على السنن المحمدي صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

4. يجتمع الشيعة والصوفية في مسألة عصمة الأئمة، وأن الإمام المعصوم لا يكون إلا من آل البيت الكرام . فالشيعة الإمامية يفهمون ذلك على ظاهره، وأن عصمتهم كعصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . أما الصوفية؛ فيرون أن العارف يصل إلى مرتبة من الولاية والصفاء، والتعلق بالله تعالى، والشهود الإلهي؛ بحيث لولا النصوص الشرعية في انفراد الأنبياء بالعصمة؛ لشهدنا لهم بذلك[22]، وفقا لقوله تعالى: ﴿ إن عبادي ليس لك عليهم سلطان ﴾ . [الإسراء : 65] . وأن ذنوبهم ليست من نوع ذنوب العامة؛ إنما هي نوع خاص من الذنوب – خاصة فيما يتعلق بأعمال القلوب – لم يعصم منه إلا الأنبياء عليهم السلام . تأويلا لحديث أن رسول الله ﷺ كان يستغفر في اليوم أكثر من سبعين مرة [23]. في وقت قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . فمم كان يستغفر؟! . والعارف إذا أذنب فإنه يعاجل بالاستغفار، ويكون ذنبه عن غلبة لا عن قصد وعناد . والقطب أو الغوث عند كثير من الصوفية لا يكون إلا من آل البيت الكرام، ويمكن مقارنة مقامه بمقام الإمامة عند الشيعة، بله مقام الختمية الذي هو أرفع وأمكن من القطبية والغوثية . والقطب لا يرقى إلى مقام القطبية إلا بعد وفاة قطب قبله، والشيخ الوارث لا يبلغ مقام المشيخة إلا بعد توصية شيخه له بذلك توصية روحية . وللصوفية على ذلك أدلة ليس المحل محل تفصيلها[24] .

5. الصوفية والشيعة والباطنية وتعظيم آل البيت عليهم السلام . ولا شك أن من أساسات عقيدة الإسلام تعظيم آل البيت النبوي لقوله تعالى: ﴿ *قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى* ﴾ . [الشورى : 23] . وقوله ﷺ في الحديث الصحيح: « إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا بعدي؛ أحدهما أعظم من الآخر؛ وهو: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، لن يفترقا حتى يردا علي الحوض؛ فانظروا كيف تخلفوني فيهما!! . . . » [25]. الحديث . غير أن الصوفية – وهم من أهل السنة والجماعة – يعظمون آل البيت لقرابتهم من رسول الله ﷺ، أما الباطنية والشيعة؛

[22] انظر على سبيل المثال: "الأمالي في علم الأمهات" – الرسالة العاشرة ضمن سلسلة "النفائس الكتانية – من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني في الآداب والسلوك" ص301 .

[23] رواه البخاري في صحيحه (6307) عن أبي هريرة رضي الله عنه .

[24] انظر على سبيل المثال كتاب "نسيم حاجر في مذهب الإمام المهاجر" لمفتي حضرموت الحبيب عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف .

[25] رواه الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في سننه، والبزار في مسنده، والطبراني في معجميه الكبير والأوسط . "جامع الأصول" لابن الأثير (1 : 187)، و"مجمع الزوائد" للهيثمي (9 : 162) .

فلقرابتهم من سيدنا علي كرم الله وجهه. وشتان بين المذهبين؛ إذ من عظمهم لقرابتهم من الرسول ﷺ؛ عظم الشريعة أولا، وعادى من عادى رسول الله، وأحب كل من كان له برسول الله ﷺ أدنى اتصال، واعتذر عن أحبائه أي خلاف كان بينهم . أما من أحبهم لقرابتهم من علي عليه السلام؛ أحب كل من كان له به نسبة، وأبغض كل من كان له معه خلاف – وإن كان صحابيا كذلك – بل وكل من كانت بينه وبينه منافسة في أفضلية أو غيرها . . .

والحاصل: فالتوافق كثير بين تلك الفرق، غير أن الخلاف – وهو الخلاف الجوهري – أن الصوفية يتحركون ويفكرون على منهاج حديث رسول الله ﷺ ، وسير السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، وعلى مسار القرآن الكريم، أما ما سواهم من المعتزلة والشيعة والباطنية؛ فإنهم قدموا العقل والأهواء إضافة إلى الفلسفات القديمة على شريعة الله ورسوله ﷺ وعلى آله، فانحرفوا وتزندقوا وبقوا من غير رائد، ومن هنا تخبط كل من تكلم عن التصوف والصوفية ممن لم يشرب مشاربهم، ولم يتذوق معاني كلامهم ويفهم مقاصدهم واستدلالاتهم من المستشرقين وغيرهم، فخلطوا بينهم وبين من ذكر.

وخلاصة هذا المبحث: فإني أرى بأن أئمة آل البيت – عليهم السلام – كانوا يتكلمون بكلمات جامعة عميقة، متناسبة ومقامهم العلمي والروحي، وأن مجالسهم كان يحضرها أناس هم من:

- خاصة الخاصة؛ فهموا أبعاد كلامهم ومدلولاته؛ فكان منهم المحققون من الصوفية .
- وأناس تركوا ما لم يفهموه من علوم الحقائق، واعتكفوا على العلوم الشرعية الواضحة، والتزموا بما فهموه منها؛ فكان منهم علماء الإسلام وظاهر الشريعة .
- وأناس فهموا كلامهم على ظاهر لفظه، وأضافوا إليه استنتاجاتهم الفاسدة، مع ما كانوا عليه من انحطاط الجرثومة والمحتد؛ فكان منهم الباطنية بفرقهم .
- وأناس هم من جنس من سلف، غير أنهم كانوا أقل منهم داء وعطبا، وأكثر اطلاعا على العلوم الشرعية وقواعدها؛ فكان منهم الشيعة الإمامية .
- وأناس تركوا الباطن الذي لم يفهموه، وتأثروا بالمدارس العقلية القديمة، إضافة إلى قلة إلمامهم بعلوم السنة والحديث؛ فنتج منهم المعتزلة والزيدية .

فالطريقة الصوفية هي الامتداد الحقيقي لمذهب آل البيت الكرام، أعني : المحققين من الصوفية، لا أهل الأهواء والبدع. . .

VI– الطرقية والدولة الإدريسية:

الباحث في تاريخ الدولة الإدريسية والأدارسة – رضي الله عنهم – يجد أنهم لم يكونوا رجال ملك وسلطة بقدر ما كانوا دعاة إلى الله تعالى فاتحين، معلمين هادين مهديين، أصحاب رسالة حملوها من آبائهم

أئمة آل البيت الكرام في المشرق؛ كمحمد النفس الزكية والحسين الفخي وعبد الله الكامل وجعفر الصادق وموسى الكاظم. . .إلخ .

- فلم يكونوا أرباب بذخ وسلطة .
- ولم يكونوا إمبراطورية بالمعنى الاصطلاحي للكلمة .
- بل لم يكن لهم حتى جيش نظامي .

بل كانت دعوتهم أكبر من رقعتهم السياسية، حتى وصلت غانة جنوبا، وشمال إفريقيا وصعيد مصر شمالا وشرقا، في خلال كان نفوذهم السياسي – بمعنى الدولة – لا يتعدى المغرب الأقصى والأطراف الغربية للجزائر، ثم الأندلس وصقلية[26] .

ويتجلى هذا المنهج لدى الأدارسة – عليهم السلام – في توزيع الإمام محمد بن إدريس – رضي الله عنه – ملك المغرب بين إخوانه بإشارة من جدته وتلميذة جده مولانا إدريس الأكبر السيدة كنزة الأوربية رضي الله عنها، مع التنسيق المباشر له. ذلك ليصبح المغرب عبارة عن (كانتونات) يتنافس أمراؤها في نشر الإسلام واللغة العربية والعلوم الشرعية، والتي تمثل في رأيي البذرة الأولى لتكوين ما يسمى: الطرق الصوفية، بمعنى: الزوايا لا التكايا المنتشرة بالمشرق والأندلس .

وتحت ضوء هذا؛ لا يستغرب الباحث إذا وجد عددا من حكام الأدارسة يفرون من الحكم، ويربضون إلى الخلوات للاعتكاف والدعوة إلى الله تعالى، كما هو الحال في الإمام المزوار بن علي حيدرة بن محمد بن إدريس[27]، وبعضهم الآخر كان عند حلول نزاع في الملك يتوب إلى الله تعالى، ويعتكف في الأرباض والخلوات إلى وفاته؛ كالقاسم بن إدريس، ولبعضهم مذهب فكري لقي انتشارا في وقته وأتباعا؛ كالإمام أحمد بن إدريس بن إدريس عليهم السلام[28] .

هذه الأخلاق وهذا السلوك – إضافة إلى النسب المحمدي الشريف – كانت السبب الوحيد الذي جعل البربر – وهم الأحرار بجميع ما تعنيه الحرية من وسع – يذعنون للأدارسة، ويؤمرونهم عليهم، ويكونون أكبر حليف لهم؛ حتى امتزجت دماؤهم، وعد الأدارسة في كثير من كتابات الأندلسيين شعبا من شعوب البربر[29] .

وعند انقراض دولة الأدارسة، وحدوث المجزرة الكبيرة لهم بقلعة حجر النسر؛ فر من تبقى منهم إلى شواهق الجبال ووعرها؛ كزواوة وغمارة والسوس والأوراس. . .إلخ، وكونوا إمارات ومشيخات شبيهة بنظام الإقطاع في أوروبا بالعصور الوسطى، غير أنها خلت من الظلم والاستبداد الذي عرفه نظام الإقطاع في أوروبا، وامتازت عوضه بالعلم والتعليم والجهاد في سبيل الله تعالى، والإصلاح الديني

[26] انظر "الموسوعة الشيعية" قسم الأدارسة؛ للأستاذ محسن الأمين، فقد فصل في هذا الأمر .
[27] "الأزهار العاطرة الأنفاس" ص191 .
[28] راجع "الموسوعة الشيعية – الأدارسة" . وقد ذكر أن ابن حزم تحدث عن هذا المذهب في كتابه "الفصل في الملل والنحل" .
[29] راجع "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" لابن بسام الشنتريني .

والأخلاقي. . .الأمر الذي كان له عظيم الأثر في التاريخ المغربي فيما بعد، بل والتاريخ الإسلامي بعامة . خاصة وأن الأشراف الأدارسة كانوا وراء تأسيس دولة المرابطين[30]، ثم تأسيس دولة الموحدين[31]، ثمة تأسيس دولة المرينيين التي قامت على العصبية لآل البيت كما لا يخفى .

وكانت هذه الإمارات، أو المدارس العلمية، أو الأربطة، أو الثكنات الإصلاحية والدعوية، أو الزوايا. . .هي الجذور الأولى لنظام الطرقية في المغرب الأقصى، بل وشمال إفريقيا . وما مرت مائة وخمسون عاما على سقوط دولة الأدارسة – مع استثناء دولتهم الثانية (الحمودية) في الأندلس، ودولتهم في صقلية – حتى ظهرت مدارس كبرى في مختلف قبائل البربر وشواهق الجبال، حفظ لنا التاريخ الشحيح أسماء بعض أربابها، والبعض الآخر نسب إلى قبيلة من قبائل البربر وأغفل المؤرخون نسبه الإدريسي[32]، والأغلب منهم عفى عن ذكره الإهمال .

فمن هؤلاء المصلحين الكبار: محمد واجاج بن زلو اللمطي السوسي (ت 978/445) صاحب الرباط الكبير بسوس ووالد دولة المرابطين، وعبد الله بن هادي بن أمير الناس يحيى الثالث الكتاني (ت 934/490) صاحب المدرسة الكتانية الشهيرة بقسنطينة شرق الجزائر إلى الآن، وأبو عبد الله آمغار الكبير (ت أوائل القرن السابع الهجري/ أواسط الثاني عشر الميلادي) صاحب رباط تيطنفطر بجهة مدينة الجديدة، وعبد السلام بن مشيش العلمي؛ شيخ الإمام أبي الحسن الشاذلي الشريف الإدريسي (ت 1153/626) في جبل العلم بغمارة. . .وغيرهم .

وكانت طريقة هؤلاء العترة الطاهرة : العلم والتربية، والجهاد والمجاهدة . فكانت طريقتهم سنية صوفية، تربوية زهدية، وكان أوائل زعمائها أبعد ما يكونون عن الشطحات والفلتات .

ومن أهم السيما التي امتازوا بها: التركيز على محبة رسول الله ﷺ وآل بيته الطاهرين عليهم السلام، والإكثار من الصلاة عليه ﷺ ، ولا أبرز مثالا من "الصلاة المشيشية" في نوعها وصيغتها .

وإني أرى – بعد الاطلاع والبحث – أن الطريقة الصوفية بالمشرق تميزت بالانعزال عن الحياة العامة، والاعتناء بالجانب الإلهي في العبادة والذكر، حتى كانت أربطتها تكايا، واشتهرت ألفاظ الوحدة والحلول والاتحاد عند أربابها، وابتعد أتباعها شيئا فشيئا عن الحديث وعلومه. . .بخلاف الطرق الصوفية الأولى في المغرب الأقصى؛ فإنها ربطت العبادة باتباع شرع النبي ﷺ ، وتعمقت فيه وفي سيرته وحديثه ومحبته والصلاة عليه، والاعتناء بآل بيته الطاهرين ومحبتهم، وكان مشربهم: معاشرة الناس والدعوة بينهم، وطلب العلم والجهاد في سبيل الله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. . .بل أغلب دول المغرب إنما تأسست عن طريق طرق صوفية إصلاحية أو بدافع منها .

---

[30] عن طريق الإمام عبد الله بن ياسين الجزولي؛ تلميذ الإمام وجاج بن زلو الإدريسي .

[31] وقد أشار لذلك الإمام المقري في "كنوز الأسرار"؛ فليراجع .

[32] مثلا: آل امغار؛ اكتفى صاحب "التشوف" بنسبتهم إلى صنهاجة دون التعريج على نسبهم الشريف، وهو من أصح الأنساب . انظر "سلوة الأنفاس" (2 : 218) .

ولربما أول من عرف المشارقة بمعاني الغوص في سيرته وشمائله وباطنه ﷺ ، والتعلق الكلي بآل بيته الطاهرين، وربط ذلك بالسلوك وجعله من أوليات الوصول: الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي الحاتمي رضي الله عنه (ت 1165/638) خاصة في كتابه "الفتوحات المكية" ، وهذا الجانب نجده مغفلا في كتب الصوفية المشارقة قبله .

وهذا التصوف الأخير هو الذي نلمسه في سيرة الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي – رضي الله عنه – في طيات هذا الكتاب، خاصة وأنه شاذلي الطريقة، والطريقة الشاذلية تعد طريقة إدريسية، ووالدة الطرق الصوفية المغربية في ذلك الحين وما بعده، مع تأثره – رضي الله عنه – تأثرا واضحا بتصوف الأندلس.

V – سند الشاذلية في الطريق والتربية :

بحث الشيخ أبو حامد في خاتمة الكتاب في أسانيد الطريقتين الجزولية والزروقية، ورفع أسانيدهما إلى الإمام الشاذلي باحثا فيها بحث إمام مدقق . غير أن الذي يخصنا في هذا المبحث هو: سند الطريقة الشاذلية من إمامها الشيخ أبي الحسن الشاذلي – رضي الله عنه – إلى رسول الله ﷺ .

فقد رفع المؤلف – رحمه الله تعالى – سنده في السلوك والتربية عن الشيخ عبد السلام بن مشيش عن الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن الحسين العطار المدني الزيات عن تقي الدين الفقير عن فخر الدين عن نور الدين علي عن تاج الدين عن شمس الدين بأرض الترك عن زين الدين القزويني عن أبي إسحاق إبراهيم البصري عن أبي القاسم أحمد بن الرواني عن أبي محمد سعيد عن أبي محمد فتح السعود عن سعيد الغزواني عن جابر عن الحسن بن علي عن والده الإمام علي بن أبي طالب عن مولانا رسول الله ﷺ .

وقد نقل المؤلف هذا السند عن تقي الدين الإسكندري سبط الشاذلي في كتابه "النبذة المفيدة" قائلا: « قال الشيخ أبو العباس المرسي في هذه الطريقة: إنها متصلة بالأقطاب، معنعنة برجل عن رجل إلى الحسن بن علي بن أبي طالب عن النبي ﷺ ، فلما اطلعت على هذا الكلام؛ أمعنت الفحص عن معرفة بقية هذا الطريق. . .» . ثم قال بعد إيراد السلسلة: « وإن كنت لم أجزم فيها إلا بالشيخ الشاذلي وشيخه ابن مشيش وشيخه المدني، ثم بالحسن بن علي . فمجموعها على قسمين: منها ما هو قطعي ومنها ما هو ظني. . .».

قلت: أما الشيخ عبد الرحمن المدني؛ فقد قال الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الفاسي في "المنح الصفية" : « لست أعرف من هؤلاء الشيوخ الذين بين الإمام الحسن والشيخ عبد الرحمن المدني واحدا، وإنما ذكرتهم تقليدا! »[33] .

وقال الشيخ أحمد بن الصديق الغماري: « هؤلاء الرجال – أي: رجال السند – لا يعرف لأحد منهم عين ولا حال إلا عبد الرحمن المدني العطار؛ فإنه معروف العين بأخذ القطب ابن مشيش عنه، وتصريحه بأنه كان يأتيه من المدينة المنورة طيا للتربية والتسليك؛ كما نقله عنه تلميذه أبو الحسن الشاذلي – رضي الله عنهما . والباقون قد بحثنا عنهم كثيرا – نحن ومن قبلنا – فلم نجد من ذكرهم ولا بعضهم. . . »[34] .

وقال العارف محمد بن مسعود الفاسي المكي في كتابه "الفتوحات الربانية": « أتى لمولانا عبد السلام بن مشيش – أي: الشيخ عبد الرحمن المدني – لما وقع الجذب وهو ابن سبع سنين، فدخل عليه وهو عليه سيمة أهل الله، فقال له: أنا شيخك . وأخبره عن أموره وأحواله ومقاماته مقاما مقاما . وقال له: أنا واسطتك في كل حال وكل مقام . وقد سئل بعد ذلك سيدي عبد السلام بن مشيش: هل كنت تأتيه أو يأتيك؟ . فقال: كل ذلك قد كان . فقيل له: طيا أو نشرا؟ . قال: طيا! » .قلت: ولم يذكر مستنده في ذلك[35] .

وقال الحافظ الغماري قبل ذلك: « ثم إن الشيخ العارف أبا عبد الله محمد بن مسعود الفاسي المكي وصف رجال السند المذكور في كتابه "الفتوحات الربانية" بما فيه تعريف بالمقام؛ إلا أنه أتى بما يستحق أن يوصف به كل عارف بالله تعالى » [36] .

هذه أهم المعلومات التي أمكننا جمعها حول هذا السند:

- فأول من أتى به ونقله: الشيخ محمد السكندري – سبط الإمام الشاذلي – بعد تنقيب طويل.
- ووجده منقولا عن الشيخ ابن عطاء الله تلميذ المرسي تلميذ الإمام الشاذلي .
- ولم يذكر الناقل ولا عرف به .
- ولم يجزم هو نفسه بالمنقول، ولا جزم به الشيخ أبو حامد، ولا الغماري ، بل استأنسوا عليه بقول الإمام المرسي رضي الله عنه: « طريقتنا لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة، وإنما هي واحد عن واحد إلى الحسن بن علي عليهما السلام » .

---

[33] "البرهان الجلي" 26 .
[34] "البرهان الجلي" 26 .
[35] "البرهان الجلي" 27 .
[36] البرهان الجلي 27 .

- وحتى عند إثبات أخذ الشيخ ابن مشيش عن الشيخ المدني؛ فإن من فصل في أخذه عنه وطريقة ذلك – وهو: ابن مسعود الفاسي – ذكر أن الشيخ المدني كان يلتقي به وهو ابن سبع سنين، ولم يذكر مصدره في ذلك .

على أن الراجع لما أسلفناه من علاقة الطرقية بدولة الأدارسة، والمطلع على سيرة الشيخ ابن مشيش وسيرة آبائه؛ يعلم أن والد الشيخ ابن مشيش وجده وعامة آبائه إلى المولى إدريس – عليهم السلام – كانوا من الأولياء الكمل، ولكل منهم قبة أومقام في أحواز جبل العلم[37] .

ثم استمر ذلك الخير والمدد في أبنائه وأبناء عمومته وإخوانه من الأشراف العلميين والوزانيين والريسونيين واليملاحيين. . .إلخ، وظهر منهم أكابر اشتهر أمرهم أيما اشتهار .

خاصة مع العلم بأن المشارقة قليلو التثبت فيما ينسبونه لأعلام المغرب؛ سواء عند الحديث عن علمائهم وعند حديثهم عن صلحائهم، وللعلامة المحدث إبراهيم بن محمد بن الصديق الغماري – حفظه الله تعالى – جزء في أوهام المشارقة في تراجم المغاربة، ولا أوضح من النسب المزعوم الذي نسبوه للإمام الشاذلي ونسبوه فيه إلى مجهول، حتى صححه سبطه في "النبذة المفيدة" وأنه مرفوع إلى مولانا إدريس بن عبد الله الكامل رضي الله عنه[38] .

والخلاصة: فإني – بغض النظر عن تسليمي للسند الذي رفع للإمام ابن مشيش في تربيته وسلوكه وعدمه – أرى بأنه – رضي الله عنه – إنما سلك وتربى على والده سيدي سليمان؛ المدعو: مشيش وهو على والده سيدي أبي بكر عن والده سيدي علي عن والده سيدي حرمة عن والده سيدي عيسى عن والده الإمام سيدي عبد السلام؛ المدعو: سلام عن والده الإمام سيدي مزوار عن والده الإمام سيدي علي حيدرة عن والده الإمام سيدي محمد عن والده الإمام مولانا إدريس الأزهر عن والدته العارفة السيدة كنزة الأوربية والإمام مولانا راشد الأوربي كلاهما عن الإمام مولانا إدريس الأكبر عن والده الإمام مولانا عبد الله الكامل عن والده الإمام مولانا الحسن المثنى عن والده الإمام مولانا الحسن السبط وعمه مولانا الحسين السبط عن والدهما الإمام مولانا علي كرم الله وجهه، عن مولانا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وهذا السند هو الذي نرتاح إليه، وهو الذي يوافق قول الإمام المرسي: « طريقتنا لا تنسب للمشارقة ولا للمغاربة، وإنما هي واحد عن واحد إلى الحسن بن علي عليهما السلام » .، وأنها مسلسلة بالأقطاب .

---

[37] انظر محال مقاماتهم في "الروضة المقصودة" (2 : 491) .

[38] انظر كتاب "الرياض الربانية في الشعبة الكتانية" لجد جد والدنا شيخ الجماعة جعفر بن إدريس الكتاني (مخطوط)، و"التعقبات على فهرسة الكوهن" لعم جدنا الشيخ عبد الحي الكتاني (مخطوط) .

ومثل ذلك : سند السادة الباعلويين بحضرموت باليمن؛ فإن شيخهم وإمامهم الإمام الفقيه المقدم محمد بن علي الباعلوي (ت 1180/653) أخذ طريقته تأدبا وتربية عن آبائه إلى مولانا رسول الله ﷺ وعلى آله، وهي – أي: الطريقة الباعلوية – شبيهة بطرق السادة الأدارسة بالمغرب من حيث المشرب . أما سند الفقيه المقدم في الخرقة الصوفية؛ فعن الشيخ أبي مدين الغوث بواسطة الشيخين عبد الرحمن المقعد وعبد الله الصالح المغربي الذين حملاها إليه من المغرب إلى المشرق كما ذكر ذلك جميع مؤرخيه[39] .

ح – *أسلوب الكتاب ولغته:*

من أهم مميزات "مرآة المحاسن": أسلوب الكتاب ولغته؛ فيتميز أسلوب "مرآة المحاسن" بالسلاسة والمتانة وجمال العبارة، وكذلك باستخدام المؤلف أساليب وتراكيب لغوية راقية، وانتهاجه السجع غير المتكلف . مليئ بالاستعارات والشواهد . ومع تضمنه لبعض غريب الألفاظ فإن ذلك لم يخل من عذوبة وجمالية . خاصة في مقدمة الكتاب .

أما في صدر الكتاب: فإن المؤلف – رحمه الله تعالى – يسترسل في أسلوبه استرسالا عذبا، ولا يتكلف – في العموم – سجعا ولا غريب لفظ، ويستشهد بما راق له من أقوال العلماء والأشعار المناسبة للموضوع المتحدث عنه، غير أنه لا يكثر من الاستشهادات الشعرية .

أما في خاتمة الكتاب؛ فلغة الاسترسال تظهر بوضوح، عذبة سلسة كالزلال، يشتهي القارئ دوام مطالعتها وإمرار عينيه بها .

والمؤلف – مع فصاحة أسلوبه ودقة عبارته – تجده مفتخرا بأهل بيته، رافعا مقدارهم، يضفي عليهم مختلف الألقاب العلمية والجاهية؛ كالإمام، والحافظ، والعارف، والشيخ. . .ونفس الشيئ نظرته إلى علماء عصره . وهو لا يلمز ولا يميل إلى السفاسف، بل يذكر كل امرئ بالفضل الذي فيه ويغضي عن الزلات . . .

ومثال ذلك عند حديثه عن فتنة العرائش قال: « ومن أشنع ما وقع من ذلك: أن السلطان تكلم مع النصارى – دمرهم الله – في تمكينه من مدينة العرائش لأغراض فاسدة، وموه على الناس بأعذار واهية، وبعث من يعرض ذلك على العلماء ويأخذ موافقتهم ليدفع اللومة عن نفسه؛ فمنهم من لم يجد مندوحة، ومنهم من عصمه الله بالورع . . . .»[40] . فلم يذكر اسم السلطان، ولا أسماء العلماء الذين أفتوا بذلك الباطل، ولا حتى ذمهم ولو ظاهريا .

---

[39] راجع كتاب "الغرر" في تراجم آل الإمام أحمد بن عيسى المهاجر ص599 .
[40] مرآة المحاسن 154 .

والمؤلف في كتابه مفعم بالروح الإسلامية القوية، وطني غيور على وطنه، راج له الخير والسداد، كما أنه صلب ضد الكفرة والنصارى وأعداء الإسلام، لا يذكرهم إلا معقبا ذكرهم بلفظ: ((دمرهم الله))، و ((لعنهم الله)) وما شاكلها من الألفاظ .

كما يتسم أسلوبه بالورع والتثبت العلمي، والحفاظ على المادة العلمية التي يسوقها؛ فهو إن لم يضبط أمرا من محفوظاته، ولم تسعفه مراجعه التي بين يديه؛ لا يأنف عن قوله: أنسيته، أو: النسيان مني. .أو ما شابه ذلك من العبارات، وهو كثير عنده .

وقبل كل شيئ؛ فإن المؤلف في مقدمة الكتاب ص3 يصرح بأنه ما كتب الكتاب إلا لذرية الشيخ أبي المحاسن، وأنه استطرد فيما يرى أن فيه فائدة، لينقل صورة المترجم من جميع جوانبها كما هي . فهو يصرح بقوله: ((ربما ذكرت ما هو في صنعة التأليف حشو لا يحتاج إليه، ولغو لا يعرج ببادي الرأي عليه؛ محافظة على أن تكون صورة الحال بارزة إليهم، ومثال الواقع ماثلا لديهم. . .)) ، فهو موضوعي في منهجه، بعيد عن قلب الحقائق وتزويرها .

ومن مميزات أسلوبه في "المرآة": أنه لا يكاد يذكر اسما من الأسماء إلا ويذكر كنيته معه على طريقة أهل الحديث، ويتحفظ في ذكر الكرامات إلا ما لا ينافي العقل أو الشرع، وإذا أتى بغريبة من الغرائب فإنه – في العادة – يسند خبره إليها وكيف جاءه .

والحاصل: فالحديث عن مميزات أسلوب "مرآة المحاسن" يحتاج إلى كتاب بحجمه أو أكبر منه، ويكفي من القلادة ما أحاط بالعنق .

ط – مراجع الكتاب ومصادره:

يعتمد المؤلف في كتابه على أكثر من سبعين مرجعا؛ منها: ما هو مرجع أصلي عليه بني الكتاب، ومنها: ما هو مرجع فرعي يستفيد منه المؤلف .

ومن أهم المراجع الأصلية التي بنى عليها المؤلف كتابه: ترجمة شقيقه الحافظ الفاسي لوالده؛ وربما يقصد بها: كتابه "المنح الصفية في الأسانيد اليوسفية"، وهو لا يزال مخطوطا . ومنها: رسائل الشيخ أبي المحاسن التي كانت بين يديه؛ فقد أورد 17 رسالة في فصلي: رسائله وأجوبته. وجزء لأبي العباس أحمد الجزولي في سماعات الشيخ أبي المحاسن، ومجموعة كبرى بالغة الأهمية من المراسلات التي كانت بين أفراد عائلته وكبار أعلام فاس، كانت معتمدة لجميع من جاء بعد الشيخ أبي حامد ينقلون عنها في مختلف المسائل .

وكذلك المادة الكبيرة للأوراد الشاذلية، والأحزاب الصوفية التي أثبتها في الكتاب، وعقبها بذكر أدلتها من الكتاب والسنة؛ بحيث يعد مرجعا مهما حفظ لنا نصوصها كما كانت تتلى أيام ازدهار الطريقة الشاذلية وعلمائها .

هذه أهم المصادر التي بنى عليها المؤلف – رحمه الله تعالى – كتابه، وتعتبر المصادر الأساسية للكتاب، أما المصادر الأخرى؛ فقد أفردنا ذكرها ضمن فهرس مراجع المؤلف في نهاية الكتاب .

وختاما لهذا الفصل؛ هذه أهم ميزات "مرآة المحاسن" التي جعلته في محل الصدارة من بين الكتب المغربية، وجعلت أغلب من جاء بعد الشيخ أبي حامد يؤلف على نهجه وطريقته، وتبقى بنود أخرى: كتاريخ الزاوية الفاسية، ونبذة عن تاريخ آل الفاسي الفهريين، وقيمة مؤلف الكتاب وترجمته؛ أذكرها في الفصول القادمة استقلالا بحوله تعالى . . .

الزاوية الفاسية: التاريخ والحقب والأدوار

حديثنا عن الزاوية الفاسية حديث عن التصوف في فاس وجذوره، والعلم في فاس وجذوره بعد الألف الثانية للهجرة . فهو ينقسم إلى قسمين؛ قسم متعلق بالزاوية كأبناء وأسرة، وقسم يتعلق بالزاوية كطريقة وفكر صوفي .

1 – الزاوية الفاسية: الأبناء والأسرة:

لقد مرت الزاوية الفاسية بعدة أدوار مهمة؛ ***منها: دور الزاوية الصوفية النشـــطة****. وهو الممتد من عام (1569/976) إلى عام (1626/1036) حيث وفاة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي .

وفي هذه الفترة نشطت الزاوية الفاسية من الناحيتين الصوفية والعلمية؛ غير أنه غلب عليها الطابع الصوفي من حيث إقراء كتب التصوف والأوراد والأذكار، والاعتناء بها شرحا وتدريسا، والابتعاد عن المناصب وكل ما فيه رياسة دنيوية. .وتوارد على الزاوية شيخان من الزاوية الفاسية؛ هما: الشيخ يوسف الفاسي، والعارف عبد الرحمن بن محمد الفاسي . وفي هذه الفترة كانت الزاوية بعيدة عن المخزن والسياسة والفتن التي عرفت بها تلك الفترة إلا لمما .

المرحلة الثانية – المرحلة العلمية: وهي الممتدة من سنة (1626/1036) إلى سنة (1800/1214) حيث وفاة الشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي ، وهي مرحلة ازدهار العلوم بين أبناء الأسرة الفاسية، وفتح الزوايا – خاصة: زاوية الشيخ عبد القادر بالقلقليين – لدروس العلم المختلفة، وتصدر أبناء الزاوية لمشيخة الجماعة وغيرها من المراتب العلمية الكبيرة . وقد كان للزاوية دور مهم في استتباب دعوة المولى إسماعيل العلوي[42]، ومن ثمة تثبيت أركان الدولة العلوية بالمغرب، وكذلك الخطيب أبو مدين بن محمد الفاسي (ت 1768/1182) هو من كتب وثيقة بيعة المولى محمد بن عبد الله عام (ت 1756/1171)[43] .

وتعد هذه الفترة فترة التأريخ للزاوية، وكتابة الكتب العديدة في تاريخها وتاريخ رجالاتها؛ كـ "ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع"، و"الإلماع ببعض من لم يذكر في ممتع الأسماع"، و"الجواهر

---

[41] أنظر حول هذه الفترة والتي بعدها كتاب "الزاوية الفاسية" للدكتورة نفيسة الذهبي؛ فقد أوعب وجمع .
[42] "الزاوية الفاسية" (225) .
[43] "الجيش العرمرم الخماسي" (1 : 212) .

الصفية من المحاسن اليوسفية"، و"روضة المحاسن الزاهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن البهية"، و"تحفة أهل الصديقية في الطريقة الجزولية والزروقية"، و"الرصاصة المطفية في جوف من رد على أهل المخفية" كلها لمؤرخ الزاوية الفاسية الشيخ المهدي بن أحمد بن علي الفاسي، "وابتهاج القلوب بأخبار الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب"، "وأزهار البستان في مناقب الشيخ عبد الرحمن"؛ أي: ابن محمد الفاسي، و"تحفة الأكابر في مناقب الشيخ عبد القادر"؛ أي: ابن علي الفاسي، كلها لسيوطي وقته: عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي . (1631/1040 - 1685/1096) ، و"أسهل المقاصد لحلية الأشياخ ورفع الأسانيد الواقعة في مرويات شيخنا الوالد" للعلامة محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي (1655/1064 - 1701/1113) . . .وغيرها .

ثم الفترة الثالثة: وهي فترة الركود، وهي تمتد من (1800/1214 - 1975/1395) حيث وفاة عم جدتنا العلامة العابد بن عبد الله الفاسي رحمه الله تعالى؛ وهو – حسب علمي – آخر من درس بهذه الزاوية، ولا أعلم من درس بها بعده إلى الآن . فأغلقت الزوايا الفاسية بفاس وتطوان والقصر إلا في وجه الصلوات الخمس، وأحزاب الصباح والمساء من القرآن الكريم . أحيى الله هذه الزوايا، وأعادها إلى سالف عزها بمنه وكرمه .

وركود الزاوية الفاسية لا يعني ركود الفاسيين؛ فقد استمر نشاطهم كبيرا في مختلف المجالات كما يأتي بإذنه تعالى .

2 – الزاوية الفاسية: المدرسة والطريقة:

لا شك أن الزاوية اليوسفية الفاسية هي امتداد للطريقة الشاذلية في المغرب، ومدرسة كبيرة من المدارس التي انبثقت عن تلامذة الشيوخ: ابن عباد الرندي الأندلسي الفاسي، ومحمد ابن سليمان الجزولي ، وأحمد بن أحمد زروق البرنسي الفاسي؛ وأكبر الطرق التي نتجت عن هذه المدرسة هي:

1. الطريقة الدلائية في وسط المغرب؛ والتي تفرعت عنها الطريقتان العياشية والناصرية .
2. والطريقتان الريسونية والوازانية؛ وهما في الأصل امتداد لمدرسة مولانا عبد السلام بن مشيش الأصلية، وإن كانت مستقاة من المدرسة المذكورة . ولم تتفرع عنها مدارس طرقية مستمرة، غير أنها – لوحدتها وثبوت كيانها – كان لها تأثير تربوي على مختلف الطرق الصوفية في المغرب؛ خاصة الطريقتين الناصرية والدرقاوية، غير أنها أنتجت من تلامذتها المربين والعارفين بالله من لا يحصى كثرة .

3. والطريقة اليوسفية الفاسية التي نحن بصدد الحديث عنها؛ وهي خلط في التأثر من تصوف المشرق والأندلس والمغرب، وقد استمرت مشيخة هذه الطريقة في البيت الفاسي حياة الشيخ أبي المحاسن — المؤسس — وشقيقه العارف عبد الرحمن (1569/976 - 1626/1036) .

ومن الشيخ عبد الرحمن انتقلت مشيخة الطريقة الفاسية إلى آل معن الأندلسيين، المنتسبين للسلطان أمير المسلمين يعقوب المنصور الموحدي؛ فتولى المشيخة بعد العارف الفاسي: الشيخ محمد ابن عبد الله معن الأندلسي (ت 1652/1062) ، ثم الشيخ قاسم الخصاصي (ت 1673/1083)، ثم ابن الأول الشيخ أحمد بن محمد ابن عبد الله معن (ت 1709/1120)، وجدد زاوية والده بالمخفية من فاس، ثم خلفه بالزاوية نجله الشيخ محمد بن أحمد معن (ت 1723/1134)، ثم نجله الآخر الشيخ العربي بن أحمد معن (ت 1754/1166)، وهو الذي جمع في طريقتهم الشاذلية المعنية الفاسية المشربين القادري والشاذلي بأخذه عن العارف الشيخ أحمد اليمني القادري (ت 1702/1113)، ووالده أبي العباس معن[44] .

ومن الشيخ العربي ابن عبد الله معن انتقلت وراثة الطريقة الشاذلية الفاسية المعنية إلى الشيخ الشريف مولاي علي بن عبد الرحمن العمراني الإدريسي الحسني؛ المعروف بالجمل (ت 1781/1194)، صاحب زاويته الشهيرة بحومة الرميلة من فاس، وعنه أخذ الطريقة الشاذلية خليفته العارف المربي الشيخ مولاي العربي بن أحمد العلمي الإدريسي الحسني؛ المعروف بالدرقاوي (ت 1823/1239)، ثم انتشرت طريقته شرقا وغربا كما هو معروف، وتفرعت عنها عدة طرق؛ كالحراقية والغمارية، والصديقية والفتحية، والعليوية والإلغية، والكتانية المكية[45]. . . وغيرها .

وهكذا يظهر مدد الشيخ أبي المحاسن من الناحية الصوفية، وأياديه البيضاء — هو وذووه — على الطريقة الشاذلية في المغرب، ثم من بعد في المشرق .

3 – بناآت الزاوية الفاسية:

أول تأسيس الزاوية الفاسية كان في مدينة القصر الكبير؛ وبالقصر الكبير زاويتان، أولهما تأسيسا: زاوية حومة القطانين، وهي الشهيرة بزاوية الشيخ أبي عسـرية بن علي بن أبي المحاسن الفاسي (ت

---

[44] "سلوة الأنفاس" (2 : 297) .

[45] المقصـود: طريقة الشيخ القطب شيخ الإسلام محمد المكي بن الإمام محمد بن الشيخ جعفر الكتاني المتوفى بدمشق عام (1973/1393)، لا طريقة الإمام الختم محمد بن الشيخ عبد الكبير الشهيد الشهيرة بالمشرق والمغرب، فإن هذه الأخيرة طريقة مستقلة؛ لا شاذلية ولا قادرية، وتعد سقف ما وصل إليه التصوف من ناحية السلوك والمعرفة! .

1621/1030) . أما الزاوية الثانية – وهي بنفس الحي، كائنة مقابل مسجد الشجرة – فهي التي تولى إدارة شؤونها الشيخ المربي أحمد بن الحافظ أحمد بن يوسف الفاسي (ت 1684/1094) .

أما في فاس؛ فأول زاوية بها كانت: زاوية حومة المخفية التي تأسست عام (1597/1006)، وكانت هي الزاوية الأم، ثم حـاز الشيخ أبو المحاسن روضته الشهيرة بالقـباب قبالة باب الفتوح عام (1597/1006)[46]، ثم أسس الشيخ عبد الرحمن الفاسي زاويته الشهيرة بحومة القلقليين، وهي التي رممها ووسعا وعمرها الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي، ونالت – فيما بعد – الصدارة بين الزوايا نظرا لبقاء العلم والزعامة والوظائف في عقبه إلى الآن (2002/1423)، حيث تعتبر الآن أنشط الزوايا الفاسية بالمغرب، حيث يقام بها حفل المولد النبوي الشريف مرة كل عام، ضحى يوم 12 ربيع الأول .

أما في تطوان؛ فقد أسس الشيخ أبو المحاسن في حياته زاوية حومة العيون بها عام (1596/1005)[47]، وفيها كان يجتمع أتباع الزاوية الفاسية، ثم لظروف خاصة؛ أسست زاوية أخرى بحومة الإطرانكات من تطوان على يد الشيخ محمد أبي عسرية بن علي بن يوسف الفاسي حدود عام (1604/1013)[48].

---

[46] "الزاوية الفاسية" ص119 .
[47] "مرآة المحاسن" ص43 .حجرية .
[48] "الزاوية الفاسية" ص162 .

الأسرة الفاسية الفهرية

ذكر الشيخ أبو حامد في "المرآة" أنه سأل والده الشيخ أبا المحاسن: « ياسيدي؛ ادع الله لنا بأن لا تفارقنا بركتك! » . فقال: « البركة فيكم وفي ذريتكم، وذرية ذريتكم إن شاء الله . وقد كان الشيخ عبد الرحمن المجذوب – نفعنا الله ببركاته – يقول في دعائه لي: جعل الله منك الزرع والزريعة؛ الزرع: أنت، والزريعة: أولادك!!! » [49].

وقد صدقت فراسة الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب؛ فإنه لا يعرف في أبناء الشيخ أبي المحاسن وأحفاده وأولاد أحفاده إلا عالم متبحر، أو ولي صالح .

أ – أصل الفاسيين:

وآل الفاسي كانوا يسمون بآل ابن الجد في الأندلس، وبنو الجد فهريون كما في "المرآة" ص145، وكان استيطانهم في مدينة لبلة (*NIEBLA*)عمل إشبيلية، ثم انتقلوا إلى مدينة إشبيلية، ومنها لمالقة، ثم إلى فاس حدود عام (1483/880)؛ وبها تسموا بالشماع، ثم من فاس إلى مدينة القصر الكبير؛ وبها تسموا بالفاسي، ومنها عادوا إلى فاس أخرى .

وذكر السلطان أبو الربيع في "عناية أولي المجد"[50] أنهم من ذرية الصحابي الجليل سعيد بن زيد؛ أحد العشرة المبشرين بالجنة، ومن ذرية الإمام أبي بكر محمد بن عبد الله ابن أبي الجد الفهري، عازيا ذلك لصاحب "ابتهاج القلوب"، ورفع نسبهم إليه قائلا: « أبو بكر – أي: والد الداخلين للمغرب، وهو جد الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن بن أبي بكر المذكور – ابن الفقيه عبد الملك بن الإمام أبي بكر بن عبد الله بن يحيى بن ذي الوزارتين عبد الله بن فرج بن الجد الكناني الفهري القرشي[51].

غير أن الشيخ أبا حامد في "المرآة" لم يعرج على هذا النسب ولم يذكره؛ إنما اكتفى برفع نسبه إلى أبي بكر (المدعو بكر – بضم الباء) والد الداخلين مع أهلهما إلى المغرب حدود عام (880): أحمد وعبد الرحمن . وأن آباءه من بني الجد بالأندلس، وأن بني الجد معروفون بها أنهم فهريون، وأن من بني الجد

---

[49] "مرآة المحاسن" ص 131 حجرية .
[50] "عناية أولي المجد" ص4،3 .
[51] "عناية أولي المجد" ص12 .

بالأندلس: الإمام أبو بكر بن عبد الله بن يحيى المذكور، وأنه: ((بالجملة؛ كانوا يذكرون أن في سلفه – أي: عبد الرحمن بن أبي بكر – أهل علم ومروءة وحسب ببلدتهم. . .)) [52].

قلت: والإمام أبو بكـر ابن الجد الفهري توفي عام (515)[53]، وتوفي أحمد وعبد الرحمن في طاعون عام (887)، فيكون بين وفاتهما ووفاة الإمام أبي بكر ابن الجد (372) عاما، وليس بينهما وبينه سوى جيلين، وهذا مستحيل في علم التاريخ والأنساب، فإما أن يكون في النسب الذي ساقه صاحب "ابتهاج القلوب" وعنه السلطان أبو الربيع سقط بمقدار ست طبقات – تبعا للنظرية الخلدونية في الأنساب – وإما أنه لا يصح!! .

وعلى كل؛ فالثابت هو: أنهم فاسيون، وجديون، وفهريون كما ذكره الشيخ أبو حامد، فهو ثقة ثبت كما أجمع عليه مترجموه، والثابت كذلك أنه كانت لهم أمجاد لا تخفى في الأندلس؛ توسع في ذكرها السلطان أبو الربيع في مقدمة "عناية أولي المجد" .

أما ما لهم من المجد والعراقة عند نزولهم المغرب – خاصة بعد الشيخ أبي المحاسن – فإنه فاق ما يذكر من مفاخرهم بالأندلس فخرا ورياسة في الدين والدنيا . . .

وكل بني الفاسي الآن ينتسبون إلى الشيخ أبي المحاسن الفاسي، ومن بنيه الثلاثة: أحمد وعلي والعربي . وهم يتوزعون سكنى بين فاس – وفيها جل أعدادهم – وتطوان، والقصر الكبير . ثم انتشروا فترة الاستعمار فما بعدها في سائر أنحاء المغرب؛ خاصة في الرباط والدار البيضاء .

وفرع علي بن يوسف هو أزكى فروعهم وأكثرها علماء ووجهاء، وأشهرها ذكرا في تراجم المغاربة، ثم يليه فرع العربي ثم فرع أحمد .

ب – أوليات الفاسيين ومكانتهم العلمية:

وأول من اشتهر من آل الفاسي بالعلم والعمل بالمغرب وتلمذ له الخلائق هو: الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي .

وأول من نال منهم وظيفا رسميا – بعد زهدهم فيها وابتعادهم – هو: محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي (ت عام 1673/1084)؛ المتولي قضاء مكناس، والخطابة بجامع القرويين .

وأول من شغل منهم وظيفا مخزنيا هو: أحمد بن عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف بن العربي الفاسي (ت 1780/1197)، والذي استخلصه السلطان محمد بن عبد الله في كتابته الخاصة .

[52] "مرآة المحاسن" ص145 .
[53] "الصلة" لابن بشكوال ص516 .

وأول من شغل منهم منصب الوزارة: جد جدتنا عبد الله بن عبد السلام الفاسي (ت 1930/1348) .

وعرف آل الفاسي بالتضلع من العلوم، والمشاركة الواسعة فيها؛ خاصة في علوم الآلة: من فقه وأصول وتاريخ وأدب؛ فكانت لهم الإمامة في هذه العلوم، والمرجعية فيها . وكانت لهم في سرد الحديث وحفظ متونه المرجعية في الدور الأول من تاريخهم كذلك .

وكان الشيخ محمد بن عبد السلام بن محمد بن عبد السلام بن العربي الفاسي إمام القراآت في المغرب في وقته، وكل من برع بعده في هذا الفن عالة عليه .

أما حفاظ الحديث ومن لهم به اشتغال؛ فأبرزهم: الحافظ أحمد بن يوسف الفاسي، والعارف عبد الرحمن بن محمد ، والشيخ العربي بن يوسف، والشيخ عبد القادر بن علي . أما أكثرهم نقدا ودراسة لأسانيد الحديث، بل وآخرهم في هذا الفن؛ فهو: عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي (ت 1965/1385) .

أما من عرف من آل الفاسي بالاجتهاد وحرية الفكر في مختلف الفنون: فهو الشيخ أبو حفص عمر بن عبد الله (ت 1771/1188)، والذي كان يصيح في أزقة فاس قائلا: ((ته يا فاس بعمر!!!))[54].

ومن أدباء البيت الفاسي: العربي بن يوسف، ومحمد بوعسرية بن أحمد (ت 1608/1117)، ومحمد بن عبد الواحد (ت 1990/1410)؛ مقعد علم الملحون[55]، ولعل آخرهم: الأستاذ عبد الرحمن بن عبد الحفيظ الفاسي المتوفى عام (2002/1422) .

أما فلاسفة آل الفاسي؛ فأعرف منهم: محمد أبو عسرية بن علي، وعبد الرحمن بن عبد القادر .

أما صوفية آل الفاسي العارفون المربون؛ فأبرزهم: أبو المحاسن يوسف بن محمد، وأحمد بن أحمد ابن يوسف، وعبد الرحمن بن محمد العارف، وعبد القادر بن أبي جيدة (ت 1795/1213) .

أما خطباء آل الفاسي؛ فأولهم: محمد بن أحمد بن يوسف، ومن أبرزهم: أبو مدين بن أحمد (ت 1181)، وأبو جيدة بن عبد الكبير (ت1910/1328) . وآخر مبرزيهم: والد جدتنا عبد السلام بن عبد الله (ت 1982/1402) .

أما علماء الطبقة الأولى من الفاسيين؛ فهم: أبو المحاسن يوسف بن محمد، وأبو زيد عبد الرحمن بن محمد ، وأبو العباس أحمد بن يوسف، وأبو حامد العربي بن يوسف، وأبو السعود عبد القادر بن علي بن يوسف، وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر، وأبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر .

---

[54] "إتحاف المطالع" (1 : 37) .

[55] للأستاذ محمد الفاسي رحمه الله كتاب "معلمة الملحون" طبعت منه الخمسة أجزاء الأولى، وهو يقع في حوالي عشرين جزءا كما ذكره مؤلفه في المقدمة، ولقد باشرت الأكاديمية الملكية طباعته، ثم توقفت عن ذلك، وهو حري بالاعتناء به ونشره كاملا، نظرا لأهميته العلمية التي لم يسبق إليها .

ومن ثوار و زعماء أو الثوار: عبد الرحمن المجذوب بن عبد الحفيظ (ت 1834/1260)، ومحمد ابن الطالب الفاسي (ت 1927/1345) قاضي مراكش وممهد ثورة المولى عبد الحفيظ بها[56]، وعبد الوهاب بن الحسين[57] (1950/1370) الخطيب المجاهد الشهيد، وعلال ابن عبد الواحد الفاسي؛ الزعيم الشهير، مؤسس حزب الاستقلال، وأحد مؤسسي الحركة الوطنية الوسيطة[58] بالمغرب (ت 1974/1394) .

وقد مرت الأسرة الفاسية بعدة مراحل منذ دخول آبائها لفاس[59]:

المرحلة الأولى (1483/880 – 1569/976) : مرحلة الإعداد والاندماج في عموم الناس.

المرحلة الثانية (1569/976 – 1626/1036) : مرحلة الطريقة الصوفية والزاوية .

المرحلة الثالثة (1626/1036 – 1703/1116) :المرحلة العلمية التي اعتلى فيها نجم الأسرة الفاسية ، وبعدها فترة ركود

المرحلة الرابعة (1761/1180 – 1910/1328) : مرحلة الخطابة بجامع القرويين .

المرحلة الخامسة (1912/1330 – 1956/1376) : مرحلة القضاء والوزارة .

المرحلة السادسة (1912/1330 – الآن) : مرحلة الوزارة والوظائف المخزنية.

ويكفي في فضل الأسرة الفاسية ما وصفها به تاج علماء المغرب، وفخره على المشرق : الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني في كتابه "المظاهر السامية" ص108 بقوله: « إن بيت بني الجد في المغرب؛ أفخر البيوت وأسماها علما ومجدا بعد بيوت الأدارسة وغيرهم من بيوتات الأشراف الهاشميين الذين بالمغرب، لا ينازعهم في ذلك منازع، اختطوا رئاسة الدنيا، وكانوا عظماء الشمال بالأندلس سابقا، والعلم والولاية بالمغرب لاحقا . . . » .

حكمنا فكان العدل فينا سجية   ولما حكمتم سال بالدم أبطح!

---

[56] أنظر "في البيعة وخلع السلطان" للشيخ عبد الحي الكتاني رحمه الله، مجلة "وجهة نظر" العدد9/8 ، السنة الثالثة عام2000 .

[57] أخبرني نجله الأستاذ المأمون الفاسي بأنه كان خطيبا بجامع الرصيف بفاس، وبغيره من مساجدها، وأنه كان من الزعماء الوطنيين ومؤسسي حزب الاستقلال بالمغرب، والخطباء ضد الاستعمار الفرنسي، وأنه كاتب وثيقة 11 يناير الشهيرة بخطه الجميل، وأنه كان لشدة عدائه للاستعمار الفرنسي يدخل حجرته ويمكث يبكي على أحوال البلاد، وأنه كان – رحمه الله تعالى – كلما خرج من السجن عاد إليه، حتى توفي متأثرا بالتعذيب شهيدا في التاريخ المذكور، تاركا من خلفه يتامى صغارا – رحمه الله ورضي عنه.

[58] اعتبر الحركة الوطنية بالمغرب تنقسم إلى عدة أدوار: الحركة الوطنية الأولى؛ وهي التي اسست قبيل الاستعمار، والحركة الوطنية الوسيطة التي أسست فترة الاستعمار، والحركة الوطنية الحديثة التي تدعو إلى العودة إلى الهوية المغربية من حيث الرجوع إلى الإسلام تشريعا وتحكيما، والاعتناء بالثقافة المغربية المواجهة للتيار التغريبي والعلماني .

[59] لا يمكن اعتبار بداية ونهاية لكل فترة تحديدا، والسنوات التي أذكرها إنما هي تقريبية، وبحسب الجو السائد والعام، وكل فترة تتخللها استثناءات وتداخلات .

جـ - اتصالات المحقق بالشيخ أبي المحاسن:

في هذه العجالة أذكر ثلاثة اتصالات لي بالشيخ أبي المحاسن – رضي الله عنه – الأول: اتصال النسب، والثاني: اتصال الإسناد العلمي، والثالث: اتصال الإسناد الصوفي .

1 – نسبي للشيخ أبي المحاسن:

أنا محمد حمزة الكتاني بن محمد علي الكتاني بن أم هانئ الفاسي بنت عبد السلام بن عبد الله بن عبد السلام بن علال بن عبد الله بن عبد الرحمن المجذوب بن عبد الحفيظ بن أبي مدين بن أحمد بن محمد ابن عبد القادر بن علي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري رضي الله عنهم .

2 – اتصالي بالأسانيد العلمية بالشيخ أبي المحاسن:

وسأقتصر هنا على طريق واحدة؛ وهي رواية صحيح البخاري: فأرويه عن والدي إمام الدعوة مولاي علي بن المنتصر الكتاني وعن جدي شيخ الإسلام محمد المنتصر بالله الكتاني كلاهما عن جد الأول ووالد الثاني الإمام محمد الزمزمي الكتاني عن والده شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني عن ابن عمه جبل السنة والدين عبد الكبير بن محمد الكتاني عن والده إمام الأئمة أبي المفاخر محمد بن عبد الواحد الكتاني عن شيخ الإسلام محمد بن علي السنوسي عن حافظ المغرب محمد بن عبد السلام الناصري عن حافظ عصره أبي العلاء إدريس العراقي الحسيني عن الإمام المجتهد أحمد بن مبارك اللمطي عن شيخ الجماعة محمد المسناوي بن أحمد الدلائي عن جدنا شيخ الجماعة محمد بن عبد القادر الفاسي عن والده شيخ الإسلام عبد القادر بن علي الفاسي عن عمه الشيخ أبي حامد العربي بن يوسف الفاسي وعم والده العارف عبد الرحمن بن محمد الفاسي كلاهما عن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي رضي الله عنهم .

3 – سندي في التصوف إلى الشيخ أبي المحاسن:

أروي الطريقة الشاذلية تبركا بأسانيد عدة؛ منها : عن شيخنا الإمام أبي اليسر عبد العزيز بن محمد ابن الصديق الغماري الشريف الإدريسي عن والده الإمام العارف محمد بن الصديق الغماري عن الشيخ المربي محمد ابن إبراهيم الأندلسي الفاسي عن الشيخ عبد الواحد بناني عن العارف الشريف محمد أبوب عن الشيخ المربي أحمد ابن عبد المؤمن الغماري الشريف الإدريسي عن الشيخ مولاي العربي الدرقاوي الشريف الإدريسي عن مولاي علي الجمل الشريف العمراني الإدريسي عن الشيخ العربي بن أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي عن والده الشيخ أحمد بن محمد ابن عبد الله معن الأندلسي عن الشيخ قاسم الخصاصي ووالده العارف محمد ابن عبد الله معن الأندلسي عن العارف الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي الفهري عن الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي الفهري رضي الله عنهم أجمعين .

وهذا الإسناد والذي قبله – والله أعلم – لو وضعا على عليل لشفاه الله تعالى؛ فهما مسلسلان بأئمة الإسلام وأعلامه في وقتهم . والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

د – ما كتب من المؤلفات في البيت الفاسي:

وقد أشرنا إلى البعض مما ألف من الكتب في البيت الفاسي الفهري، ولا بأس بذكر ما توصلنا إليه بهذا الخصوص؛ ليعمل آل الفاسي على تتبعها وطباعتها وإخراجها إلى حيز المنشورات؛ خدمة للإسلام ممثلا في رجالاته، وخدمة للتاريخ المغربي، ولآل الفاسي بإحياء آثارهم وتعريف النشء الجديد بميزات آبائهم ليسيروا على نهجهم:

1 – تأليف للحافظ أحمد بن يوسف الفاسي في ترجمة والده الشيخ أبي المحاسن، اعتمده مؤلف "المرآة" كثيرا، وربما هو: "المنح الصفية في الأسانيد اليوسفية"[60].

2 – مناقب الشيخ يوسف الفاسي . تأليف الحاج علي ابن سعيد .

3 – مناقب الشيخ يوسف الفاسي . تأليف الفقيه موسى بن عبد الواحد الزراد .

4 - مناقب الشيخ يوسف الفاسي . تأليف الفقيه أحمد بن محمد الجزولي البلالي[61].

5 – أجوبة الشيخ يوسف الفاسي . للشيخ الحسن ابن مهدي الزيات .

6 – أجوبة الشيخ يوسف الفاسي . للشيخ أحمد بن محمد الجزولي[62].

7 - قصيدة للشيخ أبي عبد الله النيجي المتوفى عام (1030) في ذكر جملة من أحوال الشيخ أبي المحاسن، وعدد من المشايخ الذين أخذ عنهم .

8 - شرح القصيدة المذكورة آنفا، لمؤلفها نفسه[63].

9 – تقييد لبعض "الفضلاء" في ترجمة الشيخ أبي المحاسن وذكر أصوله وبعض فروعه[64].

10 – قصيدة ميمية للشيخ محمد بن علي القنطري في مناقب الشيخ يوسف الفاسي .

11 – شرح قصيدة الشيخ القنطري في مناقب الشيخ يوسف الفاسي . للشيخ أبي حامد العربي ابن يوسف الفاسي[65].

---

[60] توجد منه نسخ في الخزانة العامة بأرقام: 1234د ، و 1388ك ضمن مجموع من ص626 –ص663 .

[61] ذكر هذه الثلاثة الشيخ العربي في "المرآة" ص76، وعقب ذكرها قال ابن سودة في "دليل مؤرخ المغرب"ص150 : ((لم أقف على ذلك بعد البحث ولا على وفاتهم رحم الله الجميع . .)) .

[62] ذكر هذا والذي قبله الشيخ أبو حامد في "المرآة" ص95 .

[63] ذكر هذا والذي قبله الشيخ أبو حامد في "المرآة" ص25 .

[64] يوجد ضمن مجموع يحتوي على "مرآة المحاسن" وغيرها من المؤلفات، بحوزتنا نسخة عنه . غير معين المؤلف .

12 – أمالي الشيخ يوسف الفاسي . من جمع الفقيه المتصوف أحمد بن محمد الجزولي[66] .

13 – "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن" . تأليف الشيخ العربي بن يوسف الفاسي . ويأتي الحديث عنه لاحقا بإذنه تعالى .

14 – فروع الشجرة اليوسفية . للشيخ عبد القادر بن علي الفاسي[67] .

15 – "أزهار البستان بترجمة الشيخ عبد الرحمن" . أي: ابن محمد الفاسي العارف . تأليف الحافظ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي[68] .

16 – "ابتهاج القلوب بأخبار الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب" . للحافظ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي.

17 - "ابتهاج القلوب بخبر الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب" . للحافظ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي . وهو غير الكتاب السابق، مختصر عنه وبه زيادات[69].

18 – "تحفة الأكابر بترجمة الشيخ عبد القادر" . أي: ابن علي الفاسي . لنجله الحافظ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي[70] .

19 – "ابتهاج البصـــائر فيمن قرأ على الشيخ عبد القادر" . للشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي[71] .

20 – "بستان الأزاهر من تحفة الأكابر بترجمة الشيخ عبد القادر" . للشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي[72]. وهو اختصار لـ "تحفة الأكابر" في عشرة كراريس[73] .

21 - "الجواهر الصفية من المحاسن اليوسفية" . للشيخ المهدي بن أحمد الفاسي، في كراسة توجد بالخزانتين الفاسية والأحمدية بفاس، وهي مختصر من الكتاب التالي[74] .

22 – "روضة المحاسن الزاهية بمآثر الشيخ أبي المحاسن" . للشيخ المهدي بن أحمد الفاسي[75].

---

[65] ذكر هذا المؤلف والذي قبله الشيخ أبو حامد في "المرآة" ص232

[66] "مراة المحاسن" ص116 .

[67] توجد منه نسخة بالخزانة الحمزاوية تحت رقم (351) .

[68] توجد منه نسخة بالخزانة الملكية بالرباط رقم 583، وبالخزانة العامة رقم 2074د أول مجموع، والمكتبة العامة بتطوان رقم 514 .

[69] "دليل مؤرخ المغرب" ص117 .

[70] توجد منه نسخة بالخزانة الملكية بالرباط رقم 643 ، 207 ، 11037/مع . وبالخزانة العامة رقم 1766د، و 2330ك .

[71] "دليل مؤرخ المغرب" ص117 .

[72] "دليل مؤرخ المغرب" 117 .

[73] ذكره في "نشر المثاني" (2 : 56) كما في "دليل مؤرخ المغرب" ص136 .

[74] "دليل مؤرخ المغرب" ص137 .

[75] توجد منه نسخة بالخزانة الملكية بالرباط رقم 772، 2414 بخط مؤلفها، وبالخزانة العامة رقم 976ج، و1085ق .

23 – "جلاء القلب القاسي بمآثر سيدي المهدي الفاسي" . أي: ابن أحمد بن علي . تأليف: أبي عيسى المهدي ابن يحيى المتوفى أواسط القرن الثاني عشر[76] .

24 – "جلاء القلب القاسي بمحاسن سيدي المهدي الفاسي" . أي: ابن أحمد بن علي . تأليف: أبي العباس أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني .

24 – "اللؤلؤ والمرجان في حياة أبي زيد عبد الرحمن" . أي: ابن عبد القادر الفاسي . تأليف نجله الفقيه أحمد بن عبد الرحمن الفاسي (ت 1732/1145)[77] .

25 – "فريدة الدر الصفي في وصف ما أبدى الجمال اليوسفي" . منظومة للإمام المؤرخ محمد بن الطيب القادري الحسني . طبعت مع كتاب "عناية أولي المجد" على الحروف بفاس عام (1928/1347) بالمطبعة الجديدة .

26 – تقييد في العائلة الفاسية . للإمام المقرئ محمد بن عبد السلام الفاسي . في كراستين[78] .

27 – "عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد" . للسلطان أبي الربيع سليمان بن محمد العلوي ملك المغرب . طبع على الحروف بفاس عام (1928/1347) بالمطبعة الجديدة[79] .

28 – "جواهر الأصداف في النابهين من الأسلاف" . أرجوزة في أكثر من (400) بيت ترجم فيها للنابهين من آل الفاسي . تأليف العلامة المهدي بن الطاهر بن يوسف بن أبي عسرية الفاسي القصري .(1764/1178)[80] .

29 – "شذور العسجد في ذيل عناية أولي المجد" . للقاضي عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي . في ستة كراريس[81] .

30 – "روضة الجنات في ذكر شيخنا الوالد وأشياخه وما لهم من المناقب والحسنات" . للقاضي عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي[82] .

31 – "تاريخ آل الفاسي" . لعم جدتنا العلامة المطلع العابد بن عبد الله الفاسي . في عدة مجلدات؛ وهو أكبر ما ألف في آل الفاسي[83] . بمكتبه .

---

[76] دليل مؤرخ المغرب" 136 . وذكر أنه يقع في عدة كراريس الأولى منه في الخزانة الفاسية بفاس .
[77] دليل مؤرخ المغرب" ص146 ، وقال: ((القسم الأخير منه يوجد بخزانة أبي عبد الله محمد بن الطالب الفاسي الفهري بفاس)) .
[78] "دليل مؤرخ المغرب" ص57 ، وذكر بأن نسخة منه توجد بالخزانة الصقلية بفاس .
[79] توجد منه نسخة بخط مؤلفها بمكتبة القاضي العلامة أحمد بن محمد العلوي الإسماعيلي بمكناس كما ذكره ابن سودة في "دليل مؤرخ المغرب" ص75 .
[80] نشر الأستاذ محمد داود في "تاريخ تطوان" (3 : 69) 400 بيت منها .
[81] "دليل مؤرخ المغرب" ص75 .
[82] دليل مؤرخ المغرب" ص143 .
[83] "دليل مؤرخ المغرب" ص49 .

32 – "تاريخ الوزير أبي محمد عبد الله بن عبد السلام الفاسي الفهري" . لعم جدتنا الأستاذ العابد بن عبد الله الفاسي . في سفر[84] .بمكتبته .

33 – "ناطح صخرة" في الدفاع عن نسب آل الفاسي الفهري، والرد على الأستاذ عبد الكريم الفلالي الطاعن فيه في كتاب "التاريخ المفتري عليه" . تأليف العابد بن عبد الله الفاسي . عام 2002/1423 باعتناء نجله الأستاذ عبد الله بن العابد الفاسي .

(84) دليل مؤرخ المغرب" ص124 .

ترجمة مؤلف الكتاب*

اسمه ونسبه:

هو الشيخ أبو حامد محمد المدعو: العربي بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمن ابن أبي بكر ابن الجد الفاسي الفهري الأندلسي ثم المغربي . ينتمي لبيت بني الجد الفهريين؛ أحد كبار بيوتات المغرب والأندلس، والذي عرف بتواتر العلم والوزارة فيه قرونا في الأندلس، وأخرى بالمغرب . وينتمي هذا البيت للصحابي الجليل سعيد بن زيد؛ أحد العشرة المبشرين بالجنة .

ولادته ونشأته:

ولد – رحمه الله تعالى – بحومة العيون من عدوة القرويين بفاس، ضحى يوم الاثنين السادس من شوال سنة: (1580/988)، ونشأ في بيئة الطهر والعلم والعفاف؛ فوالده شيخ الشاذلية بفاس وشمال المغرب في وقته، الشيخ المربي أبو المحاسن يوسف الفاسي؛ الإمام في علوم الظاهر والباطن . وعمه الشهير بالعارف الفاسي: عبد الرحمن بن محمد الفاسي؛ شيخ الصوفية بفاس، وإمام التفسير، المشارك مشاركة إمامة في جميع العلوم الاثني عشر من علوم الشريعة . وشقيقه الأكبر منه، الشهير بالحافظ الفاسي: أبو العباس أحمد بن يوسف؛ إمام الحديث في عصره، القائل: ((لو لم يؤلف ابن عبد البر كتاب "الاستذكار"؛ لوجد من يؤلفه الآن))[85] . يعني نفسه .

عدا من كان يتوارد على زاوية أبيه من أعلام أعلام المغرب؛ كالإمام القصار، وابن جلال، وأبي مالك الحميدي، وابن مهدي الزيات. . . وغيرهم .

فنشأ في بيئة العلم والطهر والعفاف، إضافة إلى ذكائه الفطري، وقابليته العلمية التي ورثها من آبائه، ثم اكتسبها من بيئته . وكان منذ صغره جدا لا يعرف الهزل ولا يلعب مع الصغار، ولا يرى للهو واللعب قيمة؛ إنما همه العلم والتعلم .

ولما بلغ الرابعة من عمره؛ بدأ يحفظ بعض سور القرآن، ويتعلم بعض قواعد الكتابة والقراءة على يد والده وأقرب أهله، ثم من بعد تم له حفظ القرآن الكريم بروايتي ورش وقالون على يدي المقرئ

---

* *مصادر الترجمة:* مرآة المحاسن (159)، "صفوة من انتشر" (71)، "خلاصة الأثر" (4 : 273)، "نشر المثاني" (2 : 10)، "التقاط الدرر" (114)، "مناقب الحضيكي" (2 : 226)، "عناية أولي المجد" (29)، "الدرر البهية" (2 : 279)، "سلوة الأنفاس" (2 : 313)، "شجرة النور" (302)، "معجم المطبوعات" (1680) ، "تاريخ تطوان" (2 : 278)، "الأعلام" (6 : 265)، "الزاوية الدلائية" (113)، "مؤرخو الشرفاء" (172)، مقدمة تحقيق "عقد الدرر في نظم نخبة الفكر" للمترجم، تحقيق د. محمد بن عزوز. . . وغيرها .

[85] "فهرس الفهارس" (2 : 604) .

علي بن أحمد ابن سعيد، ثم الإمام أبي علي الحسن بن مهدي الزيات الذي ختم عليه القرآن الكريم أكثر من ثماني مرات .

وفي تلك الفترة؛ لازم عمه العارف الفاسي في علوم العقائد والفقه والمنطق. . .وغيرها، وأخاه الحافظ الفاسي كذلك، والمؤرخ الإمام أبا العباس أحمد ابن القاضي المكناسي صاحب "جذوة الاقتباس"، علاوة على أخذه علم التصوف والسلوك على والده الشيخ الإمام أبي المحاسن سلوكا وعلما .

وفي هذه الفترة – كذلك – زار شيخ الإسلام القصار، وتبرك به، ونال منه الإجازة العامة، وناوله القصار نسخة من صحيح الإمام البخاري .

ثم انكب بعد هذه الفترة على مجالس العلم في جامعة القرويين الغراء، فأخذ عن جلة من أئمة العلم في زمانه، وفي العلوم التي نبغوا فيها:

فلازم المفتي محمد بن أحمد المريني في الفقه المالكي، وفقه الأثر، والنحو واللغة. . .وغير ذلك.

ولازم قاضي الجماعة علي بن عبد الرحمن ابن عمران في التفسير والسير والفقه والنوازل واللغة والنحو .

ولازم قاضي الجماعة –كذلك – الإمام الفيلسوف أبا القاسم بن أبي النعيم الغساني في التفسير والعقائد والمنطق .

ولازم العلامة اللغوي المطلع أبا القاسم ابن القاضي المكناسي في علوم القرآن والفرائض، والنحو والعروض والتصريف، والحساب والتوقيت.

كما لازم شيخ الإسلام محمد بن قاسم القصار القيسي الأندلسي سنين عديدة في التفسير والحديث والفقه والأصول. . .وغير ذلك . وجالسه كثيرا، « وكانت مجالسته تقوم مقام دروس كثيرة؛ فإنها كان يحصل بها من الفوائد ما لا يكاد يحصل في دروس كثيرة. . .» [86].

كما درس على الشيخ علي بن الأعراب لامية الأفعال، وإيساغوجي .

وأخذ على الشيخ أبي الطيب بن مهدي الزيات علمي الفقه واللغة . . .وغيرهما .

وكذا درس الفقه على الفقيه الحافظ أبي الحسن علي بن جلول .

ودرس التفسير على الشيخ أبي الحسن علي القنطري، وأجازه بالمسلسل بالمصافحة .

---

[86] "مرآة المحاسن" ص163 .

وأخذ في هذه الفترة ودرس علوما كثيرة على عمه العارف الفاسي، وشقيقه الحافظ الفاسي، بحيث لازمهما ملازمة تامة .

ولقي في هاته الفترة أئما من رجالات التصوف الكبار؛ وعلى رأسهم: والده الشيخ أبو المحاسن، والشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، والشيخ محمد بن علي ابن ريسون الشريف الحسني الإدريسي.

تصدره للإقراء وتلاميذه:

ثم بعد تحصيله للعلم ونبوغه؛ تصدر للتدريس والإقراء بفاس خاصة، وبغيرها من المدن التي زارها أو حل بها؛ كالقصر الكبير وتطوان وزاوية الدلاء . . .وغيرها .

قال السلطان أبو الربيع سليمان بن محمد بن عبد الله العلوي في "عناية أولي المجد"[87]: ((درس العلوم بحواضر المغرب وبواديه، وانتشرت عنه في تحقيقه أياديه، وكان ممن تقصر عن محاسنه الأقلام، وتكل دون منتهاها ألسنة الأنام. . .)) .

وقد أخذ عنه أعلام في مختلف العلوم التي درسها؛ خاصة علوم: الفقه والأصول، والحديث والمصطلح، وعلم العقائد الذي قال فيه شيخه العارف الفاسي: ((إنه أعلم به من السنوسي!))[88] .

ومن أجل من أخذ عنه: أبناؤه الأربعة: الأديب المحقق عبد الوهاب، والمحدث يوسف، والأديب عبد العزيز، والفقيه عبد السلام، وأبناء أخويه: شيخ الإسلام عبد القادر بن علي الفاسي، وقاضي مكناس محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي، وأحمد بن علي بن يوسف الفاسي، وكذا أخذ عنه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن ابن جلال التلمساني، وإمام النحاة الشيخ محمد المرابط بن أبي بكر الدلائي، وإمام سوس وعالمها محمد بن سعيد المرغيثي. . .وغيرهم .

قال السلطان أبو الربيع: ((وغيرهم ممن لا يحصى بفاس وتطوان وقبائل غمارة، والمصامدة والهبط، . . .بل عم الانتفاع بعلمه في جميع الأصقاع المغربية؛ لتأييده بنور التحقيق والفتح المبين، المستمدين عن شمس المعرفة اللدنية والتعلمية. . .))[89] .

مكانته العلمية وثناء الأعلام عليه:

---

[87] "عناية أولي المجد" ص33 .
[88] "سلوة الأنفاس" (2 : 314) .
[89] "عناية أولي المجد" ص32 .

كان الشيخ أبو حامد – رحمه الله تعالى – من أفراد العلماء في وقته، انقادت إليه العلوم فأعطته زمامها، وتحصل على أدوات الاجتهاد فكان إمامها، يمزج العلوم بعضها ببعض، مع إدراك لعلل الأحكام وفلسفة التشريع، ومقاصد الشريعة الغراء، واطلاع كبير على أقوال العلماء في مختلف العلوم . ولا أدل على ذلك من كتابه: "شهادة اللفيف" الذي مزج فيه علوما عدة من فقه ونوازل، وأصول ومصطلح، ومنطق وفلسفة تشريع، وعلم المقاصد . . .بحيث وحده يكفي للتعبير عن تبحر هذا الإمام ورفعة شأنه، ومن أهم ما يميز أسلوب الشيخ أبي حامد: التعليل؛ فهو لا يفتأ يعلل الأحكام والآراء التي ينحو إليها .

وقد وصف حاله العلمي والديني جد جدنا شيخ الإسلام محمد بن جعفر الكتاني في "سلوة الأنفاس" فقال: « حصل من العلوم ما طبق الآفاق، وملأ الآذان، واشتهر علمه في المشرق أكثر من المغرب، وشهد له علماء عصره بالبراعة في العلوم كلها . . .» .

« وكان له – رحمه الله – من الاعتناء بتقييد شوارد الفوائد ما لم يكن لغيره، حتى إنه يكون راكبا في السفر فيتذكر مسألة، فيظهر له فيها شيء، فيوقف فرسه حتى يقيد ما ظهر له في الوقت، ثم يجد السير. . .» .

« وأما فصاحة القلم، وجودة الخط، وبراعة الشعر؛ فهو سحبان عصره، وابن مقلة زمانه، ونابغة وقته، حتى كان يقول: والله؛ ما بيني وبين القصيدة إلا البسملة أو الحمدلة – أي: أن أكتب: بسم الله، أو: الحمد لله – أو أحبس القلم في يدي. . .» .

« وفي آخر شرح "البردة" الكبير للشيخ أبي العباس الوزير ما نصه: وسيدي العربي الفاسي كان له من مكانة العلم والتحقيق فيه، وثقته وضبطه. .ما لا يعبر عنه قلم ولا يستوفيه، وله زيادة محبة في آل البيت الكريم، والجناب العظيم – إرثا من والده الشيخ الإمام أبي المحاسن رضي الله عنه – ﴿ *إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون* ﴾ [الزخرف : 22] . وله فيهم – أي: في آل البيت – قصائد . . . » هـ [90].

وحلاه جد جدنا في صدر الترجمة بـ : « الإمام الأوحد، وقدوة الأنام الأعمد، بحر العلم الزاخر، وأعجوبة العصر الآخر، نادرة الزمان حفظا وفهما وإتقانا، ووحيد الدهر ذكاء وفطنة ومعرفة وإتقانا، شيخ الإسلام، وعالم الأعلام. . .» [91].

ووصفه اليفرني في "الصفوة" [92] بـ : « الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، بحر العلم الزاخر، وأعجوبة العصر الآخر. . .» .

---

[90] "سلوة الأنفاس" (2: 314) .
[91] "سلوة الأنفاس" (2 : 313) .
[92] "صفوة من انتشر" ص71 .

وقال عنه القادري في "نشر المثاني"[93] : « وهو في الباب من الأئمة المقتدين، وممن جمع بين التحقيق ومتانة الدين، ولا غرو أن كان لهذا أهلا، وحاز على من عداه فضلا. . .» .

وقال السلطان أبو الربيع في "عناية أولي المجد" [94]: « صار شيخا جامعا مانعا، فدرس العلوم بحواضر المغرب وبواديه، وانتشرت عنه في تحقيقه أياديه، وكان ممن تقصر عن محاسنه الأقلام، وتكل دون منتهاها ألسنة الأنام، أمره أشهر من نار على علم، فكأنه بدر تم سطع في ديجور الظلم، قد برع في الفنون، وغاص في لجحها فاستخرج منها نفائس الدرر المكنون. . .» .

ثم قال: « *وبالجملة:* فهو من أجل مفاخر هذه السلالة الفاسية الجدية حفظا وإتقانا، وعلما وعرفانا. . .» .

ابتلاؤه ووفاته:

عاش المؤلف – رحمه الله تعالى – في فترة تعد من أشد فترات التاريخ المغربي انتكاسا، وأكثرها فتنا، ومن أهم الفتن التي شاهدها ذلك العصر: فتنة تسليم النصارى الإسبان مدينة العرائش عام (1610/1019) .

حيث إن السلطان محمد الشيخ بن أحمد المنصور الذهبي المأمون السعدي لما انهزم جيشه أمام جيش أخيه السلطان زيدان؛ فاوض فيليب الثالث ملك إسبانيا على أن يساعده بجيش ضد أخيه المذكور من أجل استرداد ما سلب من ملكه، مقابل أن يترك عندهم أولاده وحشمه رهينة. .فاشترط عليه الإسبان – بعد تعنت طويل – تسليمهم مدينة العرائش الواقعة في الشمال الغربي للمغرب، جنوب مدينة طنجة، والتي كانت ميناء تجاريا مهما حينها. . .

فاتفق معهم على ذلك، وحاول استمالة قواد جيوشه من أجل ذلك؛ فلم ينصع له سوى قائده الكرني، وتم إخلاء العرائش وحلول النصارى بها رابع رمضان عام (1019) .

وتسبب تسليم المأمون السعدي للعرائش في امتعاض عام من قواد جيشه، وعلماء البلاد، والقبائل وجمهور الشعب المغربي؛ حتى بدت بوادر الفتنة تظهر عيانا نظرا لأن المرجعية الشعبية كانت مرجعية إسلامية، فالإسلام فوق كل اعتبار وإن كان في مقابلة الملك فمن دونه، والعلماء الربانيون هم قادة الشعب الحقيقيون ورواده إلى سبل الخير، لا الأطر التي لا تعرف للدين ولا للوطنية قيمة سوى التملق على أعتاب أصحاب الكراسي .

---

[93] "نشر المثاني" (2 : 11) .
[94] "عناية أولي المجد" ص31 .

« وكان الشيخ لما خاف من الفضيحة وإنكار العامة والخاصة عليه إعطاءه العرائش – بلاد الإسلام – للكفار؛ احتال على ذلك بأن كتب سؤالا لعلماء فاس وغيرها، يذكر لهم فيه أنه: لما وغل في بلاد العدو الكافر، واقتحمها كرها بأولاده وحشمه؛ منعه النصارى من الخروج من بلادهم بعد أن دخلها، حتى يعطيهم بلد العرائش، وأنهم ما تركوه خرج بنفسه حتى ترك عندهم أولاده رهنا حتى يمكنهم مما أرادوه . فهل يجوز ان يفدي أولاده من أيديهم بإعطائها لهم أم لا؟! » [95].

فانقسم العلماء على هذه الفتوى ثلاثة أقسام:

- قسم سلموا له ما أراد ووافقوه في مقصده .
- وقسم جابهه ورفض مطلبه وشنع عليه، بل دعا إلى حربه؛ إذ الاستعانة بالكافر على المسلم كفر كما تنص عليه أحكام الشريعة الغراء .
- وقسم اختفى وامتنع عن الإدلاء برأيه موافقة أو رفضا، مع رفضهم الباطني؛ ومنهم الأئمة: أبو عبد الله الجنان، وأبو العباس المقري صاحب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب"، والحسن بن مهدي الزيات، وأحمد بن يوسف الفاسي الذين هربا خارج فاس . ومن هؤلاء الجماعة: الشيخ أبو حامد محمد العربي الفاسي [96] .

يقول الشيخ العربي في "المرآة" [97]: « فخرجت من فاس بأهلي وبعض أهله – أي: شقيقه الشيخ أحمد بن يوسف – صبيحة يوم السبت السابع عشر من صفر سنة عشرين وألف؛ وهو: يوم عشرين من أبريل . وأقام هو بفاس أياما ثم لحق بنا في بني يحمد وقد تطارحوا علينا في الإقامة عندهم؛ فأقمنا إلى أواخر ربيع الثاني، ثم أقمت أنا وسار هو بالأهل جميعا إلى بوزبري من بلاد مصمودة؛ عمل أزاجن؛ وهو منزل سيدنا وبركتنا سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه. . .» .

وبقي المترجم – رحمه الله تعالى – في التطواف بين مختلف مدن وحواضر المغرب، لا يستقر بمكان، ليكون محل النفع به لجميع أصحاب الطبقات، ولم يكن خروجه من فاس هروبا من الصدع بالحق؛ وإلا فقد أصدر فتوى تحرم الاستعانة بالكافر على المسلم وتعتبر عمل السلطان السعدي من الكبائر العظام المخالفة للشريعة الإسلامية [98].

وبقي على حالته حتى استقر بمدينة تطوان حيث توفي بها – رحمه الله تعالى – ضحوة يوم السبت الرابع عشر من ربيع الثاني سنة ثنتين وخمسين وألف . ثم بعد عامين نقل إلى فاس، ودفن

---

[95] "صفوة من انتشر" ص292 .
[96] "صفوة من انتشر" ص292 .
[97] "مرآة المحاسن" ص155 حجرية .
[98] "الزاوية الفاسية" ص350 .

متصلا بقبر أبيه الشيخ أبي المحاسن جهة القبلة، بمنطقة القباب عند مصلى باب الفتوح . ووجدت جثته عند نبش قبره طرية لم تتغير، مما يدل على شفوف رتبته - رضي الله عنه ونفعنا به – عند الله تعالى .

قال السلطان أبو الربيع[99]: « بيد أنه رمته أيدي النوائب بالامتحان، ولم يكن له في الحواضر قرار بمكان، ولم يزل في البوادي تلفظه البلدان، حتى أدته خاتمة المطاف أن ألقى عصا التسيار والتطواف، وأقام بتطوان راجيا أن يكون له بها إسعاف، والدهر بالأمان غير واف؛ فلم ينشب أن عاجله هنالك حمامه، وانطوت لياليه وأيامه. . . » .

مؤلفاته رضي الله عنه:

ترك الشيخ أبو حامد – رحمه الله تعالى – العديد من المؤلفات العظام، تعكس مدى تضلعه من العلوم وشفوف رتبته، قال عنها السلطان أبو الربيع[100]: « غير أنه أبقى أثرا يدل عليه، من كل ما صح إسناده إليه، من تآليف ترفل في حلل الإجادة، وجهابذة تخرجوا بها في حسن الإفادة. . . » .

ومن مؤلفاته التي حفظت لنا المصادر أسماءها:

1. "الإصابة في حكم طابة" .توجد منه نسخة بالخزانة الحمزاوية رقم (227).
2. "التعريف بابن إيازا وابن أبان" . ذكره في "المرآة" ص237.
3. تعليق على تحصيل معنى الهيللة للهبطي" . توجد نسخة عنه في خزانة الأستاذ علال الفاسي تحت رقم: 257ع .
4. تقييد على قول ابن السبكي: « جائز الترك ليس بواجب». ذكره في "المرآة" ص237.
5. تقييد في التحاق جمع القلة بجموع الكثرة لاقترانه بـ: أل.ذكره في "المرآة" ص237.
6. تقييد في الكلام عن الاشتقاق وأنواعه، وشرح كلام المرادي فيه. ذكره في "المرآة" ص23.
7. تقييد في قول "الخلاصة": « قال محمد هو ابن مالك » . توجد منه نسخة ضمن مجموع بخزانة علال الفاسي رقم: 389ع .
8. "تلقيح الأذهان وتنقيح البرهان" .

---

(99) "عناية أولي المجد" ص31 .
(100) "عناية أولي المجد" ص31 .

9. جواب سؤال عن العقوبة بالمال . توجد منه نسخة خطية بخزانة الأستاذ علال الفاسي تحت رقم:636ع .

10. جواب عن سؤال يتعلق بتعليل لفظة (أمس) على الحركة . في ورقة . توجد منه نسخة بخزانة علال الفاسي تحت رقم: 257ع . ضمن مجموع .

11. رسالة في التعليق على تقسيم السنوسي للمكلفين. توجد منها نسخة بخزانة المعهد الإسلامي بنظارة تطوان، تحت رقم (180) .

12. رسالة في شهادة اللفيف . طبعت باعتناء الأستاذ محمد الأمين بوخبزة العمراني .

13. "السمط المنظوم من جوهرة ابن آجروم" . منظومة .توجد منها نسخة بخزانة علال الفاسي تحت رقم: 675ع .

14. "شذر الذهب في خير نسب" . نظم في نسب الشرفاء العلميين في 120 بيتا . يوجد بالخزانة الفاسية ضمن مجموع . قاله د . محمد بن عزوز في مقدمة "عقد الدرر" ص4.

15. شرح "الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى" للقاضي عياض . لم يتم .

16. شرح حديث ذي اليدين. ذكره في "المرآة" ص237.

17. شرح على "الشقراطسية" .

18. شرح على "دلائل الخيرات" في الصلاة على النبي ﷺ . لم يتم . موجود بالخزانة الحسنية بالرباط رقم 3994 .

19. شرح قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير . لم يتم .

20. شرح قصيدة ميمية للشيخ محمد بن علي القنطري في مناقب الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي .ذكره في "المرآة" ص233.

21. شرح قول ابن مالك: ((وعلم التثنية احذف للنسب)). ذكره في "المرآة" ص237.

22. شرح كتاب عقد الدرر في نظم نخبة الفكر" . في مجلد تحت تحقيق الأستاذ سالم الباشي كما ذكره ابن عزوز في مقدمة تحقيقه لعقد الدرر .

23. شرح: ((حمى لا يحل الدهر إلا بإذننا)). ذكره في "المرآة" ص237.

24. "الطالع المشرق في أفق المنطق" .

25. "الطرفة في نظم ألقاب الحديث" . طبعت بشرح الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي بدار ابن حزم بلبنان عام (1420) ، بتحقيق الأستاذ محمد مظفر الشيرازي الهندي.

26. "عقد الدرر في نظم نخبة الفكر" . طبع بدار ابن حزم عام (1422) بتحقيق الدكتور محمد ابن عزوز، واستفدنا من مقدمته في هذه الترجمة .

27. فهرست شيوخه؛ وقد جعلها ذيلا على كتاب "مرآة المحاسن" .

28. قصيدة بائية موصولة بالياء مؤسسة في أكثر من مائة بيت، نظم فيها آباء الإمام أحمد ابن علي الشريف العلمي، ونحو ثلاثين حديثا في فضل آل البيت، نظمها عام (1008) .ذكرها في "المرآة" ص108.

29. قصيدة نونية في نسب الإمام أحمد بن علي الشريف العلمي تزيد عن مائتي بيت.ذكرها في "المرآة" ص189.

30. "القلائد المنسكبات في علم الذكاة" . هل هو الآتي أم مؤلف نثري مستقل؟.توجد منه نسخة بالخزانة الحبسية بجامع مولاي عبد الله الشريف بوازان، تحت رقم (1022)، ضمن مجموع.

31. مجموعة الفتاوى والنوازل، وهي مبعثرة في كتب النوازل والتاريخ المغربي، حرية بأن تجمع ويستخرج منها فقه الشيخ أبي حامد ومنهجيته العلمية. وتوجد منها مجموعة في مجلد بخزانة الأستاذ علال الفاسي تحت رقم 746ع ضمن مجموع .

32. "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن" . طبعت بالمطبعة الحجرية الفاسية عام (1906/1324) باعتناء وتصحيح العلامة أحمد بن المهدي البوعزاوي . ويأتي الحديث عنها لاحقا بإذنه تعالى.

33. "مراصد المعتمد في مقاصد المعتقد" . منظومة في 620 بيتا . يقوم بتحقيقها د . ابن عزوز .

34. منظومة في الذكاة .في 99 بيت . توجد منها نسخة في الخزانة الحسنية بالرباط، تحت رقم 8791.وأخرى بخزانة الأستاذ علال الفاسي تحت رقم: 243ع .

35. نبذة عن تاريخ مدينة تطوان. نقل عنه الأستاذ محمد داود في "تاريخ تطوان" (1 : 59، 97، 109، 191) ، وذكر أنه وقف عليه في خزانة خاصة . بتطوان.

36. "واضح المشكلات في قراءة البصري". في جزء. توجد منه نسخة بالخزانة الحبسية بالزاوية الحمزاوية بإقليم الرشيدية، تحت رقم (227) ضمن مجموع .

37. وله أشعار كثيرة ومقطعات في أمداح نبوية وغيرها، حرية بأن يقوم بجمعها باحث ويدرسها؛ نظرا لمكانة المترجم له في علوم الأدب .ذكرها جدنا في "السلوة" (2/ 315).

هذا ما استطعت الإشارة إليه من بين كتب الشيخ أبي حامد – رحمه الله تعالى – فعسى أن يتجرد الباحثون والعلماء وأحفاد الشيخ أبي حامد لتحقيقها ونشرها، وما ذلك على الله تعالى بعزيز .

ترجمة مصحح الكتاب الشيخ أحمد بن المهدي البوعزاوي[101]

نظرا للمجهود الكبير الذي قام به الشيخ ابن المهدي البوعزاوي في تصحيح كتاب "مرآة المحاسن" ومطابقته على أصوله من خط المؤلف – رحمه الله تعالى – بحيث تعتبر نسخته أصح نسخة من الكتاب، والمرجوع إليها، وطبعها في حياته بالمطبعة الحجرية كما يأتي قريبا – بإذنه تعالى – ولما قام به من إخراج مجموعة غيره من الكتب المهمة؛ فإني أحببت ترجمته ترجمة مختصرة تعريفا به وإحياء لذكره:

اسمه ونسبه:

هو العلامة المشارك، النوازلي اللغوي، المطلع الكتبي المحقق، الناشر لكتب العلم والتراث: أبو العباس أحمد بن المهدي بن محمد بن العباس ابن صابر البوعزاوي، الفاسي ولادة ووفاة . ينتهي نسبه إلى الشيخ الإمام العارف الشهير أبي يعزى يلنور رضي الله عنه .

ولادته وشيوخه في العلم:

ولد – رحمه الله تعالى – بفاس عام (1873/1271)، وبها نشأ . ودخل الكتاب؛ فحفظ القرآن الكريم وبعض مهمات المتون . ثم انتقل إلى جامع القرويين، فأخذ به عن عدة من علمائه الكبار؛ أجلهم: شيخ الإسلام جعفر بن إدريس الكتاني – وختم عليه صحيح البخاري ثمان مرات وأجازه إجازة عامة – والمشارك النابغة المأمون بن عمر الكتاني، وقاضي الجماعة محمد بن عبد الرحمن العلوي، وشيخ الجماعة محمد بن المدني كنون، وشيخ الجماعة أحمد بن أحمد بناني، والقاضي أحمد بن الطالب ابن سودة المري، وشيخ الجماعة عبد المالك العلوي الضرير، والشيخ صالح بن المعطي التدلاوي، ومسند الشرق الشيخ علي بن ظاهر الوتري المدني . . .وغيرهم بمختلف مساجد وزوايا فاس .

وظائفه وحاله:

تصدر – رحمه الله تعالى – للتدريس بجامع القرويين وغيره من مساجد فاس وزواياها؛ فدرس الفقه بخليل وغيره، والحديث والمصطلح، و"الألفية" في النحو . . .وغيرها .

[101] مصادر الترجمة: "قدم الرسوخ" للسكيرج ص172 ، "رياض الجنة" (1 : 111) ، "سل النصال" ص18 ، "إتحاف المطالع" (2 : 423) .

وتصدر للإفتاء؛ فأفتى في مختلف النوازل والإشكالات العلمية، وجمع نوازل له ولعلماء عصره بلغت ثمانية مجلدات. . .

كما عين عدلا بسماط عدول فاس؛ فكان من المبرزين في تلك المهنة . وعين مكلفا بخزانتي جامع القرويين والجامع الأعظم بفاس العليا، وكان له بسبب ذلك إلمام تام بمعرفة الكتب والاطلاع عليها، الأمر الذي ميز علمه ودروسه بالاستفادة والاستشهاد من دفائن الكتب والمخطوطات، وصبه لفوائدها في دروسه وتآليفه وتعاليقه على مختلف الكتب الغريبة الكثيرة التي كان ينتسخها ويوشي طررها بفوائد استطرادية عجيبة[102]. . .

وكان لصاحب الترجمة اعتقاد في كل من انتسب للولاية والصلاح، ولوعا باستجازة من اجتمع به من الوافدين من علماء الأقطار للحضرة الفاسية، ويكرم الغرباء، ويتودد إليهم بما في طوقه.

وقد تبرز المترجم له – رحمه الله تعالى – في عدة من العلوم؛ غير أن العلوم التي كانت غالبة عليه هي: الفقه والنوازل، والنحو والتاريخ . .

قال ابن عمة جدنا الشيخ عبد الحفيظ الفاسي في فهرسته: «كان – رحمه الله – عالما مشاركا في كثير من العلوم، فقيها نحويا مؤرخا، جماعا للدواوين والمؤلفات الخطية الغريبة، حتى حصل – باجتهاده وسعيه في تحصيلها – على خزانة كانت عديمة النظير في وقته؛ لما اشتملت عليه من خطوط العلماء. . .».

الآخذون عنه:

اتسم المترجم له بضيق العبارة؛ السبب الذي قلل دروسه وإقبال الطلبة عليها؛ وبالرغم من ذلك فقد طلب عليه العلم ثلة من الأعلام المبرزين؛ أذكر منهم من وقفت على اسمه: القاضي المحدث عبد الحفيظ ابن الطاهر الفاسي، والقاضي الأديب أحمد بن العياشي سكيرج، والمؤرخ النابه عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة. . .وغيرهم .

مـؤلفـاتـه:

ترك المترجم له – رحمه الله تعالى – عدة مؤلفات وتحقيقات اتسمت بوسع الاطلاع، ودقة التحقيق؛ أذكر منها ما وقفت على تسميته:

---

[102] "قدم الرسوخ" ص172 .

1. مناقب الشيخ أبي يعزى[103] في ثلاثة أسفار .
2. نوازل جمع فيها فتاواه وفتاوى بعض من عاصره من العلماء . تقع في ثمانية أسفار[104] .
3. "الكشكول" في عشرة أجزاء[105] . جمع فيه مختلف الفوائد في مختلف العلوم، وما أحراه بأن يطبع؛ فإنه – كما يبدو من تعريف الفاسي له – خزانة من العلوم والفوائد .
4. اختصار كتاب "البدور الضاوية في أعلام الزاوية الدلائية" للشيخ أبي الربيع سليمان الحوات الشريف العلمي رحمه الله تعالى[106] .
5. مجموع إجازات العلماء له[107] .
6. معجم شيوخه[108] .

وفـاتـه:

بعد عمر مفعم بالعطاء توفي – رحمه الله تعالى – عن سن يناهز 66 عاما، صبيحة يوم الثلاثاء 13 حجة الحرام – كما للشيخ الفاسي في "رياض الجنة"ص116 – أو صبيحة يوم الأربعاء عاشر حجة – كما لابن سودة في "إتحاف المطالع" (2 : 423) – متم عام سبعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن داخل ضريح ابن عباد بكدية البراطيل بفاس . رحمه الله تعالى ورضي عنه، وأثابه على جهوده في نشر العلوم والمعارف خير الجزاء .

---

[103] ذكره في "إتحاف المطالع" (2 : 423) .
[104] ذكره في "إتحاف المطالع" (2 : 423) . و"سل النصال" ص18 ، و"رياض الجنة" (1 : 113) .
[105] ذكره في "رياض الجنة" (1 : 113) .
[106] ذكره في "إتحاف المطالع" (2 : 423) . و"سل النصال" ص18 .
[107] المصدران السابقان .
[108] ذكره في "رياض الجنة" (1 : 113) .

كتاب "مرآة المحاسن"

ألف الشيخ أبو حامد العربي الفاسي "مرآة المحاسن" – فيما يبدو – في فترة التيه؛ بعد خروجه من فاس، وقبل استقراره في تطوان . ولنا على ذلك عدة قرائن:

1. حديثه عن فتنة العرائش وخروجه من فاس .

2. اعتذاره في كثير من فقرات الكتاب بعدم وجود المصادر بين يديه، وبنسيانه لكثير من الأخبار وعدم ضبطه فيها نظرا لطول عهده بها . مما يدل على عدم استقراره في مكان يلم فيه شعث مصادره .

3. تصريحه في طيات الكتاب بتنقله من مكان لمكان وعدم استقراره، وطول زمانه بذلك[109].

4. تصريح جميع من ذكر هذا الكتاب أو تحدث عنه من بين مترجميه بأنه لم يتم؛ كصاحب "عناية أولي المجد" ص31 ، وجد جدنا في "السلوة" (2 : 315)، وابن سودة في "دليل مؤرخ المغرب" ص148، والمنوني في "المصادر العربية لتاريخ المغرب" (1 : 147)، وليفي بروفنصال في "مؤرخو الشرفاء" ص173 . . .وغيرهم .

5. بل صرح المؤلف ص134 (حجرية)، بأنه ألف الكتاب ((بعد نحو ست وعشرين سنة من فراقها – أي: فاس – والبعد في المدارات عن آفاقها . فإن كان في هذه المرة وصول، وفي قراراتها حصول؛ فإقامة ضيف، وإلمامة طيف. . .)). فيكون تاريخ كتابة الكتاب حوالي: عام 1046 للهجرة. ويكون المؤلف – رحمه الله تعالى – صرح بدخوله فاسا بعد خروجه منها مرارا، غير أنه لم يستقر بها .

وقد صدر المؤلف كتابه بمقدمة ذكر فيها منهجه في الكتاب، وحدده في البنود التالية:

1. الاقتصار على سيرة آبائه وسلفه .

2. محاولته توضيح صور الوقائع من جميع الجهات وإن اضطره الأمر إلى ذكر ما هو من قبيل الحشو، غير أن له به قصدا .

3. المؤلف إنما قصد بتأليفه الكتاب أبناءه وآل بيته، وأنه لم يقصد به سواهم؛ فهو يتحدث فيه حديث والد مع ولده .

4. تصريحه بذكر محاسن أسلافه وعدم إحجامه عن ذلك؛ ليكونوا قدوة لبنيهم .

5. اعتناؤه بالاستطراد بذكر الفوائد العلمية والتاريخية .

---

[109] انظر على سبيل المثال: ص2 ، 4 .

ونلاحظ بأن المؤلف – رحمه الله تعالى – أوفى في كتابه ما التزمه! . ثم بعد ذلك سرد المؤلف برنامج الكتاب وفصوله، حتى خلص إلى خاتمة الكتاب . وقد استعرضت في صدر هذه الدراسة أهم مميزات الكتاب بإسهاب؛ غير أنني هنا أحببت الإشارة إلى عدة ملاحظات:

1 – النسخة التي بين يدينا – وهي مطابقة لأصل المؤلف – تتخللها عدة بياضات بعضها يبلغ كراسة أو أكثر .

2 – عدم التزام المؤلف – على الأقل فيما بين يدينا من الكتاب – ببرنامجه في المقدمة؛ فقد سقطت من النسختين: تراجم أحفاد الشيخ أبي المحاسن: أحمد بن علي بن يوسف، وعبد القادر بن علي بن يوسف، ومحمد بن أحمد بن يوسف، وعبد الوهاب بن العربي بن يوسف، وترجمة ابن أخته: عبد العزيز بن الحسن ابن مهدي الزيات .

3 – لاحظت وجود زيادة في الكتاب لم يذكرها المؤلف في المقدمة؛ وهي: فهرسة شيوخ والده وشيوخه في التصوف، وأسانيد الشاذلية ، وتحرير ذلك. وهذا الفصل – وإن كان جمع ممن ترجم له اعتبره مؤلفا مستقلا؛ فإني أجد قرائن تدل على أن المؤلف إنما قصد به أن يكون فصلا من فصول "مرآة المحاسن"؛ وهي:

أ – إلحاقه بالكتاب في النسختين اللتين وقفت عليهما .

ب – إضافة الفقيه البوعزاوي إياه للمرآة دون الإشارة إلى أنه كتاب مستقل .

ج – المؤلف الشيخ أبو حامد في عدة من فقرات هذه "المشيخة" يعزو إلى "مرآة المحاسن" عزو فصل إلى أم، لا كتاب آخر . كقوله ص205: « وهذا الإلحاق – يعني: فصل أسانيده للطريقة الشاذلية – وإن كان في نفسه من المقاصد المهمة؛ فهو بحسب أصل هذا الكتاب تابع له وتتمة »، وص206: « محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجزولي ثم السملالي؛ وقد تقدم في أوائل هذا الباب سنده، كما تقدم نسبه في ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف، وهنالك أيضا تقدم الخبر عن بداية الشيخ الغزواني »، وهنا إشارتان: الأولى أن هذا القسم باب من الكتاب الأصل لا كتاب مستقل، والثاني: أن نسب الجزولي والخبر عن بداية الشيخ الغزواني إنما ذكرا في صلب "المرآة" لا في هذا الباب . وص223 في ترجمة شقيقه الحافظ أحمد منه: « وأدرك الشيخ المجذوب كما تقدم في الفصل السادس من الباب الثاني. . . » .وهذه أوضح إشارة .

ونستنتج من ذلك أن المؤلف – رحمه الله تعالى – توفي دون إتمام كتابه، خاصة وأن المخطوطة التي بين يدينا هي نسخة حفيده المباشر: الشيخ عمر بن يوسف بن العربي الفاسي، بخط نجله عبد الله، وأن النسخة التي وقف عليها البوعزاوي وانتسخها إنما هي نسخة بخط الشيخ أبي حامد أو أخذت عن

خطه، كما صرح بذلك في تعاليقه ص17، 50، 159، 161، 164، 167، 189 . . . مثلا. وقد أشار إلى عدم تمام الكتاب أغلب من ذكروه كما أشرنا إليه أعلاه .وكذلك أن هذا فصل من الكتاب كتب استقلالا عنه ليضاف إليه لاحقا، وربما كان المؤلف – رحمه الله تعالى – أتم الكتاب غير أن نسخته الأخيرة لم تبلغنا، والله أعلم .

نسبة الكتاب للشيخ أبي حامد:

أما نسبة الكتاب إلى الشيخ أبي حامد؛ فنسبة لا شك فيها؛ فقد وقفت على نسخة حفيده الشيخ عمر بن يوسف بن العربي الفاسي بخط نجله عبد الله، وقد عزاها إلى الشيخ أبي حامد دون شك منه . وكذلك كل من ترجم للشيخ أبي حامد وتطرق لكتبه؛ ذكر منها: "مرآة المحاسن"؛ كالقادري في "نشر المثاني"(2 : 11)، والسلطان أبو الربيع في "عناية أولي المجد"(31)، وجد جدنا في "سلوة الأنفاس"(2 : 315)، وابن سودة في "دليل مؤرخ المغرب" ص148، والمنوني في "المصادر العربية لتاريخ المغرب" (1 : 338)، وبروفنصال في "مؤرخو الشرفاء" (173)، بل خصص لها فصلا. . .وغيرهم .

النسخ المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيق "مرآة المحاسن" على ثلاث نسخ:

أ – الأولى: الطبعة الحجرية: وتقع في 238 صحيفة، مقياس: 13,7 سنتيمترا طولا، و9,7 سنتيمترا عرضا، وهي بتصحيح الفقيه أحمد ابن المهدي البوعزاوي، وقد طابقها على نسخة بخط المؤلف أبي حامد– على الأرجح، وهي النسخة المشهورة والمتداولة بين أيدي الباحثين . وقد طبعت بتاريخ مهل جمادى الثانية عام (1324/1906)، بمطبعة المعلم السيد العربي الأزرق، وقد اعتمدت هذه النسخة لدقتها ولمطابقتها على أصل المؤلف، وهي مكتوبة بخط مغربي سريع . وسميتها:النسخة الحجرية، أو النسخة (أ) .

ب – النسخة الثانية: نسخة مخطوطة عتيقة سلمني صورتها الأستاذ المأمون بن عبد الوهاب الفاسي عن مكتبته . وفي خاتمتها مكتوب: « الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . يقول كاتبه غفر الله ذنبه، وستر بفضله وكرمه عيبه: لما استوفى ولدنا الأبر أبو محمد عبد الله بن عمر نسخ هذا الكتاب الجليل: "مرآة المحاسن"، وقيده من نسخة فيها بعض تصحيف وتحريف؛ إذ لم يتيسر في وقت أمرت له بالنسخ غيرها؛ قابلتها وعارضتها بنسخة غيرها لا تشفي غليلا؛ كأنها مثل الأصل المنتسخ منه، واجتهدت بقدر الطاقة في تصحيح ما أمكن لي تصحيحه، وإذا فتح الله – سبحانه – ويسر علينا في أصل عتيق، كنسخة الشيخ المؤلف بخطه المبارك؛ أعدنا

عرضها . فالعذر لمطالعها – إن وجد فيها ما يتعقب – تصحيفا أو تحريفا، والعذر عند كرام الناس مقبول . وكان الفراغ من عرضها: ضحوة يوم الجمعة الثامن من صفر الخير عام ستة وعشرين ومائة وألف . عبد ربه العلي (توقيع بهيئة الخنفسة العدلية) ،ثم عليه إشهاد لـ : عمر بن الحسن بن علي الحراق الشريف الحسني، الغروريمي دارا، العلمي أصلا وفرعا، عرفنا الله – بحوله – خيره، ووقانا ضيره. . .»
.

فتبين لنا أن ناسخها هو: عبد الله بن عمر بن يوسف بن العربي الفاسي المتوفى عام (1146)؛ والد الحافظ أبي حفص الفاسي .

وعلى هذه النسخة عدة تعاليق لمجموعة من الأعلام؛ منها نقول عن عدة من أعلام الفاسيين، ومن ضمنها حاشية بتوقيع: أحمد بن موسى المرابي، وأخرى بتوقيع: محمد بن إدريس القادري، وأخر من غير توقيع، وقد حاولت تعيين أصحاب الخطوط – ظنا – قدر المستطاع .

هذه النسخة مكتوبة بخط مغربي مجوهر، جميل وواضح، عرض الصفحة يبلغ 10,7 سنتيمترا، وطولها: 15سنتيمترا، وعدد صفحاتها: 112 صفحة ليس منها قسم المشيخة . وقد اعتمدت على هذه النسخة فيما أشكل علي في النسخة (أ)، مع الإشارة إلى ذلك، ولم أطابق عليها وأتتبع الاختلافات بينها وبين النسخة (أ) نظرا لتصريح صاحبها بكثرة التصحيف فيها . وقد أسميتها: النسخة (ب) .

وعلى هذه النسخة صكوك تملك لأصحابها كالتالي:

الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم: هذا السفر المبارك، المشتمل على "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن" سيدي يوسف الفاسي رحمه الله تعالى ورضي عنه؛ في نوبة عبد ربه تعالى: احمد بن محمد بن الخضر السطي غفر الله ذنوبه بمنه وكرمه .

ثم أسفله:

الحمد لله؛ اشترى الفقيه الأرضى، المرابط الأمثل المرتضى، الخطيب البليغ الأحظى؛ سيدي الطيب ابن المرابط الولي الصالح سيدي عبد النبيء الفاسي الفهري جميع هذا المجلد المسمى بـ: "مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن" وما معه، من البائع له: الفقيه العدل سيدي محمد ابن الفقيه المرحوم بكرم الله تعالى سيدي احمد (فتحا) السطي، اشتراء تاما بثمن قدره لذلك: أحد وعشرون مثقالا دراهم تاريخه، قبض البائع المذكور من المشتري المذكور جمع الثمن قبضا تاما، أعرافا وأبراه منه مبري (كذا) وتملك المشتري المذكور مشتراه المذكور تملكا تاما على السنة في ذلك، والمرجع بالدرك وقلب ورضى كما يجب . عرفا قدره وشهد عليهما بأكمله وعرفهما في خامس عشر رجب الفرد عام ثلاثة وثمانين ومائتين وألف . ثم توقيعان عدليان على شكل الخنفسة .

ثم صار بعده لكاتبه أبي القاسم بن عبد النبي بن المجذوب الفاسي[110] بالشراء الصحيح من أخيه المذكور، ودفع الثمن له، نفع الله به الجمع. . .آمين .هـ .

ومما كتب على الصفحة الأولى:

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبي بعده، لكاتبه عفا الله عنه:

إن شئت يا صاح تسعد	وفي فعـــالك تحـمد
مقتـديا كـن بشـــيخ	شعائر الـــدين جدد
أبا المحـــــاسن يكـنى	وفيه بالحـــق تعـــهد
به تـوســـــــل ونـــاد:	يا يوسـف ابن محـمد

وبخط آخر: الحمد لله: مثل هذا الشيخ – رضي الله عنه – هو الحقيق بأن يكنى بأبي المحاسن؛ لاتصافه بها ظاهرا وباطنا، لا من يكون عاريا منها؛ كالمقول فيه:

أتيت أبا المحاسن كي أراه	بشوق كاد يجذبني إليه
فلما أن رأيت؛ رأيت فردا	ولم أر من بنيه ابنا لديه

يعني: المحاسن التي جعل أبا لها .

وبنفس الخط الأول: قلت: ومن جملة محاسن الشيخ الإمام، القدوة العالم العلم؛ سيدي يوسف ابن محمد الفاسي – نفعنا الله ببركاته الطاهرة، كالشيم (الباهرة) – أن أكرمه الله بولد مبارك، عالم عامل: الشيخ محمد العربي؛ خاتمة المحققين، بفاس على حكم اليقين، وهو مؤلف: "الروضة المزوية بالياقوت والذهب الإبريز والفضة"، فمن ولد مثله فليبشر بالولد ويهنى به، وإلا؛ فلا . فلا . فلا ، وليس الخبر كالعيان، نفعنا الله ببركة الجميع، بجاه مولانا محمد المصطفى الشفيع . صلى الله عليه وسلم . العلما ورثة الأنبياء .

ويليه: الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا (نبي بعده): قال كاتبه عامله الله بلطفه الخفي: لخصوص من كتّاب مولانا الإمام أيده الله، حيث توهموا أن دريهمات جاءته من بعض النواحي، وطلبوه أن يجعل لهم فيه قسطا وسهما منها؛ فداعبتهم وقنعتهم بهذين (البيتين)؛ فكانوا من أظرف الناس، وقنعهم من التشوف (إلى) الدريهمات بديع الجناس في قوله:

إن الدراهم ما زارت ولا وعدت	بزورة للـــضــــروريـــات تكـفين
أظـنها هلكت إذ لا ظـهور لها	وأنـــهـــا دفنت من غـير تكـفين!!

---

[110] أبو القاسم المذكور هو : والد جد الأستاذ المأمون الفاسي، وقد أخبرني الأستاذ المأمون أن هذه النسخة انتقلت بعد الشيخ أبي القاسم إلى نجله الفقيه الحسين، ومنه إلى نجله الخطيب المجاهد عبد الوهاب، ومنه إلى نجله الأستاذ المأمون الفاسي.

بحـيث لم تكنز في ظرف من الظروف يطمع في ظهورهـا والعـثور عليها(حتى) صارت من جملة التراب!!!.

وفي نهاية المجموع مكتوب: الحمد لله؛ توفي ابن العم الفقيه الخطيب سيدي علال ابن الفقيه الخطيب عمنا سيدي عبد الله ابن جدنا الفقيه الخطيب سيدي عبد الرحمن المجذوب الفاسي بعد الصلاة في جامع الأندلس من يوم الجمعة: ثاني وعشري جمادى (1) عام 1314، ودفن داخل روضة سبعة رجال، في جوار الجد أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي بالقباب خارج باب الفتح، بعدما صلي عليه في صحنه عشية اليوم المذكور . نسأل الله تعالى أن يرحمنا جميعا، ويلحقنا به مسلمين . آمين هـ . ومنه (كذا) وكانت ولادته عام: 1228 .

وعلى الغلاف من الداخل: الحمد لله؛ لما أن كان القبر الذي (في) قبر الشيخ سيدي محمد بن عبد السلام الفاسي، الموالي لقبر الشيخ العارف بالله أبي المحاسن سيدي يوسف الفاسي محجرا، وأراد الدفن فيه الباشا الأسعد الفقيه السيد عبد الله بن أحمد؛ شرع في تقليع تلك الحجر ليدفن فيه ، ودفع في ثمنه ألف مثقال بعد تكميل تقليعه وبنائه وتغطيته في اللحد بمحضرنا، عند زوال يوم الثلاثاء مهل محرم الحرام فاتح عام 1294 هـ . (ثم شطب بمقدار سطر كامل ، ثم:) يوم الجـمـعـة: 4 محرم عام 1294 هـ .(وأسفله بنفس الخط:) للمؤلف شرح ميمية القنطري .

ج – *النسخة الثالثة:* وهي النسخة (ج) ، وهي تابعة للنسخة (ب) ، محتواة في نفس المجموع وبنفس الخط، يفصلها عنها بعض الرسائل والأوراق . تقع في (41) صحيفة، ومسطرتها: 17,8 سنتيمترا طولا، و12,1سنتيمترا عرضا ، وليس عليها تاريخ نسخ ولا اسم للناسخ، غير أنه يتبادر لنا أنه نفسه عبد الله بن عمر الفاسي، وهي قسم المشيخة من "مرآة المحاسن" ، وعليها عدة حواش بتوقيع عدة أعلام.

وقد عملت قدر جهدي في إثبات جميع تعاليق واستطرادات النسخ الثلاثة، وإشاراتها إلى محال الفراغات من النسخ الأصلية؛ لإتمام الفائدة وتعميمها، حيث حوت تلك التعاليق على درر النفائس فيما يتعلق بالنص، ويعلم مقدارها بالوقوف عليها .

عملنا في التحقيق:

عند تحقيقي للكتاب لم أقم بتحقيقه تحقيقا أكاديميا مطولا؛ لأن ذلك يأخذ جهدا كبيرا ووقتا طويلا يمكن من خلاله إصدار كمية أكبر من كتب التراث، وهي مرحلة أولية، ثم بعدها نصل إلى مرحلة التحقيق الموسع والدراسة . فأغلب مصادر التاريخ المغربي الأساسية غير مطبوعة، فهل نعزو إلى

مخطوط؟!!! العزو إلى المخطوط ليس تحقيقا بالمعيار الأكاديمي؛ لأن المخطوطة قد يوجد منها عشرات النسخ؛ فأيها يعتمد ؟! . ولذلك فإنني أدعو أساتذة الجامعات والباحثين إلى العمل على إصدار أكثر عدد من المصادر التاريخية والعلمية والفقهية والتراثية للمغرب، وبهذه الطريقة – مبدئيا .

نعم؛ أهم شئ حافظت عليه ويجب أن يحافظ عليه المحقق: هو إخراج الكتاب كما ألفه مؤلفه؛ من حيث ضبط النص، وحفظه من السقط والتحريف وأمثالهما . . .وهذا أهم عمل على المحقق أن يتوخاه . غير أننا في كثير مما حققه الأساتذة المغاربة نجد اعتناء بملء الحواشي بالتعليقات والتحقيقات، وإغفالا كبيرا للنص من حيث الترقيم والمطابقة على الأصول وغير ذلك. . .إلخ . وكثير من تلك الحواشي والتحقيقات تكرار وحشو لا قيمة له! .

على أنني كذلك لم أحب إثقال حواشي هذا الكتاب بالتعاليق؛ لأنني أحببت القارئ أن يعيش معه، فهو كالقصة، على القارئ أن يعيش أيامها، ويهتدي بهدي صاحبها، ويستشعر الجو الإيماني والعلمي الذي كان يعيشه، حتى تتمثل تلك الأخلاق وذاك السلوك فيه؛ بدءا بآل المترجم له فمن دونهم . فمقصدنا الأول دعوي لا نظري!!! .

أما عملي في التحقيق؛ فكان على النحو التالي:

1. إغناء النص بأدوات الترقيم بحيث يكون شارحا نفسه بنفسه .
2. إضافة عناوين فرعية افتقرت إليها نسخ الكتاب، مع وضعها بين قوسين مربعين: [ ] إشارة إلى أنها من إضافات المحقق لا من صلب الكتاب .
3. عزو الآيات القرآنية إلى مصادرها من القرآن الكريم .
4. تخريج الأحاديث النبوية التي لم يقم المؤلف بتخريجها وإظهار رتبتها من حيث التصحيح والتضعيف، أما ما قام به من ذلك؛ فلم أقدم فيه بين يدي المؤلف .
5. إخراج مصادر ترجمة جميع من ترج لهم المؤلف ، وقد التزمت في ذلك ذكر المصادر المطبوعة فقط .
6. توضيح ما أشكل في النص من معاني الكلمات الغريبة والعامية ليفهمها القارئ المغربي والمشرقي .
7. التعليق على ما استوجب التعليق عليه من مواضع النص .
8. مطابقة الكتاب على النسخ المعتمدة، وإظهار بعض الاختلافات بين النسخ، واعتماد اللفظ الأنسب، مع الإشارة إلى الاختلاف في الحاشية .
9. أثبت في الكتاب ترقيم نسخة الطبعة الحجرية نظرا لأن جميع المصادر تعزو إليها، ووضعت أرقام صفحاتها بين قوسين مربعين تمييزا .

10. تقديم الكتاب بدراسة مسهبة تتضمن نظريات للمحقق لم يسبق التطرق إليها؛ سواء حول تاريخ التصوف الإسلامي، والطريقة الشاذلية، ودراسة مسهبة عن العائلة الفاسية، مع ترجمة مقتضبة لمؤلف الكتاب الشيخ العربي الفاسي، ومصحح الكتاب المحقق أحمد ابن المهدي البوعزاوي .

11. إثراء الكتاب بأحد عشر فهرسا توضيحيا؛ ليسهل وصول القارئ إلى المعلومة المبتغاة.

وختاما: أحب التنبيه على نقاط:

1 – ما أحرى بأن يتفرغ أساتذة الجامعات والباحثون لإخراج التراث المغربي بطريقة مضبوطة ومختصرة لتنتج أكبر كمية من الكتب التراثية المغربية .

2 – ما أحرى بأن تتفرغ لجان دراسية تتخصص كل منها في إنتاج ودراسة مؤلفات عائلة من العائلات العلمية المغربية، أو زاوية من الزوايا؛ ليتم التنافس في هذا المضمار .

3 – ما أحرى بأن تخصص دراسات أكاديمية معمقة في تاريخ المغرب كل قرن على حدة؛ خاصة زمن الأدارسة فمن بعدهم .

4 – ما أحرى بأن تؤسس بالمغرب مطبعة وطنية محددة المنشورات في مائة وأكثر كل سنة، مدعمة بشركة توزيع تقوم بتوزيع المنشورات المغربية على السوق المشرقية .

وبهذه البنود سيكون من السهل جدا إحياء التراث المغربي، وإخراجه من قبري « تراب وإهمال » كما ذكره المؤلف في مقدمة "المرآة"، وتشجيع لإحياء هذه الأمة المغربية الجبارة التي لم ينحن رأسها عبر فترات تاريخها قط .

ولا يسعني هنا سوى شكر كل من كان له يد في إصدار هذا الكتاب، والمساعدة في مختلف مراحل إنجازه؛ سواء بالطباعة، وبالمساعدة في مقابلة الكتاب، وبالتشجيع المعنوي؛ أخص منهم: والدتي الأستاذة نزهة بنت الشيخ عبد الرحمن الكتاني، وخالتي الدكتورة الأديبة نور الهدى الكتاني التي قابلت معي جل الكتاب، ورابطة الشيخ أبي المحاسن ابن الجد ممثلة في رئيسها الأستاذ المحامي المأمون بن عبد الوهاب الفاسي...

وكتبه

الدكتور الشريف حمزة بن علي بن المنتصر بالله الكتاني

19 شعبان الأبرك عام 1423

الموافق 27 أكتوبر عام 2002

مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن

(ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب)

تأليف

الإمام أبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري

(1052 - 988)

بسم الله الرحمن الرحيم. وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين. وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين.

[المقــــــــــدمة]

الحمد لله الذي خصص أولياءه بخصائص قربه، وجعل ذكرهم وحبهم سبيلا إلى ذكره وحبه، وتوعد من آذى وليا منهم بإيذانه بحربه، وأمر بحفظ الصالح من عباده في ولده وسربه . وصلى الله على سيدنا محمد نبيه ورسوله وحِبه، وعلى آله وصحبه وأتباعه وأوليائه وحزبه.

وبعد ؛ فإن مما ينبغي أن يعتني به الأعلام والأكابر، وتتحرك له ألسنة الأقلام في أفواه المحابر: ما هدى إلى حق، ودل على إرث مستحق، وأرشد إلى ما هو أولى بالاقتفاء وأحق، وأبان تصحيح السلامة في المجموع وما به التحق. . .

وإنا لما مرج أمر المغرب، وماج أهله – فمن مُشرّق ومن مُغَرّب ؛ نالنا من ذلك الاضطراب حظ وافر، ودفعنا الاغتراب إلى موافاة المنافي والمنافر، وقد بدل الزمان حالا بحال، واشتبه الممكن والمحال، وبعدت المسافة بين الحال والانتحال، وقرب ما بين الحلول والارتحال، على رجاء أن يؤوب المسافر، ويعود الشارد النافر، إذا طلع الفجر السافر، والأريب بالسلامة غانم ظافر.

إلى أن طالت القصة، وعز ما يعتصر به من الغصة، والشمس قد جنحت للأفول، والنفس قد أحست بالرواح والقفول؛ فعرض ما يعرض للآباء، في النظر للأبناء، والحدَب[1] عليهم وله تنعطف الأحناء، وحداني أن أرسم لهم من طريقة آبائهم منهاجا، وأريهم من أنوار سلفهم سراجا وهاجا، يسلكون جادته متى اختلفت السبل والفجاج، ويهتدون به متى جن ليل داج، ويؤمون سمته[2] متى تلاطمت بأهل الزمان الأمواج، [2] ويستصلحون به الطبيعة متى غيّر الخِلط[3] المزاج. . دللتهم فيه على كنز أقمت جداره، ومركز رسمت مداره، ورب جدار أقيمت على قواعده دار، وكنز عند الاستحضار يصغر له اللجين والنُضار[4]، أبقيته محفوظا عليهم محروسا، وصيرت المعقول مشاهدا محسوسا، عسى أن يحنوا إلى تلك المعاهد، ويكتفوا بما

---

[1] الحدب: العطف.
[2] السمت: الطريقة والوجهة.
[3] الخلط: الأحمق.
[4] النضار: الخالص من التبر والخشب.

رسمته لهم اكتفاء المشاهد عن الشاهد، فشبه الولد بأبيه مألوف معهود، واقتداؤه به في الصالحات – بحسب الشرع والطبع – محمود، ونفسه إلى محاكاته منساقة، ومن لم يبلغ شأو المقدمة فحسبه أن يكون في الساقة. فإنه وإن اختلفت المدارك؛ فالمقبل الآخذ خير من المدبر التارك.

ولأجل ما قصدته من البيان، وتنزيل المسموع منزلة العيان ؛ ربما ذكرت ما هو في صنعة التأليف حشو لا يحتاج إليه، ولغو لا يُعَرَّج ببادي الرأي عليه، محافظة على أن تكون صورة الحال بارزة إليهم، ومثال الواقع ماثلا لديهم، فإني لم أقصد به سواهم، ولا مرادي أن يَعْدُو مثواهم، وإذا حكمت العادة — ومن ذا الذي يعطى مراده — فلعل المنصف لا يذمه، ولا يعترضه فيما يؤمه، ثم إذا استقل حسب مغزاه بالإحسان ؛ فليدعه من لم يقع منه موقع الاستحسان.

ولعل متهورا يرى ما نَشَرَ من الحلَى، وأثبت لمن يتصل به من المراتب العُلى، فيتسرع إلى الملام، ويقول: مادح نفسه يقريك السلام. وعلى رسله ؛ فإن المحاباة إذا كانت لا تحمد، وليس يحسن في كل عين من تود، وشهادة الجار على نفسه تسقط في المرافعة وترد، ومادح نفسه هازل في الحقيقة وإن جد ؛ فإنه لا يحمد العقوق، ولا إضاعة الحقوق، ولا الخروج عن العدل والمروق، ولا بخس الناس أشياءهم ؛ فإنه فسوق. وكلا طرفي قصد الأمور ذميم، والعدل هو القسطاس المستقيم، وهو مأمور به على العموم، والعامل بمقتضاه محمود غير مذموم. وقد قال تعالى: ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ﴾. [الأنعام: 152]. فمن قال بالعدل وصدق في القول ؛ لم يراع بعدا ولا قربا، ولم يخف في الجهتين لوما ولاعتبا، ولم يتحاش قولا في ذلك ولا كتْبا [3]:

وما عليَّ إذا ما قلت معتقدي دع الجهول يظن الحق عدوانا

وما قلت إلا بالذي علمت سعد[1]، وما نُسي العهد بعد، فما بالعهد من قدم، ولا نسخ وجود الأثر عدم. وإذا صحت النية، ووضحت المقاصد السنية ؛ فلا حرج على من وصف نفسه أو غيره، إذا جعل على جادة الصدق سيره، وقد فعله الأئمة الجلة، وعضده العلماء بقواطع الأدلة، وقد وجب التسليم ؛ لحجة: ﴿ إني حفيظ عليم ﴾. [يوسف : 55][2].

ومن القواعد: تصديق المرء فيما ذكر إليه انتسابه، وصححوا قبول دعوى العدل مع الإمكان أنه من الصحابة، وكل ما بريء من الترافع، وسلم من التدافع ؛ أجمعوا على قبول ما ينسبه العدل منه لنفسه، وبهذا قام بناء الرواية على قواعده وأسه. وقد يتسع النطاق ؛ فيكون الصدق أصل المسلم على الإطلاق.

---

[1] مثل عربي شهير . والمقصود: وما شهدنا إلا بما علمنا .

[2] هنا إشارة لطيفة إلى قول يوسف عليه السلام للملك كما في سورة يوسف الآية 55: ﴿ *قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم* ﴾، واستنبط العلماء من هذه الآية جواز أن يرشح المرء نفسه للأمر إذا وجدّ نفسه أهلا لذلك. فليراجع المبحث في التفاسير.

[الحض على الاعتناء بعلم التراجم والتاريخ]:

وكم من عالم عرَّف برجاله، وأوسع الخطو في مجاله، فإن لم نكن من تلك الحلبة ؛ فقد شملتنا تلك الألبة[1]، فلنا بذلك اكتفاء، وحسبنا اتباع واقتفاء.

ولم يكتفوا بما أدوا من الواجب، وأبدوا في ذلك دون حاجب، حتى أزروا بمن أقصر عن أدائه، أو قصر في إبدائه، ووسموا المغاربة بالإهمال، ودَفِنهم فضلاءهم في قبري تراب وإخمال! ؛ فكم فيهم من فاضل نبيه ؛ طوى ذكره عدم التنبيه ؛ فصار اسمه مهجورا، كأن لم يكن شيئًا مذكورا. وإذ كان التنبيه من الواجب ؛ فمم يعجب العاجب ؟!.

وإذ تصديت لهذا الغرض، وأديت من الاهتمام به واجبه المفترض ؛ التفت إلى استحضار عدده، واستمطار غيثه ومدده، متصفحا لوح قضاياه، ومستجليا وجه وضاياه؛ لأخبر مبلغ الاستطاعة، في تأدية أوامره المطاعة. فما راعني إلا أن لا إمكان، ولا زمان ولا مكان. وإذا العدد قد جر الذهابُ عليها ذيله، وأجرى الزمان إليها سيله، والمدد قد نضب ماؤه، وصَحَت من غيثه سماؤه، إلا تفاريق علقت بذهن مقسّم، وتعاليق لا تكاد تبين لمن يتوسم.

وأين الإمكان من رجل ذي قلب مُلتاع[2]، وسِرب مرتاع[3]، يُرَمّق العيشَ على برض[4]، وتلفظه البلاد من أرض إلى أرض، ولا يتميز[5] سفره [4]، ولا يحصل بالإقامة ظفره؛ فهو لا يلحظ إلا وجه تُنُوفة[6]، ولا يركب إلا ظهر مسافة مخوفة. يفر من الفتن بدينه، ويلجأ إلى الله تعالى وحده في تسليمه وتأمينه ؟!. على أني أقول: وإن اختلفت العقول:

من كان ذا بتٍّ فهذا بتّي[7]

وأتمثل بقول أبي الفتح البستي:

لئن تنقلت من دار إلى دار	وصرت بعد ثواء رهن أسفار
فالحر حر عزيز النفس حيث ثوى	والشمس في كل برج ذات أنوار !

[1] الألبة: الجماعة ؛ وهو أوضح وأقرب، وقد تطلق على المجاعة. كأنهم يجتمعون في المجاعة ويخرجون أرسالا.
[2] ملتاع: محترق
[3] المقصود: طريق واسع بعيد، لا يعلم منتهاه.
[4] البرض: القلة والحاجة.
[5] المقصود: لا يعرف وجهة لسفره، إنما هو تائه هارب بسبب الفتن والقلاقل. مشيرا إلى فراره من فاس بسبب فتنة العرائش الشهيرة عام 1621 / 1021
[6] تنوفة: موضع بجبل طيء. والمقصود: البعد وعدم إمكانية الوصول.
[7] البت: القطع، أو نوع من الثياب كالطيلسان، وفيه ورد هذا الرجز، والمقصود منه: بأن ما وضعه من هذا التأليف هو جهده، فمن له قدرة قدرة فليبت –أي: يصنع هذا النوع من الثياب –كما بته هو– وفيه نوع من الدعوة إلى التأليف والتذييل على كتابه. قال الشاعر:

وأنى تكون الإقامة، على استقامة، في زمان أيامه ليال، ووعد ليله بالصبح خيال، في وطن قد أظلم جوه، واحلولك دجوُّه، فأضاقت الفتن أكنافه، وتحيفت أوساطه وأطرافه، فشرق أهله بمائهم، وضلوا بنجم سمائهم، والدين قد انخلع من اسمه، وتركه رهينا في رَسْمِه، لولا المقيَّض[1] في الأوان – لو كان له أعوان.

وعسى أن نلمع ببعض التفاصيل إلماعا، ونوقظ بذكره أبصارا وأسماعا، إذا سام المفلس من نفسه النصيف، وانتهت النوبة إليه في الترتيب والترصيف.

وحين عز الملتمَس، وأعوز المستَمَدُّ منه والمقتَبَسْ ؛ أقبلت على فضلة الزاد أضمها، ونفاضة المزاد أقمها[2]، أستمري أخلاق حفظي أفاويق لم يسر النسيان منها إلا قليلا، وأستقري أطراف أحاديث من تعاليق لا يشفي الإنسان بها غليلا[3]، في نوبَ كدت أنسى بها اسمي، وأسهو عن مصاحبة الروح لجسمي.

وعلى ذلك ؛ اغتنمت ما سمح به الإمكان، لأعمر به فراغ الوقت إن كان، فجمعت ما اجتمع فيه من الأسطار، فيما افترق من الأوطان والأقطار، كأني أحدو به الرفاق، وأسيرها في نائبات الآفاق.

وحين حازه الإمكان عن الاستحالة، وخرج خروج السهم من مضيق تلك الحالة، فتميز بالوجود، مقتنعا فيه بالموجود ؛ اغتبطت به اغتباط العقيم، بالولد السقيم، وتبجحت به تبجح العديم، بالثراء القديم ؛ وسميته:

مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن

فجعلت ذكره أصلا، وأتبعته ما اتصل به فصلا فصلا، ورتبته كما اتفق، واختلس من الوقت الذي [5] ليس فيه مرتفق، قانعا باليسير، من يد التيسير، وهو على نزارته، وكثرة ما فاته وغزارته ؛ محصل بحول الله المقصود، موصل بعونه سبحانه للغرض المرصود، فقد دل ما تضمنه من سيره، على أحوال المذكور فيه ومسيره، دلالة الشخص على نوعه، والمفرد على جمعه، ومن قاده التوفيق، إلى مرافقة ذلك الرفيق ؛ كفته منه لمحة تدله، ونفحة تهديه ولا تضله، كما يستدل بالنجم على الصباح، ويهتدى للسماوات بمهاب الرياح.

وإنه مع ذلك لأدل من نار القِرَى على القلل[4]، وأهدى من نفحة الطيب تهدي إلى الحلل، فقد تضمن جزئيات وكليات، من المسالك الواضحات الجليات، مما ينيل المراد ويكسبه، ويكفي القاصد ويحسبه. وقد نحلت المخصوص بجمعه، والمقصود بأن يكون نصب بصره وسمعه، مذخور ما عندي، بمبلغ طاقتي وجهدي،

= من كان ذا بت فهذا بتي
مقيظ مصيف مشتى =
تخذته من نعجات ست

[1] المقصود: المصلح.
[2] قمّ: جمع.
[3] الأفاويق: ما اجتمع في السحاب من ماء فهو يرمي به ساعة بعد ساعة، والمقصود: ما ترسب في الذاكرة.
[4] القلل: ج قلة: قمة الجبل.

وأديت إليه نصح والد لولده، وطِب محب لساكن خَلَدِه[1]. وأنا أستوهب من الله تعالى لهم هداية وتوفيقا، وأستصحب لهم صاحبا من معونته ورفيقا، وهذا برنامجه، لتتبين مناهجه:

أ- **الباب الأول:** في ذكر الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد رضي الله عنه. وفيه اثنا عشر فصلا:

1- **الفصل الأول:** في مولده ومبدأ أمره، واشتغاله بالعلم وأخذه فيه طول عمره. رضي الله عنه.

2- **الفصل الثاني:** في سلوكه – رضي الله عنه – طريق القوم، وأخذه عن مشايخها رضي الله عنهم.

3- **الفصل الثالث:** في ذكر جمل من أوصافه وأحواله رضي الله عنه.

4- **الفصل الرابع:** في ذكر جمل من أخلاقه وأخباره التابعة لها رضي الله عنه.

5- **الفصل الخامس:** في ذكر انتقاله – رضي الله عنه – من القصر إلى حضرة فاس، وشيء مما يتعلق بذلك.

6- **الفصل السادس:** في ذكر عمله – رضي الله عنه – في اليوم والليلة.

7- **الفصل السابع:** في ذكر الأوراد التي رتبها – رضي الله عنه – لأصحابه.

8- **الفصل الثامن:** في ذكر بعض الكرامات التي ظهرت على يديه رضي الله عنه.

9- **الفصل التاسع:** في ذكر ما حضر من مكاتبته رضي الله عنه.

10- **الفصل العاشر:** في ذكر ما حضر من أجوبته رضي الله عنه.

11- **الفصل** [6] **الحادي عشر:** في ذكر جمل من كلامه رضي الله عنه.

12- **الفصل الثاني عشر:** في ذكر آخر أمره ووفاته رضي الله عنه، وذكر بعض ما تعلق بذلك.

ب- **الباب الثاني:** في ذكر من له اتصال به – رضي الله عنه – بأبوة أو بنوة أو أخوة، ممن يتميز بعلم أو صلاح، وفيه اثنا عشر فصلا:

1- **الفصل الأول:** في ذكر والده الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف رضي الله عنهم أجمعين.

2- **الفصل الثاني:** في ذكر جده الشيخ أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن رضي الله عنهم.

3- **الفصل الثالث:** في ذكر أخيه الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد رضي الله عنهم.

4- **الفصل الرابع:** في ذكر ولده الفقيه أبي عبد الله محمد رضي الله عنهما.

---

[1] الخلد: البال والقلب والنفس. والمقصود: عمل من طَب لمن حَبّ

5- **الفصل الخامس:** في ذكر ولده الشيخ أبي الحسن علي رضي الله عنه.

6- **الفصل السادس:** في ذكر ولده الشيخ أبي العباس أحمد رضي الله عنهما.

7- **الفصل السابع:** في ذكر ولده محمد العربي وفقه الله وكان له ؛ وهو مؤلف هذا الكتاب.

8- **الفصل الثامن:** في ذكر حفيده الفقيه أبي العباس أحمد بن علي حفظه الله.

9- **الفصل التاسع:** في ذكر حفيده الفقيه أبي محمد عبد القادر بن علي حفظه الله[1].

10- **الفصل العاشر:** في ذكر حفيده الفقيه أبي القاسم محمد بن أحمد حفظه الله.

11- **الفصل الحادي عشر:** في ذكر حفيده الفقيه أبي الفضل عبد الوهاب بن محمد العربي وفقه الله، وكان له[2].

12- **الفصل الثاني عشر:** في ذكر سبطه الفقيه أبي فارس عبد العزيز بن الحسن بن مهدي حفظه الله.

جـ - **الباب الثالث:** في ذكر جماعة من أعيان أصحابه رضي الله عنهم أجمعين ؛ ومنه فصلان:

1- **الفصل الأول:** في ذكر الشيخ أبي الطيب الحسن بن مهدي الزياتي[3] رضي الله عنه.

2- **الفصل الثاني:** في ذكر السيد الإمام أبي العباس أحمد بن علي الشريف السُلَمي العلمي رضي الله عنه.

---

[1] ولد يوم الاثنين ثاني رمضان عند الزوال، سنة 1007، وتوفي ثامن رمضان سنة 1092 . نسخة (ب) .

[2] ولد سنة 1009، وتوفي 1079 . نسخة (ب) .

[3] ولد - رحمه الله - في نصف جمادى الأخيرة سنة أربع وستين وتسعمائة، وتوفي سنة ثلاث وعشرين وألف .نسخة (ب) .

الباب الأول

في ذكر الشيخ أبي المحاسن يوسف بن محمد رضي الله عنه[1] [7]

ومنه اثنا عشر فصلا:

الفصل الأول

في مولده ومبدأ أمره، واشتغاله بالعلم، وأخذه فيه طول عمره

ولد – رضي الله عنه – كما وجدته بخطه: ليلة الخميس تسع عشرة ليلة خلت من ربيع الأول، سنة سبع وثلاثين وتسعمائة. وذلك بالقصر الكبير، وبه نشأ، وإياه أوطن إلى أن انتقل إلى سكنى فاس؛ وطن سلفه الذي ينسب إليه. ولاح لأبيه يمن غرته، وسعادة طالعه، وبركة مورده، فكان يتيمن به، ويرى البركة ظاهرة فيه، ويستشعر ما يكون من شأنه.

ولما أدرك سن القراءة؛ أدخله المكتب يُعرف فيه النجابة، ويتبين منه الذكاء، ويتوسم فيه الرشد، مقبلا على شأنه، آخذا فيما يعنيه، لا يشارك الصبيان في لعبهم وعبثهم. فحفظ القرآن العزيز في صباه، وأحكم قراءته بحرف نافع ورسمه وضبطه على الشيخ الصالح أبي الحسن علي العربي، بمسجده المعروف به بطرف القطانين من القصر، أمنه الله.

[أول لقاء للشيخ أبي المحاسن بشيخه المجذوب]:

وكان الشيخ العارف الولي الكبير أبو زيد عبد الرحمن بن عَيَّاد المجذوب – رضي الله عنه – يشير إليه كثيرا، قال ولده شيخنا الإمام أبو العباس رضي الله عنه، ومن خطه نقلت: «كان الشيخ أبو زيد منوها باسمه في صغره، فكان لا يزال يذكر أن: بدار بني فلان نوَّارة[2] لابد أن تفتح. ولما دخل المكتب؛ كان يجيء إليه ويذكر بعض ما يؤول إليه أمره. فجاء يوما ومسح على رأسه وقال: علمك الله علم الظاهر والباطن. ثلاثا.

---

[1] انظر ترجمته في: "ممتع الأسماع" (119)، و"الصفوة"(27)، و"نشر المثاني" (1:119)، و"طبقات الحضيكي"(2:354)، ، و"فتح الشكور"(218)، و"السلوة" (2:306)، و"شجرة النور"(1136)، و"زهر الآس"(2:67)، و"الأعلام" (8:252). وغيرها. وأغلبهم اعتمد اعتمادا كليا على "مرآة المحاسن".

[2] النوارة: الزهرة.

ثم التفت للمعلم وقال: لابد نوارة هذا أن تفتح، وإذا أحياك الله ؛ ترى! . فلما حفظ الشيخ أبو المحاسن القرآن ؛ ابتدأ المعلم عليه ختمة ؛ فقرأها عليه تبركا به لكلام الشيخ أبي زيد فيه)) .

((ولم يزل الشيخ أبو زيد يراقبه إلى أن كان في أوان البلوغ وهو ما زال في المكتب، فأتاه الحال، وأشرق باطنه بنور التوحيد واضمحلال ما سوى الله تعالى، وانخرط في سلك الشيخ رضي الله عنه، وصحبه إلى أن مات، ولم يفتر عما كان فيه من الاستغراق إلا سنين قليلة كان فيها تعلمه للعلوم الشرعية، وما هو خادم [8] فيها، ورجع إلى ما كان فيه)) .انتهى.

فطلب في السنين التي ذكر العلم عند أهل بلده بالقصر ؛ فجود القرآن العزيز على الشيخ الفقيه الأستاذ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الخباز القصري[1]، وقرأ عليه رسالة الشيخ أبي محمد بن أبي زيد، وألفية ابن مالك، ولاميته، و"الصغرى" للشيخ أبي عبد الله السنوسي. . وغير ذلك.

[ترجمة الشيخ عبد الرحمن بن محمد الخباز]:

وكان أبو زيد الخباز المذكور فاضلا مشاركا، وشرح "التفصيل في الطرق العشر" للشيخ أبي عبد الله ابن غازي، وأخذه رواية ودراية عن الشيخ الفقيه الحافظ أبي الحسن علي بن عيسى الراشدي عن ناظمه. وتوفي أبو زيد المذكور – رحمه الله – سنة أربع وستين وتسعمائة.

[رحلته الأولى إلى فاس]:

وسافر الشيخ أبو المحاسن مع والده إلى فاس المحروسة قبل سنة ستين ؛ فأدرك بها جماعة من المشايخ الأكابر؛ فمنهم: الشيخ الإمام المفتي أبو عبد الله محمد بن أحمد اليَسّيتني[2] ؛ وتوفي في محرم سنة تسع وخمسين بفاس، والشيخ الإمام القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن محمد الزقاق[3] ؛ وتوفي شهيدا بفاس سنة إحدى وستين، والشيخ الإمام خطيب جامع القرويين أبو زيد عبد الرحمن ابن إبراهيم الدكالي[4] ؛ وتوفي بفاس أول سنة ثنتين وستين، عن نحو سبعين سنة، وقد طال مرضه نحو السنة. . . وغيرهم من المشايخ رضي الله عنهم. ولم تطل إقامته بفاس، وعاد إلى القصر.

---

[1] لم أقف له على ترجمة.
[2] انظر ترجمة في: فهرسة المنجور (29)، و"جذوة الاقتباس" (152)، و"درة الحجال" (2: 201)، و"كفاية المحتاج" (145)، و"سلوة الأنفاس" (3: 59)، و"الفكر السامي" (4: 101).
[3] انظر ترجمة في فهرسة المنجور (57)، و"دوحة الناشر" (55)، و"زهر الآس" (469).
[4] انظر ترجمته في: فهرسة المنجور (56)، و"دوحة الناشر" (56)، و"الجذوة" (261)، و"درة الحجال" (3: 97)، و"سلوة الأنفاس" (130:2)، و"زهر الآس" (62:1). وكان يعرف بأبي "الرسالة": أي: لابن أبي زيد.

[رحلته الثانية إلى فاس وما أخذه عن مشيختها]:

ثم جدد الرحلة بعد الستين ؛ فتلافى الأخذ عمن بقي بها من المشايخ، وكان بها جماعة ؛

[ترجمة الشيخ محمد بن خروف التونسي]:

منهم: الشيخ الإمام، وحيد عصره بالمغرب في الأصلين والبيان والمنطق ؛ أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل خَرّوف التونسي[1]، وكان قد قرأ في تونس ومصر وغيرهما، وامتحن بالأسر ؛ ففداه سلطان فاس إذ ذاك: أحمد بن محمد الوطاسي المريني، وأقام بفاس تقرأ عليه تلك العلوم ؛ فهو مجدد سند تعليمها بالمغرب، وعنه أخذت على الحقيقة، وكان له دكان للشهادة إلى أن توفي بفاس سنة ست وستين.

[ترجمة الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابن جلال]:

ومنهم: الشيخ الإمام، مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها ؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن جلال التلمساني[2]. حدثني ولده: الفقيه الخطيب المفتي أبو العباس أحمد أنه: ولد بتلمسان سنة ثمان وتسعمائة، ورحل إلى فاس مع الخليفة أبي محمد عبد الله ابن الخليفة أبي عبد الله محمد الشيخ الحسني سنة ثمان وخمسين، وخطب بجامع الأندلس ثمان [9] سنين، ثم بجامع القرويين ثلاث عشرة سنة. وتوفي في أوائل شهر رمضان سنة إحدى وثمانين. لازمه الشيخ أبو المحاسن كثيرا، وقرأ عليه تفسير القرآن العزيز، وأصول الدين، والفقه، وقرأ عليه "الكبرى" و"الصغرى"، وكان الشيخ أبو عبد الله ابن جلال قد أخذها عن الشيخ الإمام المتفنن، الصالح الزاهد أبي عثمان الكفيف، وهو أخذ عن الشيخ السنوسي، وأخذ أيضا عن الشيخ أبي العباس ابن زكري رحمهم الله.

[ترجمة المقرئ محمد بن أحمد ابن مجبر]:

ومنهم: الشيخ الإمام، شيخ المقرئين والنحاة ؛ أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن مجبر المسَّاري[3] ؛ وتوفي في محرم سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة. قال شيخنا أبو عبد الله القصار: ((وولد في حدود سنة ثمان وتسعين وثمانمائة)). قرأ عليه العربية ؛ وخصوصا "الألفية" .

---

[1] انظر ترجمته في: فهرسة المنجور (69)، و"الجذوة" (205)، و"درة الحجال" (2:208)، و"لقط الفرائد" (297 و307)، و"السلوة" (3:281)، و"زهر الآس" (1:255)، و"الفكر السامي" (4:102)، و"فهرس الفهارس" (1:279).

[2] انظر ترجمته في: فهرسة المنجور (78)، و"دوحة الناشر" (123)، و"لقط الفرائد" (926 موسوعة)، و"زهر الآس" (1:284).

[3] انظر ترجمته في: فهرسة المنجور(63)، و"الجذوة" (154)، و"الدرة" (2:222)، و"السلوة" (3:128)، و"زهر الآس" (2:154).

[ترجمة الشيخ مبارك بن علي التارختي][1]:

ومنهم: الشيخ الإمام الزاهد المعمر سيدي مبارك بن علي التارختي المصمودي السوسي ؛ وكان من العلماء العاملين، ومن عباد الله الصالحين، أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي ابن هارون، والشيخ أبي محمد عبد الواحد الونشريسي... وغيرهما. وأخذ عنه: قاضي الجماعة أبو محمد عبد الواحد الحميدي ولازمه كثيرا، يقال: إنه قرأ عليه مختصر الشيخ خليل أكثر من عشر مرات. حدثني شيخنا الفقيه الصوفي الثقة الضابط الخطيب أبو عبد الله محمد بن علي النيجي الوزروالي – رحمه الله – أنه: كان لا يتزيا بزي الفقهاء ؛ كان يلبس الصوف الخشن. قال لي: « رأيته بجامع الأندلس على الكرسي الملاصق للصومعة، وعليه جلابية ». **والجلابية:** ثوب معروف من ثياب المهنة. وتوفي سنة ثمانين وتسعمائة. قرأ عليه: مختصر الشيخ خليل، و"جمع الجوامع" لابن السبكي. وأخذ عن جماعة غير من ذكر.

ومما قرأه بفاس: الحديث، والفقه ؛ خصوصا: مختصر ابن الحاجب ومختصر الشيخ خليل، وأصول الدين ؛ وخصوصا: عقائد الشيخ السنوسي الخمس، والمنطق ؛ وخصوصا: مختصر الشيخ السنوسي . وقرأ غير ذلك.

وكان شديد الحرص في طلب العلم والاجتهاد في تحصيله، دائم العكوف على الدراسة والمطالعة والنظر، لا ينام من الليل إلا قليلا، وربما طلع الفجر ولم يكتحل بنوم ؛ فحصل له من العناية الإلهية في الزمن اليسير ما لم يحصل لغيره في الأزمنة المتطاولة. وكان ثاقب الذهن، نافذ [10] الفهم، جيد الحفظ، سريع التحصيل، حاضر الذكر. إذا حفظ شيئا ؛ لم يكد ينساه. ولقد كان في آخر عمره يستحضر النصوص والأقوال والتوجيهات وغير ذلك في الفقه وغيره، مع بعد العهد بزمن التحصيل وكبر السن.

[رجوعه للقصر الكبير عالما ومدرسا]:

قال شيخنا أبو العباس: « رجع من فاس للقصر بعلم غزير ؛ فانتفع به الخاص والعام، وقام للعلم سوق، وأحيى به الله من يومئذ البلاد والعباد، وسرت محبة العلم وتعلمه في الخاص والعام، وظهرت بركته فيهم وفي أولادهم ؛ إذ كان علمه مصحوبا بالنور والفتح الرباني. فقد كان قبل ذلك وبعده صحب الشيخ العارف الكامل، قطب الأحوال: أبا زيد عبد الرحمن المجذوب كما تقدم ذكره ؛ فهو الذي اقتبس الشيخ أبو المحاسن من أنواره، وسلك على منهاج آثاره، وبلغ على يديه المبلغ العظيم، وفتح له الفتح الجسيم، وكيف لا؟! ؛ وصحبته له إنما كانت وهبية واختصاصية لا كسبية!، فكان الشيخ هو الطالب كما تقدم ذكره ». هـ .

---

[1] انظر ترجمته في: فهرسة المنجور(78)، و"السلوة" (3:290)، و"زهر الآس" (1:213).

ولما رجع إلى القصر ؛ عقد مجالس لأنواع العلوم تنافس الناس في حضورها والإكباب عليها، وكان فصيح اللسان، متمكنا من الإيضاح والبيان، حلو العبارة، عذب الإيراد، أعطي بسطة في التعبير، وإيراد المعنى الغامض باللفظ السهل، وتنزيل المعقول منزلة المحسوس بالأمثلة الواضحة، تتلقى كلامه الأسماع والقلوب شأن المأذون له في التعبير.

وكان يطرز ما يلقيه من أنواع العلوم بنكت صوفية ، وإشارات عرفانية، وإنشادات رقيقة، وحكايات رشيقة، يصدر ذلك عن قلب معمور، ولسان مأمور، وحال غالب، ووقت طالب. . فيبرز عليه كسوة القلب الذي منه برز ؛ فيشرق نوره في سامعيه، ولم يخل من حاله من يحضره ومن يعيه، ونفع الله به خلقا كثيرا، وتخرج به كثير من أهل الطلب، وسرت المعرفة بأمور الدين في العامة، وسرى ذلك إلى من إلى نظرهم من أهل وولد، فاستقل في ذلك القصر برياسة العلم والدين، منفردا في ذلك إماما متبوعا، وأقام على ذلك بالقصر أزيد من عشرين سنة مواظبا على نشر العلم وإفادته، وما قبض على ذلك قط فلسا فصاعدا من أجرة أو معونة، إنما كان عمله ذلك لله تعالى.

وجيء إليه مرة [11] بظهير على يد صاحب البلد بمعونة على ذلك ؛ فما مسه بيده، وتوقاه توقي الأفعى، فبقي مطروحا . وكان ذلك آخر عهده به.

وكان له حرص عظيم على تحصيل العلم ونشره، مكرما لأهله، معظما لهم، محرضا لهم على تعلم العلم وتعليمه، معينا لهم بما أمكن، مواصلا لهم، متفقدا لأحوالهم، لا يؤثر على استفادة العلم وإفادته عملا. وقد قال سفيان: « ما أعلم عملا أفضل من طلب العلم »، وقال الشافعي[1]: « طلب العلم أفضل من النافلة »، وقال مالك[2] لابن وهب لما جمع كتبه وقام يتنفل: « ما الذي قمت إليه بأفضل مما كنت فيه ؛ إذا حسنت النية! ». وقيل لأحمد بن حنبل[3]: « هذا العلم ؛ فمتى العمل؟ ». قال: « ألسنا نحن في عمل؟ ».وسيأتي ذكر ما كان عليه بعد انتقاله إلى فاس.

[ترجمة الشيخ الحسن بن محمد الهداجي الدراوي][4]:

ولما انتقل إليها ؛ كان الشيخ العالم الصالح، المتفنن النفاع ؛ الأستاذ أبو محمد الحسن بن محمد الهداجي ؛ المعروف بالدراوي – نسبة إلى درعة ؛ القطر المعروف في لسان العامة بدرا، ورأيته بخطه: الدراوي بألف بعد الراء – يعتاد زيارته ؛ فقال له يوما: « يا سيدي ؛ اقبلني لله ». فقال له الشيخ أبو المحاسن: « أو استحسنت ما نحن فيه من طريقة الفقراء ؟! » . فقال الشيخ: « من لم يستحسن ما أنتم فيه فما الذي

---

[1] توفي الشافعي رضي الله عنه: 205 . نسخة (ب) .
[2] توفي مالك رضي الله عنه: 179 . نسخة (ب) .
[3] توفي أحمد بن حنبل رضي الله عنه: 251 . نسخة (ب) .
[4] انظر ترجمة في: "نشر المثاني" (1090 موسوعة)، إلا أنه سمى والده: أحمد بدل محمد ، و"الروض العطر" (191)، و"الصفوة" (8)، و"التقاط الدرر" (1:29) و"السلوة" (3:83) .

يستحسن؟ ! ». فقال له الشيخ أبو المحاسن : « تعال إلى أمر لي ولك فيه قصد ، ولا تفوتك فيه ثمرة قصدك ؛ وهو : أن نعقد الأخوة في الله تعالى ، ونتشاطر أعمالنا » . فقال له الشيخ أبو محمد: « يا سيدي ؛ لك الفضل فيما تفعله ». وأكب عليه ؛ فتعاقدا على ذلك، فلقد رأيته عند الشيخ أبي المحاسن وهو يباسطه ويقول له: « مرحبا بشريكي ».

وكان الشيخ أبو محمد من أهل العلم والتفنن فيه، والعمل الصالح والنية الصالحة، والزهد، نفع الله به خلقا كثيرا من طلبة العلم، وكان رفيقا بهم، حريصا على نفعهم، ميسرا عليهم، دؤوبا في جميع نهاره على التجويد بالإفراد والجمع[1]، وتدريس أنواع العلوم، حتى توفي بالطاعون، وصلي عليه في صلاة الجمعة الخامس عشر من شعبان سنة ست وألف، ودفن خارج باب الفتوح. وبنيت عليه هنالك قبة، وقبره مشهور؛ يزار ويتبرك به.

وكان شيخنا العلامة المحقق أبو الطيب الحسن بن يوسف ابن مهدي قد ترك التدريس العام سنين انفردت أنا فيها بالقراءة عليه، وأقبل على سلوك طريق [12] القوم، فطلب طلبة العلم من الشيخ أن يأمره بالتدريس ؛ فأمره إذ ذاك الشيخ أبو المحاسن بالاجتهاد في تعلم العلم، وقال: « أحب أن يكون لي في نشر العلم نصيب لا ينقطع إن شاء الله »، وكان يقوم بجميع مؤون شيخنا أبي الطيب، وكان ولده – شيخنا أبو العباس أحمد – وأخوه – شيخنا أبو محمد عبد الرحمن – يدرسان في أنواع العلوم، فكانت ساحة الشيخ لا تخلو من إفادة علم زيادة على مجلسه هو.

وفيما بعد الألف ؛ أمر الشيخ أبو المحاسن بجعل كرسي بشرقي جامع القصر ليقرأ عليه التفسير تدريسا، وبنى طرازا هنالك وحبسه عليه، ولم يكن قبل ذلك في القصر كرسي للتفسير ولا حبس عليه، وأمر شيخنا العلامة أبا عبد الله محمد بن علي القنطري[2] بقراءته، وأعطاه نسخة من ابن عطية لذلك ؛ فكان على ذلك إلى أن توفي في سابع عشر ربيع الثاني عام ثمانية عشر وألف شهيدا بظاهر فاس، ولم يعلم قاتله رحمه الله.

وسيأتي في تضاعيف الفصول ما يناسب هذا الفصل ؛ لكنه حاز السباق فيها، فأكتفي بذكره هنالك.

الفصل الثاني

[1] أي: إفراد القراءة برواية من الروايات كورش مثلا، أو جمعها مع القراءات السبع.
[2] انظر ترجمته في: "نشر المثاني" (1169 موسوعة) وذكر أن وفاته عام 1017، و"السلوة" (285:3)، و"تحفة الأكياس" (447).

قال شيخنا أبو العباس بن الشيخ أبي المحاسن فيما قرأته بخطه: « لقي الشيخ أبو المحاسن من الشيوخ والأولياء الأكابر – رضي الله عنهم – خلقا كثيرا لا يحصون، وكان في لقياهم على مقصدين ؛ منهم: من لقيه على سبيل التحكيم في نفسه، وسلب الإرادة بين يديه، وملازمة خدمته، ولم يكن بهذا الوصف جملة إلا مع أستاذه: أحد أكابر محققي أهل الله، صاحب المحبة الذاتية، وقطب زمانه في الأحوال الربانية ؛ سيدي أبي زيد عبد الرحمن بن عيَّاد المعروف بالمجذوب[1]، فلا ينتسب إلا إليه، ولا يعتمد في هذا الشأن إلا عليه ». انتهى. ما وجدته بخطه رضي الله عنه وأرضاه.

وقال عمي شيخنا الإمام أبو محمد عبد الرحمن فيما قرأته بخطه: « أخذ الشيخ الحقيقة وشرب كووسها صفوا عن عدد من الشيوخ لا يحصون ؛ شهادة وغيبا. وعمدته: شيخه المجذوب، يتصل بالشيخ زروق بالولادة الروحانية الاختصاصية، وبالشيخ التباع بلقاء غير واحد [13] بعد ذلك من أصحابه وخدمته، وتربيتهم له وانتفاعه بهم ». هـ.

[مشايخ الشيخ أبي المحاسن في الطريق تبركا وأسانيدهم]

وأما المشايخ الذين لقيهم على سبيل التبرك بهم والاستفادة منهم، والتعرض لنفحات الله من قِبَلهم ؛ فخلق كثير من أهل الظهور والخفاء، ولا يمكنني استيفاء ذكرهم . وممن حضرني الآن ذكره ممن ذكره شيخنا أبو العباس وقرأته بخطه منهم جماعة:

[1- محمد بن يوسف الفاسي]:

منهم: والده الشيخ أبو عبد الله امحمد[2] بن يوسف. وسيأتي ذكره وسنده في الباب الثاني إن شاء الله.

---

[1] انظر ترجمته في: "ممتع الأسماع" (138)، و"الاستقصا" (88:5)، و"السلوة" (221:2)، و"إتحاف أعلام الناس" (276:4) وألف بخصوصه الحافظ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت 1096). "ابتهاج القلوب بأخبار الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب"، لا يزال مخطوطا.

[2] كتابتنا (امحمد) بالألف، تعني: محمد بفتح الميم.

[2- إبراهيم بن أحمد بن محمد الزواري][1].

ومنهم: الشيخ أبو سالم إبراهيم الزواري – بزاي وواو مفتوحتين، وألف مد، وراء مكسورة، وياء نسب – التونسي. وكان من أهل الولاية والعرفان، وجلالة القدر وكبر الشان، قدم من تونس وأوطن القصر سنين، وكان الشيخ أبو المحاسن يتردد إليه في تلك المدة، إلى أن رحل إلى فاس، وبها توفي سنة إحدى وستين وتسعمائة وهو ابن مائة سنة وست وثلاثين سنة أو نحوها[2]، ودفن بقرب روضة الشيخ أبي عبد الله امحمد بن الحسن، خارج باب الجيسة.

وصحب خمسة وثلاثين شيخا ؛ منهم: الشيخ الولي الكبير، شيخ وقته ؛ أبو العباس أحمد بن عروس التونسي ؛ وعليه اعتماده، وعلى يديه فتح له، وهو أخذ عن الشيخ الولي الكبير فتح الله العجمي. ومنهم: تلميذ الشيخ ابن عروس: الولي الكبير أبو المؤيد المنصور الزواري التونسي ؛ ومنه اكتسب صاحب الترجمة اسم: الزواري. ومنهم: الشيخ أبو العباس ابن عقبة. ومنهم: الشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزيتوني. ومنهم: تلميذهما الشيخ أبو العباس أحمد بن أحمد زروق. ومنهم: الشيخ الولي الكبير أبو عبد الله محمد – الملقب: عرفة – القيرواني وهو أخذ عن والده الشيخ أبي العباس أحمد بن مخلوف الشافي القيرواني عن الشيخ أبي محمد عبد الوهاب الهندي عن مشايخ كمّل هنديين وسنديين عن الشيخ أبي مدين. ومنهم: الشيخ أبو محمد عبد العزيز التباع ؛ لقيه بمراكش. ومنهم: الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي ؛ وهو آخر من أخذ عنه من المشايخ - رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم أجمعين. آمين. . . وسيأتي طرف من أخبار الشيخ أبي سالم إن شاء الله تعالى.

[3- محمد كانون المطاعي][3].

ومنهم – أي: مشايخ أبي المحاسن – الشيخ أبو عبد الله محمد كانون المطاعي. من أولاد مطاع؛ قبيلة من العرب معروفة بالمغرب. وكان كبير الشان، من أهل الولاية والعرفان. وتوفي سنة إحدى وثمانين وتسعمائة [14] عن سن عالية. وهو أخذ عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع[4].

---

[1] انظر ترجمته في: "ممتع الأسماع" (78)، و"السلوة" (124:3)، و"زهر الآس" (475:1). ومنه ومن "السلوة" أخذت اسمه كاملا.
[2] ومولده تقريبا: 824 . نسخة (ب) .
[3] انظر ترجمة في: "ممتع الأسماع" (70)، و"إيليغ قديما وحديثا" (17).
[4] توفي 965 . نسخة (ب) .

[4- محمد بن علي الهواري الزمراني][1]:

ومنهم: الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن مهدي بن عيسى بن أحمد الهواري الزمراني، المعروف بالطالب. العالم العارف، الولي الشهير، دفين خارج باب القليعة من داخل باب الفتوح من أبواب فاس حاطها الله. وتوفي سنة خمس وستين وتسعمائة[2]، وهو أخذ عن الشيخ أبي محمد الغزواني. وسيأتي أيضا ذكره إن شاء الله.

[5- عبد الله بن محمد الهبطي الطنجي][3]:

ومنهم: الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد[4] بن الطنجي ؛ المعروف بالهبطي ؛ بسكون الباء. نسبة إلى الهَبَط بفتحها، وهو القطر المعروف، ومنه طنجة أعادها الله للإسلام[5]. كان سلفه بها وخرجوا منها حين أخذت سنة إحدى وأربعين وثمانماية، وهو من أكابر أهل العلم والعرفان، ورفعة القدر الواضحة البرهان، كانت تلك الجبال التي كان بها – وهي: جبال غمارة – كثيرة الجهل وشرب الخمر وغير ذلك من المناكر ؛ فبذل الوسع في تعليم التوحيد، وتقرير العقائد، وتغيير المناكر، وخاطب في ذلك ولاة البلاد وأشياخ القبائل ومن له كلمة مسموعة فيهم، ووعظ وذكر، وبلغ الغاية في الاجتهاد في ذلك ؛ فنفع الله به نفعا عظيما، وهدى به عالما لا يحصى، وحسن حال البلاد وأهلها.

وكانت له معرفة تامة بعلوم القوم، وقصد في أول أمره الشيخ أبا عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجبش بتازا ؛ فوجده في مرض موته، وكان يدخل إليه مع العواد. وتأخر يوما عنهم في الخروج ؛ فمازحه الشيخ وانتفع بذلك في حكاية معروفة[6].

وتوفي الشيخ أبو عبد الله سنة عشرين وتسعمائة ؛ فتردد بعده في قصد الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف بمليانة، أو الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني بفاس، وكان يستخير الله تعالى في ذلك ؛ فيسر له قصد الثاني ؛ فقصده بفاس وصحبه، وفتح له على يديه فتحا عظيما، وكان من أمره ما هو مشهور، وكان مع ذلك شديد التعظيم للشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف ؛ رأيته في مواضع من كلامه، وكانت له مكاتبة ومراسلة للشيخ أبي عبد الله الخروبي.

---

[1] انظر ترجمة في: "ممتع الأسماع" (86) وأطال فيها.
[2] وذكر تلميذه الشريف في "دوحة الناشر" أنه توفي سنة: أربعة وستين. والله أعلم. نسخة (ب).
[3] ترجمه في "الدوحة"(7)، و"ممتع الأسماع" (74)، و"نشر المثاني" (35:1)، و"الاستقصا"(87:5)، و"شجرة النور" (284).
[4] كذا في "درة الحجال"، عند غيره: عبد الله بن علي، وهو غلط. نسخة (ب).
[5] وقد فعل والحمد لله (حجرية). وكان ذلك عام 1095 هجرية.
[6] ذكر صاحب "دوحة الناشر" عن سيدي عبد الله الهبطي أنه حدثه قال: ((دخلت على الشيخ ابن يجبش وهو بمنزله بتازى وقد تمارض، فوجدته جالسا في فراشه، فسلمت عليه وقلت له: يا سيدي؛ ما معنى الوصال؟. فقال: الوصال؟! . ومازال يمد لسانه به حتى سقط مغشيا عليه، فخرجت عنه وتركته كذلك)) .هـ .من خط سيدي عبد الرحمن الفاسي . نسخة (ب).

قال ولده أبو عبد الله محمد الصغير: « سألته – يعني: والده الشيخ أبا محمد – سنة ثلاث وستين وتسعمائة عن سنه ؛ فقال لي: بلغت سبعين سنة[1] . قال: وفي ذي القعدة من هذه السنة توفي غدوة الثلاثاء، ودفن يوم الأربعاء »، ولم يؤرخ أيام الشهر، وقبره مشهور [15] بمنزل يعرف بمعاتب، وبه كانت سكناه بحوز شفشاون حرسها الله.

[6- عبد الله بن ساسي البوسبعي][2]:

ومنهم: الشيخ أبو محمد عبد الله بن ساسي البوسبعي – بفتح الباء، وهي اللغة المنحرفة في السُبُع بضم الباء –كان من أكابر المشايخ الأعيان، وأجلة المشاهير من أهل هذا الشان، صحب الشيخ أبا محمد عبد الله الغزواني، وعول عليه وانتسب إليه، واختصم فيه الشيخان أبو محمد الغزواني وأبو الحسن علي بن إبراهيم البوزيدي[3] ؛ فقال الشيخ أبو الحسن: « أنا أحق به ؛ فقد عينته وهو في بطن أمه! ». فقال له الشيخ أبو محمد: « أنا أحق به ؛ فقد عينته وهو في صلب أبيه! ! ». فاستحقه. وتوفي – رضي الله عنه – ليلة الجمعة السادس والعشرين من شعبان سنة إحدى وستين وتسعمائة، وقبره مشهور مقصود بزاويته بالقرب من حوز مراكش حاطها الله.

وكان الشيخ أبو الحسن بن إبراهيم من مشاهير الأولياء الأكابر، وتوفي في شعبان سنة ست وخمسين وتسعمائة. أخبرني بذلك حفيده: الفقيه أبو العباس أحمد الزقاق، وقيل: سنة سبع. والله أعلم.

[7- سعيد بن أبي بكر المشنزائي[4]]:

ومنهم: الشيخ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشنزائي، وكان من أكابر الأولياء ومشاهير المشايخ، وذوي الهمم العالية، وتوفي (. . .)[5] ودفن خارج باب المشاورية؛ أحد أبواب مكناسة.

وأخذ عن الشيخ أبي عثمان سعيد الداعي ؛ دفين المقبرة من حوز فاس – حاطها الله – عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع.

---

[1] بل نص تلميذه الشريف في "دوحة الناشر" أنه نيف على الثمانين سنة . نسخة (ب) .
[2] انظر ترجمته في: "ممتع الأسماع" (101) .
[3] وفاة أبي الحسن بن إبراهيم البوزيدي: 956 . نسخة (ب) .
[4] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (124)، وقال: « توفي – رحمة الله عليه – في أواسط العشرة السادسة؛ بل في آخره، ودفن بزاويته. . . » بزاويته. . . » . و"الأعلام" (141:10) .
[5] في أواخر العشرة السادسة من المائة العاشرة. كذا ذكره في "الدوحة" . (انتهى مصحح الطبعة الحجرية) .

[8- محمد بن مخلوف المصباحي][1]:

ومنهم: الشيخ أبو عبد الله محمد بن مخلوف بن محمد الحسن بن عيسى المصباحي.

[9- الحسن بن عيسى المصباحي][2]:

ومنهم: الشيخ أبو محمد الحسن بن عيسى المصباحي ؛ وكان من الأولياء الأكابر، وذوي الزهد والإيثار، وإطعام الطعام. وتوفي في العشرة الثامنة من المائة العاشرة، ودفن بالموضع المعروف بالدعداعة على وادي مضى من عمل القصر الكبير حرسه الله. وأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أبي عسرية المصباحي عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع.

[10- محمد بن مخلوف الضريسي[3]]:

ومنهم: الشيخ أبو عبد الله محمد بن مخلوف الضريسي، دفين بوشفان من بلاد ضريسة ببلاد الهبط، عمل القصر الكبير، حرسه الله ؛ وكان من أهل الولاية والمكاشفة، وصدق الفراسة وجلالة القدر، وأخذ عن الشيخ أبي حفص عمر بن مبارك الحصيني ؛ الولي الكبير دفين خارج باب عيسى من أبواب مكناسة - حرسها الله - عن الشيخ محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي. وأخذ [16] أبو حفص أيضا عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع.

[11- أحمد بن منصور الحيحي][4]:

ومنهم: الشيخ أبو العباس أحمد بن منصور الحيحي ؛ نسبة إلى حاحة، يستعملها أهل المغرب على غير قياس، من عمل مراكش حاطها الله، واستوطن القصر حرسه الله ؛ وكان من أهل الولاية والعرفان، وشهد له شيخه أبو محمد عبد الله الغزواني فيما كتب به إليه ورأيناه بخطه با (...)[5]. ذكر الشيخ أبو المحاسن أن أول حالة تحقق بها: على حالة الشيخ أبي العباس أحمد بن منصور. قال: « أوتيت ببرنس ذي مفاتيح »، قال

---

[1] لم أقف له على ترجمة، وجاء اسمه ملحقا في الهامش.
[2] ذكره في "نشر المثاني" (1:151)
[3] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (137).
[4] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (101).
[5] هكذا هذا البياض بأصل المؤلف: (حجرية). قلت: وكذلك في النسخة (ب).

شيخنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد ؛ و هو عمي رضي الله عنه: « فيه إشارة إلى التصريف ؛ من رفع وخفض، وولاية وعزل. . وغير ذلك مما هو معلوم عند أهله ».

[12- سالم العماري] [1]:

ومنهم: الشيخ الولي، ذو الأحوال الربانية ؛ أبو النجا سالم العَماري. وأخذ عن الشيخ الولي الجليل أبي زيد عبد الرحمن بن ريسون الشريف الحسني؛ دفين تاصروت من جبل العَلم، وهو عن الشــيخ الغزواني. ولقــنه الشيخ أبو النجا أن يقرأ أول سورة الحديد إلى[2]: ﴿ وهو عليم بذات الصدور ﴾، وآخر سورة الحشر من قوله تعالى: ﴿ هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة ﴾. . . إلى آخرها، ثم يقول بعد ذلك: « اللهم يا أحد يا صمد، يا من لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، اغفر لي ولوالـدي وللمومنين والمومنـات، يا سميع يا قريب يا مجيب الدعاء، يا الله. يا الله. يا الله ». يقول ذلك سبع مرات بعد كل صلاة مكتوبة. وقال: « لقنه ذلك الشيخ أبو زيد بن ريسون عن الشيخ الغزواني ».

وأخذ الشيخ أبو المحاسن عن جماعة من المشايخ غير هؤلاء يطول ذكرهم، وقد تقدم ابتداء أمره في صباه مع شيخه المجذوب، وما كان يذكره من شأنه ؛ فكانت صحبته إياه وهبية اختصاصية كما تقدم، فكان الشيخ هو الطالب له، وكان من أول الأمر مأخوذا عن نفسه، إلا أن رسومه محفوظة عليه، وكان من التدارك الرحماني أن مكن في سنين قليلة من تحصيل العلوم ؛ فتكيف له من ذلك ما لم يتكيف لكثير من الطالبين في أضعافها ﴿ ذلك فضل الله يوتيه من يشاء ﴾. [الحديد: 21].

وقد قال الشيخ أبو العباس ابن العريف رضي الله عنه: « إذا أراد الله أن يهيئ عبدا للإمامة والاقتداء ؛ شغله في أيام غفلته بعلم الظاهر من القراءة والعربية والفقه والحديث، ثم ينقله إلى علم الأحوال والمقامات ؛ فعند ذلك يستحق [17] الإمامة والتقدم. . . »[3]. هـ.

ولما قضى وطرا من تحصيل العلم الظاهر ؛ أقبل على سلوك الطريق بصدق القصد إلى الله تعالى، والتوجه إليه، وجمع الهمة عليه، ورفعها عما سواه. ولزم شيخه أبا زيد المجذوب؛ فكان يربيه بالحال، ويرقيه في مدارج الكمال، وكان يمتحنه كثيرا، ويلقي عليه مشاق لا يـقف لها إلا من أيده الله تعالى ؛ يهذبه بذلك، فيتلقاها ثبْتا لا تحوم الاستكانة حوله، واقفا في موقف الخدمة بنفسه وماله. فأنفق عليه جميع ماله حتى لم يبق بيده شيء من عرض الدنيا إلا دارا كانت بمحل الضرورة لسكناه. فأمره يوما أن يحمل إليه مبلغا سماه ؛ فجاء إلى داره عازما على بيعها ؛ فحين أخذ في ذلك ؛ فتح عليه بذلك المبلغ، فسلمت الدار من البيع، وسطت

---

[1] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (158).

[2] قف على ما يقرأ بعد كل صلاة مكتوبة، والزمه وتحافظ عليه، حفظنا الله وإياك بما حفظ به أولياءه الصالحين في الدنيا وفي الآخرة، آمين يا رب العالمين. نسخة (ب).

[3] وهذا أمر في غاية الأهمية في هذا الوقت، حيث نجد أغلب مشايخ الطرق الصوفية يهملون إرشاد مريديهم إلى التفقه في أحكام الشريعة، ويشغلونهم عن ذلك بالحقائق والأذكار الصعبة التي حسبها أن تبعدهم عن الله تعالى. ويأتي كلام الشيخ في ذلك قريبا.

عليه الدنيا من يومئذ، وظهرت عليه في حياة شيخه بركته ظهورا لا يشك فيه ذو بصر أو بصيرة، فعلا شأنه، وأشرقت فيه أنوار المعارف ؛ فتحقق بمقامات الواصلين، ومنازل المقربين، ومراتب المحققين، وأعطي التأييد والتمكين.

ولم يزل مع شيخه على سنة المريد مع الشيخ، وكان كثيرا ما يجيئه طالب الإرادة ؛ فيرده إلى الشيخ. إلى أن توفي الشيخ – رضي الله عنه – وكانت مدة صحبته إياه منذ سلب الإرادة تزيد على عشرين سنة، وشيخه في جميع ذلك ينوه باسمه، ويشيد بذكره، ويعرّف بحقه، ويشهد له بالتحقيق بالكمال.

وكان كثيرا ما يقول فيه: « لا يوجد مثله ولو فتش المفتش ما عسى أن يفتش »، ويقول فيه: « إنه كالملح لا يستغني عنه أحد »، ويصرح كثيرا بأنه المقصود من أصحابه. وكلامه فيه كثير جدا، فلا يوجد أحد من أصحاب شيخه إلا ويحفظ بعض ما كان يثني به عليه. وكان يوصي به ويحض على صحبته. ولما كان في مرض موته ؛ جمع أصحابه وأوصاهم به وقال لهم: « إنما جمعتكم لأن الموت فوت »، ثم جعل يصف لهم الرجل الكامل حتى أتى في ذلك بما أراد. وكان الشيخ أبو المحاسن عند رأسه، فأومأ إليه شيخه، وجعل يده على رأسه ثم قال: « وهذا هو! ». وقال لهم: « إنه لم يتركهم يتامى ؛ بل صاحبهم معهم».

[تأهل الشيخ أبي المحاسن للمشيخة]:

ولما توفي – رضي الله عنه – أقبل أصحابه على الشيخ أبي المحاسن، وتأهل رضي الله عنه للمشيخة في علمي الشريعة والحقيقة، ونهض بأعباء الطريقتين بتأهيل الله تعالى وتأييده، وكثر تابعوه، وكان مفزعا [18] لأرباب القلوب والأحوال في مداواة عللها وحل مشكلها، فكان مقصودا لذلك من المريدين والمشايخ، كل بحسبه، وكانت مشايخ تلك البلاد وما أضيف إليها يبالغون في تعظيمه، ويعترفون بجلالة قدره، ويعدونه لحل المقفلات، وثبات المشكلات، فكانوا يزلفون إليه، ويدينون بالتواضع بين يديه ؛ رضي الله عن جميعهم، وأفاض علينا من بركاتهم.

[ابتلاء الشيخ أبي المحاسن ومناظرته بفاس]:

وكان الشيخ أبو زيد ربما تصدر منه أمور ينكر ظاهرها من لم يعرف حقيقة باطنها ﴿ وما يعقلها إلا العالمون ﴾ [العنكبوت: 43]، وكانت هنالك فئة تنتسب إلى التعلق بطرف من العلم، وصحبة أهل الطريق ؛ فنقموا على الشيخ أبي المحاسن صحبته ورجوعه في الطريق إليه، مع ما هو عليه من العلم ونباهة الذكر واقتداء الناس به ؛ فزعموا أن صحبته إياه وتلمذته له أوطأت العامة عقبه، وسببت لهم اتباعه والدخول في حزبه، وشوشوا بذلك إلى أن آل الأمر إلى الترافع إلى الحضرة حيث العلماء والسلطان، وأعدوا رسوما على وفق دعواهم لفقوها بشهادة جاهلين ومتساهلين، وتواعدوا إلى حضرة فاس.

فخرج الشيخ أبو المحاسن من القصر في جماعة ممن إليه، وذلك في ذي القعدة – أو ما يقرب منه – سنة أربع وسبعين وتسعمائة، وشيعه أهل القصر كافة، واجتاز قصدا في طريقه بشيخه ؛فما اكترث بما هم فيه ولا بالى به، وأخذ يوصيهم بأمور يقضونها بفاس ؛ حتى قال بعضهم[1]: « صحبنا هذا الرجل حتى انتهى الأمر إلى ما نحن فيه ثم لم يبال بذلك ؛ لقد أضعنا أنفسنا ! ». فقال لهم الشيخ أبو المحاسن: « لو فهمتم ؛ لعلمتم أنه بشركم بأنكم الأعلون ! ».

وساروا إلى أن وصلوا إلى فاس، وقد اعتقد أن لا يستعين بمخلوق ولا يركن إليه، فمضى على ذلك، وجاءت به الطريق إلى باب مسجد السيد الولي الإمام إدريس بن إدريس الشريف الحسني[2]، الذي يزار به قبره، فلقيه هنالك الشيخ الجليل، الماجد الأصيل ؛ أبو سرحان مسعود بن عبد الرحمن الحِمْيَري ؛ المعروف بقصارة، رحمهم الله، وكانت له صداقة معه ومع أبيه من قبل، وكانت له دار مجاورة للمسجد المذكور، وكان جوادا فاضلا، فأقسم على الشيخ أبي المحاسن بما لم يسعه إحناثه أن لا يبرح حتى يهيئ له الدار لنزوله ونزول أصحابه معه ؛ ففعل وترجل عن فرسه، ودخل للمسجد ليقضي حق الزيارة وينتظر الشيخ [19] أبا سرحان، وقال لأصـحابه تأنيسا لهم: « إنكم نزلتم في حجـر سـلطان فاس وإمامها وبانيها ؛ فلا تخـافوا ظلما ولا هضما ».

ووصلت – أيضا – الفئة الأخرى ؛ وكان لهم تعلق بأهل الدولة، وانتهى حضورهم بفاس إلى من له الأمر؛ فأرجئوا ثلاثة أيام، ثم دعوا إلى الاجتماع بمقصورة خطيب القرويين ؛ وكان: الشيخ أبو عبد الله بن جلال هو الخطيب ومفتي فاس وعميد علمائها، وشيخ الجماعة بها. وحضر عنده هنالك جميع علماء فاس، وحضر الفريقان، فلما استقر المجلس ؛ قال لهم الشيخ أبو عبد الله ابن جلال: « إنما أخرناكم هذه الأيام الثلاثة لنبحث عن هذا الرجل – يعني: الشيخ أبا المحاسن – ونستقرئ الشهادات فيه ؛ فأجمع الناس على علمه وعدالته وفضله ». فقالت تلك الفئة: « نحن أول من يشهد بذلك، ولا نزاع عندنا في هذا، ولكن هذا هو مثار النزاع، فإنا إنما أنكرنا أن يكون بهذه المثابة من العلم والدين واقتداء الناس به ؛ ثم إنه يتلمذ لذلك الرجل الذي أنكرنا منه ما أنكرناه ». فقال لهم الشيخ أبو عبد الله بن جلال: « هل عندكم مقال غير هذا ؟ ! ». فقالوا : « لا مقال عندنا إلا هذا ! ».

فقال لهم: « لو ألهمتم رشدكم ما تعرضتم لذلك، وحسبكم الاقتداء بمن علمتم علمه وعدالته، وإنما أوتيتم من الجهل المركب. وقد كان سيدي الحلوي بتلمسان تصدر منه أمور أشد من الأمور التي أنكرتم، والناس يعترفون بولايته، ولم يفعلوا كما فعلتم. انصرفوا واغتنموا الســلامة ولا تعودوا لمثله فتتعرضوا لوعيد من آذى وليا ! ». ووافقه على ما قاله كل الحاضرين من العلماء.

فخرجوا من المقصورة وقد انحشر خلق عظيم إلى ساحة المقصورة ينظرون ما تفصل به القضية، وكأنما دعاهم داع، وصرخ بهم صارخ، فلما خرجت تلك الهيئة ؛ انطلقت فيهم الألسنة بالثلب والتثريب، فكبر

---

[1] وهو: أبو الحسن القنطري والله أعلم . نسخة (ب) .
[2] ولد يوم الاثنين الثالث من رجب 177، وتوفي: 213 . نسخة (ب) .

عليهم الرجوع إلى القصر بتلك الحال ؛ فتفرقوا . عفا الله عنا وعنهم. ورجع الشيخ أبو المحاسن يحدث بنعمة الله تعالى، وما زاده ذلك إلا ظهورا وجلالة.

[ترجمة الشيخ أبي عبد الله الشوذي الحلوي][1]:

وما أشار إليه الشيخ أبو عبد الله ابن جلال من حال سيدي الحلوي ؛ هو — والله أعلم — ما ذكره الشيخ أبو إسحاق بن فضيلة في كتاب "عين الخبر فيما بدا وظهر من الطوائف الصوفية"، فقال ناقلا عن قطب الدين القسطلاني: ((وكان ممن ظهر ببلاد المغرب على مذهب الحلاج أو قريب منه: أبو عبد الله الشوذي المرسي، وكان بتلمسان، [20] وصحبه ابن دهاق الأوسي، ومن تلامذة ابن دهاق: أبو عبد الله محمد بن أحلى ؛ القائم بلورقة[2]. قال أبو إسحاق بن فضيلة: وكان الشوذي يطوف في البلدان، ويبيع في أزقتها الحلوى، وبذلك سمي: الحلوي، ولم أسمع أنه ألف تأليفا، ولم يذكروا عمن أخذ الطريق، بل يقولون: أخذ عن الأولياء ؛ ولذلك ينسبون المذهب إليه ويسمون الطائفة بالشوذية، ولم نعلم أنه ابتدع هذا المذهب، ولا أنه كان يتمذهب به . . قال: ولعله كان على غير ما نسبوا إليه؛ وهو الغالب على الظن إن شاء الله، وإن صحت نسبته إليه ؛ فأمر الكل إلى الله)) . انتهى. كلامه رحمه الله.

الفصل الثالث

[1] أبو عبد الله الشوذي الإشبيلي؛ المعروف بالحلوي، نزيل تلمسان، وهو من أكابر العارفين . قال أبو محمد ابن هنان: ((أتيت تلمسان زائرا، فرأيت هذا الشيخ بالسوق وهذه مائدة الحلوى، ويمروا به الصبيان ويعطيهم منها ، فتفرست فيه مخايل القوم . فاتبعته والصبيان يتقرون له في أكفافهم وهو يشطح، وربما أنشد مقطعات شعر متعرض في معنى المحبة، فلم أشك أنه من الصالحين، ثم أخذ شيئا في ثمن حلوائه كسرة خبز يتصدق بها على يتيم . فقلت في نفسي: هذا مولها (كذا)، وكان ذلك برمضان . فلما جاء الفطر ابتعت سميدا وعسلا، قلت لعمي: اصنع شيئا من المشهدة (كذا) يفطرها رجل من الصالحين عندي . ففعلت والتمسته بعد صلاة العيد؛ فلم أجده . فحوقلت وقلت في نفسي: اللهم بحقه فاجمع بيني وبينه في هذه الساعة! ، فإذا هو عن يميني!، فانضم إلي وقال: صنعت عمتك المشهدة؟ . فقلت: نعم! . فقال: سر بنا إلى موضع نأكل به هذه المشهدة الحاضرة وحينئذ نمشيوا (كذا) إلى دار عمتك . فقمت معه إلى خارج الشريعة (كذا، وأحسبها: باب الشريعة) فأخرج من تحته صحفة مغطاة بمنديل نظيف، وكشطه فإذا فيه مشهدة لم ير مثلها في الدنيا . فأكلنا وتوجهنا إلى دار عمتي، وأخرجت لنا مشهدتها، فإذا هي لم تشبه الأولى في شيء . فأكلنا منها قليلا، وعند فراغنا قال لي: بماذا تحدث؟ . قلت: بالقراءة . قال لي: أتريد أن تقوى؟ . قلت: نعم . قال: إيتني غدا بالمسجد الذي تحت باب القرمادين ونقرأ ما تريد . فجئت إليه من الغد فوجدته جالسا، فجلست بين يديه . فقال: اقرأ! . وتبسملت، فتكلم في فضلها (10) أيام، ثم قرأت عليه حديثا، ثم شيئا من الأدب . قال: فكل ما تسمعونه فمنا (كذا) استفدته مدة حولين كاملين . وكان صائما دائما ، وكان قاصيا بإشبيلية، ثم فر بنفسه وأوى لتلمسان في زي المجانين رضي الله عنه)) . انتهى من خط شيخنا أبي عبد الله محمد الفاسي (أي: ابن عبد القادر) . نسخة (ب) .

[2] "قاموس": لوقة . بالضم: حصن بالمغرب . نسخة (ب) .

في ذكر جمل من أوصافه وأحواله رضي الله عنه

كان الشيخ أبو المحاسن – رضي الله عنه – حسن الشكل، جميل الصورة، معتدل القامة، جليل الذات، منورالشيبة، عليه بهاء السؤدد، ورقراق النور، ورواء العلم، وسيما الدين، وأبهة المنصب، ووسامة الوقار والجلالة، تلحظه الأعين بالإجلال والتعظيم، والمحبة والمهابة، ويزدحم الناس للتسليم عليه والتبرك به.

[لباس الشيخ أبي المحاسن]:

وكان مقتصدا في أموره، متناهيا عما فيه شهرة من لباس أو غيره، فكان لباسه معتدلا ؛ يلبس **قميصا** حسنا، **وسراويل** كذلك، فإن كان المصيف ؛ زاد **قشّابة** قطن، **والقشابة**: ثوب معروف ؛ وهو قميص لا أكمام له، وكأنه هو الذي يقال له لغة: الخَيْعَل. ذكره الجوهري[1] وغيره. وربما لبس فوق ذلك **دَرَّاعة**. وإن كانت الشتاء ؛ لبس مكان ذلك فوق القميص جبة ذات أكمام من ملف جيد أبيض، وربما لبس تحت الجبة ثوبا[2] ذا أزرار من ملف أخضر مِسنّي أو زرعي، ولعله هو الذي يقال له لغة: الفروج. أو قريب منه. ويشتمل على جميع ذلك: كساء صوف رقيق ؛ وهو الذي يسمى في العرف **بالحايك**. وكل ذلك من الحسن في نوعه.

وثيابه إلى أنصاف ساقيه أو تحتها بيسير، ويلبس في السفر برنسا أبيض. وفي "العتبية" قال مالك: « سمعت عبد الله بن أبي بكر – وكان من العُباد وأهل الفضل – يقول: ما أدركت الناس إلا ولهم ثوبان: برنس يغدو به، وخميصة يروح بها ». قال القاضي أبو الوليد بن رشد: « البرانس: ثياب في شكل الغفائر عندنا، مفتوحة من أمام، تلبس على الثياب في البرد والمطر. وأما **الخمائص**: فهي أكسية من صوف [21] رقاق معلمة وغير معلمة يلتحف بها، كانت من لباس الأشراف في أرض العرب ؛ فقوله: برنس يغدو به ؛ يريد: يلبسه على ما تحته من الثياب. وخميصة يروح بها ؛ يعني: يلتحفها على ما عليه من الثياب ».هـ . **والحائك** في عرفنا: قريب مما فسر به الخميصة، وبعيد مما فسرها به أهل اللغة.

وكان لا يركب في البلد[3] إلا أن يكون قصده خارجه ؛ فيركب على فرس له أو لبعض أصحابه، ويتحرى أطراف المدينة ومواضع الخلوة، وكان إذا خرج لصلاة الجمعة ونحوها ؛ لا يصحبه إلا رجل واحد أو رجلان لا أكثر، وكان الشيخ الصالح أبو الحسن علي بن يوسف البيطار لقبا، المدجَّن أصلا؛ هو المعتاد لمرافقته.

---

[1] الجوهري هذا هو: صاحب "الصحاح"، هو: أبو نصر إسماعيل بن حماد التركي اللغوي، وأحد أئمة اللسان . توفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة. نسخة (ب) .

[2] هو الذي يقال له الآن: القفطان. وأما الفروج ؛ فهو ثوب مشقوق من خلفه. قاله في "القاموس" و"المشارق" وغيرهما . (تعليق في النسخة الحجرية، وبلفظه في النسخة ب) .

[3] يقال: البلد، والبلاد، والبلدة؛ وهو: كل قطعة من الأرض مستحيرة، عامرة أو غامرة . نسخة (ب) .

[وصف الحافظ الفاسي لوالده أبي المحاسن]:

ورأيت بخط شيخنا أبي العباس فصلا آثرت إيراده بلفظه ؛ قال فيه: « كان الشيخ – رضي الله عنه – ذا سمت حسن، وأنس حاضر، وهيبة ظاهرة، كثير التبسم، يتكلم مع الناس فيما يتكلمون فيه، ويضحك مما يضحكون، ويتعجب مما يتعجبون منه ؛ تخلقا بأخلاق السنة. وهو معتزل عن الجميع بسره، تاركا لما فيه الشهرة والتمييز من الخلق في اللباس وغيره، مع الكون معهم على ظاهر الأحكام، والتفرد عنهم بالسر مع الحق، لا يخالف ظاهره ظاهرهم بحيث يتميز عنهم، ولا يوافق باطنه باطنهم فيشاركهم فيما هم فيه من العادات. لا يترسم برسم، ولا يتقيد بهيئة ؛ إلا ما جاءت به السنة، رابطا للشريعة بالحقيقة، معطيا كل ذي حق حقه، ملازما للعلم في أموره، محيلا للأشياء على المشيئة والقدرة، رابطا لها في الظاهر بمسبباتها على مقتضى الحكمة، لا يتقيد بحال ولا مقام حتى ينسب إليه أو يعرف به، بل هو في كل وقت وكل حال بصورة ما يقتضيه ذلك الوقت وذلك الحال، إذ الأحكام الإلهية تختلف في كل زمان فيختلف باختلافها، فإنه سبحانه كل يوم هو في شأن[1]. مواظبا على ما كان عليه في أيام البداية من الأوراد والأذكار، وأنواع النوافل والتلاوة ؛ ولو في حالة المرض؛ إلا أن يغلب على ذلك ؛ فيأتي بما أمكن. إلى أن نقله الحق تعالى إلى دار رضوانه وكرامته ».

« وكان يعيب كثيرا على من لا يقول بالنوافل والأوراد من الفقراء، دائم العكوف على حضرة الحق، لا معول له إلا عليه، ولا استناد له إلا إليه، ولا محبة إلا فيه، ولا وقوف إلا ببابه، ولا رجاء إلا في جنابه، ولا يزيد فيه إقبال الخلق وتعظيمهم، ولا ينقص منه إدبارهم وتقصيرهم. تنزل به النوازل العظام [22] ولا يظهر لها أثر عليه. فإن دعا في ذلك إلى الحق ؛ فالغالب أن يكون بالإيماء لا بالتصريح، وإلا ؛ فحاله الرضى بما يجري من الحق ».

« ترياق[2] مجرب في أمراض القلوب وعللها، يبرئ العليل من الداء العضال بمجرد المثول بين يديه والشكوى إليه، وربما أفاده بكلامه، أو لقنه اسما أو ذكرا يكون فيه شفاء علته مطابقا لحاله، يتكلم في الحقائق والأذواق كأنها من عوائده، مع العبارة الواضحة، والإشارة العالية، وينزلها للأرض بالأمثال الواضحة، مع كونها في غاية الرفعة والمطابقة ؛ فيشرق بها باطن كل حاضر من الخلق، على طبقاتهم يفهمون عنه من معنى ما هم فيه، كل يرى أن العبارة توجهت لمعنى ما هو فيه، فلا تغمض عبارته عن المبتدي، ولا يستوفي جميع إشارته المنتهي ».

« **حاله:** استخراج الحقائق ومعارف التوحيد من بطون الشرائع، وكثيرا ما يفرغها في عبارة العامة وقوالب العادات، ثم قلما يذكر حقيقة إلا ويؤيدها بشاهد من الشريعة ».

« **طريقته:** كتمان الأسرار، والفرار من الدعوى بغاية الإمكان، إذا كوشف بحال أحد ؛ أخبره به في طي أمر عادي أو حكاية منقولة أو مسألة يفرضها ثم يذكر حكمها، وكذا إذا أراد أن يعلم أحدا بأمر ؛ حتى لا يتفطن له إلا من له استعداد لذلك ».

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى في سورة الرحمن الآية 29: ﴿*يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن*﴾ .

[2] كذا بخطه . خبر مبتدأ؛ أي: هو. . .قال النووي: « الترياق بكسر التاء وضمها لغتان » ، ولم يذكر في القاموس سوى الكسر. . .نسخة (ب) .

« شأنه: الاعتناء بالحقائق دون الصور، ومعاملة الخلق باللطف والإشفاق كل بحسبه، وعلى ما يليق به. فإذا استشاره أحد في أمر وظهر منه سلب الاختيار معه ؛ رده لاختياره، فإن لم يجد عنده شيئًا من الاختيار ؛ أشار عليه بما هو الحقيقة عنده ».

« يعامل الناس على قدر دعواهم، ويأخذ منهم على حسب ما يرى من سماحهم، غير معاتب إن بدا منهم غير دعواهم، يراعي لهم سابق إحسانهم، راحما لهم بالإقبال والمساعدة لهم، أعطي التصريف بهمته ؛ فظهرت منه الخوارق العظام، والكرامات الجسام. ثم صار ينتقص ذلك الحال، وتركه زهدا منه وتواضعا للحق تعالى ؛ إلا ما اقترن به أمر منه تعالى. فإن اقترن به أمر ؛ لزمه اتباعه ».

« صارفا لهمته في مصالح الخلق ومنافعهم الحسية والمعنوية، لا يسمح لأصحابه في إظهار حال ولا مقام، بل يجدون في أنفسهم الحكم عليهم أن لا يظهروا إلا في صورة العوام في اتباع السنة، وهمم عاكفة بكنهها على الحضرة العلية... ». هذا آخر الفصل الذي وجدته بخط شيخنا أبي العباس رحمه الله [23] ورضي عنه.

[وصف الشيخ أبي المحاسن لبداية نفسه]:

ووجدت فصلا من كتاب كتبه الشيخ أبو المحاسن لبعض الأكابر في عصره ؛ قال فيه: « كنت من صغري مستغرق الأوقات في تعلم علم الظاهر حتى حصلت منه ما يسر الله سبحانه، وحصل لي به في بلادي صيت عظيم وجاه في الخلق، ثم إن الله تعالى أخذني إليه، وغسل من قلبي الأكوان . ولم تقف همتي على شيء دونه، وحببني فيه، ورفع همتي إليه، وشغلني به عما سواه، واستوى عندي منه العز والذل، والفقر والغنى... وغير ذلك من الأضداد، فكل ما يفعله بي أستحليه وأتلذذ به، وهذا كله على سبيل الاضطرار لا على سبيل الاختيار ».

« ثم كنس وجودي، وأفناني عن شهودي، لغيبتي في مشهودي ؛ تارة بكشف صفاته وتارة بمشاهدة آثار عظمة ذاته، واستولى على باطني أمر الحق – تعالى وتقدس – حتى لم يبق هاجس ولا وسواس، وكادت تستولي علي الغيبة عن الإحساس. ثم ردني للوجود، وأبقاني به لبعض مصالح معاده ؛ فأنا مع الخلق بالحق، نشاهد الجمع في بساط الفرق ». انتهى.

[بعض مما امتدح به الشيخ أبو المحاسن من الشعر]

ولشيخنا أبي الطيب بن مهدي[1] - رحمه الله - قصيدة في نحو ستين بيتا نذكر هنا بعضها، ولم أورد جميعها خشية التطويل المخالف لشرط الكتاب. منها قوله:

ولا تـقـل: إن هـذا البـاب منطمـسٌ وضـل مفتـاحـه يـأسـا من الله
فصاحـب الوقـت بـاد بـين أظهـرنا حادي المريدين في البيـدا إلى الله

ومنها:

إيـاك أعنـي أبا الحجـاج يـا أملـي يـا سـائـق القـوم بالله إلى الله

أحيـى بـك الله بعـد الألـف مندرس الـعلـوم مـن لـب علـم السيـر لله

فتـقت منـها على قـدر العقـول فلم يـرتـب ولا هام ذو قصد إلى الله
وقد نـظـمْت عقـودا طـال ما نثـرت مـن غـامـضـات لآلي العلم بالله
كـذاك قرّبت أقصـاهـا بـلا تعـب لـذوق كـل صحيح القصد لله
أوضحتـها بلسـان القوم فاتضحت وهـذه سـنـة فـي نـائـب الله

ومنها:

زالـت بكـم عن قلـوب الخلـق كربتها وانقـشـعـتْ ظلـم والحمـد لله
كم ظلْتَ تنقذ من قد ضل معتكفا على شفـا حفـرة من سخط الله
وكـم حدوتَ بمن كلّـت ركـائنـه حتـى أنخت بـه في حضرة الله
وكم مّكـامن أمّنـت مخـاوفـها فأمن الخائـف السـاري إلى الله [24]
أزعجت صحبك نحو الحق فاستويا أخـو سلوك وذو جـذب إلى الله
فسالك القـوم محمـول بـلا تـعـب وهـذه صفـة المجـذوب في الله
وصاحـب الجـذب لم تخل جوارحه عن طاعـة الحق تأييدا من الله
فيك رأينـا علـوم القـوم قد جُمعت فأنـت مجمـوع عقـد حضـرة الله

ومنـها:

فالحمـد لله إذ قـد حـل أعـينـنـا حتـى رأينـا عِيـانا حجة الله
وهذه حلـة[2] مـن وصـفـه غـزلـت ونسّجـت ببـديـع النـظـم والله

---

[1] توفي: 1023. نسخة (ب).
[2] صدق رحمة الله عليه، والله ما هي إلا حلة وأي حلة. نسخة (ب). =

ويتعلق بهذه القصيدة: أن قوافيها على لفظ واحد، وليس ذلك من الإيطاء المعيب في القوافي ؛ لأن علة عيبه استثقال المعاد، والدلالة على عجز الشاعر، وذلك منتف هنا ؛ لأن هذه القافية لا أطيب ولا أحسن ولا أخف على اللسان والقلب والسمع منها.

وقد ذكر أهل المعاني في المسند إليه ما يجري هنا. وقد قال تعالى: ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾. [الأحزاب:41]، وهذا مما يندرج فيه. ولهذا الاسم الكريم أحكام تخصه ؛ ليكن هذا منها. ومناسبة جعله منتهى الأبيات في هذه القصيدة ظاهرة ؛ لإشارتها إلى أنه إليه آل التقصي، وانتهى الطلب ؛ فإن القصيدة في هذا القصد، وقد يظهر الشاعر اقتدارا بالتزام تضمين ؛ كما فعله أبو نواس، أو أو إيطاء أو غيرهما ؛ فيعفى أثر العجز المعيب في التضمين أو الإيطاء ؛ فإن ذلك الالتزام لا يتهيأ إلا مع الاقتدار والتمكن من التصرف في الكلام.

ومثل هذه القصيدة في القافية : القصيدة التي أولها:

إن أبطأَتْ غارة الأرحام وابتعدت	فأقرب الشيء منا غارة الله

وتنسب كثيرا للشيخ القطب أبي عبد الله بن وفا المصري ؛ والد القطب أبي الحسن، ورأيتها في بعض المجامع منسوبة للولي العارف سيدي محمد العجيل اليمني رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم. وقد طال بنا الكلام في هذا ولم نقصد طوله، ولعله لم يخل من فائدة.

ولشيخنا أبي عبد الله النيجي[1] – رحمه الله – قصيدة[2] ذكر فيها جملة من أحوال الشيخ وعددا من مشايخه الذين أخذ عنهم، وأردفها بشرح مختصر عليها ؛ مطلعها:

سندي امتطى متن المقام الأكمل	وُهب العطاء من الكريم المفضل
أخذ الحقيقة فارتوى من صرفها	عن شيخه المجذوب ذي القدر العلي [25]

ومنها:

وحبي التصرف في المريد وغيره	في حاضر الوقت وفي الوقت الخلي
إن قلت: قلت وما الدليل المقتضي	ما قلته ؛ فاصدع بقول فيصل
قلت: العلوم على اختلاف فنونها	علمي على إثباتها الحس الجلي
والري من صرف الشهود سمعته	من لفظه علمي صريح المقول[3]

---

[1] توفي سنة 1030 (حجرية، وكذا نسخة ب).

[2] سماها: "الفريدة". نسخة (ب).

[3] قال الشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي: رحمه الله لو قال:

والري من صرف الشهود دليله	للحس طلعة بهجة وشمائل
اما البصائر فهي في حضراته	باهتة من صدمة الحق العلي

أَلـقـى إلـي وبــــر فـي إلقـائــه ... مـا في شعـوري بالسوى من مدخـل[1]
وسمعتــه قــال مـرارا: طـــال مـا ... كـان اللقــاء من الـورى كالمصّ لي
واليــوم لا يـعنـــي تكامــلَ ملــؤه ... والمـص لا يـسـتـف بحــرا ممتـلـي
ومــن الدلـيــل: قـضيـتـي في أنــه ... أبـــرأنــي في عـنـفـوان المـوصــل

وختامـها:

اللهُ يتحـفــه الـمــزيد هـنـا وفـــي ... أعلـى الجنــان مع الكرام الكمَّـل

وكان السيد الفقيه العارف أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق العثماني[2] – رحمه الله – كثيرا ما يصلي صلاة الجمعة قريبا من الشيخ، ومع ذلك لا يرغب في التعرف إليه والتبرك به، بل ربما كان في نفسه بعد منه، إلى أن أشكل عليه كلام في كتاب "دلائل الخيرات" ؛ فقام إليه، وجلس بين يديه، وسأله عن ذلك ؛ فأجابه بما شفى غليله، وشرح الله صدره، وفتح له من حينه، وكان من شأنه ما يذكر في ترجمته إن شاء الله. فقال أبياتا على قدر وسعه، يشير فيها إلى ذلك. وضمّن أوائل حروف الأبيات لفظ: سيدي يوسف بن محمد ؛ وهي:

سـاكن بمخفيــة شيـخ الكمـال لمَنْ ... يـرجـوا الـتـرقـيَ من سـفـل إلى عـال
يــا مـن يريــد يــرى عبـدا لخـالقــه ... يــدعــو إلى الله في قــول وأفــعـــال
دلــت عليــه أمــور لا انتــهاء لــها ... علـم وحلـم وســر مشــرق البـــال
يشفــي العليــل بـداء الجهـل يخرجـه ... مـن سـجـنـه لفـضاء المشهـد العـال
يهـدي إلى الله مـن شــاء هـدايـتــه ... بالصدق في النصـح للخلـق بإجـمال
والحـق يظهر من معنى المشيــر بــه ... والزيـف يـرمى بـه في وجــه مخـتـــال
سـلـنـي عـن الحـق إنـي لسـت أكتمـه ... ولـم أصـف غير ما شـاهدت في حــال

بل كادت أن تشـهـده كـأنه ... هو ذا ســر الولاء الأكمــل
انتهى من نسخة (ب) ، غير أنه قال في الشطر الأخير: هو وذا . فعدلتها لأن البيت والمعنى لا يستقيم بها .

[1] في النسخة (ب) فوق هذه اللفظة: من كلكل .

[2] قال في كتابه المسمى: "سلاح أهل الإيمان في محاربة الشيطان" في تكلمه على الوسواس: ((وقد كان ذلك الوسواس ملك قلبي ولم أستطع مدافعتهم، حتى جمعني ربي سنة خمسة والف بشيخ الحقيقة ومنار الطريقة، جنيد عصره وجيلاني دهره: ابو المعاني سيدي يوسف بن محمد الشهير بالفاسي، ملأ الله قلبه نورا ، وقبره سرورا ، خاب والله جاحده، وخسر والله ملحده، وكان إتياني له غير شاك له بذلك، وإنما أتيته سائلا عن قول صاحب "دلائل الخيرات": كنت حيث كنت . فقال لي رضي الله عنه: في هذا الكتاب الفاظ لا تحمل على ظاهرها من معروف اللغة، وإنما سمح له بالتعبير بها لما علم من صدق حبه للنبي صلى الله عليه وسلم. . .وقد وجد في طرة بعض نسخ هذا الكتاب عند هذه اللفظة: إن كان على ما يليق بجلاله وجماله لا في المكان والجهة . ثم قال لي: اي شيئ في كتابك هذا ؟! فقلت له: في أوله "الحزب الكبير" لأبي الحسن الشاذلي، وفي وسطه "دلائل الخيرات" ، وفي طرفه الشمال دعاء بأسماء الله الحسنى للسيد ابن عباد رحمه الله . فقال لي: افتح عن اول الأسماء . ففتحت . فأخذ الكتاب من يدي وقال لي: انظر ما معنى مداول: الرحمن كذا ، ومداول الرحيم. . .ثم دفع إلي الكتب و[كلمة غير مفهومة] عني ، ففتح الله قلبي من حينه، وقمت اتأمل فيما اشار لي إليه، فرزقني الله فهم (في الاصل: الفهم) ذلك، وصرت اتأمل ذلك في صلاتي، فأراحني الله من الوسواس ببركة هذا الشيخ . ولم أكن أعترف (كذا) مما ترى كثيرا ولا قليل، = = ولكن كما قيل: هم القوم لا يشقى جليسهم . فاردت ان ينبه على ما فتح الله علي به رجاء أن ينفع الله به كل من قراه او قرئ عليه، ويكون سببا في المعاهد (كذا) ومعينا على حرب عدوه، وبالله التوفيق)) . انتهى بلفظه من خط شيخ شيوخنا السيد عبد الرحمن بن عبد القادر (اي: الفاسي) . نسخة (ب) .

فارقت في ساعة ما كنت أعهده ... من الوساوس في فعلي وأقوالي
بالله يا إخوتي جدوا إليه السرى ... فهو المزار وهو المطلب الغال
نلتم من الله ما يُرجى برؤيته ... إن صح صدق اللجا منكم لفعال [26]
ما كل من قد ترى يدعو بحجته ... له التوصل في تفريق الأحوال
حُكم الحكيم بنجح البُرء تعرفه ... في أي ما علة ضرت بمعلال
ما للطريق خبير غير سالكها ... والجهل مَتْلَفة في الموطن الخال
داء عضال لمن يبغي الخصوص فقد ... تاه من الغي بين القول والقال

وبقيت فيها بعد هذا أبيات أخرى لم أكتبها . . .

ولصاحبنا الفقيه الأديب الأريب أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الله اليلصوتي ثم اللمطي، المتوفى في وباء سنة ست وألف – رحمه الله – قصيدة حسنة ؛ وهي:

ضحك الزمان وحف بالأعراس ... من بعد ما قد كان في إبلاس
وافترَّ عن أقاحه مستبشرا ... بطلوع شمس الدين أعني: الفاسي
ذاك الذي خضعت فحول زمانه ... في الشرق والغرب وفي الأرماس[1]
شيخي الذي عم الورى برعاية ... وهداية من بعد طول تناس
شيخي الذي لولاه ما قلت ولا ... صُلت ولكن كنت في إغلاس
كم سُنة قد شاد بعد دروسها ... وغدت بكف يديه كالمقباس
والبدعة الشنعاء هد منارها ... ولطال ما قد خيَّمت في الناس
لا تطمعي في أن تطوفي حولهم ... فالقوم في جد وفي حراس

ومنها:

فككتَ من أسر الزمان قيودنا ... ومحوت عنا ظلم أهل الباس
ومحا جمالك من قبيح فعالنا ... وجبرت كسر المِصْر بالإيناس
لم لا وأنت البحر والحبْر الذي ... سارت به الركبان في الأجناس؟!

ومنها:

من قاس حلمك بالسوى أو علمكم ... ها ذاك في عميا وفي وسواس

ومنها ؛ وهو ختامها:

ضمِن القوافي عن تلافي ما بدا ... أما الخوافي عند رب الناس!

وللناس فيه قصائد كثيرة[2] ؛ بعضها لم يحضرني الآن، وبعضها تركت ذكره خشية التطويل.

---

[1] بل: والغرب والأرماس . نسخة (ب) .
[2] منها مقطع أبي العباس المرابي صاحب الشيخ رضوان، الذي أوله:
يا أهل ودي طيبوا سمعي بمن طابت به أنفاسي

الفصل الرابع
في جمل من أخلاقه وأخباره التابعة لها رضي الله عنه

هذا الفصل مجانس للذي قبله، وربما اندرج في كل واحد منهما ما هو من نوع الآخر ؛ إما بحكم اتساق السياق، وإما بحكم الاستدراك والاستلحاق :

كان [27] الشيخ – رضي الله عنه – حسن الأخلاق، كريم النفس، دائم البشر، ممتع المجالسة، طيب المؤانسة، وقورا مع ذلك مهيبا، حاضا على مكارم الأخلاق، موضحا تأكدها على أمة بعث رسولها صلى الله عليه وسلم لتتميمها، يكرم كريم القوم، ويقول: « لا يكبر الناس إلا كبير، ولا يصغرهم إلا صغير » ؛ سمعته مرات يقول ذلك.

[إنزاله الناس منازلهم]:

وكان ينزل الناس منازلهم، عارفا حقوقهم، مخاطبا لهم على قدر عقولهم، وكان أهل الدولة وأبناء الدنيا ينتابون كثيرا مجلسه زائرين ؛ فلا يكاد مجلسه يخلو منهم، فكان يبرهم ولا يوحشهم، ويؤنسهم ولا يؤيسهم، من غير موادة لهم ولا مداهنة، ولا تعظيم ولا محاباة ولا غلظة عليهم ؛ إلا أن يقتضيها الوقت بحكم الشرع، يتنازل معهم في الإرشاد والنصيحة على قدر ما لهم، وبحسب ما هم فيه، ويعظهم ويذكرهم ويحذرهم، ويدلهم على ما هو الأقرب لخلاصهم ؛ فينقادون إلى الخير، وينساقون إليه، ويتأثرون بمواقع ذلك منهم بمعرفة الحظر فيما جهلوا حظره، والتنبيه لما عرفوه فأغفلوه، والامتداد لما يغنيهم عن الظلم، على ما هو الواجب في ملاقاتهم كما ذكره حجة الإسلام في "الإحياء".

وقد دفع الله تعالى بسببه مظالم كثيرة لا تحصى، بحسن حال بعضهم بحسب ما هو فيه، وبرد مظالم كثيرة لأهلها، وخلاص مظلومين لا يحصون من أيديهم. فقد كان ملجأ للمظلومين، وكهفا للمساكين.

سيدي وبغيتي قطب الزمان يوسف الفاسي
وجدت بخط ناظمه: انتهى المقطع، صنع طفيلي تطارح على باب ولي الله المذكور، وهو: أحمد بن موسى المرابي.

حدثني ولد أخي: الفقيه العلامة أبو العباس[1] أحمد بن العالم الصالح أبي الحسن علي عن صاحبنا الفقيه المشارك قاضي القصر أبي عبد الله محمد بن عبد الله آزيات[2] – وكان يحضر الميعاد معنا في مسجدنا عند شيخنا أبي الطيب الحسن بن مهدي – قال: « كنت أرى كثرة تردد القواد وأهل الدولة إلى الشيخ أبي المحاسن، وكثرة حضورهم في مجلسه، فكنت أجد في نفسي بعض إنكار لذلك، وكان ذلك كثيرا ما يصرفني عن السلام عليه ؛ فلقيته يوما هنالك حيث لا محيد عن السلام عليه ؛ فسلمت عليه ، فرحب بي وكوشف بي ؛ وقال لي: لا تعد للبعد منا؛ فإن لك حقا، وأولئك الذين رأيت أهل بعد عن الحق، وشرود عن جناب الله ؛ فإن قابلتهم بالغلظة ؛ انفضوا وزادوا شرودا عن جناب الله تعالى، وبعدا من رحمة الله، وظلما لعباد الله... قال: فثلج صدري، وسلمت تسليما، وذهب ما كان في نفسي من الحرج مقيما ».

[عدم وقوفه بباب السلاطين أو تملقه لهم]:

ولم يقف الشيخ قط بباب ذي سلطان إلا مرة واحدة [28] في القصر كانت عن حال مزعج، وذلك أن صاحب القصر إذ ذاك ؛ وهو : عبد الكريم بن رَحُّ بن تودة العمراني سجن نقيب الأشراف السيد أبا العباس أحمد بن عبد الله الشريف لما ذكر عنه من أنه وجد في داره كنزا . فجاء نساؤه إلى دار الشيخ، وما شعر حتى ألقوا صبيا صغيرا ابن السيد الشريف في حجره، وذكروا له أن السيد الشريف في الحديد يتوقع العذاب! . فقام الشيخ من حينه، وسار إلى دار القائد وقد رآه الناس ؛ فتبعه خلق كثير، ولا يدرون قصده.

فلما وصل إلى الباب ؛ دخل من حينه وتلقاه القائد حافيا، ووقف بين يديه وقال: « ما يأمر به سيدي؟ ». فقال: « يسرح الشريف! »، فقال: « سمعا وطاعة »، فقال الشيخ: « وكل من معه في السجن تعظيما له! »، فقال: « سمعا وطاعة ». فسرحوا في الحال، وخرج الشيخ وخرج القائد يشيعه ويعتذر ؛ فرده الشيخ وانصرف.

وإنما شأنه في الشفاعة: أن يكلمهم مشافهة إذا جاءوه، ومراسلة إذا كانوا في البلد، ومكاتبة إذا كانوا في بلد آخر.

[شدة تعظيمه لآل البيت الكرام]:

---

[1] ولد سنة 997 (حجرية والنسخة ب) .

[2] له تأليف في السير والتاريخ سماه: "النور(في الأصل:أنوار) الباهر في سير النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه وأصحابه والعشائر" وقفت على جزأين منه بخطه، انتهى فيهما إلى أخبار ملوك بني أمية والشرفاء بعد انتهاء مدة الحسن رضي الله عنه . قال في آخره: « وكان الفراغ من مبيضة تأليفه: عشية يوم الجمعة السادس والعشرين من المحرم، فاتح ستة وعشرين بعد الألف » . من خط شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن (أي: بن عبد القادر الفاسي) رحمه الله .نسخة (ب) .

وكان شديد التعظيم لأهل البيت، كثير البر بهم والإكرام لهم، مبالغا في ذلك بمبلغ الإمكان، ويتأثر لأدنى شيء يصيبهم ؛ فذلك هو الذي أزعجه. وإلا ؛ مرة أخرى بفاس – وذلك أن الخليفة أبا العباس المنصور[1] الحسني لما تبين له حال ولده ولي عهده أبي عبد الله الشيخ المامون بفاس، وعجزت السفراء عن استصلاحه ؛ أزمع الحركة إليه من مراكش، وكتب كتابا بخطه للشيخ أبي المحاسن يستنجده فيه ويذكره بحق تدارك الإسلام ولم شعثه، وأن هذا الواجب ليس للقيام به غيره، وأنه إن لم يكن هو له ؛ فمن له؟ !. وقال له: « إن جمعتني بهذا الولد ؛ فقد فعلت في وفي المسلمين جميلا لم يفعله غيرك. وإلا ؛ فلا لوم إلا على القادر ».

فرأى الشيخ أن قد تعين عليه تدارك الأمر، فراسل المامون في ذلك – وكان يعظم الشيخ ويعتقد له منزلة لا يعتقدها لغيره، وكان وزيره لا يكاد يتأخر يوما عن زيارة الشيخ – وكانت المحلة بظهر الغولة خارج باب الفتوح والمامون فيها ؛ فطرقه ليلة خبر اقتضى عنده الرحيل إلى تافلالت ؛ فأصبح راحلا، وجاء الخبر إلى الشيخ، وجاءه في ذلك أيضا شيخنا قاضي الجماعة أبو القاسم بن أبي النعيم[2] ، فلم يمكنه إلا الركوب إليه، فركب وخرج، وتقدم إلى المامون من أخبره بخروج الشيخ ؛ فاضطربت المحلة حيث [29] انتهى إليه الخبر، ورد أعيان دولته إلى لقاء الشيخ.

فلما وصل ؛ تلقاه وسلم عليه، وبسطت لهما سجادة ؛ فقعدا عليها، وكلمه الشيخ وحذره مغبة الخلاف، وأنه إن زاد ؛ فإنه يخاف على نفسه !، وتكفل له بغرضه من أبيه إن لم يخرج عن رأيه. فعاهده أن لا يزيد عن ذلك المنزل. ورجع الشيخ من حينه ورجع المامون تلك الليلة إلى داره بفاس الجديد، فأقام بها أياما، ثم إنه ضاقت نفسه، وقوي وسواسه، وطافت به شياطين الجن والإنس، واستفزوه ؛ ففر ليلا إلى ضريح ولي الله تعالى سيدي أبي شتاء[3]، فكان من أمره ما هو معروف. وكان الشيخ كثيرا ما ينشد قول الشيخ أبي القاسم الشاطبي رحمه الله:

قـل للأمـيـر مـقـالـة	مـن عـالـم فـطـن نـبـيـهْ
إن الـفـقـيـه إذا أتـى	أبـوابـكـم لا خيـر فـيـه

وكان المأمون يريد زيارته مرات ؛ فيستأذن الشيخ على لسان خواصه ؛ فيمتنع من ذلك ويرده ردا جميلا، ويقول: « المقصود من الدعاء وما يجري مجراه يحصل دون مجيئه، وأخلاقي طيبة، ولعل أخلاقي لا تطيب مع مجيئه !». فكان ذلك يحجزه.

[زهده في المناصب الدنيوية]:

[1] توفي سنة 1012 (حجرية). وفي (ب) : توفي أبو العباس المنصور الحسني: 1012 .
[2] ولد 951 وتوفي 1032 (حجرية والنسخة ب) .
[3] توفي 237 . كذا في النسخة (ب) . وهو حري بالمراجعة .

ومع ما كان له من المنزلة عندهم ؛ ما انتفع في دنياه قط بشيء من ذلك، ولا استعان قط بكتاب منهم على شيء من الأغراض. ولقد عرضوا عليه مرات أمورا يرغب فيها الناس ويتنافسون فيها ؛ فلا يقبلها ولا يلتفت إليها.

ولقد جاءه الحاجب علي ابن الحاجب عزوز ابن سعيد وقت إنشاء الخزانة الجديدة العلمية في قبلة جامع القرويين، وأدى إليه سلام السلطان وأنه يريد أن يجعل الخزانة في يد أولاد الشيخ، وأنه اختارها لهم كما اختارهم لها. فاعتذر له الشيخ، ودعا للسلطان، وصرفه صرفا جميلا، فلما انصرف ؛ قال الشيخ لأولاده- وكنت أنا منهم: ((**ما كرهت لكم مطالعة الكتب والاستفادة منها، ولكني كرهت لكم عملا يحوجكم إلى الوقوف بباب السلطان !!**)).

وكان الشيخ متحققا بالعبودية، متذللا لربه، لا يجعل بينه وبين الأرض حائلا في الصلاة إلا حيث يقتضيه الاحتياط للصلاة، أو لا محيد عنه ؛ كما في المساجد. ولقد رأيته توضع له السجادة ليصلي عليها ؛ فيتركها ويصـــلـي على الأرض، ويقول: ((إن العبد حقيق أن يعفر وجـــهه في التراب بين يدي سيده، وقليل ذلك في حقه!)).

[وقوفه في جل أموره مع ظاهر أحكام الشريعة]:

وكان مراعيا للسنة في جميع أحواله، محافظا عليها، بانيا [30] أمره كله على ما يقتضيه العلم، غواصا على أسرار الشريعة، نظارا إلى مقاصدها، غير مشغب على الناس مهما وجد لهم مستندا صحيحا من الأصول والأقوال.

وسمعته غير مرة يقول: ((لا تخلو العوائد العامة بفاس من مستند)). وكان يفرغ الحقيقة في قوالب الشريعة، ويبرز أرواح التوكل في صور الأسباب، ويستر اللطائف والأسرار بأستار المألوفات ؛ إلا لقصد هداية، أو حال داعية لذلك. . .

ذكر لي الشيخ الفاضل الثقة، المعمر التالي لكتاب الله تعالى ؛ أبو سالم إبراهيم بن محمد النيَّار الأندلسي ثم القصري – وكان يخدم الشيخ ويجري في مصالح داره – أنه في سنة من السنين اكتال عولة دار الشيخ في الصيف حين رخاء السعر عادة، ثم أجدبت السنة ؛ فارتفع السعر، وغلا القوت، وزاد على قيمة المصيف مثليها أو أكثر، ودهش الناس، وظهر في زرع عولة الشيخ سوس لا يمنع حصول المراد منه بقية عامة. فأخبر الشيخ به ؛ فقال: ((إنما استاست نيتي في الوثوق بالزرع والاختصاص به)). فأمر أبا سالم المذكور أن يبيعه

بقيمة الصيف، وأن لا يزيد عليها فلسا واحدا، وعهد إليه أن لا يتجاوز عشرة أمداد للمشتري ؛ ليعم النفع به. ففعل ذلك. وقال الشيخ: « الآن نحن من جملة المسلمين ». وجعل يكتال من السوق يوما بيوم.

وقد سمعته يحكي أن شيخه المجذوب أخبر أصحابه بحدوث غلاء، ثم عمد إلى زرع كثير كان عنده ففرقه، ثم جاء وقت الغلاء ؛ فكان يأخذ فاسا ويخرج مع الناس لحفر قوته وقوت عياله من البقول والأصول التي يقتات بها الناس زمن المسغبة. فقيل له: « قد كان عندك الزرع والعلم بالغلاء ؛ فلم فرقته؟! ». فقال: « لأكون من جملة المسلمين! ».

وعرَّف في "المدارك" بالشيخ أبي علي الحسن بن نصر السوسي ؛ وقال: حكي أن ابنه محمدا قال له في سنة غلا فيها بسوس السعر : « اشتر يا أبت طعاما ؛ فإني أرى السعر قد غلا ». فقال له: « ادع بجُمَّان ». فقال لها: « أكالي ما عندنا من القمح ». فقالت له: « ثمانون »، فقال لها: « امضي به إلى السوق لفلان يبيعه ». ثم قال لابنه: « يا محمد ؛ لست من المتوكلين على الله، وأنت قليل اليقين ؛ كأن القمح إذا كان عند أبيك ينجيك من قضاء الله عليك. من توكل على الله كفاه! ».

[أخذه بالأسباب في جل أموره]:

وكان الشيخ أبو المحاسن إذا ناب أمر ؛ تلقاه بحسب الظاهر بمقتضى عالم الحكمة ورسوم الشريعة، فإذا عظم الخطب ؛ رد الأمر لجريه بقدرته وإرادته، وفوض إليه، وسكن تحت مجاري الأقدار [31] سمعته غير مرة يقول : « إذا كَبَّر النهار ؛ حللت الحزام ». يشير إلى ذلك، وأنه يريح نفسه مما كان فيه بحسب الظاهر، وإقامة الرسوم لاقتضاء الحال الإذنَ في ذلك.

[كرمه وسخاؤه واعترافه بالجميل]:

وكان جوادا موثرا كثير المعروف. ولقد كان في أوائل أمره كثيرا ما يعطي الثوب عن ظهره فضلا عن غيره ؛ حتى إنه مرة لم يبق عنده ثوب ؛ فلبس مِلحَفة لبعض أهله، وخرج للقراءة على كرسيه ؛ فلقيه محتاج، فهمَّ أن يعطيه الملحفة، ثم تذكر أنها ليست له !.

وكان يخفي الصدقة كثيرا، إلا ما لا غنى عن ظهوره ؛ لعدم الإمكان إلا كذلك، أو ليقتدى به إذا اقتضت الحال ذلك. وكان يعول ديارا كثيرة ويقوم بمؤونتها ؛ من الأيتام والأرامل والضعفاء والمساكين والمتفرغين للعبادة أو لطلب العلم، ويعين كثيرا منهم بحسب الحاجة والإمكان، يعظم عنده المعروف، ولا يزال يراه لفاعله.

أهدى لي مرة رجل قواس قوسا صنعها وأتقنها ؛ فعرضتها على الشيخ – وكان لا يعرفه – فقال لي: « أرني صاحبي ؛ فإني لا أحب أن يضيع جميل الناس عندي !» .

وكان الشيخ مرة غائبا في سفر، واتفق أن غلا القمح غلاء كثيرا ؛ فأهدى رجل لأهله وسق قمح، فلما رجع الشيخ ؛ عرفوه بذلك، وكان ذلك الرجل مُقلا لم يوت سعة من المال، فكان الشيخ يرى له ذلك . ثم إنه سافر تاجرا لتلمسان فمات بها، وكانت عليه للناس ديون استغرقت متخلفه، وتعينت ضيعة أولاده وخروجهم من دارهم، وكان له بنات وولد طالب علم وأمهم ؛ فأعطى الشيخ عنهم نحو مائة وعشرين مثقالا ؛ فاطمأنت بهم الدار، وصلحت حالهم، ولم يزل يعاملهم بخير ويحسن إليهم. وسمعته يقول: « ما أراني قضيت حق أبيهم ؛ فإنه عاملنا عن ضيق وخصاصة، ونحن عاملناه عن سعة وغنى! » .

وحدثنا محتسب القصر: الشريف الوجيه المعظم السيد أبو الربيع سليمان بن علي ؛ وقد كان الشيخ بعد انتقاله إلى فاس صنع في القصر عرسا لولده العالم الصالح أبي الحسن علي[1] . قال لنا السيد أبو الربيع: « فكنت في مهنة ذلك العرس، ولم يكن الشيخ رآني ، فلما رآني ؛ لم يحب كوني في المهنة، وكره ذلك، وقال لي: ألا تصنع عرس ولدك؟ ! . قال: فقلت له: ما عندي ما نصنعه به، وذلك يحتاج إلى جمع ما يتهيأ به شيئا بعد شيء، وما وجدت كنزا حتى آخذ فيه دفعة واحدة! . قال: فقال لي: أنا كنزك ؛ خذ في عرس ولدك. قال: فأعطاني جميع الصداق وما يحتاج إليه من الدراهم [32] في العرس، وبعث لي للدار وسقا من القمح فوق الكفاية – سمى عددها السيد أبو الربيع وأنسيته أنا – وكذلك أوعية السمن والعسل. . . قال: ووجه إلي من الغد بأربعة ثيران وعدد من الغنم. قال: فصنعت العرس، وفضل من ذلك جملة صالحة حسنت الحال بها » .

قال: « وإذا بقائد القصر بعث إلي، فجئته ؛ فوجدت عنده بعض رؤساء الترك، وكانت أساطيلهم بمرسى العرائش، واحتاجوا إلى عمل بشماط[2] للسفر ؛ فأسلموا لي على قناطير كثيرة – ذكر هو عددها وأنسيته أنا – قال: ودفعوا لي المال ؛ فصنعت البشماط ودفعته إليهم، وفضل نحو نصف المال ربحا. فعلمت أن الشيخ أعطاني المال الأول حِسًّا، والثاني معنى ؛ فإن ذلك إنما كان من بركته !» .

[رحمته بالخلق وسماحته]:

[1] هو والد شيخنا: السيد عبد العزيز، والسيد عبد القادر بن علي الفاسي . نسخة (ب) .
[2] البشماط، البجماط ؛ نوع من أنواع الحلوى المغربية، يعرف بالفقاص. يعمل من الدقيق المعجون بالسمسم واليانسون، ويقطع شرائح على شكل نصف بدر، ويحمص تحت النار .

وكانت الرحمة لعباد الله وصفا غالبا عليه ؛ يسر بما ينفعهم، ويألم بما يضرهم، لا يتشفى من أحد كائنا من كان، ولو بلغ من إذايته ما بلغ، وإن عرض لمن يؤذيه أمر واحتاج إليه ؛ قضى غرضه وأعانه في حاجته بالمستطاع حتى يظن راءوه أنه ممن سبقت محبته، وتأكدت حقوقه.

كان بعض أعيان القصر وذوي الأبوة النبيهة فيهم يحسد الشيخ كثيرا، ويسعى في إذايته، وكان ذا نعمة ؛ فلعبت به أيدي الزمان، وبقيت له طاحونة يتعيش بخراجها . فاضطر إلى رهنها، وقرب أجل الرهن، وتعذر عليه ما يفتكها به ؛ فقصد الشيخ بفاس، فدخل عليه في حال رثة ؛ فتلقاه بالبر والكرامة، وكساه كسوة تليق بمروءته، وأقام عنده أكرم مقام إلى أن حضر تحرك الشيخ للزيارة بتلك البلاد، فاستصحبه معه، وافتك له طاحونته، وأصلح شؤونه، ورده إلى أحسن أحواله.

[حـلمـه مـع النـاس]:

وكان إذا اعتذر له معتذر ؛ قبل عذره . حليما كثيرا الإغضاء . ولقد كان رجل من أهل القصر ممن كان يظهر خدمته ومحبته[1] سوَّلت له نفسه أن يغتال الشيخ بطعام مسموم، فلما كان في إحدى قدماته إلى القصر ؛ رصد الخلوة عليه، وجاءه بأفراخ حمام مُطجَّنَة[2]، وقال له: ((يا سيدي ؛ هذا صنعه أهل الدار وأرادوا أن تأكل منه وحدك ثم ترجع إليهم الفضلة ليتبركوا بها !)). فأكل منها الشيخ يسيرا وألح عليه في الزيادة؛ فلم يزد . وحمل ذلك من حينه إلى داره ؛ فأحس الشيخ بالسم[3] في الوقت، وعرض له ما يعرض منه . فحمل إلى فاس يسار به في الليل ويقام في النهار [33] ؛ لأنه كان في فصل القيظ[4]، فلحق إلى داره، ولازم الفراش نحو السنة، وجميع أطباء فاس يحضر عنده ويعاني بمبلغ معرفته وحذقه إلى أن شفاه الله تعالى. وما أخبر قط بسبب ذلك، وإنما عُرف من غير جهته، ولا سمح قط أن يذكر ذلك . ولقد رأيت ذلك الرجل في ضيافته بفاس وهو يكرمه ويحادثه ويباسطه، ثم كانت عاقبة أمر ذلك الرجل وذريته خسرا — نعوذ بالله من سوء العاقبة.

[شجاعته وجهاده في معركة وادي المخازن]:

وكان شجاعا رابط الجأش، ثابت الجَنان، لا تستفزه الحوادث، ولا تهزه الطوارق. ولقد كان في أحد الجناحين — وأظنه: الميسرة — من عساكر المسلمين في مقابلة النصارى — دمرهم الله – ومقاتلتهم في الغزوة

---

[1] انظر الرجل الذي أطعم الشيخ السم؛ هو: الذي يقال له: الدكالي . والله أعلم . نسخة (ب) .

[2] مطجن: مطبوخ في الطاجين ؛ وهو: القدر المطبوخ فيه الطعام بالمرق والخضروات معروف في المغرب.

[3] قال النووي: ((والسم: معروف، وهو بفتح السين وضمها وكسرها، والفتح افصح)) . صحح من خط الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد الفاسي رحمه الله . نسخة (ب) .

[4] الصيف والحر.

العظمى التي كانت بتامدة من حوز القصر سنة ست وثمانين وتسعمائة، فوقع في ذلك الجناح انكسار تزحزح به المسلمون عن مصافهم، وحملت عليهم النصارى – دمرهم الله – فثبت الشيخ وثبت من كان معه، إلى أن منح الله المسلمين النصر، وركبوا أكتاف عدوهم يقتلون ويأسرون، والشيخ لم يتزلزل ولم يلتفت منذ توجه إلى قتالهم حتى فتح الله عليهم.

ولما من الله تعالى بالغنيمة ؛ تنزه عنها ؛ فلم يأخذ منها جليلا ولا حقيرا. وقد انتهبت تلك الغنيمة العظيمة انتهابا ولم تقسم؛ لاشتغال الناس بموت خليفتهم أبي مروان المعتصم بالله[1] وقت لقاء العدو– وكان قبل ذلك مريضا– وولاية أخيه أبي العباس المنصور بالله[2] .

وقد قال الشيخ أبو عبد الله المواق[3]: « كنت أفتيت بأخذ المجاهد من الغنيمة قدر حقه لقلة الإهتبال لجمع الغنائم وقسمها ، وما كان أحد وافقني على ذلك، إلى أن وجدت النص بما أفتيت به في نوازل البُرْزلي[4] ؛ فكان يمكن أخذ القدر الذي يتحقق أنه يحصل له لو قسمت ». لكن الشيخ ترك ذلك ورعا وزهدا فيه.

[ورعه وتنزهه عن المباحات]:

وكان له في الورع قدم صدق، مع تأييد بالعلم، وإمداد بالنور، فكان لا يستعمل في داره إلا ما علم أصل حليته، وكانت له مستغلات من الحلال المحض الخالص يصرفها فيما يحتاج إليه، ولا يصرف في ذلك ما فيه أدنى شيء من الشبهة، ولا يسمح لعياله في شيء من ذلك. . .

بعث إليه بعض فقراء الريف طرائف من الفواكه الغريبة بحسب الصنف أو الوقت، على يد صاحب الريف – وكان يخدمه – فقبلها وصرفها للمستحقين، وخوطب في ذلك ؛ فقال: « إنه جاءني على يد تباشر الحرام ؛ [34] فأنا أعافها !». وقد ذكر في "الإحياء" أن ذا النون المصري حبس ؛ فلـم يأكل أياما في السـجـن، فكانت له أخت في الله ؛ فبعـثت له طعاما من منزلها على يد السجان؛ فامتنع ولم يأكل ؛ فعاتبته المرأة بعد ذلك ؛ فقال: « كان حلالا ؛ ولكن جاء على طبق ظالم »، وأشار به إلى يد السجان. قال حجة الإسلام: « يعني: أن القوة التي أوصلت الطعام إليه لم تكن طيبة. وهذا غاية الورع ». وهذا مراد الشيخ أبي المحاسن. مع التنبيه على التشبيه بالآنية المعدة للقذارة.

ولما كان في بناء المسجد الذي أنشأه لصق داره بأقصى الدرب الجديد من المخفية من عدوة الأندلس من فاس – حرسها الله – خرج يوما لمطالعة الأشغال فيه، فوجد بعض أصحابه الذين ينقلون ما يحتاج إليه في البناء يفرغ الرمل الذي يجعل مع الجير في البناء عن دواب، فسأله: « لمن هذه الدواب؟ ». فقال له: « هي

[1] أي: السلطان عبد الملك السعدي الحسني، ووفاته كانت يوم الاثنين منسلخ جمادى الأولى عام (986) .
[2] أي: السلطان أحمد المنصور الذهبي السعدي الحسني، المتوفى عام (1012) .
[3] توفي سنة 897 (نسخة حجرية، والنسخة ب) .
[4] توفية سنة 842 (حجرية، والنسخة ب) .

للقائد فلان! ›› ؛ فقال له: ‹‹ لا تعد لمثل ذلك. وهذا الرمل اتركوه حتى يصرف لما يليق به، ولا تدخلوا في بناء مسجد الله تعالى ما فيه شبهة ولو قلت؛ فإن الله تعالى لا يقبل إلا طيبا ! ››. فترك الرمل حتى حمله من احتاج إليه.

[درجات الورع عند الإمام الغزالي]:

وكان يقبل ما يفتح به من الولاة وغيرهم من أبناء الدنيا، ويصرف ذلك مصارفه، ولا يتلبس بشيء مما فيه شبهة[1]. وقد عد حجة الإسلام في "الإحياء" هذا في الدرجة الثالثة من درجات الورع، وربما أشار الشيخ بذلك إذا تعين المستحق. وللناس في قبول ذلك ثلاثة مذاهب:

المذهب الأول: التنزه عنه رأسا ؛ وهو ورع محض.

المذهب الثاني: أخذه والاستمتاع به على مقتضى الفقه ؛ وله قانون وشروط.

المذهب الثالث: أخذه وصرفه للمساكين وسائر المستحقين ؛ وقد رجح كثير من العلماء هذا المذهب لمن قوي وتضلع بالعلم والورع ؛ لأنه أكثر فائدة، وأجمع للمصالح، وأجرى على القواعد العلمية. قال في "الإحياء": ‹‹ فإذا كان السلطان إذا لم يؤخذ منه لا يفرقه واستعان به على ظلم ؛ فقد نقـول: أخذه منه وتفريقـه أولى من تركه في يده، وقد فعله ابن عمر وعائشة والشافعي... وغيرهم ››.هـ.

وإذا تمكن من إيصاله لمستحقه ؛ فكيف يُفوّته عليه؟!. وقد أفتى الشيخ أبو الفضل المميّسي بأن: من كانت بيده وديعة من مستغـرق الذمة ثم ردها إليه ؛ ضمنها للفقراء. قال الشيخ أبو عبد الله المواق: ‹‹ ونقل ذلك ابن عرفة فقها مسلما ››. [35]

وفي المال ومن هو بيده تفاصيل تولتها كتب الحلال والحرام ؛ كالذي في "الإحياء"، والذي ألفه الشيخ أبو الفضل راشد الوليدي، ومقالة القاضي أبي الوليد ابن رشد... وغير ذلك.

وبالجملة ؛ فالمال الذي ليس بملك حقيقي شرعي للذي هو متملك في يده، ولم يعرف له مالك معين ؛ حقه: أن يصرف في مصارف بيت المال. وأما الذي له مالك معين ؛ فالواجب أن يصرف إليه.

وقد أهدى بعض الولاة للشيخ أبي المحاسن مملوكة رومية تملكها من وجه جائز، فاستفسرت عن انتقال ملكها ؛ فتبين أنها جرى عليها غصب في بلد آخر. فبعث الشيخ لمالكها المغصوب ؛ فقدم من بلده، ورد إليه مملوكته، ثم أراد بيعها، وطلب من الشيخ أن يشتريها منه ؛ فاشتراها بنحو ثمانين مثقالا، ثم أعتقها. ومحاسنه — رضي الله عنه — كثيرة ولنكتف بهذا النزر اليسير الذي ساعد به التيسير.

[1] أي: كان يقبل الهدية منهم، ولكن لا يستعملها لنفسه، إنما يعطيها لمستحقيها.

الفصل الخامس

في انتقاله من القصر إلى فاس، وشيء مما يتعلق بذلك

كان الشيخ – رضي الله عنه – في القصر كما تقدم ذكره، ثم حرك الله تعالى قلبه إلى الانتقال إلى فاس، وكان عنده من ذلك ذكر من شيخه الشيخ المجذوب وغيره من المشايخ.

ولما عزم عليه ؛ علم أن أهل القصر لا يسمحون به، ولا يتمكن معهم من ذلك ؛ فأخرج أهله في صورة الزيارة عن غير عادة سابقة له بذلك، وأقام هو بالقصر، وبعث معهم من ولده وأخوته وحاشيته من يقوم بحق سفره.

فوصلوا إلى فاس يوم ثمانية عشر من ربيع الأول عام ثمانية وثمانين وتسعمائة، وما أحس أهل القصر إلا بعدما كانوا بحيث لا يطعمون في رجوعهم ؛ فادرك أهل القصر من الأسف ما لا يوصف وكأنما أطبقت بهم السماء على الأرض، وكثر بكاؤهم وعويلهم، وطال مبيتهم في ذلك ومقيلهم. ومازال الشيخ يلاطفهم ويؤنسهم إلى أن أنسوا وسكنوا ؛ وكان ذلك من أسباب إقامته هنالك بعد أهله، ثم انصرف عنهم إلى فاس.

وقد سر أهل فاس بانتقاله إليهم سرورا عظيما، وقاموا بحق الواردين عليهم قياما لا مزيد عليه. ولما قدم عليهم الشيخ ؛ أقبلوا عليه إقبالا عظيما، خاصة وعامة.

ثم رجع بعد مدة طويلة إلى تلك البلاد للزيارة، وتعهد ما بها ؛ فتطارح عليه أهل القصر بشيوخهم وصبيانهم، وخاصتهم [36] وعامتهم في الرجوع إليهم، وانتهى الخبر عن ذلك إلى أهل فاس ؛ فعجلوا إليهم طائفة منهم، نائبة عن جميعهم، ومتحملة كتب السلطان والمشيخة والأعيان. وخاطبوهم في ذلك بما قطع أطماعهم.

[رسالة القاضي الحميدي لأهل القصر الكبير في شأن الشيخ أبي المحاسن]:

ونص كتاب الشيخ الإمام، حافظ المذهب، قاضي الجماعة، وخطيب الخلافة ؛ أبي محمد عبد الواحد بن أحمد الحميدي[1] – رحمه الله – بعد الحمد والصلاة:

---

[1] توفي سنة 1004 (حجرية، والنسخة ب) .

« إلى كافة أهل القصر وخاصتهم ؛ شرفاء وفقهاء وعامة، سدد الله جمعكم، وأصلح آراءكم. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته: كتبناه إليكم عن الخير والحمد لله وبعد ؛ فقد بلغنا ما فعلتم مع السيد المعظم، العالم العَلَم، الفقيه البركة ؛ سيدي يوسف بن محمد، وأنه جاءكم زائرا لتجديد العهد، ثم إنكم اجتمعتم عليه بأهلكم وصبيانكم وسائر ا لحاضر، وتوسلتم له أن يرجع إليكم راجلا بأهله وأولاده، وتطلبون منه المحال ؛ فهذا أمر لا يجمل بكم، ولا نرتضيه أن يُسمع عنكم، لأنه الآن قاطن بين أظهرنا، ومن جملتنا، ومتصد لتعليم العلم، وقد دعت الحاجة إليه في هذه الحاضرة التي هي أم القرى، ومنبع العلم، وقد اختاره الله لها، وأزعجه - بفضله - إليها، فلا نسمح برحيله أصلا، ولا يخطر لكم ببال، ولا يمكن أن يكون هذا الوجه ولا بحال، فلا تتعرضوا له بفعل ولا مقال، وخلوا سبيله يسير مع مراد الحق منه لا مع شهواتكم ومرادكم واختياركم . والله بفضله يوفق الجميع إلى ما يحبه ويرضاه. . . والسلام. وكتب محبكم الفقير إلى الله سبحانه: عبد الواحد بن أحمد الحميدي لطف الله به ».

ولو أوردنا كتاب شيخ الجماعة، مفتي فاس وخطيب القرويين بها ؛ أبي زكرياء يحيى بن محمد السرَّاج[1]، وكتاب الشيخ الإمام العلامة، المقري المفسر ؛ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الزُّموري[2] . . . وغيرهما من الأكابر ؛ لخرجنا إلى التطويل الذي ليس من شرط الكتاب، وفيما أوردناه كفاية بحسب المقصود. وحسبك شهادة بعلم الشيخ أبي المحاسن قول القاضي: « وقد دعت الحاجة إليه بهذه الحاضرة ». في زمن فيه القاضي وغيره من أكابر العلماء! . وأقام الشيخ بالقصر حتى وجد أخلاق أهلها، وطابت أنفسهم، ورجع إلى فاس.

[زيارات الشيخ أبي المحاسن لضريح مولاي أبي سلهام]:

وكان من عادته – غالبا – الزيارة في أواخر فصل الربيع من كل سنة لسيدي أبي سلهام – نفعنا الله ببركاته – وإذا سمع أهل القصر بخروجه من فاس ؛ خرجوا للقائه والزيارة معه، حتى تكاد الأسواق [37] تتعطل، ولا يبقى – غالبا – إلا من لا يقدر على الخروج . . فإذا زاروا معه وقضوا أربا من وجهتهم ؛ صرف أكثرهم، وبقي معه بعضهم. فيدخل القصر ويقيم فيه أياما ؛ كالجمعة ونحوها، ثم يرجع إلى جهة سيدي أبي سلهام، وهنالك له رسم قديم من عهد أبيه كان يألفه، ويحن إليه نفسه، ثم يرجع إلى فاس، وربما تأخر عن ذلك في بعض السنين.

فلم يخرج سنة أربع وألف ؛ فكتب إليه شيخنا الفقيه العلامة الأديب البارع أبو عبد الله محمد بن علي القنطري قصيدة تزيد على سبعين بيتا ؛ منها قوله:

إلى الإمام الأثير الطاهر الشِيَم	أبي الجمال بفاس يوسفَ العلَم
أدامه الله مِن أسداء منّتهَ	للجمع والجذب والإمداد بالحِكَم

[1] توفي سنة 1009 (حجرية، والنسخة ب) .
[2] توفي سنة 1001 (حجرية، والنسخة ب) .

مِـن عنـد من عظمت فيكم محبتـه … محمـد بـن علـي القنطـري السَّلـم
يهـدي إليكـم سـلاما رائقـا عطـرا … عـن خيـر خالقـنا وفضلـه العَمِـم

ومنها:

لـكـم علـيـنا فـروض لا يقـام بها … مـع الـتـربـي وود الـوالـد البُهـم
ثـم لنـا فـيـكـم وُدٌّ أُمَـتُّ بـه … وبـاسـق الـود شبـه لحمة الرحـم
عـزبـت عـنـا فـما أحييت سنتكم … مـن التـواصل في الأوطـان والرُسُم
قـد كـان يعتـادنا بوصلكـم رجـب … فمـا أفـاد الأصـم جـوهـر الكلـم
هـلا اعتمـار لـدى شعبـان مقتصدا … أو حجـة بـعـده في الأشهـر الحُرُم
جاهـد إليـنا فإن النفـس قد صدأت … وحُث خيلـك بالإقدام والقـدَم
أطلـت في القصـر عن قـوم شريعتهم … تقـصر الطـول منـك عنـد وصلهم

وكان منزل الناظم في الشريعة من القصر، فتمكنت له التورية بذلك:

فـلا تسـنَّ أنـاة الـريث في مـلإ … طـوال حُب قصـار الصبـر للقصم
هـلا حـنـنـت إلى بـدء إرادتـكـم … بمنـزل كـانَّ فـيـه الشيـخ في أَمَـم
ومـا سكـنـت بـدار العلـم من ولـه … إلا بتحـريـك حـال مـن ديـا رهم

وأجابه عنها شيخنا أبو الطيب الحسن بن مهدي بقصيدة في عروضها وقافيتها ورويِّها، تزيد على ثمانين بيتا؛ منها:

أتـت بنـاتـك في حِلـي وفي حُلـل … في رائقـات غـريب القـول والنُظـم
تنبي عـن القلـب بالـوُد الصميم وعـن … حفـظ لما كان بيـن الخِيم والخِيَـم [38]
وقـد تلافت عهودا طال ما اندرست … واستخلصتـها بلطـف من يـد الهرم
وواصلـتـها فصـارت ريـثما وصلت … مـن بـعـد غربـتـها موصولـة الرحم
أكرم بـها مـن بنـات الفكر ما تركت … مـن المحاسـن مِـرْقـاة لمُسْـتَنِم
قـد لبِسَـتْ زخـرفا من البديـع على … جسـم بـهي ووجـه مشـرق وَسِـم
فلـم أجـد غيـر أن أتحفتها عـددا … مـن الـولائـد أخـدامـا لـهـا بهم
قـد ترجـمت عن لسان الوقت مقصده … أبـي الجمـال بفـاس يوسـف العَلَـم

ومنها:

ألا وعـلـمـك كنـز لا نفـاد لـه … فابـدأ بنفسـك إيقـاظا من الوهـم
وأزعج النفس عن حظ الحضيض وعن … عـز يُعَقِّـبُ بعـد المـوت بالنـدم
وانهـض كسيـرا وسـر نحو العـلا زمنا … فالعـزم إن صح هـذا الوهـم كالوَخَم

واتـل علـى القلب ما خولت من منن ... وحبـب النفـس في مـولاك بالنعـم
وعظـم الحـق تعظيـما تصير بـه ... في العين كل ملوك الأرض كالنَعَـم
وحاسـب النفس والأنفاس عـد ولا ... تـزال في بـاب مـولاك علـى قـدمَ
ومِـل لسـرب المساكيـن وكن رجلا ... إن عَنَّ أمـر كمثـل الدهـر في هِمَم
ولا تغرنـك الدنيـا وزخـرفـها ... فإنـها كسحـاب الصيـف والغِيَـمَ
والعـز معـرفـة المولى وخـدمـتـه ... ليـس التعـزز بالأتبـاع والخدمَ
والعلـم عنوانـه: فعـل ومسكنـة ... وخشيـة تترك الأحشاء في ضـرم
ثـم عـزوب عن الـدنيـا بما جمعت ... مـن المعـادن والأنعـام والحشم
وغب عن الرسم والمرسوم غيبة من ... لـو نـوهـوا بسـواها[1] الدهرَ لم يشم
وانـح إليـها بـها واترك سواها سدى ... وانظـر إليها بطرف عن سواها عمي

ومنها:

فـإن وصلـت لنصحي نلت مرتبـة ... مـن العبـودة تنجيـك مـن الوصَم
فانهض إليـها ودع مـولاك يفعـل مـا ... جَفت بـه عنده الأقـلام في القِـدَمَ
من نقل قـوم عن الأوطـان إذ سبقـت ... بـه المشيئـة في حـزب من الأمـم
لكـن عسـاه بفضـل منـه يجمعـنا ... بكم قـريبا خـلال الأشهر الحُرُم
وترتوي النفس من صدى معاهـدها ... ويـنـطـفي حرها من وردها الشَبِم
هـذا وودك مـرفـوع وإن جـزمت ... رسـائل القوم فاصرفها عن التهم
وكيـف لا وغصـون الـود باسـقـة ... لم أسهن وما بالعهد من قِـدَم [39]
أبـوك صنـوي على عهد الشباب وقد ... دامـت أخـوتنا في الشيب والهـرم
واتـل سلامـي على الإخـوان وفـرهم ... رب السمـاء وأنجـاهم من النقـم
وكن لهـم عضـدا واشـدد حَيَا زمَهُم ... واسـلك بهم مسلكا ينجي من الظلم
والـمرء يدّخـر الإحسـان ما سلمَت ... منـه قـواه لـوقت الضعف والسقم
ومـل بـهـم لشهـود الفضـل واعن بهم ... فالنفـس تنسـاق بالإحسان في أَمَم
وعـج بـهـم قِبَـلَ العليـاء منـزلـة ... إذا الطـريق معالـي الفعـل والشيـم

[ترجمة الشيخ أبي سلهام رضي الله عنه[2]]:

[1] سبحان من يفهم معناه . نسخة (ب) .
[2] انظر ترجمة في "سلوة الأنفاس" (الجزء الأول) .

وقد تكرر ذكر الشيخ أبي سلهام – رضي الله عنه – وقبره شهير بهذا المغرب ؛ يقصده الناس من أقطاره للزيارة، وتشد إليه الرحال. وهو على مسيرة يوم أول أقل من مدينة القصر، على مصب البحيرة في البحر، وعليه بناء مشيد تأنق الناس فيه، وأحكموا صنعة النقش في سقفه وحيطانه وأرضه ؛ في الخشب والجص والزليج الملون، وكان عند رأسه لوح مذهب مكتوب فيه: « هذه القبور الثلاثة التي أخفى الله تعالى فيها قبر الشيخ أبي سعيد ؛ المكنَّى بأبي سلهامة، وكانت وفاته سنة نيف[1] وأربعين وثلاثمائة ». ثم نزل مرة النصارى هنالك ؛ فأزالوا ذلك اللوح وذهبوا به، وكان النيف فيه مسمى ؛ ولكني أنسيته، ومع ذلك فلا يزيد على السبع !.

وعلى الدوام يقصده الناس ويرون له بركات عظيمة، ويجتمع عنده ليلة المولد الشريف خلق كثير لا يحصون من القبائل وأهل المدائن. وكان هنالك قوم ينتسبون إلى خدمته منذ قديم ؛ فيجلس ليلة المولد الشريف رجل منهم في رأس طريق منحدر هنالك. ويحضره الزمْنَى المقعَدُون ؛ فيوتى بواحد منهم فيمر يده على رجليه ويرقيه ويعالجه، ثم يرسله في ذلك الطريق المنحدر، فينحدر فيه مضطربا، ثم يستقل وقد برئ بإذن الله تعالى. وكان ذلك – فيما أدركناه، وفيما قبله – عادة مستمرة، ولا أدري ما هي الحال الآن؟ ![2]. نفعنا الله ببركة أوليائه وحشرنا معهم.

ولما استقر الشيخ بفاس ؛ أقبل عليه أهل فاس – إذ الناس ناس والزمان زمان – فكثر الجمع عليه، وسرت في الناس نفحة اهتزوا بها طربا، وكثر طلاب الدخول في الطريق، وترادف القاصدون من الجهات ؛ حتى لقد أحصى بعض الناس من صلى معه العصر يوما بعرصة ابن القاضي في المخفية، فكانوا ألفا وأربعمائة ؛ فقال له يوما الشيخ الرئيس، الكاتب الأصيل، أمين الدولة وخاصتها ؛ [40] أبو عبد الله محمد بن محمد بن رضوان الخزرجي النجاري، وكان بالغ المحبة والخدمة للشيخ: « يا سيدي ؛ إن موالينا الشرفاء – يعني: السلاطين – لا يحتملون هذه الجموع! ». فقال له الشيخ: « الفقير هو الذي يجلب ويدفع، ومن الآن إلى خمسة عشر يوما لا تجد شيئًا من هذه الجموع !». فكان كذلك، وصار الأمر إلى الاعتدال.

ولما جاء إلى فاس ؛ سكن بدار في أقصى الدرب الجديد من المخفية من عدوة الأندلس من فاس – حاطها الله – وهي: الدار التي في يد أعقابه إلى الآن، وكانت أولا في يده على وجه الرهن، ثم اشتراها، ثم توسع فيما حواليها بالشراء حسب الضرورة والتيسير. وكان أولا يسكن في أعلاها ويجتمع الناس في أسفلها، ثم اشترى دويرة صغيرة تجاورها في جوفها ؛ فصار الناس يجتمعون فيها، وخلصت الأولى للسكنى، والضرورة مع ذلك داعية للتوسعة ؛ فاشترى دارا أخرى تجاور هذه الدويرة في جنوبها بمائتي مثقال اثنين وخمسين

[1] على هامش النسخة (ب) ما نصه : وفاته: 343 . فيكون استدراكا على المؤلف وعلى صاحب "السلوة" وغيرهما من مؤرخي المغرب .وقد بقي تاريخ وفاته رضي الله عنه منذ تاريخه مجهولا حتى عثرنا عليه الان بحمده تعالى .

[2] أما الان ؛ وهو عام 1423 ؛ فقد ذهبت حرمة الضريح المذكور، وأصبح الساحل بجواره شاطئًا للسباحة، مختلطا، يمتلئ بالعري والسياح، ويختلط الرجال بالنساء السافرات داخل قبة الضريح نفسه، وكذلك في غالب أضرحة المغرب ولا حول ولا قوة إلا بالله. والله المستعان على فساد الزمان وأهله ! .

مثقالا[1]. وكانت دارا واسعة رحيبة الساحة ؛ فانتقل الناس إليها، وأول صلاة صلوا فيها: ظهر الاثنين أول يوم من شهر رمضان سنة ثلاث وألف.

[تأسيسه لمسجده بالمخفية]:

ثم إلى يوم الأحد الخامس من شوال سنة أربع وألف شرع في تأسيس المسجد وما اتصل به في تلك الدار، وأنفق في عمارته جملة وافرة من المال، تحرى فيها تَمَحُّضَ حِليتها وخلوصها. وتم بناء المسجد بما يحتاج فيه، وبسطت فيه الحُصُر وعلقت المصابيح يوم الأحد التاسع من ذي الحجة مكمل سنة التاريخ . وأول صلاة صليت فيه: ظهر اليوم المذكور. ورتب فيه إماما ولده شيخنا الإمام أبا العباس أحمد، وجعل في قبلة المسجد محاذيا للمحراب في جهة المشرق الشمالي خزانة وَقَف فيها جملة من الكتب، ووقف الناس ؛ فاجتمعت فيها جملة صالحة من الكتب، ورتب في المسجد كرسيا لقراءة "العمدة" الحديثية تفقها، و"الرسالة"، و"المختصر" بين المغرب والعشاء، فالحديث في ليلتي الخميس والجمعة، والفقه في سائر ليالي الأسبوع. وولي تدريس ذلك شيخنا أبو العباس، وكنت أنا القارئ بين يديه. وبعد ذلك التاريخ بقريب تم بناء صومعة المسجد والزاوية الملاصقة له، والميضاة القريبة من مقابلة باب الحفاة الذي تحت الصومعة.

[الكلام على محاريب فاس]:

ولما وقع الشروع في تأسيس المسجد ؛ حضر المعدلون لنصب محرابه، فنصب على ما يجب، فكان من أقوم مساجد فاس قبلة ؛ فإن مساجد فاس مختلفة [41] اختلافا كثيرا كما هو مشاهد، ولا مرية في أن مكة من فاس في الربع الشرقي الجنوبي ؛ لكون فاس في جهة الشمال منها. وسمت فاس بالأدلة: درجة أو درجتان . وبالحساب: خمس أو ست . والمطلوب في القبلة: الجهة –كما استظهر في الفقه– والجهة: هي ربع من أرباع الدايرة، وكل ربع فيه: تسعون درجة.

ولما كانت فاس –كما تقدم– سمتها درجة أو درجتان من الربع الشرقي الجنوبي ؛ كان سمت قبلتها على خط المشرق، وكانت جهة قبلتها ملفقة ؛ فعن يمينها خمس وأربعون درجة أو أكثر بدرجة أو درجتين في الربع الشرقي الجنوبي، وخمس وأربعون درجة أو أقل بدرجة أو درجتين عن يسارها من الربع الشرقي الشمالي.

[1]. كذا في الأصلين المعتمدين ، والأظهر أنها: واثنين وخمسين مثقالا .

وخطأ التاجوري من يقول: إن جهتها هي ما بين عين المشرق وعين الجنوب. وعلى ما قاله ؛ فما زاد عن خمس وأربعين في الجنوب خارج عن القبلة، وقد صرح به التاجوري . ونقول مثل ذلك في الشمال. لكن لا نزاع فيه[1] .

وقد كان شيخنا شيخ الإسلام أبو عبد الله القصار قبل أن يلي الإمامة والخطابة بالقرويين يصلي الجمعة بالمدرسة العنانية. قال لنا: ((لأن قبلتها أقوم من قبلة الأندلس والقرويين، واستقبال القبلة مجمع عليه، وعدم تعدد الجمعة مختلف فيه، والذي اعتمده الناس: صحة التعدد، وعليه عملهم !)).

ثم إن جامع الأندلس سمته نحو سبعين درجة، وجامع القرويين سمته أربع وثمانون درجة، فالأندلس أقرب من القرويين ؛ وهذه صورة الدائرة تقريبا:

ومازال الناس يقصدون صلاة الجمعة في جامع الأندلس ؛ لأن إقامة الجمعة بعدوة الأندلس سابقة على إقامتها بعدوة القرويين، والجمعة للعتيق، وإن كانت المسألة خلافية ؛ فالخروج من الخلاف شأن أهل الاحتياط، ولأن قبلة الأندلس أقرب من قبلة القرويين كما تقدم.

وكان الشيخ أبو المحاسن لا يصلي الجمعة إلا في جامع الأندلس، وكان يمسك عن الطعن في القبلة وعن تصويبها، وكان مع ذلك ينحرف. وسمعته مرة قال: ((إن انحرافه لأمر غالب)). ولم يفسره !. وقد ذكر الشيخ أبو يعقوب التادلي أبا إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي نزيل مراكش وقال: ((كان من الأفراد، وكلمه بعض

[1] أن قبلة المدرسة العنانية أقوم من قبلة الأندلس والقرويين . نسخة (ب) .

أصحابه في شأن القبلة وقد شرق أبو إبراهيم ؛ فقال له: [42] لي منذ كذا وكذا سنة ما كبرت إلا وأنا أعاين القبلة !!». وذكر الشيخ أبو عبد الله الطنجي الشيخ أبا بكر البرْندي (كذا) الأندلسي وقال: «كان كثير المكاشفات والإطلاع على الغيوب في الملك والملكوت... قال: وسافرت معه إلى المشرق وقال لي: رأيت الناس يصلون في جامع تونس وينحرفون لجهة المشرق، ويقول أكثر أهل البلدان: القبلة مغربة . فكنت نصلي بين العشاءين، فقلت: اللهم أرني فيه الحق.فرأيت القبلة قد انشقت، ورأيت الكعبة مشرقة عن قبلة الجامع كما يقولون !». وفي ذلك – عند المصدقين لأولياء الله تعالى – دليل على أن القبلة في جهة المشرق كما اقتضته الصناعة.

قال التاجوري: «وسمت الكعبة لفاس: مطلع الشمس يوم الاعتدال الربيعي أو الخريفي . وأما جهتها : فمطلع الشمس شتاء وخريفا، وصيفا وربيعا، جهة قبلة لأهل فاس والمغرب الداخل ؛ وهو ما وراء تلمسان ».

وعلى ذكر القبلة – والشيء يذكر بالشيء – حدثني الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن الشيخ الولي الشهير سيدي أبي بكر الصنهاجي دفين الدلاء – رضي الله عنهم – أنه: كان مرة مع شيخه الولي الشهير أبي عبد الله محمد الشرقي في خباء، فأقيمت الصلاة والإمام والناس خارج الخباء ؛ فقام الشيخ للصلاة ؛ فتيامن كثيرا . قال: «وتياسرت لما اعتقدت أنه الصواب في القبلة! ؛ فأنكر ذلك الفقراء ».ثم إنه زار بفاس الشيخ أبا المحاسن.

قال لي: «فبعد خروجي عنه ووصولي إلى الشماعين ؛ لحقني رجل من أصحابه وقال لي: إن الشيخ يقول لك: كيف اتفق لك مع سيدي محمد الشرقي في القبلة؟!. قال: فحدثته بذلك ». والرجل المبعوث المذكور هو: سيدي علي البيطار . وكان الشيخ أبو المحاسن قد سمع ذلك واستحسنه، وعاب إنكار المنكرين عليه ؛ فإن الشيخ لا يرفع التكليف بالوظائف الشرعية التي القبلة من جملتها . والمشايخ قد تصدر منهم أمور تؤول أو تسلم، ولا يتبعون فيها . وإنما هم بشر يجوز عليهم السهو وما يجري مجراه.

وسمعته – رضي الله عنه – يقول: «إن الشيخ المجذوب كان يقول لأصحابه: اتبعوني ما سلكت الجادة ؛ فإذا خرجت ؛ فقفوا حيث أنتم حتى أعود إليكم. ومن تبعني في ذلك ؛ تلف! ». أو كلاما هذا معناه.

[بناء الزاوية الفاسية بتطوان]:

وقبل بناء المسجد بنحو عام ؛ أمر الشيخ أصحابه الذين بتطاون ببناء رابطة هناك لأورادهم وأحزابهم واجتماعهم للذكر والتذكير ؛ فبنوها في العيون منها، وقام الرسم بها أحسن [43] قيام، ولم تزل الصلوات راتبة

بها، ورسوم الخير من تلاوة وذكر وغيرهما ثابتة فيها، واسم الزاوية جاريا عليها، ووقف الناس أوقافا ؛ منها: دار مجاورة لها كنا بها إلى أن ارتحلنا عن تطاون. وفي هذا القدر في هذا الفصل كفاية. . . والله أعلم.

الفصل السادس

في عمله رضي الله عنه في اليوم والليلة

كان – رضي الله عنه – كثير قيام الليل والتهجد بالقرآن، حسن النغمة والتلاوة، تستوقف قراءته السامع، وتتمكن من القلوب والمسامع، فإذا طلع الفجر ؛ صلى ركعتي الفجر بمنزله، وأقام ريثما يذكر المرتب عنده بعدهما في مدة ساعة معتدلة أو نحوها، ثم يخرج إلى المسجد.

وكان يقول بإثر السلام من ركعتي الفجر: ((اللهم إني أسألك بوجهك الكريم الكريم الكريم عافيتك وتمام نعمتك)).

وذكر لي شيخنا أبو عبد الله النيجي أن مما كان يذكره الشيخ بعد صلاة الفجر: التسبيح الوارد في الحديث. كما في "الإحياء": أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال: ((تولت عني الدنيا، وقلت ذات يدي)). فقال رسول الله عليه وسلم: ((فأين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون؟!)). قال: ((وبم ذا يا رسول الله؟)). قال: ((قل: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم، سبحان من يمن ولا يمن عليه، سبحان من يجير ولا يجار عليه، سبحان من يبرأ من الحول والقوة إليه، سبحان من التسبيح مَنٌّ منه على من اعتمد عليه، سبحان من يسبح كل شيء بحمده، سبحانك لا إله إلا أنت، يا من يسبح له الجميع تداركني بعفوك فإني جزوع. واستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر إلى أن تصلي الصبح ؛ تأتك الدنيا راغمة صاغرة، ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكا يسبح الله عز وجل إلى يوم القيامة. لك ثوابه)). قال الشيخ زين الدين العراقي: ((حديث: إن رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: تولت عني الدنيا : رواه المستغفري في "الدعوات" من حديث ابن عمر وقال: غريب من حديث مالك، ولا أعرف له أصلا في حديث مالك، ولأحمد – يعني: ابن حنبل – من حديث عبد الله بن عمر أن نوحا قال لابنه: آمرك بلا إله إلا الله، ثم قال: وسبحان الله وبحمده ؛ فإنها صلاة كل شيء، وبها يرزق الخلق. وإسناده صحيح)).

ووقع في بعض نسخ "الإحياء" بدل ذلك التسبيح إلى آخره: ((سبحان [44] الله وبحمده ، سبحان الله العظيم، أستغفر الله (مائة مرة)))، وهو الذي نقل ابن ثابت في شرح كفايته عن "الإحياء".

وقد يسأل عن قصد المشايخ بذكر مثل هذا ؛ فيقال: القصد الأصلي هو تحصيل ما ذكر من الأجر، وأما ما ذكر من إتيان الدنيا راغمة ؛ فتبع، وقد قال حجة الإسلام: ((سألت بعض مشايخنا عما يعتاده أولياؤنا من قراءة الواقعة للغنى في أيام العسر ؛ كيف تصح إرادة الدنيا بعمل الآخرة ؟!. فقال المراد: القناعة وما يعين على العبادة ودرس العلم)).

وغالب ظني أن الشيخ كان يذكر حينئذ أيضا: ((يا حي يا قيوم، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا الله لا إله إلا أنت، أسألك أن تحيي قلبي بنور معـرفتك أبدا سرمدا، يا الله (أربعين مرة))). قال الشيخ أبو عبد الله الترمذي الحكيم رضي الله عنه: ((رأيت رب العزة جل جلاله أكثر من ألف مرة ؛ وفي كلها أقول: يا رب ؛ إني أخاف زوال الإيمان!. فأمرني ربي جل جلاله في كل مرة أن أقول بين صلاة الفجر والفريضة أربعين مرة: يا حي يا قيوم. . .)). إلى آخره.

وقال الشيخ أبو عبد الله الكتاني – رضي الله عنه: ((رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ؛ فقلت: ادع الله أن لا يميت قلبي !. فقال: قل كل يوم أربعين مرة: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت)).

وفي كتاب "عَلَم الهدى": ((من ذكر كل يوم أربعين مرة: يا حي يا قيوم. أحيى الله قلبه، وأنطقه بالحكمة، وشرح صدره)).

فإذا أتم الشيخ ما كان بذكره ؛ خرج إلى المسجد ، فإذا وصل إلى الباب الصغير الملاصق لداره ؛ أقيمت الصلاة وتقدم إلى الصف الأول فوقف خلف الإمام، وكان إمام المسجد : ولده شيخنا أبا العباس أحمد . فإذا سلم ؛ بقي على حاله حتى يفرغ من المعقبات وما جرت عادته بذكره إثر الصلاة. ثم ترفع الأيدي للدعاء، وتمسح الأوجه بها على ما هو معتاد عند الناس.

[حكم الدعاء أدبار الصلوات ورفع اليدين فيه، وكيفية ذلك]:

وقد قال الأستاذ أبو سعيد بن لب: « لم يزل الدعاء أدبار الصلوات المفروضة معمولا به في جميع أقطار الأرض ». وفي "العتبية": « قال مالك: رأيت عامر بن عبد الله يرفع يديه وهو جالس بعد الصلاة يدعو. فقيل لمالك: أترى بهذا بأسا ؟. قال: لا أرى به بأسا، ولا يرفعهما جدا ». قال ابن رشد: « إجازة مالك في هذه الرواية لرفع اليدين في الدعاء عند خاتمة الصلاة هو نحو قوله في "المدونة" ؛ لأنه أجاز فيها رفع اليدين في الدعاء في مواضع الدعا ؛ لأن خاتمة الصلاة موضع للدعاء ».

وقال في موضع آخر [46]: « رفع اليدين إلى الله عند الرغبة، على وجه الاستكانة والطلب؛ جائز محمود من فاعله. وقد أجازه مالك في "المدونة" في مواضع الدعاء، وقد وقع لمالك في رسم المحرم أنه لا يعجبه، ومعنى ذلك: الإكثار منه في غير مواضع الدعاء ؛ حتى لا يختلف قوله. . قال: واستحب في صفته: أن تكون ظهورهما إلى الوجه، وبطونهما إلى الأرض، وقيل في قول الله عز وجل: ﴿ يدعوننا رغبا ورهبا ﴾. [الأنبياء: 90] أن الراغب: بكون بطون الأكف إلى السماء، والراهب: بكون بطونهما إلى الأرض». هـ.

وقد أخرج الطبراني في "الكبير" عن ابن عباس رضي الله عنهما: « كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دعا ؛ جعل باطن كفه إلى وجهه[1] »، وأخرج الطبراني أيضا في "الكبير" عن أبي بكرة مرفوعا: « سلوا الله ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها[2] ». وأخرج أبو داود والبيهقي عن ابن عباس مرفوعا: « سلوا الله ببطون أكفكم، ولا تسألوه بظهورها . فإذا فرغتم ؛ فامسحوا بها وجوهكم[3] ».

وقال الشيخ أبو الحسين بن زرقون: « ورد الخبر بمسح الوجه باليدين عند انقضاء الدعاء، واتصل به عمل الناس والعلماء »، وقال الشيخ شمس الدين البلالي: « ويمسح وجهه بكفيه لما رواه أبو داود والبزار وابن حبان، وابن ماجه والحاكم في "المستدرك" بأسانيد جيدة ». وإنما ذكرنا هذا ؛ لما ألفه بعض الناس من إنكار ذلك.

---

[1] أخرجه الطبراني في "الكبير" عن ابن عباس برقم (12234) .وانظره بمعناه في مسند الإمام أحمد (5 : 223)، وسنن الترمذي (557)، وسنن أبي داود (1168)، وسنن النسائي (3:159).

[2] رواه أبو داود بلفظ: « إذا سألتم الله » (رقم 1486 عواد) عن مالك بن يسار، وبمعناه رقم (1485) عن ابن عباس، ورواه كذلك ابن ماجه في سننه رقم (3866).

[3] لم اجد هذه الزيادة عند أبي داود غير أنه روى بسنده عن السائب بن يزيد مرفوعا: « أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا دعا فرفع يديه ؛ مسح وجهه بيديه » (رقم 1492)، وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف. ووردت بمسح الوجه بعد الدعاء آثار أخرى غير هذا.

[أصل قراءة الفاتحة عقب الدعاء]:

وقد شاع في العرف إطلاق اسم الفاتحة على رفع الأيدي للدعاء ؛ لما شاع من رفع الأيدي وقراءتها في الدعاء وطلب الحاجات.

ومن أصول ذلك: ما في كتاب الشيخ المحدث أبي محمد عبد الغفور بن عبد الله النفزي[1] المرسي — رحمه الله تعالى — عن سلمان الفارسـي رضي الله عنه قال: قال لي رسـول الله صلى الله عليه وسلم: « يا سلمان؛ إذا دعـوت فقدم بين يديك شفاء ». فقلت: « كيف يا رسول الله؟ »، قال: « تقرأ الفاتحة ثلاث مرات». وما في "شعب الإيمان" للحافظ أبي بكر البيهقي رحمه الله من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما : « فاتحة الكتاب شفاء من كل داء[2] ». وفي كتاب "الثواب" لأبي الشيخ ابن حيان عن عطاء قال: « إذا أردت حاجة ؛ فاقرأ فاتحة الكتاب حتى تختمها ؛ تقض إن شاء الله تعالى[3] ».

ثم يقوم الشيخ فيجلس في الموضع الذي كثيرا ما يجلس فيه في صدر الزاوية، مواجها للقبلة، مقابلا للباب النافذ في القبلة إلى المسجد ؛ وهو: المقابل لباب المسجد القبلي وعلى يساره. فكان يجتمع فيه الناس لقراءة الأحزاب التي رتب قراءتها في ذلك الوقت . وستذكر [46] إن شاء الله .فيجلس إلى الإسفار، ثم يدخل إلى داره، فيأخذ مصحفه ويقرأ فيه بالمصباح. وكان يختم هذه الختمة في سبعة أيام. سمعت ولده شيخنا أبا العباس يقول: « إنه على الترتيب الذي بالسور ».

[كيفية تحزيب القرآن على عهد الصحابة]:

وفي "الإحياء": « قيل: أحزاب القرآن سبعة ؛ فالحزب الأول: ثلاث سور. والحزب الثاني: خمس سور. والحزب الثالث: سبع سور. والرابع: تسع سور. والخامس: إحدى عشرة سورة . والسادس: ثلاث عشرة سورة. والسابع: المفصل من (ق)، فهكذا حزبه الصحابة، وكانوا يقرؤونه كذلك». قال العراقي: « حديث: تحزيب القرآن سبعة أحزاب: رواه أبو داود وابن ماجه من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه: قال أوس: فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف تحزبون القرآن؟. فقالوا: ثلاثا، وخمسا، وسبعا، وتسعا، وإحدى عشرة، وثلاث عشرة، وحزب المفصل. وفي رواية الطبراني: فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحزب القرآن؟. فقالوا: كان يحزبه ثلاثا . . . فذكره مرفوعا، وإسناده حسن ».

---

[1] هذه اللفظة زيادة من نسخة (ب) .والمقصود هنا: كتاب "الترغيب والترهيب" للمنذري . والله أعلم .
[2] رواه الدارمي في سننه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه (2: 538)، ولم أقف عليه في "الشعب".
[3] لم أقف عليه بهذا اللفظ.

[أصل ختم القرآن في سبعة أيام]:

وأما مطلق الختم في السبع دون تعيين تحزيب ؛ ففي الإحياء: « أمر النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في سبع، وكذلك كان جماعة من الصحابة يختمون القرآن في كل جمعة ؛ كعثمان، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبي بن كعب.. ». قال العراقي: « أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في سبع: متفق عليه من حديثه ».

[فضل قراءة القرآن الكريم من المصحف]:

وكان يقرأ في المصحف مع جودة حفظه وحسن أدائه ؛ لما في ذلك من الفضل. قال شيخ الإسلام النووي في "التبيان": « قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب ؛ لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة، فيجتمع القراءة والنظر. هكذا قاله القاضي حسين من أصحابنا، وأبو حامد الغزالي وجماعات من السلف. ونقل الغزالي في "الإحياء" أن كثيرا من الصحابة – رضي الله عنهم – كانوا يقرؤون من المصحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف. وروى أبو داود القراءة في المصحف عن كثيرين من السلف، ولم أر فيه خلافا ».هـ .

فإذا قضى القراءة ؛ خرج إلى مكانه – أيضا – من الزاوية، فجلس فيه قبل فراغ الحزب الذي يقرؤه الناس. فإذا فرغوا منه ؛ قاموا إلى الشيخ فسلموا عليه، فيجلس إليه بعضهم وينصرف آخرون، فيجلس هنالك ساعة يتكلم فيما يقتضيه الوقت مع أصحابه، ثم يدخل منزله.

وكان [47] يصلي صلاة الإشراق، ثم صلاة الضحى. وكان يتوضأ لكل صلاة، ولا يمر عليه وقت إلا وهو على وضوء؛ فكان دائم الطهارة إلا ما تقتضيه ضرورة البشر.

وكانت له سبحة من عود العناب[1] فيها مائة حبة، لا تفارقه، ولا سيما في طرفي النهار إلى وقت نومه.

والسبحة: من شعار القوم، وقد كانت للجنيد وغيره، ولها أصل في السنة . وقد ألف في ذلك شيخ الإسلام الأسيوطي.

وإذا كان في منزله ؛ لا يكون إلا مصليا أو تاليا أو ذاكرا أو مطالعا.. ولا يضيع حق أهله في كلامه وحديثه، موانسا لهم، ومطيبا لنفوسهم. وكان من مرتباته: جزء من التفسير يطالعه كل يوم في أوائل النهار،

---

[1] العُناب: شجر معروف، يسمى بالفارسية: السنجلان، وربما يسمى عود الأراك عُنَابا، وهو الأقرب هنا .

وكان يعتني كثيرا بتفسير ابن عطية، وكان يستحضر أكثره، وكان الشيخ أبو المحاسن لا يفارقه وجيز الواحدي، وتسهيل ابن جزي[1].

وكان في كثير من السنين في فصل الشتاء يأخذ في القرآن ختمة باللوح مع جودة حفظه ؛ حتى لقد رأيت شيخنا أبا الطيب ابن مهدي - وهو من هو - يقرأ عليه القرآن. وإنما كان يفعل ذلك زيادة محبة واعتناء بكتاب الله عز وجل.

وقد قال الشيخ أبو عبد الله السنوسي في حق شيخه سيدي الحسن بن مخلوف أبركان رضي الله عنه: ((إنه كان محبا في ذكر الله تعالى وفي قراءة القرآن خصوصا، حتى إنه لم يكتف فيه بتلاوته وفي نوافله، بل كان يأخذ فيه ختمة باللوح كل سنة إلى أن مات . وقد كان يبعث بلوحه إلى أبي – رحمه الله تعالى – يكتبه له كل يوم، هذا مع كبر سنه وكثرة التشويش عليه سلطنة وغيرها، وتدريسه للعلم وضعف بدنه)). هـ. رحمهم الله ما أحرصهم على الخير، وأعرفهم به ! .

وإذا كان فصل قصر الليل والحاجة إلى الاستعانة بنوم النهار[2] ؛ نام ساعة قبل الظهر. ثم يقوم ويتوضأ، ويخرج إلى المسجد فيصلي الظهر في الوقت الذي يصلى فيه في جامع القرويين على ما تقرر في الزيادة على ظل الزوال . فإذا فرغ من الصلاة ورواتبها ؛ كان بحسب الوقت في الدخول إلى منزله وعدمه . فإذا كان العصر ؛ صلى رواتبها أيضا، ويصلي العصر في وقت الصلاة في القرويين، ثم يجلس مستندا لوسط الحائط الجنوبي المغربي من البهو الثاني من أبهاء المسجد . **والبهو:** هو البلاط عند أهل المغرب وأهل الأندلس.

فيقرأ بين يديه ولده شيخنا أبو العباس صحيح البخاري أو صحيح مسلم. هذا هو الغالب، وربما قرأ كتابا غيرهما ؛ "كقوت القلوب" للشيخ أبي طالب المكي، و"إحياء علوم الدين" للشيخ [48] أبي حامد الغزالي وغير ذلك. هكذا في سائر السنة.

وأما في شهر رمضان ؛ فقراءة صحيح البخاري لازمة، ويختم في آخر رمضان. وكان يحضر ذلك المجلس دائما جماعة من أعيان الفضلاء ؛ منهم: أخي شيخنا أبو العباس أحمد ؛ وهو كان قارئ ما يقرأ هنالك، وعمي شيخنا أبو محمد عبد الرحمن، وشيخنا أبو الطيب الحسن ابن مهدي، وشيخنا أبو القاسم ابن القاضي، وصاحبنا العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم. . وغيرهم ممن كان يلازم ذلك المجلس دائما، وربما حضره في بعض الأوقات شيخنا قاضي الجماعة أبو الحسن علي بن عمران وغيره. وكان مجلسا مقصودا كثير الفوائد، لا نظير له إذ ذاك فيما علمنا ببلاد المغرب.

---

[1] "الوجيز في تفسير القرآن العزيز". للإمام علي بن أحمد الواحدي المتوفى عام (468) طبع، و"التسهيل لعلوم التنزيل" لمحمد بن أحمد ابن جزي الكلبي المتوفى عام (741) . طبع كذلك.

[2] أي فصل الشتاء .

وكان الشأن في قراءة الصحيحين: إحضار "المشارق" للقاضي عياض، وربما أحضرت أيضا "المطالع" لأبي إسحاق بن قرقول ؛ وبينهما اختلاف يسير ، و"المشارق" أصله، وكتاب "الغريبين" للهروي، و"غريب الحديث" لابن الجوزي المرتب على مساند الصحابة، ويخص صحيح البخاري شرحه لابن حجر وابن بطال وابن التين الصفاقسي، وزكرياء والبرماوي، وحاشية الدماميني. . . وغير ذلك من الكتب المتعلقة به. ويخص صحيح مسلم: "المعلم" للإمام المازري، و"الإكمال" للقاضي عياض، وشرحه للنووي والأُبي ؛ فكانت تحصل هنالك فوائد، وتظهر نكت، وتتحرر قواعد لا كفاء لها.

وكان الشيخ يتكلم في ذلك بفتوحات وأسرار تحار فيها الأفكار، وتطرب بها النفوس، وتنشرح لها الصدور، وتطمئن بها القلوب.

[الكلام على نسخة صحيح البخاري لابن سعادة]:

وكانت قراءة صحيح البخاري في نسخة نسخت للشيخ أبي المحاسن في خمسة أسفار من نسخة في هذه التجزية بخط الحافظ أبي عمران موسى بن سعادة، وعليها خط ابن أخيه الحافظ أبي عبد اللهِ محمد بن يوسف بن سعادة، وتصحيحه كثيرا، وتكررت قراءتها على الإمام الحافظ القاضي أبي علي بن سُكرة الصدفي كثيرا، وعليها خطه.

[ترجمة الحافظ موسى ابن سعادة]:

وقد قال الحافظ أبو عبد الله ابن الأبار في "تكملة الصلة": « موسى بن سعادة: من أهل مرسية. يكنى: أبا عمران. سمع صهره أبا علي بن سُكرة، وكانت بنته عند أبي علي، ولازمه وأكثر عنه، ورحل وحج، وعني بالرواية، وانتسخ صحيحي البخاري ومسلم بخطه، وسمعهما على صهره أبي علي، وكانا أصلين لا يكاد يوجد في الصحة مثلهما؛ حكى الفقيه أبو محمد عاشر بن محمد عاشر أنهما سمعا على أبي علي نحو ستين مرة . وكان أحد الأفاضل الصلحاء، والأجواد السمحاء، يؤم بالناس في صلاة الفريضة، ويتولى القيام [49] بشؤون صهره أبي علي وبما يحتاج إليه من دقيق الأشياء وجليلها، وكانت له مشاركة في علم اللغة والأدب ؛ وقد حدث عنه ابن أخيه القاضي أبو عبد الله محمد بن يوسف ابن سعادة بكتاب "أدب الكاتب" لابن قتيبة، و"الفصيح" لثعلب. ولم أقف على تاريخ وفاته، وكان حيا سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة" » . انتهى مختصرا.

[وفاة الحافظ الصدفي]:

وأما الحافظ أبو علي الصدفي ؛ فذكر ابن الأبار وغيره أنه فُقِد في غزوة كتندة سنة أربعة عشرة وخمسمائة، وهو شيخ القاضي عياض، وكثيرا ما يقول فيه القاضي: « الشهيد ».

[ترجمة القاضي محمد بن يوسف ابن سعادة]:

وأما أبو عبد الله محمد بن يوسف بن سعادة ؛ فروى عن أبي علي الصدفي، وكان بصيرا بالنحو، قائما على اللغة والغريب، حاذقا في الكلام، فقيها في الفروع، مائلا إلى التصوف، مؤثرا له، حسن الهدي والسمت والوقار، تاليا لكتاب الله عز وجل آناء الليل والنهار، كثير الخشوع في الصلاة لا يفتر عنها، دائما له حظ من الصوم لا يزال عليه راتبا، وكان يحدث بمرسية وبلنسية وشاطبة. ألف كتاب "الشجرة" لم يسبق إلى مثله. توفي سنة خمس وستين وخمسمائة. هـ. وكتابه المذكور هو: "شجرة الوهم، المرتقية إلى ذروة الفهم"، وقد رأيت نسخة منه غير تامة.

وهذا الأصل أجل الأصول الموجودة بالمغرب، وكان من أحباس جامع القرويين. ولما نسخ منه الفرع المذكور ؛ كان يسرد فيه شيخنا أبو العباس كما تقدم، ويمسك الأصل عمي شيخنا أبو محمد عبد الرحمن، وتعددت مقابلته كذلك مرات، ثم استمرت القراءة في الفرع المذكور .

[نسخة أبي بكر ابن خير لصحيح مسلم]:

وكانت قراءة صحيح مسلم – أيضا – في نسخة في أربعة أسفار نسخت له أيضا من نسخة في سفر واحد، نسخها الشيخ الكاتب الأديب أبو القاسم بن عفير للأمير (...)[1] اللمتوني، وتولى مقابلتها وتصحيحها الحافظ الضابط المتقن أبو بكر ابن خير، فبالغ في ذلك. وبلغ فيه الغاية.

[ترجمة الحافظ أبي بكر ابن خير الفاسي الإشبيلي]:

وقد عرف به غير واحد ؛ وهو: أبو بكر ابن خير الحافظ المقرئ الأموي – بفتح الهمزة – الإشبيلي، خال الحافظ أبي القاسم السهيلي، وأحد الأئمة المشهورين بالإتقان والتقدم في العربية والقراءات والروايات والضبط، بحيث تغالى الناس في كتبه بعد موته، وزادت عدة من كتب هو عنه على مائة، مات – رحمه الله – في ربيع الأول سنة خمس وسبعين وخمسمائة عن ثلاث وسبعين سنة.

[1] وقع في أصل المؤلف هنا بياض. (حجرية). وكذا في النسخة (ب) . وفي النسخة (ب) : أبو القاسم بن عمير لا عفير .

وقوبل – أيضا – هذا الفرع بأصله كما ذكر في صحيح البخاري ؛ فصار هاذان الفرعان أصلين لا نظير لهما بعد أصليهما، وكان الشأن في ذلك [50] المجلس كما ذكرنا.

فيستمر إلى مقدار ما يتهيأ لصلاة المغرب، ويصل بعيدُ المنزل إلى منزله، ثم يصلي الشيخ المغرب في المسجد، ويتنفل بعدها، ثم يدخل إلى منزله ؛ فيتنفل ويذكر في سبحته، ويقضي ما يقتضيه الوقت من المآرب، ثم يخرج لصلاة العشاء، فإذا صلى ؛ دخل إلى منزله فيصلى عشر ركعات يقرأ فيهن أحزابا من القرآن، ثم يصلي الشفع والوتر بالأعلى والكافرون والإخلاص والمعوذتين. ثم ينام جزءا من الليل، ثم يقوم لأوراده وتهجده وتلاوته، فيكون شأنه على ما تقدم ذكره.

وربما كانت قراءة أيضا في غير العشي ؛ فكان مرة تقرأ غدوة بين يديه "الشريشية"في آداب السلوك، ويتكلم عليها، ويحضر لذلك خلق كثيرون تغص بهم تلك الرحاب.

وكان له مجلس في كل يوم جمعة غدوة إلى الأذان الأول ؛ وهو المعروف عند أهل فاس بالثاني، أو قربه، يجتمع فيه خلق عظيم، ولم يكن يُقرأ فيه – في الغالب – كتاب مخصوص، وغالبه كان أسئلة يسأل عنها من كتاب أو غيره ؛ فيجيب عنها بما يبهر العقول، ويسحر الألباب، من الأسرار والفتوحات. وكان يقول: « إنه ربما لم يكن عندي جواب سابق عن المسألة، فإذا سئلت عنها ؛ ارتسم جوابها في باطني »، أو قال: « أراه يكتب ؛ فتحصل الإفادة لي وللسائل ».

وقد ذكر الشيخ أبو يعقوب التادلي أن الشيخ الإمام العارف أبا الحسن بن غالب – رضي الله عنه – كان إذا أشكل عليه معنى ؛ نظر إلى جهة من جهات البيت ؛ فيجده مسطورا. وقال غير التادلي: « إذا سئل أو أشكل عليه معنى ». وقال الشيخ تاج الدين: « أخبرني والدي قال: دخلت على الشيخ أبي الحسن الشاذلي ؛ فسمعته يقول: والله لقد يسألونني عن المسألة لا يكون لها عندي جواب ؛ فأرى الجواب مسطرا في الدَّواة والحصير والحائط! ».

هـذا كان دأب الشـيخ في مدة إقامته بفـاس. وأما قـبل ذلك ؛ فقد تقـدم ما كان شأنه في تدريس العلم.

[بعض من قرؤوا على الشيخ أبي المحاسن علم الظاهر]:

وقد كان في أوائل هذه المدة بفاس ربما طلب بعض المستفيدين منه قراءة أصول أو فقه ؛ فيسعفهم في ذلك، فقرأ عليه جملة من ذلك: الفقيه المتفنن القاضي الحاج أبو العباس أحمد بن أبي العافية المكناسي الشهير

بابن القاضي[1]، وقرأ أيضا جملة من ذلك عليه: ابنا عمه الفقيهان الجليلان: أبو محمد عبد العزيز بن محمد ابن القاضي[2]، وأخوه: شيخنا أبو القاسم[3]، وكذلك أيضا: الفقيه العلامة الدراك المدرس أبو زيد عبد الرحمن بن الفقيه الخطيب أبي فارس [51] عبد العزيز ابن إبراهيم الدكالي . . . وغير هؤلاء. ثم اقتصر الشيخ على التفسير والحديث والتصوف.

رآني يوما أنظر في كتاب في التصوف ؛ فقال لي: ((اشتغل بالعلم الذي لا ينال إلا بالتعلم، ودع هذا ؛ فإن قسم لك منه شيء ؛ فستناله)).

ولما كان قبل وفاته بأشهر: أمرني بالقراءة بين يديه في المجلس المعهود بحسب الزمان عشية، وبحسب المكان في صدر الزاوية. وكان أخي شيخنا أبو العباس في أول الأمر قد مسه مرض ثم أحل منه ولازم الحضور. واستمررت على القراءة ؛ فقرأت رسالة الأستاذ أبي القاسم القشيري، و"عوارف المعارف" لشهاب الدين أبي حفص السهروردي، و"منازل السائرين" لشيخ الإسلام الهروي، و"عيوب النفس" للشيخ أبي عبد الرحمن السلمي، و"مذاهب الصوفية" لضياء الدين أبي النجيب عبد القاهر السهُروردي. . . وشرعنا في قراءة شرح الشيخ ابن عباد على "الحكم" حتى انتهينا إلى قوله:((عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل[4])) . وذلك عشية الأحد الحادي عشر من ربيع الأول . ومن الغد كان الصنيع لمولد النبي صلى الله عليه وسلم على المعهود في ذلك. ثم بعد الظهر من ذلك اليوم ؛ كان ابتدأ مرض الشيخ الذي توفي منه حسبما يشرح بعد هذا إن شاء الله.

وكان الشيخ يصوم دائما الاثنين والخميس والأيام الفاضلة ؛ إلا لسبب يبيح أو يوجب الفطر في شهر رمضان.

[أدلة بعض ما كان يفعله الشيخ أبو المحاسن من النوافل]

[صلاة الإشراق]:

(1) انظر ترجمته في: "نشر المثاني" (1 : 128) ، و"روضة الآس" ص287، و"التقاط الدرر" ص69، و"صفوة من انتشر" ص77، و"سلوة الأنفاس" (3ك133)، و"إتحاف أعلام الناس" (1 : 326) . . .وغيرها .

(2)انظر ترجمته في: "نشر المثاني" (1 : 49) ، و"التقاط الدرر" ص30، و"درة الحجال" (3 : : 132)، و"إتحاف أعلام الناس" (5 : 319) . . .وغيرها

(3)انظر ترجمته في: "نشر المثاني" (1 : 117) ، و"التقاط الدرر" ص69، و"صفوة من انتشر" ص95، و"إتحاف أعلام الناس" (5 : 532)، و"شجرة النور" (1 : 297) . . .وغيرها

(4) رواه البخاري في صحيحه (3:145) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وما تقدم ذكره من النوافل ؛ لا بأس بالكلام على شيء منه ؛ فأما صلاة الإشراق: فهي ركعتان عند حِل النافلة. ذكرها الشيخان أبو طالب المكي وأبو حامد وغيرهما، وذكرها من المالكية غير واحد ؛ كالشيخ أبي عبد الله بن ثابت في كفايته، والشيخ أبي عبد الله المواق في "سنن المهتدين".

وأصل ذلك: حديث أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين ؛ كانت له كأجر حجة وعمرة تامة. تامة. تامة))[1]. أخرجه الترمذي وحسنه. وفي "الإحياء": ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أشرقت الشمس وارتفعت ؛ صلى ركعتين، وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع النهار عن جانب المشرق ؛ صلى أربعا)). وقال العراقي في تخريجه: ((أخرج النسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه من حديث علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه: كان إذا زالت الشمس من مطلعها [52] قدر رمح أو رمحين بقدر صلاة العصر من مغربها ؛ صلى ركعتين، ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى ؛ صلى أربع ركعات. وأخرج الطبراني عن زيد بن أرقم أن النبي صلى الله عليه وسلم: خرج على أصحابه وهم يصلون عند الإشراق ؛ فقال: صلاة الأوابين حين ترفض الفصال. وأخرجه مسلم أيضا لكن بدون قوله: عند الإشراق)).

والتفريق بين صلاة الإشراق وصلاة الضحى: بأن الأولى: ما يكون عند حل النافلة فما بعده. والثانية: ما يكون عند ربُع النهار فما بعد إلى الزوال. هو الذي عليه أهل الأوراد من علماء الأمة ونساكها وعبادها، ولم يفرق بينهما أكثر الفقهاء، وكلامهم مصروف إلى صلاة الضحى.

[صلاة الضحى وعدد ركعاتها]:

وأما عدد ركعات الضحى: فثبت من فعله صلى الله عليه وسلم: صلاها ركعتين، وأربعا ؛ وهو أصح، وأكثر ما ورد. وستا، وثماني ؛ وقد قيل: إنها للفتح فقط. ولذلك استحب بعض العلماء أن تكون ستا فقط. ولكن ثبت عنه أن صرح بأنها: سبحة الضحى. فأكثر ما ورد من فعله صلى الله عليه وسلم: ثمان. فلذلك استحب العلماء أن تكون ثماني. وورد الترغيب من قوله صلى الله عليه وسلم أن تكون اثني عشرة ركعة، وروى الحاكم عنه صلى الله عليه وسلم أنه أمر أن تصلى بسور ؛ منها: و"الشمس وضحاها"، و"الضحى"، و"الليل".

[سنة الظهر القبلية والبعدية]:

[1] لم أقف عليه بهذا اللفظ، وهناك أحاديث عدة في غفران ذنوب من صلى الفجر في جماعة ثم قصد يذكر الله حتى تطلع الشمس.

وأما ما قبل صلاة الظهر: فثبت من فعله صلى الله عليه وسلم أنه صلى ركعتين، وثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى أربعا ، وثبت عنه الترغيب في أربع أيضا .

أما ما بعد صلاة الظهر: فثبت من فعله وترغيبه وقوله صلى الله عليه وسلم: ركعتان.

[سنة العصر القبلية وسنة المغرب البعدية] :

وأما ما قبل صلاة العصر: فثبت من فعله وقوله صلى الله عليه وسلم ركعتان ولأربع .

وأما ما بعد صلاة المغرب: فثبت من فعله وقوله صلى الله عليه وسلم . ركعتان[1] .

وأما العشاء: فلم يثبت قبله إلا قوله صلى الله عليه وسلم: ((بين كل أذانين صلاة))[2] .

[سنن العشاء القبلية والبعدية]:

وأما ما بعد العشاء إلى الفجر: فثبت من فعله صلى الله عليه وسلم أعداد مختلفة، وأقطع ما في الباب: قول عائشة رضي الله عنها: ((لم يكن يوتر بأكثر من ثلاث عشرة، ولا أنقص من سبع[3]))، فأخذ جمهور الأمة بثلاث عشرة.

[سـنة الفـجـر]:

ولم يبقَ إلا الفجر ؛ وهو: ركعتان بعد طلوع الفجر، وقبل صلاة الصبح.

[الأفضل في تقديم وتأخير قيام الليل]:

[1] وفي الموطأ وصحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم بينهن بسوء ؛ عدلن له عبادة اثني عشرة سنة)) . (حجرية) .

[2] رواه البخاري في صحيحه (225:1) عن عبد الله بن معقل المزني و(225:1) عنه كذلك، والإمام مسلم في صحيحه عنه كذلك (573:1) .وغيرهما .

[3] رواه بمعناه أبو داود في سننه (46:2)، والبيهقي في "الكبرى" (28:3) .

وأما تقديم ما بعد العشاء أو تأخيره: فالتأخير أفضل لمن قوي على القيام، و التقديم أولى للآخذ بالحزم، وكان بعض أهل الصلاح يقومون أول الليل، وإن من [53] الله عليهم بالقيام ؛ صلوا ما تيسر أيضا. ومالك لا يرى التحديد، بل يصلي الإنسان ما تيسر في جميع هذه الروايات. وجمهور العلماء مع العراقيين من المالكية على التحديد.

كتبت جميع هذا الفصل مختصرا من خط أخي شيخنا أبي العباس رحمه الله ورضي عنه.

الفصل السابع
في الأوراد التي رتبها لأصحابه

وكانت أوقات الأوراد ثلاثة: الأول: بعد صلاة الصبح، والثاني: في العشي. والثالث: بعد المغرب. وكل ذلك أن يقرأ جماعة على لسان واحد جهرا، وكانوا يجتمعون لذلك في الزاوية لا في المسجد؛ إلا لأمر عارض.

[وظائف الصباح]

[حـــزب الفـــــلاح]:

فأما الوقت الأول ؛ فحزبه: حزب الفلاح ؛ وهو:

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا ﴾. [الإسراء: 111]. ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ﴾ [الأعراف: 43]. جزى الله عنا سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم أفضل ما هو أهله (ثلاثا). ﴿ ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا

وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾ [آل عمران: 8] (ثلاثا) . أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثا) . بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاثا) . سبحان ربي العظيم وبحمده ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (ثلاثا) . أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو بديع السماوات والأرض وما بينهما من جميع جرمي وظلمي وما جنيته على نفسي وأتوب إليه (ثلاثا) . لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم (تسعا) . لا إله إلا الله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (مرة واحدة) . ثبتنا يا رب بقولها، وانفعنا يا رب بفضلها، واجعلنا من أخيار أهلها، واحشرنا في زمرة قومها (ثلاثا) . آمين. آمين. آمين. آمين رب العالمين (مرة واحدة) .

[المسبعات العشر]:

فالمسبعات العشر ؛ وهي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. ملك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾. [الفاتحة:1– 7] . [54] (سبعا) بتكرير البسملة، وأما التعوذ ؛ ففي الأولى فقط. سورة الناس (سبعا) . سورة الفلق (سبعا) . سورة الإخلاص (سبعا) . ثم سورة الكافرون (سبعا) بالبسملة في الجميع مكررة مع كل واحدة. آية الكرسي (سبعا) . سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (سبعا) . اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد (سبعا) . اللهم اغفر لي ولوالدي، وللمومنين والمومنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات (سبعا) . اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت أهله، ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن أهله؛ إنك غفور رحيم، جواد كريم، رؤوف رحيم (سبعا) .

[المعشرات التسع]:

فالمعشرات التسع ؛ وهي: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله (عشرا) . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم (مرة واحدة) . أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (عشرا) . بسم الله الرحمن الرحيم (عشرا) . اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم (عشرا) . أستغفر الله إن الله غفور رحيم (عشرا) . لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم (عشرا) . لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (عشرا) . سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم (عشرا) . الحمد لله رب العالمين (عشرا) . الشكر لله رب العالمين (مرة واحدة) . حسبنا الله ونعم الوكيل (سبعين مرة) .

[وظيفة الشيخ زروق]:

فوظيفة **الشيخ أبي العباس زروق رضي الله عنه** ؛ وهي: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾ [البقرة: 163]. ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [البقرة: 255] . ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم. الم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم ﴾ [آل عمران : 1 – 2] . ﴿ وعنت الوجوه للحي القيوم ﴾ [طه: 111] . ﴿ الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، له ما في السماوات وما في الأرض، من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه، يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم، ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يؤوده حفظهما، وهو العلي العظيم ﴾ [البقرة: 255]. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ حم. تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم. غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير ﴾. [غافر: 1–3] ﴿ لله ما في السماوات وما في الأرض وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، والله على كل شيء قدير. آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمومنون . . . ﴾ [البقرة: 284–286] [إلى آخر السورة] .

بسم الله الرحمن الرحيم . ﴿ قل يا أيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون. . .﴾ [الكافرون: 1–6] [إلى آخرها مرة واحدة]. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح. . . ﴾ [سورة النصرة] [إلى آخرها مرة واحدة]. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ قل هو الله أحد ﴾ [سورة الإخلاص] [إلى آخرها ثلاثا مكررة البسملة]. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ [سورة الفلق] [إلى آخرها ثلاثا مكررة البسملة]. بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ [سورة الناس] [إلى آخرها ثلاثا مكررة البسملة] .

اللهم إني أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم (ثلاثا)، اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال (ثلاثا)، اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر، وأعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت (ثلاثا). اللهم عافني في بدني، اللهم عافني في سمعي، اللهم عافني في بصري، لا إله إلا أنت (ثلاثا) اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت (ثلاثا). اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر، فأتم نعمتك علي وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة (ثلاثا). اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر (ثلاثا) يا رب لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك (ثلاثا). رضيت بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبيا ورسولا (ثلاثا) .

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضى نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته (ثلاثا) . أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق (ثلاثا) . بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم (ثلاثا) . أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم (ثلاثا) . ﴿ هو الله الذي لا إله هو عالم الغيب والشهادة [56] هو الرحمن الرحيم ﴾ . [الحشر 22-24] [إلى آخر السورة مرة واحدة] . سبحان الله العظيم وبحمده (ثلاثا) . تحصنت بذي العزة والجبروت، واعتصمت برب الملكوت، وتوكلت على الحي الذي لا يموت، اصرف عنا الأذى إنك على كل شيء قدير، اصرف عنا الأذى إنك على كل شيء قدير، اصرف عنا الأذى إنك على كل شيء قدير (ثلاثا) .

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ لإيلاف قريش ﴾ [سورة قريش] (إلى آخرها مرة واحدة) . اللهم كما أطعمتهم فأطعمنا، وكما أمنتهم فأمنا، واجعلنا من الشاكرين (مرة واحدة) . سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك (ثلاثا) . أستغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (ثلاثا) . اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم (ثلاثا) تسليما . عدد ما أحاط به علمك، وخط به قلمك، وأحصاه كتابك، والرضى عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وعن الصحابة أجمعين، وعن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون . وسلام على المرسلين . والحمد لله رب العالمين ﴾ [الصافات: 180-182] (مرة واحدة) .

لا إله إلا الله (مائة مرة) . محمد رسول الله (مرة واحدة) . أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن محمدا رسول الله (ثلاثا) ثبتنا يا رب بقولها (ثلاثا) وانفعنا يا رب بفضلها (ثلاثا) . واجعلنا من أخيار أهلها (ثلاثا) . آمين. آمين. آمين. آمين. آمين رب العالمين (ثلاثا) .

أصبحنا في حماك يا مولانا، مسنا في رضاك يا مولانا (ثلاثا) . آمين. آمين. آمين. آمين. آمين رب العالمين (ثلاثا) . لا إله إلا أنت واحد ربنا، يا مُجَمّعنا اغفر ذنبنا (ثلاثا) . آمين. آمين. آمين. آمين. رب العالمين (ثلاثا) . اغفر لنا ما مضى، وأصلح لنا ما بقي، بحرمة الأبرار، يا عالم الأسرار (ثلاثا) آمين. آمين . آمين. آمين. رب العالمين (ثلاثا) . يا عالم السر منا . لا تكشف الستر عنا (ثلاثا) آمين. آمين. آمين. آمين رب العالمين (ثلاثا) . اللهم صل وسلم على سيدنا محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد (عشرا) . آمين. آمين. آمين. آمين رب العالمين (ثلاثا) وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين (مرة واحدة) .

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين... ﴾ [الفاتحة] (إلى آخرها ثلاثا) . ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾ [الأحزاب: 56] (مرة واحدة) . صلوات الله وسلامه، وتحياته ورحمته وبركاته، على سيدنا محمد عبدك ونبيك [57] ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه عدد الشفع والوتر وكلمات ربنا التامات المباركات (ثلاثا) . سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين (مرة واحدة) .

[الحـزب الكبير للإمام الشاذلي]:

فالحزب الكبير للشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنه ؛ وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فإنه غفور رحيم ﴾ [الأنعام: 54]. ﴿ بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم. ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل. لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ . [الأنعام: 101-103]. الر. كهيعص. حم . عسق ﴿ رب احكم بالحق وربنا الرحمن المستعان على ما تصفون ﴾. [الأنبياء: 112]. ﴿ طه. ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى. إلا تذكرة لمن يخشى. تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى. الرحمن على العرش استوى. له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى. الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى ﴾ . [طه: 1-8].

اللهم أنت تعلم أني بالجهالة معروف، وأنت بالعلم موصوف. وقد وسعت كل شيء من جهالتي بعلمك. فسع ذلك برحمتك كما وسعته بعلمك، واغفر لي إنك على كل شيء قدير. يا الله. يا مالك. يا وهاب ؛ هب لنا من نعماك ما علمت لنا فيه رضاك، واكسنا كسوة تقينا بها من الفتن في جميع عطاياك. وقدسنا عن كل وصف يوجب نقصا مما استأثرت به في علمك عمن سواك.

يا الله. يا عظيم. يا علي. يا كبير. نسألك الفقر مما سواك، والغنى بك حتى لا نشهد إلا إياك، والطف بنا فيهما لطفا علمته يصلح لمن والاك، واكسنا جلابيب العصمة في الأنفاس واللحظات، واجعلنا عبيدا لك في جميع الحالات، وعلمنا من لدنك علما نصير به كاملين في المحيا والممات. اللهم أنت الحميد، الرب المجيد، الفعال لما تريد، تعلم فرحنا بماذا ولماذا وعلى ماذا، وتعلم حزننا كذلك، وقد أوجبت كون ما أردته فينا ومنا، ولا نسألك دفع ما تريد، ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد، كما أيدت أنبياءك ورسلك وخاصة الصديقين من خلقك، [58] إنك على كل شيء قدير.

اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك ؛ فهنيئا لمن عرفك فرضي بقضائك، والويل لمن لم يعرفك، بل الويل ثم الويل لمن أقر بوحدانيتك ولم يرض بأحكامك. اللهم إن القوم قد حكمت عليهم بالذل حتى عزوا، وحكمت عليهم بالفقد حتى وجدوا، فكل عز يمنع دونك، فنسألك بَدَلَهُ ذلا تصحبه لطائف رحمتك، وكل وجد يحجب عنك، فنسألك عوضه فقدا تصحبه أنوار محبتك، فإنه قد ظهرت السعادة على من أحببته، وظهرت الشقاوة على من غيرك ملكه، فهب لنا من مواهب السعداء، واعصمنا من موارد الأشقياء.

اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا من حيث نعلم بما نعلم ؛ فكيف لا نعجز عن ذلك من حيث لا نعلم بما لا نعلم؟، وقد أمرتنا ونهيتنا، والمدح والذم ألزمتنا، فأخو الصلاح من أصلحته، وأخو الفساد من أضللته، والسعيد حقا من أغنيته عن السؤال منك، والشقي حقا من حرمته مع كثرة السؤال لك؛ فاغننا بفضلك عن سؤالنا منك، ولا تحرمنا من رحمتك مع كثرة سؤالنا لك، إنك على كل شيء قدير.

يا شديد البطش، يا جبار، يا قهار، يا حكيم؛ نعوذ بك من شر ما خلقت، ونعوذ بك ظلمة ما أبدعت، ونعوذ بك من كيد النفوس فيما قدرت وأردت، ونعوذ بك من شر الحساد على ما أنعمت، ونسألك عز الدنيا والآخرة كما سألكه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم عز الدنيا بالإيمان والمعرفة، وعز الآخرة باللقاء والمشاهدة ؛ إنك سميع قريب مجيب.

اللهم إني أقدم إليك بين يدي كل نفس ولمحة ولحظة وطرفة يطرف بها أهل السماوات وأهل الأرض، وكل شيء هو في علمك كان أو قد كان ؛ أقدم إليك بين يدي ذلك كله: ﴿ اللهُ لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم .. (إلى: العظيم) ﴾ أقسمت عليك ببسط يديك، وكرم وجهك، ونور عينك، وكمال أعينك ؛ أن تعطينا خير ما نفذت به مشيئتك، وتعلقت به قدرتك، وأحاط به علمك، واكفنا شر ما هو ضد لذلك، وأكمل ديننا، وأتمم علينا نعمتك، وهب لنا حِكمَةَ الحكمة البالغة مع الحياة الطيبة والموتة الحسنة، وتول قبض أرواحنا بيدك، وحل بيننا وبين غيرك في البرزخ وما قبله وما بعده، بنور ذاتك، وعظيم قدرتك، وجميل فضلك. إنك على كل شيء قدير.

يا الله، يا علي، يا عظيم، يا حليم، يا حكيم، يا كريم، يا سميع [59] يا قريب، يا مجيب، يا ودود حُل بيننا وبين فتنة الدنيا والنساء، والغفلة والشهوة، وظلم العباد، وسوء الخلق، واغفر لنا ذنوبنا، واقض عنا تبعاتنا، واكشف عنا السوء، ونجنا من الغم، واجعل لنا منه مخرجا، إنك على كل شيء قدير، يا الله. يا الله. يا الله. يا لطيف. يا رزاق. يا قوي. يا عزيز. لك مقاليد السماوات والأرض، تبسط الرزق لمن تشاء وتقدر، فابسط لنا من الرزق ما توصلنا به إلى رحمتك، ومن رحمتك ما تحول به بيننا وبين نقمك، ومن حلمك ما يسعنا به عفوك. واختم لنا بالسعادة التي ختمت بها لأوليائك، واجعل خير أيامنا وأسعدها يوم لقائك، وزحزحنا في الدنيا عن نار الشهوة، وأدخلنا بفضلك في ميادين الرحمة، واكسنا من نورك جلابيب العصمة، واجعل لنا ظهيرا من عقولنا، ومهيمنا من أرواحنا، ومسخرا من أنفسنا ؛ كي نسبحك كثيرا، ونذكرك كثيرا، إنك كنت بنا بصيرا، وهب لنا مشاهدة تصحبها مكالمة، وافتح أسماعنا وأبصارنا، واذكرنا إذا غفلنا عنك بأحسن ما تذكرنا به إذا ذكرناك، وارحمنا إذا عصيناك بأتم مما ترحمنا به إذا أطعناك، واغفر لنا ذنوبنا ما تقدم منها وما تأخر، والطف بنا لطفا يحجبنا عن غيرك ولا يحجبنا عنك، فإنك بكل شيء عليم.

اللهم إنا نسألك لسانا رطبا بذكرك، وقلبا منعما بشكرك، وبدنا هينا لينا بطاعتك، واعطنا مع ذلك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، كما أخبر به رسولك صلى الله عليه وسلم، حسبما علمته بعلمك. واغننا بلا سبب، واجعلنا سبب الغنى لأوليائك، وبرزخا بينهم وبين أعدائك، إنك على كل شيء قدير.

اللهم إنا نسألك إيمانا دائما، ونسألك قلبا خاشعا، ونسألك علما نافعا، ونسألك يقينا صادقا، ونسألك دينا قيّما، ونسألك العافية من كل بلية، ونسألك تمام العافية، ونسألك دوام العافية، ونسألك الشكر على العافية، ونسألك الغنى عن الناس. اللهم إنا نسألك التوبة الكاملة، والرحمة الشاملة، والمحبة الجامعة، والخلة الصافية، والمعرفة الواسعة، والأنوار الساطعة، والشفاعة القائمة، والحجة البالغة، والدرجة العالية، وفك وثاقنا من المعصية، ورهاننا من الغمة بمواهب المنة.

اللهم إنا نسألك التوبة [60] ودوامها، ونعوذ بك من المعصية وأسبابها، وذكرنا بالخوف منك قبل هجوم خطراتها، واحملنا على النجاة منها ومن التفكر في طرائقها، وامح من قلوبنا حلاوة ما اجتنيناه منها، واستبدلها بالكراهة لها، والطعم لما هو بضدها، وأفض علينا من بحر كرمك وعفوك حتى نخرج من الدنيا على السلامة من وبالها، واجعلنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها، وارأف بنا رأفة الحبيب بحبيبه عند الشدائد ونزولها، وأرحنا من هموم الدنيا وغمومها بالرَّوْح والريحان إلى الجنة ونعيمها.

اللهم إنا نسألك توبة سابقة منك إلينا لتكون توبتنا تابعة إليك منا، وهب لنا التلقي منك كتلقي آدم منك الكلمات؛ ليكون قدوة لولده في التوبة والأعمال الصالحات، وباعد بيننا وبين العناد والإصرار والشبه بإبليس رأس الغواة، واجعل سيئاتنا سيئات من أحببت، ولا تجعل حسناتنا حسنات من أبغضت، فالإحسان لا ينفع مع البغض منك، والإساءة لا تضر مع الحب منك، وقد أبهمت الأمر علينا لنرجو ونخاف؛ فأمّن خوفنا، ولا تخيب رجاءنا، واعطنا سؤلنا، فقد أعطيتنا الإيمان من قبل أن نسألك، وكتبت وحببت وزينت وكرهت وأطلقت الألسن بما به ترجمت؛ فنعم الرب أنت، فلك الحمد على ما أنعمت، فاغفر لنا ولا تعاقبنا بالسلب بعد العطاء، ولا بكفران النعم وحرمان الرضى. اللهم رضّنا بقضائك، وصبّرنا على طاعتك، وعن معصيتك، وعن الشهوات الموجبات للنقص أو البعد عنك. وهب لنا حقيقة الإيمان بك، حتى لا نخاف غيرك، ولا نرجو غيرك، ولا نحب غيرك، ولا نعبد شيئا سواك، وأوزعنا شكر نعمائك، وغطنا برداء عافيتك، وانصرنا باليقين والتوكل عليك، وأسفر وجوهنا بنور صفاتك، وأضحكنا وبشرنا يوم القيامة بين أوليائك، واجعل يدك مبسوطة علينا وعلى أهلينا وأولادنا ومن معنا برحمتك، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك يا نعم المجيب. يا نعم المجيب. يا نعم المجيب.

يا من هو. هو. هو. في علوه قريب، يا ذا الجلال والإكرام، يا محيطا بالليالي والأيام، أشكو إليك من غم الحجاب، وسوء الحساب، وشدة العقاب، وإن ذلك لواقع ما له من دافع إن لم ترحمني. لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (ثلاثا) ولقد شكا إليك يعقوب؛ فخلصته من حزنه، ورددت [61] عليه ما ذهب من بصره، وجمعت بينه وبين ولده، ولقد ناداك نوح من قبل؛ فنجيته من كربه، ولقد ناداك أيوب من بعد؛ فكشفت ما به من ضره، ولقد ناداك يونس؛ فنجيته من غمه، ولقد ناداك سيدنا زكرياء فوهبت له ولدا من صلبه بعد يأس أهل وكبر سنه، ولقد علمت ما نزل بإبراهيم؛ فأنقذته من نار عدوه، وأنجيت لوطا وأهله من العذاب النازل بقومه...

فها أنذا عبدك إن تعذبني بجميع ما علمت من عذابك فأنا حقيق به، وإن ترحمني كما رحمتهم مع عظيم إجرامي فأنت أولى بذلك وأحق من أكرم به، فليس كرمك مخصوصا بمن أطاعك وأقبل عليك، بل هو مبذول بالسبق لمن شئت من خلقك وإن عصاك وأعرض عنك، وليس من الكرم أن لا تحسن إلا لمن أحسن إليك، وأنت المفضال الغني، بل من الكرم أن تحسن لمن أساء إليك، وأنت الرحيم العلي، كيف وقد أمرتنا أن نحسن إلى من أساء إلينا، فأنت أولى بذلك منا ؟ ! . .

ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين. يا الله (ثلاثا) يا رحمن. يا قيوم. يا من هو. هو. هو. يا هو إن لم نكن لرحمتك أهلا أن ننالها ؛ فرحمتك أهل أن تنالنا يا رباه. يا مولاه. يا مغيث من عصاه أغثنا. أغثنا. أغثنا يا رب يا كريم، وارحمنا يا بر يا رحيم، يا من وسع كرسيه السماوات والأرض، ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم، أسألك الإيمان بحفظك إيمانا يسكن به قلبي من هم الرزق، وخوف الخلق، واقرب مني بقدرتك قربا تمحق به عني كل حجاب مَحَقْتَه عن إبراهيم خليلك، فلم يحتج لجبريل رسولك ولا لسؤاله منك، وحجبته بذلك عن نار عدوك، وكيف لا يحجب عن مضرة الأعداء من غيبته عن منفعة الأحباء ؟ ؛ كلا ؛ إني أسألك أن تغنيني بقربك مني حتى لا أرى ولا أحس بقرب شيء ولا ببعده عني، إنك على كل شيء قدير.

﴿ أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم إلينا لا ترجعون. فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم. ومن يدعُ مع الله إلها آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون. وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين ﴾. [المؤمنون: 115-118]. ﴿ هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين ﴾. [غافر: 65]. ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما ﴾. [62] سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين.

ثم ينصرف أكثر الناس لأسبابهم، وتبقى طائفة ممن لا سبب له، أو له سبب لا يتعجل إليه ؛ فيقرؤون حزب الشيخ سيدي محمد الجزولي على العادة في قراءته عند الطائفة الجزولية ؛ بأن ينقسموا فريقين ؛ فيقول فريق قرينتين منه ثم يسكت. ويقول الفريق الآخر تينك القرينتين أيضا . . . وهكذا إلى تمام الحزب وما اتصل به، وقد جعلنا علامة على كل قرينتين ؛ وهي: نقط ثلاث عند تمامها؛ وهو العزيز ذو الجلال لا إله إلا الله[1] . . .

[وظائف العشي]

[1] وجد في أصل المؤلف بين قوله: لا إله إلا الله وقوله: وأما . . . إلخ قدر ورقة من البياض. (حجرية).

وأما وظائف العشي: فالمسبعات، ووظيفة الشيخ زروق ؛ وقد تقدم ذلك ؛ إلا أنه يقال مكان: أصبحت، وأصبحنا، وما أصبح: أمسيت، وأمسينا، وما أمسى.

[وظائف ما بعد المغرب]

وأما وظائف ما بعد المغرب: فحزب الفلاح، ثم: حسبنا الله ونعم الوكيل سبعين مرة، ثم صلاة الشيخ سيدي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه ؛ وهي:

[الصلاة المشيشية] :

اللهم صلى على من منه انشقت الأسرار، وانفلقت الأنوار، وفيه ارتقت الحقائق. وتنزلت علوم آدم فأعجز الخلائق، وله تضاءلت الفهوم فلم يدركه منا سابق ولا لاحق. فرياض الملكوت بزهر جماله مونقة، وحياض الجبروت بفيض أنواره متدفقة. ولا شيء إلا وهو به منوط، إذ لولا الواسطة لذهب –كما قيلَ– الموسوط. صلاة تليق بك منك إليه كما هو أهله. اللهم إنه سرك الجامع الدال عليك. وحجابك الأعظم القائم لك بين يديك. اللهم ألحقني بنسبه، وحققني بحسبه، وعرفني إياه معرفة أسلم بها من موارد الجهل، وأكرع بها من موارد الفضل، واحملني على سبيله إلى حضرتك حملا محفوفا بنصرتك، واقذف بي على الباطل فأدمغه، وزج بي في بحار الأحدية، وانشلني من أوحال التوحيد، وأغرقني في عين بحر الوحدة، حتى لا أرى ولا أسمع ولا أجد ولا أحس إلا بها . واجعل الحجاب الأعظم حياة روحي، وروحه سر حقيقتي، وحقيقته جامع عوالمي، بتحقيق الحق الأول، يا أول، يا آخر، يا ظاهر، يا باطن ؛ اسمع ندائي بما سمعت به نداء عبدك زكرياء، وانصرني بك لك، وأيدني بك لك، واجمع بيني وبينك، وحُل بيني وبين غيرك. الله. الله. الله. ﴿ إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴾. [القصص: 85]، ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ﴾. [الكهف: 10]. ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ﴾. ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ﴾. ﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وصحبه وسلم تسليما. ﴿ سبحان ربك رب العزة عما يصفون. وسلام على المرسلين. والحمد لله رب العالمين ﴾. هذه هي الوظائف التي كانت مرتبة في كل يوم وليلة .

[وظيفته يوم الجمعة]:

وكان الشيخ إذا فرغ من صلاة العصر ومعقباتها يوم الجمعة أقام في مكانه حتى يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثمانين مرة على ما ورد في ذلك، وكذلك كل من صلى معه، ويصلي كل واحد وحده سرا، ولفظها كما ورد في "القوت" و"الإحياء": ((اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي))، ولفظة: (سيدنا) زيادة على الرواية للتعظيم. فإذا أتم الإمام العدد وظن أن الناس كذلك ؛ رفع يديه وقرأ فاتحة الكتاب. ودعا ومسح وجهه بكفيه، ويفعل ذلك معه الحاضرون.

[وظيفته عشية يوم عرفة]

وكان في عشية يوم عرفة بذكر الذكر المعهود المعروف مائة مرة ؛ وهو: بسم الله. ما شاء الله. لا قوة إلا بالله. بسم الله. ما شاء الله لا يسوق الخير إلا الله. بسم الله. ما شاء الله. لا يكشف السوء إلا الله. بسم الله. ما شاء الله. كل نعمة من الله. ما شاء الله. الخير كله بيد الله. ما شاء الله. لا يصرف السوء إلا الله.

[الكلام على الوظائف المذكورة وأدلتها]

ولنذكر هنا أمورا تتعلق بهذه الوظائف لا تخلو من فائدة إن شاء الله:

[1- حـزب الفـلاح]:

فأما حزب الفلاح ؛ فإنه من جمع شيخ الطريقة أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي – رحمه الله – والتزمه أتباعه، وشاع عند غيرهم كثيرا، وربما وقع فيه زيادة أو تبديل، والذي أثبتناه هنا هو الذي ثبتت عندنا روايته.

فأما الآية الأولى ؛ فقال الشيخ زين الدين العراقي: حديث: فضل ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا... ﴾ الآية ؛ رواه: أحمد والطبراني من حديث معاذ بن أنس: ((آية العز ﴿ الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ... ﴾ [1] الآية كلها، وإسناده ضعيف)).

---

[1] رواه الإمام أحمد في مسنده (3:439) عن سهل بن معاذ عن أبيه مرفوعا، وفي رواية أخرى: ((يقول إذا نفر... إلخ)) (3:439)، ورواه الطبراني في "الكبير" باللفظ الأول، غير أنه قال: ((العزة))، بدل ((العز)) (20:192).

وأما قوله: ((أفضل ما هو أهله)) فهو الثابت في الحزب، وكذلك تلقته الطائفة الجزولية، ورويناه كذلك بخط الشيخ أبي عثمان سعيد الدكالي اليرزقي ؛ وهو من أصحاب الشيخ الجزولي، وأنكره بعض الناس لوجهين ؛ أحدهما: أن هذا حديث، ولم تثبت لفظة: (أفضل). فيه وثانيهما: [64] أن معناه: أفضل مما هو أهله ؛ لأنه على معنى (من) ولا يجوز أن يسأل له أفضل مما هو أهله. وقد نادى الناس بالنكير عليه ؛ وكتب برد ذلك غير واحد ؛ منهم: الشيخ الإمام المقرئ الخطيب، مفتي مراكش، أبو عبد الله محمد ابن الأستاذ أبي يعقوب يوسف الترغي، ومنهم: شيخنا أبو الطيب الحسن بن مهدي، ومنهم: شيخنا عمي أبو محمد عبد الرحمن، ومنهم: أخي شيخنا أبو العباس أحمد، ومنهم: شيخنا مفتي فاس وخطيب القرويين أبو عبد الله محمد بن قاسم القصار، ونص ما كتب في ذلك:

[جواب الإمام القصار حول لفظة (أفضل) في حزب الفلاح]:

((أنكر بعضهم لفظة (أفضل) في حزب الفلاح. وعلى فرض أنه لم يرد ؛ لا يلزم الداعي أو الذاكر أو المصلي بنحو ما ورد أن لا يزيد، وقد زاد غير واحد من الصحابة ومن بعدهم، والممنوع: نسبة الزيادة له صلى الله عليه وسلم. كيف وقد روي عنه عليه الصلاة والسلام: اللهم رب محمد وآل محمد اجز محمدا أفضل ما هو أهله. عياض: عن وهيب: اللهم اعط محمدا أفضل ما سألك لنفسه. وكل ما سأل لنفسه هو أهل له ؛ لأنه خير، وهو أهل لكل خير وإن تفاوت. وتقول: عليه أفضل الصلاة والسلام وهو أهل له، كما تقول ؛ صلى الله عليه وسلم؛ دون: أفضل، وهو أهل له أيضا. والمراد: إن الأشياء التي تصلح لجزائه كثيرة، وأنا أطلب له أفضلها)). هـ.

والحديث المشار إليه: هو ما ذكره الإمام الحافظ الكبير زكي الدين المنذري في "الترغيب والترهيب" ؛ ونصه: ((روي عن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال: جزى الله عنا محمدا ما هو أهله ؛ أتعب سبعين كاتبا ألف صباح. رواه الطبراني في "الكبير" و"الأوسط"))[1].هـ.وقد قال في صدر كتابه في بيان اصطلاحه فيه: ((للإسناد الضعيف دلالتان: تصديره بلفظة: روي، وإهمال الكلام فيه في آخره)).هـ. وقد فعل ذلك هنا. فالحديث عنده ضعيف.

ووقع في كتاب الشيخ شعيب الحريفش من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: ((اللهم يا رب محمد وآل محمد اجز محمدا أفضل ما هو أهله))، والضعيف يعمل به في نحو مثل هذا. على أن مثل هذا من الكلام الواضح المعنى يكتفى بالاعتماد فيه على صحة معناه ووضوحه.

ولفظ: (ألف) في "الترغيب" بالإفراد كما تقدم، وذكره ابن عبد الغفور وغيره: (ألفي) مثنى، ولم يتكلم شيخنا أبو عبد الله القصار على ما يتعلق بالتركيب من جهة العربية، وكأنه ترك ذلك لوضوحه، ولا بأس بالكلام عليه ؛ فنقول: أفعل التفضيل إما: مجرد، وإما: محلى بأل ؛ وليس له تعلق بما نحن بصدده، وإما: مضاف

[1] رواه الطبراني في "الكبير" (206:11) عن ابن عباس بلفظ: ((من قال: جزى الله محمد عنا))، وعنه في "الأوسط" (180:1).

[65] وتجب أبدا إضافته إلى جنسه، قال المبرد: « لا يضاف أفعل إلى شيء إلا وهو جزء منه »، قال: « وقول العتبي: يا خير إخوانه، وأعطفهم عليهم راضيا وغضبانا . . البيت محال وباطل ؛ لما ذكرناه ». يعني: لأنه يكون بعض إخوان نفسه ؛ وهو محال – وهو قسمان: مضاف لنكرة ومضاف لمعرفة.

فالأول ؛ نحو: زيد أفضل رجلٍ. ومنه عند بعض الناس: أفضل ما هو أهله ؛ بناء على أن (ما) نكرة. أي: شيء هو أهله. وهذا القسم تُقدّرُ معه (من) وتقديرها معنوي لا لفظي، والمعنى في قولك: زيد أفضل رجل، زيد أفضل من جميع الرجال غيرَه إذا فضلوا رجلا رجلا، أي: من كل رجل منهم. قال أبو حيان: « المعنى أنه: أفضل من كل رجل قيس فضله بفضله ».

والقسم الثاني ؛ وهو: المضاف إلى المعرفة: نحو زيد أفضل الرجال. وهو على نحو ما تقدم في القسم الأول ؛ أي: أفضل منهم إذا قسموا رجلا رجلا. أي: من كل واحد منهم، وتقدير (من) أيضا فيه: معنوي لا لفظي. والتفضيل في كلا المعنيين مقصود به الكلية لا الكل. ومن هذا القسم الثاني: هذا اللفظ المتكلم فيه، ونظيره: اعط زيدا أحسن ثيابه عندك. إذا كان له عندك ثلاثة أثواب مثلا. أي: اعط الثوب الذي هو أحسن من كل ثوب من الثياب المذكورة ؛ قيس جنسه بحسن هذا الثوب المعطى، وليس المراد: اعطه ثوبا أحسن من الثياب المذكورة ؛ فيكون ثوبا رابعا، وهذا في غاية الوضوح لا يخفى على ذي فطرة سليمة، ولخفائه على بعض الناس احتيج إلى هذا التقرير.

وعلى وزان هذا المثال ؛ فالجزاء الذي هو: النبي صلى الله عليه وسلم أهله: أنواع تتفاضل ضرورة؛ فالمعنى: الجزاء الذي هو أفضل من كل نوع لما هو أهله إذا فضل نوعا نوعا، وقيس فضل كل نوع بفضل هذا النوع المطلوب. وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الوسيلة له ؛ وهي – لا محالة – أفضل من شربة من الكوثر – مثلا – التي هي شيء فاضل، ومن جملة جزائه صلى الله عليه وسلم، والأمر بسؤال الوسيلة ؛ فتح لباب سؤال الأفضل، وقد تكون هي المقصود بالأفضل ! .

وبقي قسم من أفعال المضاف إلى المعرفة موقوف على السماع ؛ وهو: أن لا يراد به معنى (من) ولا تفضيله على المضاف إليه، بل يهمل ذلك جملة، فيقال: زيد أفضل الرجال. والمعنى: زيد فاضل في الرجال. فأفعل في هذا بمنزلة اسم الفاعل، وهو غير مَقِيس، وليس مما نحن بصدده، وإنما ذكرناه تتميما للتقسيم.

وقال الشيخ بهاء الدين ابن عقيل عن بعض السلف: « روي عن بعض [66] السلف أنه قال: من قال في كل يوم ثلاث مرات بعد صلاة الصبح مدة شهرين: أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم، بديع السماوات والأرض وما بينهما، من جميع جرمي وظلمي وإسرافي على نفسي وأتوب إليه؛ أعطي كنزين ؛ كنزا من المال، وكنزا من العلم. وجرب فصح ». وفي ألفاظه بعض مخالفة لما في الحزب كما رأيت، والمعنى واحد، ولعله اختلاف في الرواية.

[2- المُسَبِّعَاتُ العشر]:

وأما المسبعات: فإنها من شعار الطريقة. وقد ذكرها الشيخان: أبو طالب وأبو حامد، والشيخ شهاب الدين السُّهروردي وغيرهم.

فذكر في "الإحياء" جملة من الآيات تستحب قراءتها لورود الأخبار بفضلها، ثم قال: « وإن قرأ المسبعات العشر التي أهداها الخضر إلى إبراهيم التيمي ووصاه أن يقرأها غدوة وعشية؛ فقد استكمل الفضل، وجمع له فضيلة جملة الأدعية المذكورة ». وفي "عوارف المعارف": « ينال بالمداومة عليها جميع المتفرق في الأذكار والدعوات ».اهـ. وقال الشيخ أبو عبد الله الخَرُّوبي: « هذه من الأوراد العظيمة التي جرت عادة الصالحين والعباد يقرؤونها ويضيفونها إلى وظائفهم وأورادهم قديما وحديثا، غدوة وعشية، ولم يزل الشيوخ يأمرون إخوانهم وأصحابهم بقراءتها ويحضونهم عليها، ومازال أشياخنا – رضي الله عنهم – يحضوننا على قراءتها مذ كنا صغارا ».اهـ.

وقد أسند حديثها في "القوت" عن كُرْز بن وبرة، قال: « وكان من الأبدال » عن أخ له من أهل الشام عن إبراهيم التيمي عن الخضر عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث طويل، ونقله في "الإحياء" دون سند، واختصره في "العوارف"، ولم يصح عند العراقي. وقال شيخ الإسلام ابن حجر: « رواه ابن عساكر من طريق كرز بن وبرة، وفي إسناده مجهول وضعيف ». قال شيخنا الإمام الحافظ أخي أبو العباس: « والمجهول: هو الرجل الشامي، والضعيف: هو كرز. صرح بذلك المحدثون، يريدون: من قبل حفظه لا غير. وقد كان من أكابر أهل زمانه دينا وصلاحا وفضلا ».هـ.

ولا يضر في ذلك ضعف الحديث، بل ولا وضعه؛ لأن هذا مما شهد الشرع لجنسه، وثبتت فضائل مفرداته، وعمل به العلماء والأولياء في جميع الآفاق والأمصار ﴿ أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ﴾. [الأنعام: 90].

وقد أوضح الأئمة هذا المسلك ومهدوه، وقد أغنت شهرته عن الإطالة به. ومن كلام الشيخ أبي العباس زروق: « لا تشترط الصحة في الأذكار الواضحة؛ لأنها من جنس ما يطلب الإكثار منه مطلقا؛ وهو: الذكر ». هـ. ومراده [67] بالصحة: مطلق القوة الكافية في باب فضائل الأعمال ونحوها، احترازا من الوضع والسقوط... فنحن نأخذ بقراءة المسبعات لما ذكرنا؛ لا لحديث موضوع أو ساقط!.

وأحال في "القوت" و"الإحياء" و"العوارف" على السور وآية الكرسي من غير تعرض للبسملة، وما كتبناه في الباقيات الصالحات هو المجموع من الروايات؛ فإن بعضها يزيد على بعض، ولم يعينوا لفظ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، والذي كتبناه اختيار وجدنا الناس عليه، والذي اختاره: شيخنا أبو العباس: « اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد »، لأنها رواها البخاري

ومسلم في صحيحيهما[1]، وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه. ولفظ: « جواد كريم، رؤوف رحيم » في آخر المسبعة العاشرة؛ من زيادة "العوارف".

[3- المعشـــــرات]:

وأما المعشرات: فقال شيخنا أبو العباس فيما قرأته بخطه: « هذه الأذكار كلها من أذكار أتباع سيدي محمد بن سليمان الجزولي؛ ولا سيما سيدي أحمد الحارثي وتلميذه سيدي محمد بن عيسى وأتباعهما، إلا أن ما قلنا فيه نحن عشرا كان عندهم سبعا، وجعلناه كذلك؛ لما تقرر عندنا من الحديث كما أشرنا إليه ». يعني: وما لا حديث فيه ألحق به ؛ ليجري على سنن واحد.

[4- قراءة الحسبلة سبعين مرة]:

وأما: حسبنا الله ونعم الوكيل سبعين مرة: فمن زيادة شيخنا أبي العباس بعد وفاة والده ؛ وقد كتب بخطه شيخنا أبو عبد الله القصار – رحمة الله عليه: « قال القاضي أبو يحيى السكاك: مما وقفت على بركته المرة بعد المرة: حسبي الله ونعم الوكيل (سبعين مرة)، ثم: حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم (ثلاثا) تنجي من الهلكة بعد انقطاع الرجاء ». هـ.

وينبغي أن يزاد أيضا: ﴿ حسبي الله لا إله إلا هو ﴾.الآية [التوبة: 129] لما قاله، أو كان هذا مستند الزيادة، والمزيد أيضا بنون الجمع على لفظ الآية، والمذكور هنا بياء المتكلم الواحد، وقد نظرته في كتاب ابن السّكاك في الأوراد ؛ فلم أجده فيه، ولعله ذكره في غيره، فالناقل ثقة أمين.

ويكفي مستندا: قوله تعالى: ﴿ فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ﴾. [آل عمران: 174] وقد ذكر ابن الصباغ أن الشيخ أبا الحسن قال: « إذا خوفك أحد من الجن والإنس ؛ فقل: حسبنا الله ونعم الوكيل ». وقد كان الوقت حين زاده الشيخ أبو العباس وقت فتن ومحن، والله [68] الواقي الكافي سبحانه.

[5- الوظيفة الزروقية]:

وأما وظيفة الشيخ أبي العباس زروق ؛ فمشهورة، وما كتبناه هو الرواية التي استقر عليها الأمر بعد عرضها على النبي صلى الله عليه وسلم وإقراره إياها على ما هي عليه.

---

[1] رواه البخاري (رقم 3190)، ومسلم (رقم 406) عن كعب بن عجرة.

[6- الحزب الكبير للشاذلي]:

وأما الحزب الكبير ؛ فإنه عند الشيخ ابن عطاء الله، والشيخ ابن عباد، وأبي القاسم الصيرفي، وأبي القاسم البرزلي، والشيخ زروق وجمهور الشاذلية. أوله: « بسم الله الرحمن الرحيم. وإذا جاءك الذين... » كما كتبناه، والمتداول فيه ثلاث روايات: رواية الشيخ العالم سيدي عبد النور الشريف العمراني، ورواية الشيخ الراوية أبي عبد الله ابن الصباغ، ورواية الشيخ العارف أبي عبد الله ابن عباد. وعلى رواية الشيخ ابن عباد جرى العمل غالبا بفاس.

وللشيخ أبي العباس زروق حاشية على "الحزب الكبير" وكذلك لشيخنا الإمام أبي محمد عبد الرحمن. واعتنى الناس بالسؤال عن مواضع منه وبالكلام عليها . وقد وقفت على كتاب كتبه شيخنا الإمام أبو عبد الله القصار لشيخ النحاة في عصره أبي العباس القدومي- رضي الله عنهم أجمعين – قال فيه:

« وبعد؛ فإن شيخنا سيدي رضوان أمرني أن أكتب لك ما كان مستندنا في ضم يا ربُّ ؛ وهو شيئان: أحدهما: الرواية كذلك ؛ رواه الصيرفي عن ابن عباد، وكذلك وجده بخطه أيضا . والثاني: أنه عندنا غير مضاف، وإنما هو مثل: يا بر. وهو في هذا المقام غير مضاف أبلغ ؛ لشموله ربوبية كل شيء ».

فأجابه بما حاصله: « إنه حيث ثبت مضموما ؛ فإنه يحمل على إحدى اللغات في المضاف، وأما حمله على أنه غير مضاف ؛ قال: فهو خلاف ما قد نصوا عليه من أن الرب الأغلب عليه نداؤه مضافا، فإن سمع غير مضاف للياء في اللفظ ؛ فهو على تقدير الإضافة إليها، ولكنه بني على الضم تشبيها بالنكرة المقصودة في اللفظ، وهو معرفة في التحقيق بنية الإضافة، لا بالقصد كما ذكرته. وهذه اللغة – وإن كانت قليلة بالنسبة إلى غيرها – لكنها قرئ بها المتواتر ؛ وهو قوله تعالى: ﴿ قل ربي احكم بالحق ﴾. [الأنبياء: 112]، وقال فيها الشيخ أبو حيان: إنها ليست من نداء النكرة المقبل عليها، بل من اللغات الجائزات في: يا « غلامي »».

وراجعه شيخنا القصار محتجا بقوله، وباحثا فيما عارضه به، ووقعت بينهما في ذلك مراجعات لا يمكن إيرادها هنا ؛ لطولها الخارج عن مقصود الكتاب، وكونها اتساعا في فن آخر، والمحتاج إليه هنا: كون اللفظ مضموما، وتوجيه [69] ضمه، وقد حصل ذلك والحمد لله.

[7 – بقية الأحزاب]:

وأما ما بقي من الأحزاب ؛ فإنه من شعار الطائفة الجزولية وسمة الاستمساك بحبلهم.

فأما قوله: « العزيز ذو الجلال » . . . إلى آخر الكلمات المقرونة بكلمة الشهادة ؛ فمن كلام شيخ الطائفة سيدي محمد الجزولي، وكذلك قوله: « سبحان الدايم لا يزول » إلى قوله: « وجميع المؤمنين »، وهو المعروف بحزب الجزولي، وقوله: « أهل المجد والتعظيم » إلى قوله: « ثم نختم بالسلام على النبي الشفيع » من كلام كبير

تلامذته: الشـــيخ أبي عبد الله محـمد بن محـمد العمري: المعروف بالصغير السهلي. وقوله: « بركة الخضر يا إلهي » إلى تمام ذكر اسم الجلالة ؛ أصله من كلام تلميذه – أيضا – الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر الحارثي السفياني، وفيه زيادات لغيره في ذلك التوسل.

وسمعت قديما أنه لما كان السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ – ماهد دولة الشرفاء – يتوهم من مشايخ الفقراء لدخوله للملك من بابهم ؛ عزم خديمه علي الجرماط على أخذ زاوية سيدي علي اللهبي – أحد الطائفة الجزولية من أصحاب [*الشيخ سيدي رحال الكوش*][1]فجاء ليلا ؛ فلما قصد الحلة ؛ وجد بينه وبينهما سورا، فدار به فلم يجد له بابا، فرجع. فلما شاعت القصة وبلغت لسيدي علي اللهبي قال: « ما عندي سور إلا حزب الجزولي ! » يعني: هذا، أو مضموما لحزب الفلاح. أما حزب فلان بمعنى أصحابه وجماعته ؛ فقليل الاستعمال في العرف العام.

[8- الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد عصر الجمعة]:

وأما الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بعد عصر يوم الجمعة: فقال في "القوت" وتبعه في "الإحياء": « قال صلى الله عليه وسلم: من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة ؛ غفر الله عز وجل له ذنوب ثمانين سنة ». قيل: « يا رسول الله ؛ كيف الصلاة عليك ؟ » . قال: « تقول: اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي، وتعقد واحدة ». قال العراقي: « رواه الدارقطني من رواية ابن المسيب. قال: أظنه عن أبي هريرة، وقال: حديث غريب. وقال ابن النعمان: حديث حسن». واقتصر على لفظ الصلاة المذكورة الشيخ أبو عبد الله ابن ثابت في كفايته.

وأخرج الحافظ أبو القاسم ابن بشكوال عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من صلى صلاة العصر يوم الجمعة فقال قبل أن يقوم من مقامه – أو قال: من مكانه – صلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسـلم تسـليما، ثمانين مرة ؛ غفرت له ذنوب ثمانين عاما، وكتبت له عبادة ثمانين سنة ».

وقال الشيخ أبو عبد الله الرصاع: روي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال[2] رسول [70] صلى الله عليه وسلم قال: « من صلى صلاة العصر يوم الجمعة فقال قبل أن يقوم من مجلسه: اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما . ثمانين مرة ؛ غفرت له ذنوب ثمانين سنة ». وأورده الشيخ جبر بن محمد القرطبي بهذا اللفظ حرفا بحرف، وزاد: « وصحبه »، وفي آخره: « وكتبت له عبادة ثمانين سنة ».

[9- دعاء يوم عرفة]:

---

[1] هذا البياض هكذا بالأصل (حجرية) .وما بين القوسين أضفته عن "ممتع الأسماع" ص 138 . محقق .
[2] كذا في الأصل.

وأما دعاء يوم عرفة ؛ فذكره الشيخ أبو طالب في "القوت" ؛ فقال: « وقد جاء في الخبر : من قال هؤلاء الكلمات مائة مرة قبل غروب الشمس من يوم عرفة ؛ نودي من قبل الله تعالى: قد أرضيتني وعلي رضاك، سلني ما شئت أعطك » ، وتوجد في بعض نسخ "القوت" بلفظ آخر، والذي سلف لنا ذكره هو الذي أثبته الشيخ أبو عبد الله ابن عباد ؛ وكتبه بخطه في طرة النسخة التي اعتنى بمقابلتها وتصحيحها، وجعل عليها (خ) علامة على أنها نسخة أخرى.

وقال العراقي: « حديث: ما شاء الله لا قوة إلا بالله، ما شاء الله كل نعمة من الله، ما شاء الله الخير كله بيد الله، ما شاء الله لا يصرف السوء إلا الله. أورده ابن عدي في "الكامل" من حديث ابن عباس، ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم. . . قال: يلتقي الخضر وإلياس كل عام في الموسم بمنى، فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه، فيفترقان عن هذه الكلمات. . . فذكره وقال: لا يسوق الخير إلا الله. في موضع: الخير كله بيد الله. أورده في ترجمة الحسن بن رزين وقال: إنه ليس بالمعروف، وهو بهذا الإسناد منكر » .هـ.

وذكر ابن حجر جملة من طرق هذا الحديث ولم يسق لفظه، ونصه: « روى الدارقطني في "الأفراد" من طريق عطاء عن ابن عباس مرفوعا: يجتمع الخضر وإلياس كل عام في الموسم ؛ فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان عن هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله. . . الحديث. وفي إسناده: محمد بن أحمد بن زبراء (بمعجمة ثم موحدة ساكنة) وهو ضعيف. وروى ابن عساكر من طريق هشام بن خالد عن الحسن بن يحيى عن أبي رواد نحوه، وزاد: ويشربان من ماء زمزم شربة تكفيهما إلى قابل. وهذا معضل[1]. ورواه أحمد في الزهد بإسناد حسن عن أبي رواد، وزاد أنهما : يصومان رمضان ببيت المقدس ».

وعلى كل حال ؛ فقد قيد الزمان بكونه قبل الغروب، وهو عرفا مقتض لقرب الغروب، ومن لفظ: عام. قيد زمانه ولم يقيد مكانه، فيكون عاما في الأمكنة، وعلى خصوصه بذلك الوقت في كل بلد [71] جرى الناس كما جروا في مطلق الدعاء في ذلك اليوم؛ موافقة لأهل عرفة.

[وقت دعاء أهل المغرب بدعاء عرفة]:

وقد كان بعض الميقاتيين من أصحابنا يلهج بأن الصواب تحين الوقت الذي يكون الناس فيه بعرفة، وقد قال ذلك غيره. ووجه ما قالوا: أن المقصود موافقة أهل الموقف في أدعيتهم وتأمينهم كما في موافقة التأمين في الصلاة تأمين الملائكة. قال ابن حجر: « المراد: الموافقة في القول والزمان ؛ خلافا لمن فسره بغير ذلك » . وقد سبقه بذلك الباجي ونقله عن الداودي أيضا .

وطريق معرفة ذلك الوقت: أن يعرف طول مكة وطول البلد المفروض، وتؤخذ الفضلة التي بين الطولين وكم يجب لها من الدَرَج، وليعرض الوقت في فاس: فطول مكة شرفها الله (عز)، وطول فاس حاطها الله (كه)

[1] المعضل: ما سقط من سنده رجلان. وهو من أقسام الضعيف.

فيطرح الأقل من الأكثر، فيكون الباقي (نب)، فيقسم على خمسة عشر ؛ وهو مقدار ساعة معتدلة، فيكون الخارج: ثلاث ساعات معتدلة ونصف ساعة إلا نصف درجة، فيكون غروب الشمس في مكة سابقا عن الغروب بفاس بهذا المقدار، وهكذا كل وقت من أجزاء الليل والنهار.

وقد ذكر شيخ شيوخنا شيخ الإسلام أبو النعيم رضوان بن عبد الله فيما قرأته بخطه أنه: سمع الشيخ الإمام أبا عبد الله ابن جلال يقول: « حضرت مع سيدي أحمد بن ماواس يوم عرفة ؛ فأراد أن يتحــرى عشية عرفة للدعاء، فأخذ الارتفاع ونحـن إذ ذاك بمدينة فاس، فوجد ذلك بعد الزوال بقليل ». وابن ماواس: هو العالم المحقق شارح "الروضة".

وقد ذكر القاضي عياض في "المدارك" عن سحنون قال: « حضرت أشهب يوم عرفة بجامع مصر، وكان من حالهم: إقامتهم بمســجـدهم إلى غروب الشمس ». يعني: للذكر والدعــاء كما يفعل أهل عرفة بها.

والغروب بمكة يتقدم الغروب بمصر بنحو ساعة ونصف ساعة، وذلك بعد العصر بنحو ساعة، فالمعتبر على هذا هو: عشية اليوم في أي بلد. وقد يقال: إنهم وافقوهم في تلك الساعة واستصحبوا إلى الغروب، ولا سيما على المذهب في وجوب الوقوف بعرفة في جزء من الليل، ومن قصد مشابهة أهل عرفة ؛ اكتفى بعشي بلده، وهو الأشبه بما يعم الجمهور ؛ لسهولة مدركه عند الكافة، فإن كان ذلك مرغبا فيه ؛ فالأشبه إحاطته بالوقت الذي يعرفه كل أحد، ومن قصد موافقة أهل عرفة حين وقوفهم ودعائهم ؛ تحرى وقت ذلك كما تقدم.

وفي سماع ابن القاسم: « سئل مالك عن الجلوس يوم عرفة في المساجد في البلدان بعد العصر للدعاء؛ فكره ذلك. [72] قال القاضي أبو الوليد بن رشد: كره ملك هذا وإن كان الدعاء حسنا. وأفضله يوم عرفة ؛ لأن الاجتماع لذلك بدعة ».

وترجم الأستاذ أبو بكر الطرطوشي في كتاب "البدع": « فصل في اجتماع الناس في سائر الآفاق يوم عرفة ». ونقل ما قاله الأيمة من كونه بدعة، ثم قال: « فهؤلاء الأيمة علموا أن أفضل الدعاء: يوم عرفة؛ ولكن علموا أن ذلك بموطن عرفة لا في غيرها، ولا منعوا من خلا بنفسه فحضرته نية صادقة أن يدعو الله، وإنما كرهوا الحوادث في الدين، وأن يظن العوام أن من سنة يوم عرفة لسائر الآفاق الاجتماع والدعاء، فيتداعى الأمر إلى أن يدخل في الدين ما ليس منه ». هـ. فالمكروه هو: الاجتماع لا مجرد الدعاء، ولهذا قال الشيخ خليل عطفا على المكروهات: « واجتماع لدعاء يوم عرفة ».

[دلائل الاجتماع للذكر جهرا]:

وأما الاجتماع للقراءة والذكر على لسان واحد جهرا ؛ فأمر جرى به عمل المقتدى بهم في مشارق الأرض ومغاربها.

ومن أصول الاجتماع والذكر في جماعة: ما أخرجه الشيخان واللفظ للبخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله ؛ تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء. قال: فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي ؟. قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك، ويحمدونك ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟. فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟. قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد تمجيدا، وأكثر لك تسبيحا. قال: فيقول: ما سألوني؟ قال: يقولون: سألوك الجنة. قال: فيقول: وهل رأوها ؟. قال: يقولون: لا والله يا رب. فيقول: كيف لو رأوها ؟!. قال: يقولون: لو أنهم رأوها ؛ كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا، وأعظم فيها رغبة!. قال: فيقول: ومم يتعوذون؟. قال: يقولون: من النار. قال: فيقول: وهل رأوها ؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: يقول: فكيف لو رأوها ؟!. قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة. قال: فيقول لهم: أشهدكم أني قد غفرت لهم!. قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشقى جليسهم! »[1].

وأخرج البزار عن أنس – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « إن لله سيارة من الملائكة يطلبون حِلَقَ الذكر [73] فإذا أتوا عليهم ؛ حفوا بهم، ثم بعثوا رائدهم إلى السماء إلى رب العزة تبارك وتعالى فيقولون: ربنا أتينا على عباد من عبادك يعظمون آلاءك، ويتلون كتابك، ويصلون على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، ويسألونك لآخرتهم ودنياهم، فيقول الله تبارك وتعالى: غشوهم رحمتي ؛ فهم الجلساء لا يشقى جليسهم ! ».

وأخرج الترمذي وابن ماجه، ومسلم واللفظ له عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أنهما: شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: « لا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وغشيتهم الرحمة، وتنزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده »[2].

وأخرج الشيخان والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «يقول الله تعالى: أنا عند ظن عبدي، وأنا معه إذا ذكرني. فإن ذكرني في نفسه ؛ ذكرته في نفسي، وإن ذكرني في ملإ ؛ ذكرته في ملإ خير منهم »[3].

ومن الواضح أنه: لا يقابل ما في النفس بما في الملأ إلا على معنى السر والجهر ؛ لإمكان ذكره في نفسه سرا وهو قاعد في الملإ ؛ فاقتضى فضيلة الجهر، واقتضت الأحاديث السالفة فضل الاجتماع. ولا يقال: يجتمع

---

[1] رواه البخاري (6045) وابن حبان (857) عن أبي هريرة بهذا اللفظ.
[2] رواه مسلم (2700) والإمام احمد (11463) وابو يعلى (1252) عن أبي هريرة وأبي سعيد.
[3] رواه البخاري (6970)، ومسلم (2675)، والترمذي (3603) عن أبي هريرة.

للذكر جهرا وكل أحد على ذكره ؛ لأنه –كما قال الشيخ أبو العباس زروق – لا يخفى ما فيه من إساءة الأدب بالتخليط وغيره مما لا يسوغ في حديث الناس فضلا عن ذكر الله. فعلى ما ذكر: يجتمع للذكر على لسان واحد، وعليه حمل العلماء الأحاديث الواردة في الاجتماع؛ كالتي تقدم ذكرها.

قال الشيخ أبو العباس زروق: « ولا تحمل على أن المراد: الذكر سرا وكل واحد على ذكره؛ لأن جدواه غير ظاهرة »، وقال أيضا: « وفائدة ذكرها بالجمع: ثلاثة أوجه؛ أحدها: تعاضد أنوار الذاكرين لها. الثاني: ما صح من قوله صلى الله عليه وسلم: ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله فيه إلا حفت بهم الملائكة، ونزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده. الثالث: فيه إظهار لأبهة الإسلام عند دروسها، وإعانة لضعفاء المسلمين على الذكر، وإلا؛ فالخفي أولى. وإن رجح النووي ذكر الجهر »، وسيأتي في فصل المكاتبات شيء من كلام الشيخ أبي المحاسن في ذلك.

[معنى: الحزب عند الصوفية]:

وقال في شرح "حزب البحر": « فأما حقيقة الحزب؛ فهو: الورد المعمول به تعبدا ونحوه. وهو في الاصطلاح: مجموع أذكار وأدعية وتوجهات وضعت للذكر، والتذكير، والتعوذ [74] من الشر، وطلب الخير، واستنتاج المعارف، وحصول العلم مع جمع القلب على الله سبحانه بذلك. ولم تكن في الصدر الأول، ولا من بعدهم بقريب؛ لكن جرت على أيدي مشايخ المتصوفة وصالحي الأمة بحكم التصريف والنظر السديد؛ إشغالا للبطالين، وإعانة للمريدين، وتقوية للمحبين، وحرمة للمنتسبين، وترقية لهمم المتوجهين من العباد والزهاد، وأهل الطاعة والسداد، وفتحا للباب حتى يدخله عوام المؤمنين؛ لما رأوا قصر الهمم، وضعف العزائم، وبعد النيات، ونقص القرائح، واستيلاء الغفلة، ومرض القلوب، وقلة اليقين ».

قال: « وأحزاب أهل الكمال ممزوجة بأحوالهم، مؤيدة بعلومهم، مسددة بإلهامهم، مصحوبة بكراماتهم، حتى قال الشيخ أبو الحسن – رضي الله عنه – في شأن حزبه الكبير: من قرأه كان له مالنا وعليه ما علينا. قال سيدي أبو عبد الله ابن عباد رحمه الله: يعني: له مالنا من الحرمة، وعليه ما علينا من الرحمة. قلت: والذي يظهر من قوة الكلام: أن ذلك إثبات – لأنه في حوزة الشيخ ودائرته – بما هو أعم من الرحمة والحرمة، وهذا جار في كل أحزابه، وجميع طريقته؛ لأنه إذا كان الإيمان بطريقتهم ولاية؛ فكيف بالدخول فيها بأدنى جزء؟! نعم؛ ولا يستعمل أحد ذلك إلا بعد المحبة لهم، ومن أحب قوما حشر معهم كما في الحديث ».هـ. ثم وقفت على رسائل الشيخ ابن عباد وفيها ذلك الكلام منسوب.

وكان رجل من السماسرة الأمناء مواظبا على حضور الحزب، فخرج يوما بعض أهله غدوة حاملا لجملة من ثياب الناس، فلقيه بعض المفسدين؛ فقتله وأخذ الثياب، فجاء ذلك الرجل وسقط إلى الأرض يبكي بين يدي الشيخ أبي المحاسن، فسمعته قال له: « هل حضرت اليوم في الحزب؟ ». فقال له: « لا! ». فقال له:

« المفرط أولى بالخسارة ». ثم عزاه وصبره ودعا له. فضاقت الأرض على الجاني وخرج إلى زرهون ؛ فقتل هنالك، وخلف الله على الرجل بخير.

ومما يناسب هذا – لكن على المقابلة – أن بعض أصحابه من حسباء المدينة وذوي الثروة منهم ادعى عليه بعض أعقاب الظلمة أن أباهم أودع عنده مالا وافرا ؛ فسجن بسبب ذلك يومين أو ثلاثة، ثم برأه الله مما قالوا، وتبين كذب تلك الدعوى. فجاء إلى الشيخ وبكى بين يديه، وقال له: « يا سيدي؛ لم أدر من أين نالني هذا الواقع وأنا أقرأ كل يوم المنفرجة؟ ! ». يعني: جيمية الشيخ أبي [75] الفضل ابن النحوي، فقال له الشيخ: « من هنا نالك ذلك ؛ فإن طلب الفرج يستدعي أمرا يفرج، ومثل هذا من الأدعية جار مجرى الأدوية لا تستعمل إلا بعد حدوث المرض !».

وكان – رضي الله عنه – عارفا بترتيب الأوراد، وخواص الأسماء والدعوات. حدثنا الرئيس الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد ابن رضوان أنه: كان مريضا هو أو أبوه: الكاتب الكبير أبو عبد الله محمد، أو عمه: الكاتب أبو العباس أحمد المدعو بحمدون – الشك مني – فدخل الشيخ على المريض يعوده ؛ فأمر الحاضرين بذكر اسمه تعالى: السلام – أظنه قال: مائة مرة – قال: فما قام الشيخ وأصحابه حتى قام المريض معهم وشفاه الله تعالى من حينه، وظهر كثير من خواص الأسماء بتلقينه، ومع ذلك ؛ فلم يكن أمره مبنيا على الخواص والدعوات، إنما كانت طريقه وجهة إلى الله تعالى صادقة، وهمته عالية فائقة، وطريقه سُنّية، وأحوال سَنِيَّة.

الفصل الثامن
في ذكر بعض الكرامات التي ظهرت على يديه

وقد أفردها بالتأليف قوم ؛ منهم: شيخنا الزاهد العابد الحاج أبو الحسن علي بن سعيد، والفقيه الصالح أبو عمران موسى بن عبد الواحد الزراد، والفقيه المتصوف أبو العباس أحمد بن محمد الجزولي اليلالي. . .وغيرهم. إلا أنه لم يحضرني شيء من ذلك الآن، وقد كتبت هذا الفصل في سفر ؛ فاقتصرت بحكم الوقت على ما حضرني مما شاهدته أو تنزل منزلته.

منها: أني حضرت معه في أحد الشهور الثلاثة قبل رمضان من سنة ست وتسعين وتسعمائة في زيارة ضريح الشيخ الولي الشهير سيدي أبي سلهام – نفعنا الله تعالى ببركاته – ومعه خلق كثيرون من أهل فاس

وأهل القصر وقبائل العرب والبربر، وكانت الخيل تتجارى، إلى أن دخلنا في غابة هنالك فيها ماء يعرف بالماء الأكحل، وتعرف هي به، وفيها كثير من شجر البلوط، فصدمت شجرة منها فارسا منهم ؛ وهو: أمين قيسارية القصر أبو العباس أحمد الحاج بنّ أصابت مرفقه، فزاغ عظم ذراعه عن عظم عضده وسقط مغشيا عليه، وكان الشيخ قد نزل على ذلك الماء، فجيء به إليه وألقي كالميت بين يديه، فأخذ الشيخ يمسح بيده على ذلك المرفق ويتفل عليه، فشفاه الله تعالى من حينه، وقام كأن لم يكن به شيء. وشاهد ذلك الناس عيانا، وشـاع [76] خبره بينهم.

ومنها: أن رجلا كان في جيراننا يعرف بمحمد الحصار، وكان له ولد صغير قد أقعد، فأتى به يوما إلى الشيخ، والفقراء إذ ذاك مازالوا يقرؤون حزب الغداة، وبكى بين يديه، وطلب بركته في شفائه، فأقعده عن يساره ساعة، ثم قال له: « قم معافى بإذن الله تعالى ! ». وسار مع أبيه على قدميه، وكان وقتا طابت فيه قلوب الحاضرين، وتجلت فيه الحقيقة لأعين الناظرين، والحمد لله على ذلك حمد الشاكرين.

ومنها: أن صاحب مدينة تازى كان له ولدان ؛ نسب أحدهما للآخر ما تقتضي الغيرة قتله بسببه، ففر المتهم إلى روضة الشيخ الولي الشهير أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجبش رضي الله عنه ونفعنا بركاته، فتبعه أخوه وأخرجه وقتله، فأقعد القاتل وتعذر برؤه ؛ فجيء به إلى فاس، وحمل إلى الشيخ مقعدا لا يقدر على القيام، فأقام ساعة عند الشيخ وقال له: « قم! ». فقام ومشى على رجليه، ولم يبق به شيء مما كان به، وحضر لذلك جمع كبير من الناس شاهدوا منه آية من آيات الله تعالى ظاهرة للعين. وغير بعيد شفاعة الولد عند أبيه، وجواز دالته عليه ؛ فإن الشيخ أبا المحاسن أخذ عن الشيخ أبي عياد المجذوب عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الواحد الشريف الجوطي المكناسي الشهير بالشبيه عن الشيخ أبي عبد الله بن يجبش رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

ومنها: أن رجلا كان يغتاب الشيخ، وكان والده من قضاة بلده وحسبائهم، ومن المحبين للشيخ والمعظمين له إلى أن مات على ذلك، فكان الشيخ يغضي عما يصله عن ولده الرجل المذكور، إلى أن ظهر في ذراع ذلك الرجل بياض انزعج منه، وتكدرت حاله بسببه، ووقع في نفسه أيضا وسواس في عقيدته خاف منه على إيمانه، وتطلب علاج المرَضَيْن بكل وجه، فأعوزه، فألقي في نفسه أنه إنما أتي من قبل الشيخ، وأن شفاءه من ذلك إنما يتيسر أيضا من قبله، فقصده ؛ فذهب عنه كلا المرضين، ورآها آية ظاهرة، فأكب على صحبته وملازمته، لا يفارق الزاوية أكثر نهاره إلى أن لقي الله تعالى، وكان من خيار الناس وفضلائهم وصلحائهم، ومن أهل الحسب والأصالة فيهم. رحمه الله ونفع به.

ومنها: أن شيخنا الفقيه العارف أبا عبد الله محمد بن علي النيجي – رحمه الله – كان قد صحبه وسواس عطل عليه وضوءه وصلاته، وكان قد تزوج امرأة بفاس [77] ثم فارقها، وتعلقت به بسببها دعوى مالية فادحة، وكان لأهل المرأة استطالة، لتعلقهم بأهل السطوة والتسلط، فكان ذلك يمنعه من دخول فاس مع تشوفه لرؤية الشيخ واستشفائه ببركته مما به. إلى أن غلبه ما يجد، فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها، فوصل إلى الشيخ ولم يكن رآه قبل ذلك. فحضر بين يديه وشكى إليه ما به، فأمره الشيخ من حينه بالوضوء

بمرأى منه، فتوضأ، ثم أمره بالصلاة كذلك، فصلى وهو ينظر إليه، فكان ذلك آخر عهده بالوسواس. وذكر له ما يتخوفه من جانب تلك المرأة ؛ فقال له: ((اخرج ولا تخف !)) . فخرج فما طالبه أحد منهم بشيء أبدا، مع عظم ما كان يتوقعه من ذلك. فكفى الله شره، وكان ذلك في ذي الحجة سنة تسعين وتسعمائة. وقد حدثني بجميع ذلك شيخنا أبو عبد الله صاحب القصة. وإلى ذلك أشار في القصيدة التي أنشدنيها من لفظه، وكتبها لي وشرحها بخطه رحمه الله:

حُبِيَ التصرف في المريد وغيره	في حاضر الوقت وفي الوقت الخلي
ومن الدليل قضيتي في كونه	أبرأني[1] في عنفوان الموصل

ومنها: أن بعض من كان يخدمه من أهل الدولة[2] — وكان إذ ذاك إلى نظره — عمل جرس سجن بعض أهل ذلك العمل في مال له بال، وكان ذلك في أيام المولد النبوي – على المولود فيه أفضل الصلاة والسلام – سنة سبع وألف، فجاء نساء المسجون إلى دار الشيخ يطلبن الشفاعة فيه، فبعث الشيخ إليه بعض أصحابه يكلمه في تسريحه، فلما كلمه في ذلك ؛ قال له: ((أنا لا أطلقه، وإذا أحب الشيخ أن يطلقه فليطلقه !)) . فرجع الفقير إلى الشيخ وأدى إليه ذلك كما سمعه.

فلما كان من الغد ؛ خرج الشيخ إلى صلاة الصبح، وإذا بالمسجون وقع على رجليه يقبلهما ويثني عليه ويحمد الله تعالى على ما من به عليه من بركته. فسمعناه يحدث أنه كان في محبسه في برج له باب مقفل، وعليه حراس، ومن دونه أبواب مقفلة وأقوام هنالك، وإذا بالشيخ قد وقف عليه وقال له: ((قم !)) . وإذا بالحديد قد سقط عن رجليه، فقام إلى الباب ؛ فوجده مفتوحا، فتخطى الحراس إلى الباب الآخر فوجده كذلك، إلى أن نفذ إلى الشارع، وقصد دار الشيخ حتى انتهى إليها، وخلصه الله تعالى وأحسن عاقبته.

ثم بعد أيام قليلة [78] جاء الأمر من مراكش بثقاف الذي سجنه، وتثقيل الحديد عليه، وإغرامه مائة ألف دينار، ولم يكن لذلك سبب ظاهر، مع عظيم حظوته. فجاء أهل داره إلى الشيخ وطلبن السمح والإقالة. فوعدهن بخلاصه ؛ فكان كما قال، وظهر اللطف الباهر، وانسدل الستر الجميل.

ومنها: أنه لما كان عام اثني عشر وألف – بسبب موت الخليفة أبي العباس المنصور رحمه الله – ما كان من اختلاف بنيه وتنازعهم في الملك، وتناوبهم الظهور والاستيلاء، ووقوع ما جرت به العادة من الجانب الغالب في الجانب المغلوب، ودخل مدينة فاس في شعبان من سنة التاريخ الجيش المراكشي الموجه من السلطان أبي فارس صحبة أخيه أبي عبد الله محمد الشيخ، وخرج عنها أخوهما السلطان أبو المعالي زيدان ؛ أخذ بعض أكابر الجيش الداخل المراكشي خدما وغيرهن مما كان بيد أكابر بعض الجيش الخارج الفاسي ممن كان يستند

[1] كذا هو بخط المؤلف في نسخته، ومعنى قوله: ((في عنفوان الموصل)): أنه أبرأه في أول وصوله إليه واجتماعه به من مرض الوسواس الذي كان به . فلا إشكال لا في اللفظ ولا في المعنى، وإن كان النظم مهلهل النسج في القصيدة كلها، وقد تقدمت في الفصل الثالث . نعم؛ في قوله: ((ابرأني)) شيئ من جهة الوزن، وهو: أنه دخله الخزن؛ وهو: تسكين ثاني متفاعلن وحذف رابعه . وهو قبيح عند العروضيين وإن كان جائزا عندهم . نسخة (ب) .

[2] هو القائد علي بن ود العمراني. (حجرية، والنسخة ب) .

إلى الشيخ وينتسب إلى خدمته، وكان الآخذ – أيضا – يدعي حظا من ذلك مُتَقبَّلا من والده، فكلمه الشيخ في رد ما أخذ ؛ فوعد بذلك، ورأيته يقبل رجل الشيخ ويقول: « يا سيدي ؛ إنما أطلب أخلاقك، وأن يكون قلبك معي، ولا يعز علي في ذلك مالي فضلا عن مال غيري ». وانصرف على ذلك، وظهر منه خلافه، فلم يف بوعد، ولم يوف بعهد.

فحضرت يوما بعد ذلك وبين يدي الشيخ رجلان من أهل الدولة وأهل المكانة فيها، وكانا – أيضا – ممن يخدم الشيخ ويزدلف إليه بسابق خدمة من أبيهما من قبل، فقالا له: « يا سيدي ؛ قد تبين لنا أن فلانا غير مضمر الصدق فيما وعد به، وقد خاطبناه في ذلك مرات فلم يُحَصَّل منه على طائل » . فقال لهما الشيخ: « أو يكذب علي؟! ». فقالا له : « نعم! ». فظهر أثر الغضب عليه، وقال لهما: « قولا له: إن كان عنده من يصرخه فليستصرخ به! ». ثم قال: « لكن من هو الآن ؟. بل حتى يعرفه الناس كلهم، فليس سقوط الواقف على القبقاب[1] كسقوط الساقط من أعلى السطح ».

فما مرت إلا أيام قليلة حتى قلد عمل شفشاون، ثم جمع له إليه عمل أَزَّاجن، وكل واحد منهما عمل جليل، ثم قلد جباية الصحفة والدينار، وهي أعظم جبايات هذا الأفق الفاسي، ثم لم تطل مدته إلا ريثما عرفه الناس بذلك، ثم لم يمتع به ؛ فانزعج من محلته من غير سبب حتى دخل مدينة السلطان – وهي: فاس الجديد – فلما وصل خبره للسلطان [79] محمد الشيخ ؛ ظن به الغدر إذ قدم من غير إذن ؛ فأمر بثقافه، فطال سجنه إلى أواخر شوال سنة أربع عشرة وألف، فاتجهت له الحيلة في الفرار من السجن ؛ ففر وقاسى شدائد في الطريق، حتى انتهى إلى مراكش، فلم يمتع بنفسه ومات قتيلا. والعياذ بالله من سوء القضاء، ونسأله سبحانه العفو والعافية.

ومنها: أن شيخنا الإمام قاضي الجماعة أبا الحسن عليا بن عبد الرحمن بن عمران جاءه يوما، فاستأذنت له ؛ فأذن له، فدخل عليه وهو في مصرية في داخل داره، فلما اطمأن به المجلس قال له: « يا سيدي ؛ إني كنت رأيت في النوم كأني وقعتَ في حصير، فجئتَ وعليك ثوب أسود، فأخذت بيدي وجذبتني ». فقال الشيخ: « السواد: سيادة !». فأنشدتهما شطر البيت المعروف ؛ وهو:

أعلامه السود إعلام بسودده

فاستحسناه. ثم قال له: « يا سيدي ؛ احتجت إلى أخذك بيدي من فلان – وذكر رجلا له وجاهة عظيمة عند السلطان – فإنه يسعى في تأخيري وإذايتي ». فقال له: « قد كفاك الله أمر فلان » . فأكب شيخنا القاضي على يد الشيخ يقبلها، وسر بذلك، وأيقن به، فما مرت إلا أيام قليلة حتى تنكر السلطان لذلك الرجل، وتفاحش الأمر إلى أن قتل – رحمه الله – وكان القاضي يعد ذلك فيما رآه من الخوارق والكرامات. رحم الله جميعهم.

[1] نوع من أنواع النعال له طنين عند المشي به.

ومنها: أن الشيخ كان مرة في زيارة سيدي أبي سلهام – نفعنا الله ببركاته – وكان على عين تِيسَّوْت، فقدم زوار من الفاسيين زهاء سبعين رجلا زاروا سيدي أبا يعزى – نفعنا الله ببركاته – ثم الصالحين بسلا، وجاؤوا على الساحل لزيارة سيدي أبي سلهام، وفيهم جماعة من الأعيان ؛ منهم: محتسب فاس الشيخ الفقيه الحسيب أبو عبد الله محمد العربي الماواسي ؛ وكان من أصحاب الشيخ، فوافقوا قصعة من الطعام المألوف بالمغرب، المعروف بالكُسْكُسو، وعليه مؤخر خروف مما يكفي عادة عشرة رجال أو ما يقرب منهم، فأمر الشيخ بتقديمها للواردين ؛ فأكلوا منها بأجمعهم طائفة بعد طائفة حتى شبعوا وبقي الطعام على حاله!. وما من واحد منهم إلا ذكر عن نفسه أنه أكل من اللحم قطعتين أو أكثر.

ثم انكفأ أولئك القوم إلى فاس يحدثون بما شاهدوا من ذلك، وكنا نحن إذ ذاك بفاس، فسمعناه من كثير منهم. ثم سمعناه من كثير من أهل تلك البلاد. وقد ذكر بعض من قيدها أن جملة الآكلين منهم ومن غيرهم [80] أربعمائة، وأنهم كانوا يجلسون عشرة بعد عشرة.

ومنها: أن بعض السادات الأشراف زوج ولده على صداق فيه مملوكتان، فتيسرت له واحدة وتعذرت الأخرى، فجاء إلى الشيخ وشكى إليه ذلك ، فقال له: « اقض جميع مآربك، واعرف المملوكة عندي ! ». إلى أن قرب وقت البناء، فبينما هم يهيئون أمورهم ؛ إذ دخلت عليهم أَمَةٌ جَنَاوِيَّةٌ[1] في زي بلادها، فحضر من كلمها باللسان الجناوي وقال لها: « لمن أنت؟ ». فقالت: « لا أدري ؛ إلا أني كنت في بلادي فأخذني رجل من صفته كذا وكذا »، تذكر صفات الشيخ. فجاء السيد الشريف من حينه إلى الشيخ، فذكر ذلك له ؛ فقال له: « اكتم ذلك حتى نموت وأخبر به من شئت » . فكتم ذلك حتى توفي الشيخ بعد ذلك بنحو سبع سنين، فكان السيد الشريف يحدث بذلك بعده.

ومنها: أنه في بعض زياراته كان معه خلق كثير. فلما كان في بعض الليالي ؛ أمر تلميذه ذا الأحوال العجيبة والأسرار الغريبة سيدي إبراهيم الصياد أن ينادي في الناس: « من معه دابة فليتركها هذه الليلة، فإنه لا يصيبها مكروه »، ففعل ذلك جميعهم إلا رجلا قيد دابته بقيد حديد ؛ ففقدت دون سائر الدواب ذات العدد الكثير، فجاء إلى سيدي إبراهيم الصياد، فذكر له فقد دابته، فقال له: « ألم تسمع النداء؟ ». قال: « نعم سمعته ». فقال له: « المفرط أولى بالخسارة! »، ثم قال: « إن الشيخ – رزقنا الله رضاه – منذ خرج من فاس والجان يطلبون منه خدمة الفقراء ولو ليلة، فيقول لهم: إني غني عنكم. إلى أن رأى أن حرصهم على الخير، وأنه لا ينبغي أن يحرمهم منه، فأعطاهم ذلك هذه الليلة ». ثم وجدت الدابة المفقودة بعد حين. وظهرت في كيفية وجدانها كرامة أخرى.

[1] أي: زنجية.

ومنها: أن بعض أصحابه من عرب طُلَيق ذكروا له أنهم عملوا له زربية نحل، ومازالوا يذكرونها له إلى أن خرج في بعض زياراته إلى تلك البلاد ؛ فقال: « أين عسل هذه الزربية ؟ ». فقال بعضهم: « ما فيها عسل ! » . فقال: « إن لم يكن بها عسل ؛ فالنار أولى بها ». وأشار بأصبعه ؛ فاحترقت من حينها والناس ينظرون ويعجبون من أمر الله سبحانه، وتسخيره ما شاء لمن شاء.

ومنها: أنه كان في بعض زياراته – أيضا – وكان في خبائه ليلا، وعنده جماعة من أصحابه، فطفئ المصباح، وكان بإزائه إلف نار[1]، فجعل يده عليه ؛ فاشتعل من يده والحاضرون يشاهدون ذلك.

ومنها: أنه كان في بعض زياراته – أيضا – وكان وقت حصاد [81] الزرع، فسكنت الريح يوما واحتاجوا إليها لذرو الزرع وتهيئة العلف لخيل الزائرين ودوابهم، فذكروا ذلك له ؛ فأمر الفقيه الصالح الحاج أبا يعقوب يوسف بن يامون التليدي – ويعرف بالتيال، وكان صاحب حال – فجعل على يده عشبة ونفخ عليها ؛ فتحركت في الحين ريح قوية ؛ فقضوا حاجتهم، واستمرت، فشكوا إليه قوتها ؛ فقال: « الفقير هو الذي يجلب ويدفع بحول ربه وقوته ! ». فهدأت الريح كأنها لم تكن.

ومنها: أن نهر القصر – وهو: وادي لُكُسْ – جاء بسيل عظيم لم يعهدوا مثله، وطغى الماء ؛ فدخل المدينة دخولا منكرا وهو في زيادة، والأمطار منسجمة، فجاء الناس إلى الشيخ مرتاعين، واستغاثوا به، فقام الشيخ إلى أن وصل إلى المواضع التي وصل إليها الماء وهو في حال الزيادة، وقوة الجرية، وغزارة المادة، فركز هنالك عكازه وقال: « إن كنت مأمورا فأنا مأمور ! ». فما زاد الوادي على ذلك شيئا، وأخذ في الرجوع. .وخبر ذلك شائع ذائع.

[من أخبار معركة واد المخازن]:

ومنها: أن النصارى – دمرهم الله – لما استجاشهم[2] السلطان أبو عبد الله محمد المتوكل بن السلطان أبي محمد عبد الله بن السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الحسني على عمه السلطان أبي مروان عبد الملك المعتصم ؛ خرجوا إلى بلاد المسلمين في ربيع الثاني سنة ست وثمانين وتسعمائة، وعظيمهم سَبَسْتِيَّان ملك برتقال، واحتشد أمما من النصرانية يقال إن مجموعهم كان: مائة ألف وعشرين ألفا، وأقل ما قيل في عددهم: ثمانون ألف مقاتل. وضربوا محلاتهم بالفحص على أقل من مسيرة يوم من مدينة القصر، وكانت أصيلا قد تصيرت إليهم قبل ذلك بأشهر، فعاين أهل القصر الهلكة ؛ لقرب العدو منهم وقوته التي لا طاقة لهم بها، وفشو النفاق لأجل السلطان أبي عبد الله الذي معهم، وبعد صريخ المسلمين ؛ فإن السلطان أبا مروان كان إذ ذاك بمراكش، فاستبطؤا وصول الخبر إليه وحركته بعده، فلم يبق لهم تدبير إلا الفرار والتحصن بالجبال وغيرها .

[1] هو المعروف بالعامية بـ: الفنار . أي: الفانوس.
[2] قف على غزوة نامدة . تقبل الله عمل المجاهدين كلهم أجمعين . آمين . نسخة (ب) .

فقال الشيخ لرجل من أصحابه: « ناد في الناس أن: الزموا بلادكم ودوركم ؛ فإن عظيم النصارى مسجون حيث هو حتى يجيء السلطان من مراكش، والنصارى غنيمة المسلمين، ومن شاء فليعط خمسين أوقية للنصراني! ». يشير إلى مبلغ قيمة النصراني في الغنيمة. فما انتقل النصارى من مكانهم ذلك أزيد من شهر حتى قدم السلطان أبو مروان – وكان مريضا – فالتقى الجمعان[1] يوم الاثنين مكمل جمادى الأولى سنة [82] ست وثمانين وتسعمائة ؛ فمنح الله المسلمين النصر ؛ فقتل سبستيان في ذلك اليوم، واستولى المسلمون على ما معه، فما نجا من النصارى إلا قليل، وفر مستصرخهم السلطان أبو عبد الله، واضطر إلى عبور وادي المخازن ؛ فوقع في غدير ؛ فمات غريقا فيها، واستخرج منها، وحصل المسلمون على غنيمة لم يكن قط مثلها بالمغرب، إذ لم يتقدم للنصارى خروج به على هذه الصورة، إلا أن الغنيمة لم تقسم، والمال تنهبها الناس كما اتفق لهم بحسب القوة والبخت الدنيوي، وكان الناس يتوقعون مغبتها ؛ لاختلاط الأموال بالحرام، فظهر ذلك من غلاء وغيره. **وكنا نسمع أن البركة رفعت من الأموال من يومئذ.**

وقد حضر الشيخ هذه الغزوة وأبلى فيها بلاء حسنا، وتورع عن الغنيمة، فلم يتلبس بشيء منها، وبلغت قيمة النصراني ما ذكره الشيخ، وكان سبب عدم ضبط أمر الغنيمة بجمعها وقسمها: موت السلطان أبي مروان – رحمه الله – قبل هزيمة النصارى، وكان مريضا في مِحَفة ؛ فأخفى أصحابه موته حتى أظهر الله المسلمين ؛ فاشتغل أخوه السلطان أبو العباس أحمد المنصور بجمع الكلمة عليه، ولم يشتغل بأمر الغنيمة ؛ فتم له ما قصد، وعُد من البخت له أن مات في يوم واحد ثلاثة من الملوك، وورث هو الملك. والله خير الوارثين.

ومنها: أنه في سنة سبع وسبعين وتسعمائة، أو بعدها بيسير ؛ خرج مع جماعة من أصحابه ؛ منهم: السيد الولي الفاضل سيدي جابر بن مخلوف الرياحي، والفقيه سيدي محمد بن الحسن العربي الشاوي... وغيرهما، قاصدا لزيارة أولياء الله تعالى، فبلغ مراكش، وزار من بها، ولما كانوا في بلاد دكالة عند الجبل الأخضر ؛ رآهم قوم من قاطعي الطريق، فقصدوهم، فلما وصلوا إليهم ؛ عموا عنهم إلا فرس الشيخ – وكانت أنثى – رأوها صخرة ؛ فرأوا الحِجْر[2] حَجَرا، فكان القطاع يتساءلون: « أين ذهبوا ؟! ». فيقول بعضهم: « كانوا عند هذا الحجَر ». يحسبون الفرس حجرا، فطمس الله على أعينهم، فذهبوا وكفى الله أولياءه.

ومنها: ما حدثني به الثقة عن الشيخ الصالح المعمر أبي الحسن علي بن وافي – وأظن أني سمعته منه – قال: « أعطاني الشيخ ثلاثين مُدا من القمح – يعني: المد الفاسي ؛ وهو: الصاع السُني – وقال لي: اجعلها في وعاء في بيتك! وخذ من أعلاها ما تحتاج إليه لك ولعيالك، ولا تتطلع كم بقي منها »، قال: « فأكلنا منها العام كله، والمصيف القابل بعده، ومضت مدة من الخريف ؛ [83] فقالت المرأة: هذا القمح لا يفرغ !. وعمدت إلى الوعاء، فأفرغته. ولم أحضر، فلما حضرت ؛ كلته فوجدته ثلاثين مدا كما كان ! ».

ومنها: ما يحكي مستفيضا أن الشيخ لما زوج ولده العالم الصالح أبا الحسن عليا وجاؤوا بالعَمَّارية إلى باب الدار؛ فقال لهم: « أدخلوها إلى وسط الدار »، فدخلت، فعجب الناس من ذلك، واستعظموا ما رأوه من

---

[1] قف على ملتقى الجمعين في غزوة المخازن . رحم الله المجاهدين الذين تحزموا لنصرة الدين . (نسخة ب) .
[2] الحجر بالكسر هو: الفرس الأنثى (حجرية) .

ذلك الخارق. إذ ذلك الباب بمجرى العادة، لا يسع تلك العمارية. وهي كما هو معروف: بيت من خشب مستدير، مخروط الأعلى، تحمل فيه العروس. وهذا محمول على أن الله تعالى هيأ الباب والعمارية لذلك، وأخفى تلك الهيئة عن أعين الناظرين، لا أن ذلك وقع مع بقاء كل واحد منهما بحاله ؛ فهو محال.

ومنها: أن بعض أشياخ ضريسة – إحدى قبائل طليق – كان لا يحترم الفقراء في المغارم والوظائف المخزنية، ويشدد عليهم في ذلك ؛ فاتفق مرة مجيء الشيخ أبي المحاسن ونزوله بالمنزل المعروف هنالك بالغارة، فاجتمع إليه أهل تلك البلاد، وفي جملتهم ذلك الشيخ، فشكاه بعض الحاضرين للشيخ أبي المحاسن ؛ فوعظه وحذره جانب الفقراء وعاقبة الظلم، وقوي الضعفاء بحضور الشيخ أبي المحاسن ؛ فاستطالوا على ذلك الشيخ وأكثروا الشكاية به، فاستشاط غضبا وانصرف مغتاظا. فقال الشيخ أبو المحاسن: « دعوه ؛ سيردعه الله بالحديد إن شاء الله ! »، فبلغ ذلك الشيخ الضريسي، فندم ورجع إليه يطلب الصفح عنه، وقدم إليه في ذلك بعض صبيانه، واعتذر بين يديه ؛ فقبل عذره، وترفق به، وقال له: « إن حكم الله نفذ، والسهم إذا خرج من القوس لا يسترد، ولكن ؛ يكون مع القضاء لطف إن شاء الله ».

ثم بعد ذلك بأيام ؛ تسلط عليه من ضربه بالحديد ضربات كثيرة أصابه بعضها، فكانت به جراحات منها، ووقع سائرها في الرحل وغيره من متاع البيت، ووقع اللطف وسلم من الموت بذلك.

ومنها: أنه لما كان المقدم المجاهد المقدام، الشهير الشهيد ؛ أبو عبد الله محمد بن الحسن بو الليف من الشهامة والصرامة على ما كان عليه، مع شدة نكايته للعدو الكافر الطنجي، وبعد أثره فيهم، جرت أمور بينه وبين صاحب عمل القصر، فسعي به للسلطان، فأمر برحيله إلى فاس هو وأهله مغربين عن وطنهم كأنهم في سجن، فأقاموا بفاس مدة لا أدري هل هي عام أو أكثر ؟، إلا أني كنت أراهم عند الشيخ في سنة [84] ثمان وتسعين وتسعمائة، وأنا إذ ذاك صغير، وضاقت أنفسهم من الاغتراب والاضطراب، وقد أعياهم استصلاح حالهم، فما تهيأ لهم، فقال يوما المقدم عمر لأخيه كبيره المقدم محمد: « لو زرنا الشيخ اليوم وتبركنا به لعل الله يفرج عنا ؛ فإن الناس كثيرا ما تقصده في المهمات ؛ فييسر الله تعالى أمورهم، ويقضي حاجاتهم ! ». فقال له: « لا أتحرك ؛ فقد غلب الإياس » . فسار المقدم عمر وحده ؛ فلما وصل إلى الشيخ قال له: « قنطتم ؟ ». قال له: « نعم يا سيدي » . فقال له الشيخ: « غدا يخلى سبيلكم إن شاء الله ». فرجع إلى أخيه وأخبره.

فلما كان من الغد ؛ بعث إليهم القاضي أبو محمد عبد الواحد الحميدي – رحمه الله – فلما جاؤوه ؛ قال لهم: « أبشروا بالسراح والرجوع إلى الوطن إن شاء الله، فإنه قد قرئ الآن بين يدي السلطان بعض الغزوات التي ذكرها ابن النحاس وغناء أبطال المسلمين فيها ؛ فقال السلطان – أو غيره – ترى هل بقي في هذا الزمان من يماثلهم؟ !. فقالوا: قد بقي من يفعل فعلهم. وها هم أولاء أولاد بو الليف المغربون هنا يفعلون كأفعالهم. فقال السلطان: سرحوهم إلى بلادهم ليحموا ثغورهم، ويشتغلوا بجهادهم. فاعزموا وتوكلوا على الله سبحانه! ». فرجعوا إلى بلادهم، وفعلوا الأفاعيل في عدو الدين، إلى أن مات المقدم محمد شهيدا ببندقة رصاص في الجهاد؛ وذلك في ربيع الثاني سنة اثنين وألف.

ومنها: أن قوما أهل جزع ولدد وجانب من ولاة الأمر قتل أخ لهم ؛ فجزعوا، وصبغوا ثيابهم، وساءت الأحدوثة عنهم، واستأذنوا قائد الجهة في قتل قاتل أخيهم حيثما وجدوه ؛ فكتب لهم بذلك. وكان في حرم الشيخ في بيت كان الفقراء يقرؤون الحزب فيه، فجاؤوا إليه ؛ فوجدوا الشيخ جالسا بقرب باب البيت على حجر كان يجلس هنالك عليه – ومازال إلى الآن هنالك يتبرك به ويستشفى به وبالتراب الذي تحته وحواليه للحمـى وغيرها – معروفا مشهورا، فقالوا له: « يا سيدي ؛ إن صاحبنا هنا، وقد قتل أخانا، فلا تأخذ علينا ». فقال لهم: « ادخلوا للبيت وانظروا صاحبكم! ». فدخلوا فلم يجدوه، وليس في البيت مكان يمكن أن يختفي فيه، فخرجوا واعتذروا للشيخ، وذهبوا ومطلوبهم هنالك حاضر ينظر فيهم بوجه نهار لا ليل ولا ظلمة، وهم حواليه، وخرج على أثرهم ؛ فأكب على رجلي الشيخ يقبلهما، فما كانت إلا مدة يسيرة حتى أمر القائد بالنداء بتأمين [85] ذلك مطلوب ؛ فكان بعد ذلك يعظم جانب الشيخ بحيث إنه كان له جانب من الجاه بحيث إنه يكون على فرسه ؛ فمهما لقي أحدا من أصحاب الشيخ ؛ ترجل للتسليم عليه ولو عبدا مملوكا.

ومنها: أن رجلا قبضه حرسي وسار به ؛ فانفلت منه وجرى أمامه إلى أن دخل في دار الشيخ، وتبعه الحرسي حتى وقعت عينه على بعض من في الدار، وكان الشيخ غائبا، وحضر هنالك من جانب الشيخ من زجر الحرسي وطرده ؛ فعمي الحرسي من يومه. فلما قدم الشيخ جيء به إليه يقاد، وطلب السمح، فقال: « قد سمحت وليس لي من الأمر شيء، وإنما الأمر للذي غار على عبده في غيبته! ».

ومنها: أن رجلا من أصحابه من أهل الثروة والمال كان بجوار دار فيها شجرة لصق حائطه، يمكن الصعود عليها إلى سطح داره، فسكنها قوم من اللصوص، فخاف منهم أن يصعدوا ليلا إلى داره ؛ فأخبر الشيخ بذلك، وشكى إليه ؛ فيبست الشجرة أنعم ما كانت في تلك الأيام القريبة، ووقع بأولئك اللصوص ما أزعجهم من الدار، وحصلت السلامة والحمد لله.

ومنها: أن بعض الشرفاء من أهل القصر؛ وهو: السيد أبو عبد الله محمد بن عمران، كان قد أسره العدو الكافر – دمره الله – واستقر بطنجة أعادها الله دار إسلام[1] – فكان أخوه السيد أبو عمران موسى لبس عليه شعار الحزن، وحضر بعض الأعياد، فقال له الشيخ: « أزل ذلك ». فقال: « كيف أزيله وفلان أسير؟ ! ». فقال له الشيخ: « أزله واضرب لي أجلا يأتي أخوك إن شاء الله ». وأظهر الشيخ جمع ما يفدى به ؛ فمكث أياما قليلة وإذا به قد جاء يرسف في قيوده، وحدث أنه كان محتاطا عليه في محل أسره(. . .)[2].

ومنها: ما كان يحدث به الشيخ الفاضل المتبرك به، حامل علم الركب المغربي إلى الحرمين الشريفين مرات عديدة ؛ أبو عبد الله محمد بن الخطيب القصري رحمه الله ؛ أنه زار في بعض قدماته لمصر شيخ العارفين، وإمام الواصلين الشيخ أبا المكارم محمدا البكري الصديقي ؛ وأظنه في السنة التي توفي فيها، فسأله عمن يقصد في الوقت لتعينه فيه ؟! . فقال له: « إنه بالمغرب »، وأعطاه قطعة كبيرة من العود القماري، وقال له: «

---

[1] وقد فعل والحمد لله (حجرية).
[2] هاهنا بياض، بالأصل (حجرية). وكذا في النسخة (ب)، وهو فيها بمقدار سطر ونصف.

علامة الرجل الذي ذكرت لك: أنه يعطيك أوقية وربعا، وخبزا ورمانا — وأظنه قال: خمس رمانات — فإذا أعطاك ذلك ؛ فإنه يأخذ بيدك، ويقول لك: هات الأمانة التي عندك! . فأعطه هذا العود القماري)).

قال الشيخ الحاج أبو عبد الله: ((فما زلت من لدن [86] توجهت إلى المغرب أقصد لقاء الأخيار، حتى وصلنا إلى فاس، وكدت أيأس ؛ فقلت: لا ألقى أحدا حتى أزور الشيخ أبا المحاسن . فلما دخلت عليه ؛ أخرج لي الخبز والزمان، وأعطاني أوقية وربعا، وقبض على يدي وقال لي: أين الأمانة؟! . فعلمت علما يقينا أنه صادق، وأنه مقصود الشيخ البكري ؛ فناولته الأمانة وقلت له: سيدي ؛ مضى لي زمان طويل في محبتك وصحبتك، وقد انتفع بصحبتك خلق كثير ولم أحصل على شيء ! . فقال لي: إن أردت أن أنفعك ؛ فقصر لحيتك! . فقلت له: يا سيدي ؛ إني أعيش بها بين الناس، فلا قدرة لي على إزالتها ! . فقال الشيخ: وأنا لا لوم لك علي!)) .

فكان الشيخ الحاج أبو عبد الله يحكي ذلك ويقول: ((لو وفقت لأزلتها، ويا ليتني قبلت شرط الشيخ)). وكانت للحاج أبي عبد الله لحية طويلة على رسم المشايخ من أهل الرياسات الدينية، وكانت صحبته للشيخ على وجه التبرك لا على وجه الإرادة والتحكيم.

وما شرطه عليه الشيخ وقع كثير منه للمشايخ، كما وقع للشيخ أبي زيد البردعي مع شيخه أبي عبد الله التاودي في حكاية مشهورة، والعود القماري الذي ذكر، ما زالت منه عندنا إلى الآن قطعة صالحة نتبرك بها . نفعنا الله ببركة أوليائه وحشرنا تحت لوائهم. آمين[1] .

ومنها: ما ذكره رجل خير من أهل القصر يعرف بالحاج الصباغ ؛ فإنه ذكر أنه حضر مع الشيخ أبي المحاسن في موقف الحج بعرفة وأنه عهد إليه أن لا يحدث بذلك أحدا في حياته، و أنذره بالعمى إن حدث به في حياته، فلما قدم إلى وطنه ؛ لم يتمالك أن حدث به ؛ فعمي، وقد رأيته ضريرا وذلك يذكر حينئذ، إلا أني لم أضبطه عنه لصغري، وسمعته مستفيضا من غيره، فحضر على هذا الشيخ بالموقف ولم يفقده أصحابه بفاس.

[مبحث في أهل الخطوة وإمكانية ذلك]:

وقد حكي مثل ذلك عن كثير من الأولياء، وهو مما يسأل عن وجه إمكانه. وقد قال الشيخ علاء الدين القونوي: ((من الممكن أن يخص الله تعالى بعض عباده في حالة الحياة بخاصية لنفسه الملكية القدسية، وقوة لها يقدر بها على التصرف في أبدان أخر غير بدنها المعهود، مع استمرار تصرفها في الأول. وقد قيل في الأبدال أنهم: إنما سموا أبدالا ؛ لأنهم قد يدخلون في مكان ويقيمون في مكانهم الأول شبحا آخر شبيها بشبحهم الأصلي

[1] ومن لطيف ما يذكر ؛ أنه حصلت لي (المحقق) قصة شبيهة بهذه مع شيخ الشاذلية الدرقاوية بفاس العارف المقريء الحاج المكي ابن كيران المتوفى عام 1422 بفاس ، رضي الله عنه ، فقد سألته عن شيخ تربية الزمه، غير أنه اعتذر لي بأن شيوخ التربية مختفون هذا الزمان، وبعد إلحاحي عليه أعطاني قطعة كبيرة من العود القماري، وكان ذلك آخر عهدي به رحمه الله تعلى ورضي عنه.

بدلا عنه. وقد أثبت الصوفية عالما متوسطا بين عالم الأجساد والأرواح وسموه: عالم المثال. وقد يستأنس لذلك بقوله تعالى: [87]: ﴿ فتمثل لها بشرا سويا ﴾. [مريم: 17] . فتكون الروح الواحدة في وقت واحد مدبرة للشبح الأصلي ولهذا الشبح المثالي. وعلى هذا حمل الصوفية ما جاء من تمثل جبريل في صورة دحية. وهو: أن يكون جسمه الأول بحاله لم يتغير، وقد أقام الله تعالى له شبحا آخر، وروحه متصرفة فيهما جميعا في وقت واحد)) . هـ.

وقال الشيخ شمس الدين بن القيم: ((للروح شأن غير شأن الأبدان ؛ فتكون في الرفيق الأعلى وهي متصلة ببدن الميت ؛ بحيث إذا سلم المسلم على صاحبها ؛ رد عليه السلام، وهي في مكانها هنالك. وهذا جبريل رآه النبي صلى الله عليه وسلم له ستمائة جناح ؛ منها جناحان سدا الأفق، وكان يدنو من النبي صلى الله عليه وسلم حتى يضع ركبتيه على ركبتيه، ويديه على فخديه. وقلوب المخلصين تتسع للإيمان بأن من الممكن أنه كان يدنو هذا الدنو وهو في مستقره من السماوات. وفي الحديث في رؤية جبريل: فرفعت رأسي، فإذا جبريل صاف قدميه بين السماء والأرض يقول: يا محمد ؛ أنت رسول الله وأنا جبريل. فجعلت لا أصرف بصري إلى ناحية إلا رأيته كذلك. وإنما يأتي الغلط هنا، من قياس الغائب على الشاهد ؛ فيعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكانا لم يمكن أن تكون في غيره، وهذا غلط محض)) .

وما ذكروه في ذلك جار على أن الأرواح ليست بجسم ولا جسماني، ولا بحالة في الأجسام، وأنها تدبرها تدبير العاشق للمعشوق ؛ وهو رأي الفلاسفة، وقال به كثير من الصوفية وغيرهم من المحققين. وقد أطلنا القول هنا لعظم فائدته، والانتفاع به في كثير مما يرد من هذا الباب، ولولا خوف الإطالة لبسطنا القول في ذلك، ونبهنا على نكت من تفاريعه. والله الموفق والمعين سبحانه.

وكرامات الشيخ أبي المحاسن – رضي الله عنه – كثيرة، وفيما ذكرناه كفاية، ليناسب نمط الكتاب.

[بعض من كرامات الشيخ أبي المحاسن بعد انتقاله]:

ومما ظهر بعد وفاته – رضي الله عنه – أن بعض أصحابه كانوا يخرجون إلى قبره عشية الخميس ؛ فيبيتون عنده ليلة الجمعة، وكان الزمان إذ ذاك زمان هرج ومرج، فوقع في نفوس جماعة من المفسدين أن يدخلوا إليهم ليلا فيأخذوا ما معهم. فلما كان من الليل ؛ جاؤوا إلى باب الروضة حيث يعهدونه فلم يجدوا بابا، فقصدوا بابا آخر يعهدونه أيضا فلم يجدوه ؛ فطافوا بسور الروضة من كل جهة ؛ فلم يجدوا بابا، فجاؤوا إلى موضع كانوا يظنون قرب الصعود منه لصخرة هنالك تعين عليه ؛ فلم يقدروا، فبرك [88] رجل منهم فوق الصخرة، ووقف آخر على ظهره ومد يده مع السور، فلم يجد له طرفا، ولم يتهيأ لهم شيء من ذلك إلى أن طلع الفجر، فأيسوا، وجاء بعضهم إلى بعض أصحاب الشيخ، فعرفوه بذلك وتابوا إلى الله تعالى.

ومن ذلك: أن رجلا من حضر فاس وتجارهم كان يخدم الشيخ كثيرا، وكان يخف على قلبه، ثم إنه بعد وفاة الشيخ بمدة ألزم السلطان أهل فاس غرامات ووظائف وظفها عليهم، وكان وقت امتحان وابتلاء، فكان

كثير من الناس يستتر نهارا حيث يظن أنه يخفى على أعوان الظلم، وكان الرجل المذكور يختفي في مكان، فلما كان بعد الفجر، خرج – لا أدري هل إلى داره أو منها، وكانت داره في الدرب الطويل – فلما كان في الأبارين ؛ اختفى له بعض السلابة[1] في زنقة هنالك، وكان بيده سيف مصلت وهو ينتظر وصوله إلى محاذاة الزنقة فيضربه، فلما حاذاها أراد أن يضربه ؛ فجذبه رجـــل من ورائه ومنعه من الضرب. فالتفــت إليه، فقال له: « أما تستحي تضرب ولدي وأنا أنظر ؟ ! ». فقال له: « يا سيدي ؛ أنا تائب إلى الله ». وسار ذلك الرجل لم يمسسه سوء ولم يشعر بشيء من القصة، وجاء هذا الآخر إلى الفقيه العلامة الأوحد، الصالح الورع الأستاذ أبي محمد عبد الواحد بن أحمد ابن عاشر – رحمه الله – وذكر له ما وقع له، ووصف له الرجل الذي جذبه، فقال: « هذه الصفة: صفة الشيخ أبي المحاسن رحمه الله ورضي عنه ».

ومن ذلك: أن رجلا كان مجاورا لداره، وكان ينوي اللياذ بجواره، والتحرم بحماه، لأنه كان يخاف على نفسه من قوم يطلبون دمه وماله، إلى أن خرج يوما لبعض أغراضه، وظنه أولئك القوم في الدار ؛ فجاؤوا إليها وهم عدد وافر، فأخذوا في معالجة فتح باب داره، إذ وجدوه مغلقا، فرجع صاحب الدار ولا خبر عنده منهم، فما شعر حتى توسطهم ؛ وذلك في وسط النهار. فدهش ووقف بينهم، ثم تنبه، فسار على حاله إلى باب مسجد الشيخ وهو بحيث يرونه. فوضع شيئا كان في يده في باب المسجد، ودخل إليه وقد حجب الله سبحانه أبصارهم عنه، فلم يره أحد منهم، وسلمه الله تعالى، وبعد دخولهم للدار ؛ أطلقوا أيديهم في النهب، ثم تناهوا رعيا للجوار. فشملت السلامة بفضل الله تعالى.

واستقصاء كراماته – رضي الله عنه – يحتاج إلى كتاب مفرد، والحال الجامعة لهذه الثلاث التي ذكرنا تدل على حال الزمان وأهله، نسأل الله تعالى أن يتدارك المسلمين بلطفه ورحمته. [89] وفضله.

الفصل التاسع
في مكاتباته

إنما حضرني منها شيء يسير، وأنا أثبته هنا جريا على ما سلكناه في هذا الكتاب من الاقتصار على ما حضرنا في الوقت:

[1] السلابة: اللصوص الذين يسلبون الأمتعة. والزنقة: الزقاق، أو الطريق الضيق.

[الحض على استحضاره تعالى في جميع الشؤون]:

فمنها: فصل من كتاب قال فيه: « قد وصلنا مكتوبكم معربا عن صفاء الاعتقاد، وحب تمكن من صميم الفؤاد، فاعلم أن الحال ناداكم، والوقت أجابكم، فإن تنبهت ؛ فشاهدوه منكم ﴿ أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ﴾ . . .الآية.[هود: 17] أنصت لما قيل لك، واجر على مقتضاه، فالله يعينك، واجعل الحق دليلك ؛ لأنه يقضي ولا يقضى عليه، وارفع همتك إلى الله، واطرح ما سوى الله مع صدق التوجه إليه، وكن فيه إليه به، ولا تكن بنفسك أو بشيء من عوالمك ؛ تكن مع غيره فيفوتك عذب موانسته، ولذيذ مناجاته، ومن فقد الله ؛ لم يجد شيئا، وإلا؛ فراقبه في سائر أحوالك، وسرك وعلانيتك، واجر على قلبك وإن لم تحرك به لسانك قوله تعالى: ﴿ وما تكون في شأن . . إلى: كتاب مبين ﴾. [يونس: 61] تجد بركة ذلك إن شاء الله تعالى، ومن جد وجد، فالله يعامل عبده على حسب اجتهاده، ويعينه على حسب نيته، فإن تمت ؛ تم عون الله له، جعلك الله من خواص عباده، وأخذك عن مرادك واقفا عند مراده، ولا تزل تخبرنا بما يرد عليكم ؛ فمواصلة الأقلام ؛ تغني عن زيارة الأقدام، إن صح ارتباط الأرواح ؛ فلا عبرة بالأشباح، وفي هذا العالم تتحد الأمكنة والأزمنة، فاعلم ذلك كما قيل: شواهد أهل الصدق في الحب تعرف ».

[الدعوة إلى الخمول والتباعد عن الشهرة]:

ومنها: فصل من كتاب آخر: « أساس الإرادة ؛ خمول الذكر، وليس على المريد أضر من الشهرة، إلا أنه في البداية مقصود، وفي النهاية ملحوظ، فكيف يليق التعرض للمناصب والمراتب وفيهما شرف وظهور، وهو مفسد للدين كما ورد؟، ولو ذكرنا لك ما نزل بنا، واختبار الحق لنا بمثل ذلك ؛ لبهر عقلك، فخلصنا الله سبحانه وأعاننا – والحمد لله- والآن أقول لك: الزم بيتك، وخالف جنسك، واجمع قلبك، وما يحول بينك وبين قلبك اقطعه قبل أن يقطعك، ولو كان فيه حتف نفسك. واعلم أن البصيرة كالبصر: أدنى شيء يغير النظر، وما نزل بك قد سبقك به الشيخ العارف المحقق أبو الحسن الششتري حين نزل طرابلس وظهرت عليه علوم ؛ فأعجب الناس، فأرادوا أن يولوه القضاء ؛ فامتنع، فلاموه واستحمقوه؛ فاعتذر بأبيات قالها. وهي: [90]

رضي المتيم في الهوى بجنونه	خلوه يفني عمره بفنونه
لا تعذلوه فليس ينفع عذلكم	ليس السلو عن الهوى من دينه
قسما بمن ذكر العقيق من أجله	قسم المحب بحبه ويمينه
ما لي سواكم غير أني تائب	عن مقترات الحب أو تلوينه

« فتركهم وأقبل على الله، وأعرض عن قولهم، ولم يبال بنفعهم وضرهم. وهذا شأن المحبين: الفناء في الله والغيبة عما سوى الله، فإن أمكنك على هذا الوجه ؛ فذاك، وإلا؛ فاعتل لهم بعلة خفية لا يمكن إفشاؤها، ولِنْ لهم في القول، وارضهم، ثم أقبل على شانك. وفيما ذكرنا كفاية، والله تعالى يلهمنا رشدنا، ويوفقنا لما فيه مرضاة ربنا ».

[الدعوة إلى الابتعاد عن الفتنة والتسليم للأقدار]:

ومنها: فصل من كتاب آخر: « وسمعنا أن فلانا دخل إلى القصر وشتت أموره، وما كان ينبغي له، وبلاد طليق كانت أسلم من غيرها، فلو نزلها حتى تخمد هذه النار. على أن هذا الأمر ليس خاصا به، فإنه أمر عام نزل بالصالح والطالح، وهذه سنة الله فيما يكون. **هكذا إذا نزل يعم من لابس سبب العقوبة ومن لم يلابسه،** وعليه قوله تعالى ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾. [الأنفال: 25]. ومنهم: قضية الذي يخسف بهم بالبيداء، ولينظر إلى فقراء الغرب ؛ فإنه ما سلم منهم أحد من هذه الفتنة. ومن أجلهم عندنا: سيدي كدار ؛ وقع به ما وقع، وإلى الآن لم يأمن منهم، وكذلك سيدي أحمد الضعيف وغيرهما، ولا تتبين مراتب الناس في السلامة من أمثال هذه الفتنة ؛ فإنه قد يكون ذلك رفقا به على قدر ضعفه، وانظر إلى حديث: أشدكم بلاء: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل[1]. وإنما تتبين المراتب في السكون تحت مجاري الأقدار، والاستسلام لما يفعل الواحد القهار، فهو تعالى يخلق ما يشاء ويختار. فعلى قدر الرضى والتسليم ؛ تبين المراتب، وعند الامتحان ؛ يعز المرء أو يهان، وهذا هو الذي يصحب الرجل عليه الرجل: أن يعلمه ويلقنه كيفية تلقي الأقدار، والرجوع لمجريها، واللجأ إليه حتى يكون عبدا لله في السراء والضراء، لا أنه يصحبه على أن يكون يرد عنه القدر – ولا شك أنه قد تحصل السلامة بسببه، وذلك من فضل الله ورحمته – لا أنه هو المقصود من الصحبة، وأي وقت يكون عبدا لله في جميع الحالات إذا كان هذا هو المقصود ؟!. ولا نسألك دفع ما تريد، ولكن نسألك التأييد بروح من عندك فيما تريد، كما أيدت أنبياءك ورسلك، وخاصة الصديقين من خلقك، [91] إنك على كل شيء قدير ».

[الدعوة إلى الصبر عند البلاء]:

ومنها: فصل من كتاب آخر: « وصلنا مكتوبك، معرفا بحالك، وما أصابك، فتأملنا ذلك، وتحقق عندنا أنك مظلوم ؛ فعليك بالصبر، ولا تجزع، وارجع إلى الله، والله تعالى يثيبك على قدر ذلك، ويعينك في أمورك. على أن هذه المصائب للعبد المومن خير له إن صبر، فهي على كل حال – لو علم – منحة وإن كانت في الظاهر محنة، فإن لم توجب تخصيصا ؛ توجب تمحيصا، وفي الحديث: إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه ؛ فإن صبر اجتباه، وإن رضي اصطفاه. وفي الحديث أيضا: يقول الله تعالى: إذا ابتليت عبدي المومن فتلقى ذلك

[1] رواه الترمذي (2398)، وابن ماجه (2681)، والدارمي (2681) وابن حبان (2900) عن سعد بن أبي وقاص.

بصبر جميل ؛ استحييت أن أنصب له ميزانا، أو أنشر له ديوانا[1]. فهذه المصائب للعبد تمحيص لذنبه، وتخليص لعيبه، وتخصيص لقلبه، فمن اعتبر هذا وأجراه على ضميره ؛ يجد لا محالة راحة، وينقلب الضر نعمة، ولا يزال العبد بين تخليص وتمحيص حتى يفضي إلى الآخرة ولا ذنب عليه، وكل ذلك منوط بالصبر، وإلا؛ اجتمعت عليه مصيبتان: وجود الضر، وفقد الأجر، والرزق اثنان: معجل، ومؤجل. فما يلايمه: حظ معاشه، وما يؤلمه: رزق معاده، فاختر ما يبقى على ما يفنى، والآخرة خير وأبقى)).

((فعلى العبد أن يرجع إلى ربه، ويشاهده في كل حكم نازل، كما يستدل عليه بكل نجم طالع وآفل ؛ من ضر ونفع، وعطاء ومنع. فمتى أعطاك ؛ أشهدك بره. ومتى منعك ؛ أشهدك قهره. فهو في كلتا الحالتين متعرف إليك، ومقبل عليك ؛ فإياك أن يشغلك الضرر عن معنى صنعه المقدر، فربك يخلق ما يشاء ويختار، وكل شيء عنده بمقدار، وإلى المشيئة يستند كل شيء، ولا تستند هي إلى شيء، فعلى العبد الرضى والاستسلام، والإذعان عند مجاري الأحكام، فإن أصاب العبد بعض هذه مصحوب الوسائط المكلفة ؛ فللعبد القيام بها فانيا عن حظه وطبعه، وعلى أن يظهر حق ربه مدرجا حقه في حقه، يبتغي بذلك مرضاته وامتثال أمره، فإن كان هذا حاله ؛ فيا حبذا. وإلا ؛ فالأولى: تركه طالبا السلامة، فلا يعدل بها شيء)).

((وقد كان مرادنا منكم: أن تكونوا يدا واحـدة كما قال تعالى: ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ﴾. الآيات [آل عمران: 103-105] وقد قال صلى الله عليه وسلم: لا تحاسدوا ولا تقاطعوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانا[2]. هذا مرادنا، فإن غلب القدر ؛ فما تشاؤون إلا أن يشاء الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. فراع – وفقك الله – ما قيل، وعلى الله قصد السبيل، واجره على ضميرك، وسر على مقتضاه بين لك رشده، [92] ويظهر لك نفعه. وجانب قرناء السوء ؛ تصب، ولا تصحب من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله. والله تعالى يلهمنا رشدنا، ويقينا شر أنفسنا)).

[الدعوة إلى جمعية القلب على الله تعالى]:

ومنها: فصل من كتاب آخر: ((واعلم أن كل شيء له كتاب معلوم، ونصيب مقسوم، واصل لمن سبقت له عنايته بحكم مقدر محتوم، على ما شاء وكيف شاء الواحد الحي القيوم، واعلم أن سر الطريق: الوجهة لله عن صدق بما يرضى، ومن حيث يرضى. مع جمع الهمة عليه، ونسيان ما سواه، وليكن الجمع في باطنك، والفرق في ظاهرك، ولتكن في أمرك على وفق مراد الله وسلب اختيارك ؛ تكن عبدا، واعبده لأنك له وبه لا أنه لك ؛ تكن راشدا، ولتكن ملازما لذكر الله، وأفضله: لا إله إلا الله هجيرا أبي بكر: لا إله إلا الله. ولا تزل تطالع

---

[1] رواه بمعناه القضاعي في مسنده (230:2) عن أنس رضي الله عنه.

[2] رواه مسلم في صحيحه (2559) عن أنس، و(2563)، و(2564) عن أبي هريرة، والإمام أحمد في المسند (7670)، و(7815) عن أبي هريرة، وأبو يعلى (3612) عن أنس بن مالك كلهم بألفاظ متقاربة.

كتب ابن عطاء الله وما شابهها ؛ لأنها أقرب للتعرف والجمع على الله، ودع ما سواها ؛ ككتب الشيخ الحاتمي والشيخ ابن الفارض ؛ لأنها تسد عنك باب الفتح »[1].

« ولازم باب الله بكلك وبعضك، ودع ما سوى الله ؛ تجد الله، ومن وجد الله ؛ ما فقد شيئا، ومن فقد الله ؛ ما وجد شيئا. كان الله ولا شيء معه، فاتخذ الله صاحبا، ودع الناس جانبا، لأن الاستيناس بالناس من علامة الإفلاس، ولا سيما الرؤساء ﴿ واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم ﴾. الآية [الكهف: 28] ».

[الدعوة إلى الأخذ بالأسباب وعدم اليأس]:

ومنها: فصل من كتاب آخر: « وما ذكرتم على أمر الفندق، وأنه كدر صفوكم، واختلف بين إمساكه وبيعه نظركم ؛ فاعلم أن الأولى: إمساكه، ولا يضرك ما ظهر فيه مما ذكر ؛ لأنه أسس بنية حسنة، وهو لك معروف جار ؛ فلا تضره العوارض، إذ قد تقرر في أمثال هذا من مذهب جماعة من السلف – وهو المختار – أن الحق لا يترك لباطل. ثم إن كانت لك قدرة على تغيير ما يظهر لك فيه مما ذكر ؛ فاجتهد في ذلك، ويكون ذلك أجرا آخر مضافا على أجر معروفك، وإلا ؛ فلا شيء عليك. واعلم أن الإنسان يعامله الله تعالى على حسب نيته، حتى إنه لو منع من هذا ومثله بمانع ضروري ؛ لكان أجره جاريا عليه. قدم على فعلك، ولا تقطع أجرك، والله يعينك ويجعل عملك خالصا لوجهه ».

[الدعوة إلى التغافل عن العورات]:

ومنها: فصل من كتاب آخر: « وصلنا مكتوبكم، معربا عما نزل وحل بساحتكم. اعلم أن الهدى هدى الله، وأحسن الهدي هدي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وهو الصراط المستقيم، وما عدى ذلك: أمور مختلفة، وسبل منحرفة، نعوذ بالله من الضلال، ونسأله العصمة في القول والفعل والحال [93] وما ذكروه عن ذلك الرجل ؛ لا يخفى على ذي بصيرة، لكن غضها واجب كالبصر ﴿ قل للمومنين يغضوا من ابصارهم ﴾. الآية [النور: 30]، والتغافل عن العورات من أجل القربات وأعظم الطاعات ، واعتبر قوله تعالى : ﴿ ومنهم الذين يوذون النبي... ﴾. الآية . [التوبة : 61]، ومن حكم التابع أن يكون على قدم المتبوع، والآن لما برح الخفاء، وبدل الود بالجفاء ؛ ارجع إلى ربك، وقف عند حدك، واصبر على ضرهم، واهجرهم هجرا جميلا مع إفشاء السلام إن تعين وما خف من الكلام ».

« واعلم أنه: لو كان الناس على القدم الأولى وما كان عليه السلف الصالح من سلامة الدين، والرسوخ في اليقين ؛ لم تر للقوم أورادا موظفة، وأحزابا مكلفة، وهو [1] الذي كان في الأصل، فلما قصرت المقاصد،

---

[1] قارن هذا الأسلوب في التربية المحمدية، والتحقيق في الشؤون التربوية، مع ما عليه صوفية الوقت من الاشتغال بالطلاسم، والعلوم العليا التي لا تفهم حقيقتها إلا بالمجاهدة الروحية الشرعية، وتركهم الاتباع لما أمر به الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . .

وذهبت المشارب والموارد ؛ جعل الأئمة – رضي الله عنهم – تلك الوظائف للمبتدئين، ومنارا للطالبين، حتى قيل: إنها من روائح الدين ومنسأة له. وأما من قوي يقينه، وانشـرح صدره ؛ فهـو في غنى عن ذلك كله)).

((واعلم أن العبد من شأنه – إن وفقه الله أن لا يتقيد بمكان ولا زمان إلا ما قيده الشرع –فحيث كان من يزاحمكم في موضعكم ؛ فانظروا لأنفسكم موضعا آخر مخصوصا يختص بكم، وهو دأب المنقطعين، وشأن الطالبين . فاعملوا على ذلك، ولا تخوضوا مع الخائضين، ولا تكونوا كالذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا، واعلم أنك مخاطب بهذا كله، والوصية لك وصية لأصحابك، على حد قوله تعالى: ﴿ فلا تكونن من الجاهلين ﴾. [الأنعام: 35]، والذي نوصيك به: التنازل لإخوانك، وسر بسير ضعيفهـم، وكن كالمؤذن بالمنار ويصلي بالأرض مع سائر البشـر)) . . . .هـذا (كذا) الذي اندثر له، وتمام الكلام لم يمكن كتبه لدثوره.

[عدم الاهتمام للرزق]:

وكتب إليه بعض أهل العلم من أصحابه يشكو هم الرزق ؛ فأجابه بقوله: ((هون عليك ؛ فإن الرزق عن قدر، يأتي ولو أنه في جبهة الأسد، يتيسر إن شاء الله مع سلامة الاعتقاد، وتوحيد الوجهة لله تعالى بقطـع السـوى، وترك الدعـوى، والله تعالى يعينك ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾. [الفاتحة: 5]. والسلام)). **قلت:** وقد تيسر رزق المكتوب إليه، وكثر ماله، واتسعت حاله، وظهر صدق الشيخ رضي الله عنه.

[الدعوة إلى شهود الله تعالى في كل شيئ]:

وكتب إليه بعض المنظور إليهم في ذلك العصر كتابا قال فيه: ((طال عكوفنا على خدمة الشمس والقمر، ولم تحصل نتيجة ؛ فأفدنا بما نفعل، فإنه ما خفي [98] عنك شيء علما وبصيرة)). فوقع له على ظهر كتابه: ﴿ لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن إن كنتم إياه تعبدون ﴾. [فصلت: 37][2] .

فهذا ما حضر في الوقت من مكاتباته إلى أصحابه وهي يسير من كثير، ونقطة من غيث غزير.

---

[1] قوله: ((وهو الذي كان في الأصل)): هذه زيادة على ما في نسخة عتيقة جدا، ولعلها طرة أدخلت في الأصل. فحرره. (حجرية).

[2] في هذه الخاتمة من هذا الفصل من حكمة المؤلف من حيث علم المناسبات، وفتحه ودقة إدراكه ما لا يكيف، حيث جمع وروى معاني جميع ما مضى من الرسائل في هذه الرسالة، التي تنص على أن المراد: توحيده تعالى اعتقادا وفعلا، وجعل السوى خدما له ومقصودا له، والتجرد من حيث العمل القلبي إليه؛ وهذه هي حقيقة وحدة الوجود عند الصوفية، لا كما يفهمها العامة.

الفصل العاشر

في جمل من أجوبته

قد أفرد ذلك بالتأليف غير واحد ؛ كشيخنا أبي الطيب الحسن بن مهدي، وكالفقيه الصوفي أبي العباس أحمد بن محمد الجزولي. . . وغيرهما. ولم يحضرني شيء مجموع من ذلك، وإنما بيدي الآن تفاريق منه أورد منها ما حضرني على شرط الكتاب ونمطه، بحكم الوقت.

[فضل الصلاة على النبي ﷺ]:

فمن ذلك قوله رضي الله عنه: « اعلم أن المثابرة على الأذكار والدوام عليها تكسب نوارنية تحرق الأوصاف، وتثير وهجا وحرارة في الطباع، تخرج عن حد الاعتدال إلى الانحراف، فإن صحب الاعتقاد، وغلب سلطانه ؛ كان جبرا محضا، وإن واخى الأحوال ؛ كان جمعا صرفا، وإن اقترن بالأعمال ؛ رجحت حقيقته، وحادا (كذا) ومازج الأقوال ؛ صار اتحادا. فمن ثم أمر عند ذلك بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنها كالماء تقوي النفوس، وتذهب وهج الطباع، ولهذا قال بعض الشيوخ: من لم يجد شيخا مربيا ؛ فليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنها لكذلك ؛ لما فيها من سر الاعتدال الجامع لكمال العبد وتكميله ».

« ففي الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الله، وليس كذلك عكسه ؛ فلهذا يحصل الانحراف بالذكر دون الصلاة والسلام. فهو عجيب. ومن الإشارة: هو سجود الملائكة لآدم عليه السلام لما ظهروا بالتسبيح والتقديس، وثار عليهم نوره، ولاح عليهم سره الظاهر من قولهم: ﴿ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾. [البقرة: 30]. ردوا بالسجود لآدم عليه السلام إلى حد الاعتدال. والمقام الأكمل ! ».

« فمن ثم لا يصح تشييخ الميت مع وجود الحي، وإن كان أفضل، فغلبة نورانية الذاكر لا تخمد إلا بمقابلة طمأنينة الأجساد الصقيلة ، فبمشاهدة الشيخ الحي تعتدل حقيقته ، وتهمد نورانيته، لما في ذلك من الاستيناس بالجنس، والرجوع للحسن ﴿ لقد من الله على المومنين ﴾. الآية . [آل عمران: 164]، مع ما في

ذلك من التأديب والتهذيب، والتدريب المفقود من الميت، فالمستند إليه وإن تنور ووجد له أثر ؛ لا تجده إلا ناقص تهذيب، أو يكاد — والله أعلم ».

« ومن الآيات ما يشهد لذلك ويشير لمن يفهم: ﴿ ألا له الخلق والأمر ﴾ [الأعراف: 54] ﴿ عالم الغيب والشهادة ﴾. [المؤمنون: 92]، ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾.[الفاتحة: 5]. . . وغيرها من الآي. فاعتبرها، وقف عليها، وبالله التوفيق ».

[عدم مبادهة العامة بالمعارف اللدنية]:

وقال رضي الله عنه: « إن العبد إذا صدق وأخلص لربه ؛ فنى عن نفسه، وبقي بربه، وذهبت بشريته، واضمحلت أنانيته، فتتجلى له أوصاف معروفة ؛ كرؤية العين، ويكون بسره مع الله بلا أين، فينازل حضرة قدسه، وموارد أنسه، فيكون الله سبحانه جليسه، وحديثه أنيسه، فإن تكلم ؛ فبالله. وإن صمت ؛ فمع الله. فشبحه يتدلى، وروحه في الملأ الأعلى ».

« ففي هذه الحالة: تجري عليه علوم سنية، وحقائق سمية، لم تكن له ببال، ولم تنسج له على منوال. فيختلج في سره، وينطق عن وجده، فيلهج بها اللسان، وتسطرها البنان، من غير قصد واختيار، أو رجوع لرسم واعتبار، فمن صدرت منه حقائق على الوجه المذكور، والوصف المسطور ؛ فلا يتعدها من لم يفهمها، أو يبحث في لفظها من لم يعلمها، لأنها بالعناية محفوظة، وبالرعاية ملحوظة. فصاحبها مأخوذ عن العالم الأدنى، مترق إلى العالم الأسنى، مقتبسا من قوله تعالى: ﴿ فكان قاب قوسين أو أدنى ﴾ [النجم: 9]. متنسما بروحه: ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ [النجم: 10]. فلا ينطق عن الهوى، فيمنح حينئذ وحي إلهام لا وحي إنشاء وإعلام. فمن وصفها بأنها صدرت عن فهم، أو استندت إلى علم ؛ فقد استنقص صاحبها، وجهل قدره ».

« فاعلم أن أحزاب الشيخ الكامل، والغيث الوابل ؛ سيدي أبي الحسن الشاذلي — رضي الله عنه — من هذا، وعليه تحمل — والله أعلم — وهكذا من حذا حذوه، إلا أن يقال: إن الشيخ لكماله وعلو مرتبته وجلالة قدره لما تضلع بالفنون الظاهرة، وعلوم الشريعة المنيرة الباهرة، وكان رضي الله عنه برزخا بين البحرين، راسخ القدم في العلمين، فلا يشغله شأن عن شأن ؛ ربما عرضها بعد الوعي على ما يعلم من العلوم الظاهرة على حسب التأكيد لا على حسب التأسيس، وبحسب هذا حصل الانتفاع لقارئها وسامعها، وارتفع الاعتراض عن الآخذ بها، فاعلم ذلك. وبالله التوفيق ».

[أهمية شيخ التربية]:

وقال رضي الله عنه: « الذاكر بالأسماء على الوجه المذكور ؛ سالك فيها وصاعد إن بدأ به، وإلا ؛ فمتدل، وربما التقيا لا بمعنى واحد، فكل على حسبه، ودوران أفلاكها النورانية عليه وترتيبها الوَحْداني لديه أحد وجوه الإحصاء الوارد، وحالة التعلق بها على سبيل المواجد وتعددها وتباين خاصيتها، واختلاف تأثيرها ؛ هو الموجب للأمور [96] النازلة بذاكرها، الجارية على سره وضميره، لأن كل اسم خاصيته من معناه، وتصريفه في مقتضاه، وإفادته في وقته، وسره في عدده، وتأثيره على قدر التأثير به. . . وذلك بحسب الفيض والقصد والهمة، وكلها تختلف باختلاف الطباع والأرواح والأحوال، ولهذا يفتقر السالك إلى الشيخ المربي افتقار وجوب واضطرار لا يسعه غيره ؛ لأن أهله أهل كشف ومطالعة ؛ فتعرض لهم أمور وجدانية، وأحوال روحانية لا تنضبط ولا ترتبط بمعهود، بخلاف غيره ؛ فلا يجب إلا على الأنفس الكثيفة العصية، ومن نفسه منقادة ؛ فهو في حقه كمال، والكلام هنا يطول ». هـ . وقوله: « على الوجه المذكور » هـ. يعني: في كلام سابق لم يحضرني الآن.

[شرح كلمات في الفناء للشيخ الهروي الطالب]:

وسئل – رضي الله عنه – عن معنى قول الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي بن مهدي الهروي المعروف بالطالب ؛ أحد أكابر تلامذة الشيخ أبي محمد الغزواني – رضي الله عنه: « بالذكر كحّل عينك؛ تسمع فيك: أنا أنا ».

فأجاب: « الحمد لله حق حمده. وصلوات الله وسلامه على سيدنا محمد الكريم نبيه وعبده، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان من بعده. اعلم: أن أقرب الطرق إلى الله، وأحبها إليه: دوام الذكر. والذكر منشور الولاية، ولابد منه في البداية والنهاية، وهو يثمر أحوالا شريفة، ومقامات عالية منيفة، وعلوما لطيفة، ويحيي عوالم طالما كانت قبل مواتا، ويلبس النفس وجنودها ذلة وسباتا . ونظيره إذا وصل للقلب كدخول الماء في الأسراب ؛ فإنه يخرج ما فيها من الحشرات والدواب، فكذلك الذكر إذا صادم القلب ودخل سويداءه ؛ فإنه يخلصه من مساكنة صلصال النفس، ويزيل عن ناظره الغشاوة واللبس، ويصفيه من ملاحظة الأراجيف الغيرية، والأحكام الخلقية، ويرحل به إلى المنازل الدُّبريَّة، ويحقق له المقامات والمراتب الإحسانية ».

« فإذا ظهر أن خاصية الذكر: الانجذاب نحو المذكور، والتحقق بأن كل ما سواه غرور، والتخطي عن جميع المراتب الكونية، والدخول في الحضرات الحقية ؛ فنقول: إن العبد إذا لازم الذكر بجمع الهم في المذكور، ودفع كل خاطر، ومنع كل تفرقة، وثابر عليه مستحضرا جمال مذكوره، واستصحب ذلك في وروده وصدوره ؛ عامله الحق في حال سيره بصورة الاختبار، إظهارا لمزيته، أو قطعا لحجته. فتارة تتبرج له ظواهر الكائنات، وتتزخرف له أنواع المكوّنات ؛ فتناديه منه فيه بواطنها: المنهل [97] قدامك . وأخرى تلاحظ همته شيئا مما كشف لها ؛ فتصيح به هواتف الحقيقة: الذي تطلب أمامك! . وتارة يطوفه في العوالم العلوية والسفلية، ويحفظ

قلبه ؛ فيسمع النداء منه فيه خطابا للحق: لا حاجة لي بسواك. وتارة يفاتحه بأمور خارجة عن الحصر، ويخوله ولاية الأمر ؛ فربما زاده ذلك تحرشا، وإلى الحق تعطشا، ومن هنا قيل:

إن كان منزلتي في الحب عندكمُ ... ما قد رأيت ؛ فقد ضيعت أيامي !

« وربما زاده ذلك خضوعا، وإلى الحق رجوعا، ومن هنا قيل:

تُخَوِّلُني عطفا ولاية ملكها ... ويأبى خضوعي كل تلك المراتبِ

« وتارة يسمع الخطاب أيضا منه فيه، لكن من ناحية الحق ؛ كأن يستعظم سواه، أو يؤمل من غيره، أو يجري على ضميره – أو ما أشبه ذلك – من استحسان فان، أو غير ذلك ؛ فيسمع صورة اللوم على ذلك:

تريد ترى ليلى بعين ترى بها ... سواها وما كحلتها بالمدامع ؟ !

« إلى غير ذلك مما يسمع فيه من قبل الحق تعالى وتقدس. ثم إن السالك لا يزال في سيره، مثابرا على ذكره ؛ إلى أن يصل إلى قلبه ويطلع له نجم شهود فعل ربه، ثم كذلك إلى أن يصل إلى روحه، وتنمحي عنه الشبه الضلالية، والتقيد بالأحكام الخلقية، والمراتب الكونية ؛ فيسفر له فجر تجلي الصفات الجمالية. وهذا محل مخاطبات ومسارات. وإليه لوَّح القائل[1]:

دُنْ بدنِّكْ بها تُغَنِّي ... واعشقْ جمالَكْ يطبْ هواكْ

إلى أن قال:

وفيكْ ومنَّكْ تسمعْ معاني ... تَدُرْ بحسِّكْ لا شْ ثمّ سواكْ ؟ !

« ثم لا يزال كذلك إلى أن يصل إلى سره، وتطلع له شمس التجلي الذاتي ؛ فيغيب حينئذ عنه وعن الوجود بما يبدو له من الشهود، وينقطع ذكر اللسان، ويصير محوا في وجود العيان، فيفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل: كان الله ولا شيء معه. وفي هذه الحالة: يغيب سمعه في بصره ؛ لأن الحق إذا تجلى لشيء ؛ خضع له وخشع. حتى إذا أفاق من صعقه، وصحا من سكره ؛ لم يغب سمعه في بصره، لتملكه ناصية الحال، ويصير له إذ ذاك محادثات ومناغاة يعرفها أهلها ».

---

[1] هو: سيدي أبو الحسن الششتري رضي الله عنه (حجرية، ونسخة ب).

((والحاصل: إن الذكر له فوائد مديدة، ونتائج عديدة، وهذا تحريض عليه ببيان بعض ثمراته،[98] والعمل على ذلك وإن كان مدخولا ؛ لكنه لا بد للمريض من منساته)).

((وأما القائل: أنا أنا. فهو بعض عوالمه اللطيفة، والسامع أيضا كذلك، فالمخاطبة النازلة بالقوم عند استغراق السرائر لا تكون كلاما يسمعونه ؛ بل كحديث النفس يجدونه، يرونه موافقا للكتاب والسنة، وذلك مناجاة لسرائرهم ومناجاة سرائرهم إياهم على وجه لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده. نسبتها إلى الحق نسبة الحادث إلى المحدث لا نسبة الكلام إلى المتكلم. إذ الذي يفهم التكليم من تلقاء نفسه بحسب نفس الأمر هو: الولي ، والذي يفهم التكليم من تلقاء نفس الأمر؛ هو: النبي. ومن ظن أن الله يكلم أحدا بعد الأنبياء كما كلم موسى عليه السلام والمصطفى صلى الله عليه وسلم ؛ فهو في ضلال وغرور. بل قال المرجاني: إنه كافر)).

[مراتب الاتحاد]:

((وإذا تأملت ما قدمنا ؛ علمت أن هذه الحالة غير مقصورة على مرتبة بعينها. على أنا نقول: الظاهر أنه أشار إلى المرتبة الثانية من **مراتب الاتحاد الثلاث**)).

((**فإن الأولى:** هي نتيجة الفناء عن التفرقة، وبقاء أثرها. وصاحب هذه الحالة يقول: أنا المحبوب. ومنه: أنا الحق)).

((**والثانية:** فناء التفرقة عينا وأثرا. وصاحبها يقول: أنا أنا. وهذه غاية الاتحاد، ونهاية العروج لصرف الجمع، ويتحد حينئذ القائل والمستمع من غير حلول ولا اتصال. وبساطه: كنت سمعه وبصره[1]، ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار** ﴾. [غافر: 16]. وهذه الحالة إذا غلبت ؛ سميت بالنسبة إلى صاحبها: فناء. بل فناء الفناء ؛ لأنه فنى عن نفسه. وفنى عن فنائه ؛ فإنه ليس يشعر بنفسه في تلك الحال، ولا بعدم شعوره، ولو شعر به ؛ لكان قد شعر بنفسه. وتسمى هذه الحالة بالإضافة إلى المستغرق بها بلسان المجاز: اتحادا، وبلسان الحقيقة: توحيدا. إذ حقيقة ذلك ترجع إلى الفناء في التوحيد لا غير. ومن ظن غير ذلك ؛ ضل وابتدع)).

((**والمرتبة الثالثة:** نتيجة بقاء وجود المحب بمحبوبه، ورجوعه عن صرف الجمع إلى مقام التفرقة مع الجمع. وصاحب هذه المرتبة يقول: أنا عبده. وبساطها: فبي يسمع، وبي يبصر. وهذه المرتبة فوق الثانية من حيث إنها لا تتحقى إلا بعد العبور على الثانية. فإن الرجوع لا يكون إلا بعد العروج)).

---

[1] إشارة إلى حديث: ((من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى احبه، فإذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به الحديث. رواه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة)) رضي الله عنه رقم (6137).

« ووراء هذه الحقائق أسرار يطول الكلام فيها، فمن ذاق ؛ عرف، ومن لم يذق ؛ فلا حرج إذا سلم واعترف، فعليه أن يتلقاها بالقبول، ويعترف بعجزه عن مدارك [99] الفحول:

فـإذا كـنـت في المـدارك غِـرا	ثـم أبـصـرت حـاذقـا ؛ لا تمار
وإذا لـم تـر الـهـلال فسـلـم	لأنـاس رأوه بالأبـصـار

« فهذه المعالم والمراقي لا يدرك حقائقها إلا السالكون وجدانا، والعلماء تصديقا وإيمانا، وهو: توحيد الخواص. فمن قصر عنه لعجز أو نقص ؛ فلا ينبغي أن يستبعد الوصول لهذا المقام الكريم، فليس بعزيز على الفتاح العليم، فعليه القيام بحق الأسباب، ومن الله تعالى رفع الحجاب، ومن جد وجد. ثم هذه المراتب مع كونها لا تستقصى في مجلدات عديدة ؛ لا رخصة في ذكرها إلا بالإيماء لأهلها ؛ كما قيل:

وعـنـيَ بالتلـويـح يفهـم ذائـق	غنـي عـن التصريـح للمتعـنـتِ

« على أن من كان من أهلها ؛ فهو في غنى عن سماعها، وإن سمعها ؛ ينشد بلسان حاله:

كـم ذا تُنَـوه بالـركنيـن والعلـم	والأمـر أوضح من نار على عَلَمِ

« ومن لم يكن من أهلها ؛ لم ينتفع بها، بل ربما يتضرر بها ؛ إذ لا يزيده سماعها إلا تعمية وتحيرا من أنه يسمع ما لا يقبل ولا يتوصل إليه فهمه، ولا يدركه عقله، إذ لا تفهم إلا بالذوق والوجدان، كما لا يفهم الأكمه حقائق الألوان، مع اتساع عالم المعاني ولطافته، وضيق عالم العبارة وكثافته، وبيان ذلك يطول ».

« **فقد بان لك مما قدمنا:** أن كلام الشيخ إنما يوجه نحو السالك، ولا يختص ذلك بأول سيره، ولا بوسطه. هذا هو المناسب لقوله: كَحِّلْ. بلفظ الأمر، وأما المجذوب ؛ فما دام في وعاء وجده ؛ لا يتوجه إليه أمر ؛ لأنه مستوفى بحاله، والأمر يستدَعي وعاء وجوديا، وأما أن يومر بذلك بعد إفاقته من غمرات الحال ؛ فهو تحصيل حاصل، إذ لا معنى للجمع[1] إلا إدراك الحق بكلية العبد من طريق الوجدان بلا واسطة، وهل يقال لهذا: كَحِّلْ. وهو مغموس في الكحل؟!. وأما أرباب الشهود ؛ فمن كان منهم بعد باقيا في غيبة الشهود ؛ فهو المجَذوب المستوفى، ومن كان منهم قد رد عليه من تلك الغيبة، ونزل به إلى أرض الحقوق ؛ فهو المجذوب الذي أفاق. وقد سمعت ما في ذلك، وبالله تعالى التوفيق، ونسأله الهداية إلى سواء الطريق. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما ».

[شـرح كلام للإمام الغـزالي في أن الخوف خسران ونقصان]:

[1] لعله: الجذب . نسخة (ب) .

وسئل – رضي الله عنه – عن قول حجة الإسلام في كتاب الخوف والرجاء من "الإحياء": « أفضل السعادات: طول العمر في طاعة الله، فكل ما أبطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعطل العمر بتعطيلها ؛ فهو [100] خسران ونقصان ». ما وجه خسران المريض لم يكن أدخل ذلك على نفسه بوجه غير جائز مع أنه مبتلى؟ !.

فأجاب: « الحمد لله. والصلاة والسلام على رسول الله. اعلم: أن المرض الواقع في الأحياء ليس من أمراض الأبدان الذي يفوق لمن أيده الله فيه عبادة الثقلين، وإنما المرض المسؤول عنه: ما ينشأ عن الخوف المفرط الخارج عن حد الاعتدال إلى أن يهمل معه العمل، فيخرج إلى القنوط واليأس، وإلى المرض والضعف، وإلى الوله وزوال العقل... وقد يؤول بصاحبه إلى الموت!. وكل ذلك مذموم، إذ فائدة الخوف: الحذر والورع، وضروب العمل من المجاهدة والعبادة والفكر والذكر... وسائر الأسباب الموصلة إلى الله تعالى، وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل، وكل ما يقدح في هذه الأسباب ؛ فهو مذموم. وهو مراد الشيخ بالخسران والنقصان ؛ باعتبار ما فاته ».

« فإن قلت: المرض الناشئ – أيضا – عن الخوف فضيلة، ولو مات منه ؛ كانت شهادة. فلا خسران ولا نقصان ».

« **قلت:** الخسران الثابت أمر اعتباري، وحكم إضافي، فباعتبار ما فوقه وما فاته مع المرض من مراتب الصديقين ومنازل العلماء الراسخين ؛ فهو – كما قال رضي الله عنه – نقيصة وخسران، ولكل مقام مقال ؛ إذ لسالك سبيل الله تعالى بطريق الفكر والمشاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة ما يفوت رتبة الشهداء ».

« وإذا تبين لك هذا ؛ فلا يخفى عليك بعد أن المرض الناشئ عن الخوف ؛ خسران، لأنه ليس مقصودا لذاته، وإنما يراد للعمل، وهذا قد فاته بالمرض وشبهه هذا، والعبادة على بساط الحب أتم منها على بساط الخوف، والعمل عليه أدنى منازل السائرين، وأحط مراتب الواصلين. فصاحبه باعتبار ما فاته ؛ في نقص وخسران أيضا. وما أوضحنا به المسألة حاصل في كلام "الإحياء" لمن تأمله، والباب المتكلم فيه يُعَيِّنُ أن المراد بالمرض: الناشئ عن الخوف ».

« **فإن قلت:** إن المرض الناشئ عن الخوف يعطل الحياة والصحة، وهو كذلك واقع في غيره من الأمراض ؛ فلا فرق على هذا بينهما، ويجري حكمه في جميعها. فما وجه تقييده بالخسران دون غيره من الأمراض؟ ! ».

« **قلت:** المرض الناشئ عن الخوف هو متسبب فيه، وقد كان سهل – رضي الله عنه – يقول لأهل التقلل الطاوين المتقشفين: احفظوا عقولكم ؛ فإنه لم يكن ولي لله عز وجل ناقص العقل قط. وحيث كان كذلك ؛ لا يحصل معه التعرف الذي [101] يَشْرُفُ المرض به، وتعلو به درجته، بخلاف غيره من الأمراض ؛ فإنها يحصل

بها من التعرفات، وعلو الدرجات، ومزيد الخيرات والترقيات ؛ ما لا يجده في عمل. وليس كذلك المرض المذكور ؛ إذ لا يجد للتعرف سبيلا، ولو حصلت المعرفة ؛ لم يمرض. وكيف يصح مرضه وقد عاد البلاء نعيما وإن كان ظاهره بأنواع المحن سقيما ؟ !. وهذا ما يحتمله هذا المكتوب، ويناسب فهم السائل. والجواب إنما يكون بحسبه لا بقدر المسائل ».

[ظهور ما لا يعهد من الأحوال على العارف]:

وقال رضي الله عنه في فصل من كتاب: « فإن اختلفت الأشكال، وتراكمت الفتن والأهوال، وتصدعت الأحوال ؛ فربما ظهر على العارف وصف لم يكن معهودا، وأمر لم يكن بالذات مقصودا ؛ فيكون منه قصور في جانب الحق لا في جانب الحقيقة، فلا يضر إن رجع في ذلك لمولاه فرارا، وإلى ربه اضطرارا ﴿ ففروا إلى الله ﴾. [الذاريات: 50]. ﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾. [طه: 84]... ».

[حكم شد الرحال للقبور وزيارتها]:

وسئل – رضي الله عنه – عن قول الشيخ أبي محمد الشارَمْساحِي رحمه الله: « زيارة الموتى بترحم الأحياء وقصد الانتفاع بالميت بدعة إلا في زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم وقبور المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين ؟ ».

فأجاب بأن قال: « اعلم أن ما ذكره من ذلك قد سبقه به غيره، وقال: ليس من طريق القوم. وذكره ابن العربي وقال: إنه لا يزار قبر ينتفع به غير قبره صلى الله عليه وسلم، ولكن الذي عليه الجمهور وجرى به العمل في الآفاق: زيارة قبور الصالحين، والانتفاع بهم، واقتباس بركاتهم. إذ هم أبواب الله ».

« قال حجة الإسلام في كتاب: آداب السفر من "الإحياء": وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته ؛ يتبرك بزيارته بعد وفاته. ويجوز شد الرحال لهذا الغرض، ولا يمنع من هذا قوله صلى الله عليه وسلم: لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، والمسجد الأقصى[1]. لأن ذلك في المساجد ؛ لأنها متماثلة بعد هذه المساجد، وإلا ؛ فلا فرق بين زيارة قبور الأنبياء وبين الأولياء والعلماء في أصل الفضل وإن كانت تتفاوت في الدرجات تفاوتا عظيما بحسب اختلاف درجاتهم عند الله... ثم قال: وأما البقاع: فلا

[1] رواه البخاري (1132)، ومسلم (1397)، وأبو داود (2033) عن أبي هريرة والترمذي (326) عن أبي سعيد الخدري، وغيرهم.

معنى لزيارتها سوى المساجد الثلاثة، وسوى الثغور والرباط بها. فالحديث ظاهر في أنه: لا تشد الرحال لطلب بركة البقاع إلا إلى المساجد الثلاثة)).

((وقال الأبي في شرح صحيح مسلم: ولا يقال: إن النهي عن شد الرحال مخصوص بجواز شدها لطلب العلم والجهاد وزيارة الصالحين، على [102] القول بجواز شدها لزيارتهم؛ لأن هذه المذكورة لا يتناولها اللفظ حتى يخصص بإخراجها؛ لأنه إنما يتناول شدها للصلاة. وقال البرزلي عن ابن عبد البر: حديث: لا تعمل المطي[1]. مخصوص بالصلاة.. قال: وتوقف بعض الناس في زيارة القبور وآثار الصالحين، ولا توقف في ذلك؛ لأنها من العبادات غير الصلاة، ولأنها من الزيارات والتذكر)).

((وقال ابن حجر في شرح صحيح البخاري: اختلف في شد الرحال إلى غيرها؛ كالذهاب إلى زيارة الصالحين أحياء وأمواتا، وإلى المواضع الفاضلة لقصد التبرك بها والصلاة فيها؛ فقال أبو محمد الجويني: يحرم شد الرحال إلى غيرها؛ عملا بظاهر هذا الحديث. وأشار القاضي حسين إلى اختياره، وبه قال عياض وطائفة، والصحيح عند إمام الحرمين وغيره من الشافعية: أنه لا يحرم. وأجابوا عن الحديث بأجوبة:

- ((منها: أن المراد أن الفضيلة التامة إنما هي في شد الرحال إلى هذه المساجد، بخلاف غيرها؛ فإنه جائز. وهو ظاهر ما في رواية أحمد الآتية.

- ومنها: أن النهي مخصوص بمن نذر على نفسه الصلاة في مسجد من سائر المساجد غير الثلاثة؛ فإنه لا يجب الوفاء به. قاله ابن بطال، ونحوه للخطابي قائلا: لفظه خبر، ومعناه إيجاب.

- ومنها: أن المراد: حكم المساجد فقط، وأنه: لا تشد الرحال إلى مسجد من المساجد للصلاة فيه غير هذه الثلاثة. وأما قصد غير المساجد لزيارة صالح أو قريب أو صاحب، أو طلب عمل، أو تجارة، أو نزهة؛ فلا يدخل في النهي، ويؤيده ما رواه أحمد من طريق شهر بن حوشب قال: سمعت أبا سعيد وذكرت عنده الصلاة في الطور؛ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد تبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي. وشهر ابن حوشب: حسن الحديث وإن كان فيه بعض الضعف)).

((قال بعض المحققين: قوله: إلا إلى ثلاثة مساجد؛ والمستثنى منه محذوف: فإما أن يقدر عامًا؛ فيصير: لا تشد الرحال إلى مكان في أي أمر كان إلا إلى الثلاثة. أو أخص من ذلك. لا سبيل إلى الأول؛ لإفضائه إلى سد باب السفر إلى التجارة وصلة الرحم وطلب العلم... وغيرها، فتعين الثاني. والأولى: أن يقدر ما هو

---

[1] رواه الإمام مالك في "الموطأ" (241) والإمام أحمد في مسنده (23336) والنسائي في المجتبى" (1430) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

أكثر مناسبة ؛ وهو: لا تشد الرحال إلى مسجد للصلاة فيه إلا إلى الثلاثة. فيبطل بذلك قول من منع شد الرحال إلى زيارة القبر الشريف وغيره من قبور الصالحين. انتهى كلام ابن حجر)) .

((وقال الحافظ أبو [103] القاسم العبدوسي: الخروج لزيارة قبور الصالحين والعلماء جائز ؛ طال السفر أو قصر. وممن نص على ذلك: القاضي أبو بكر بن العربي، وحجة الإسلام الغزالي. فهذا ما يرجع إلى الخروج إلى زيارتهم الذي ساق إليه كلام حجة الإسلام وإشارته إلى الحديث)) .

[حكم التبرك بالقبور والتوسل بأصحابها]:

((وأما ما يقصد فيها أو يحصل منها ؛ فقال الشيخ أبو العباس زروق في قواعده: ما صح واتضح وصحب العمل ؛ لازم الإباحة ؛ كزيارة المقابر. فقيل: ليس إلا لمجرد الاعتبار بها ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: فإنها تذكر الآخرة[1] . قيل: ولنفعها بالتلاوة والذكر والدعاء الذي اتفق على وصوله ؛ كالصدقة . قيل : للانتفاع بها . وهو الذي في "الإحياء". وقد قال الشافعي رضي الله عنه: قبر موسى الكاظم الترياق المجرب)) .

((وقال في شرح "المباحث": زيارة الموتى: قال ابن ليون في اختصار رسالة الششتري: ليست من طريق القوم. وذكر ابن العربي من الفقهاء أنه: لا يزار قبر لينتفع به غير قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال في "الإحياء": كل من يتبرك به في حياته يتبرك بقبره بعد وفاته. ونقله ابن الحاج في مدخله، واعتمده بنصه وحروفه، وظاهر كلام المتأخرين وأحوالهم: العمل عليه، وظهرت بركاته على خلق كثير في أمور شتى؛ لو اشتغلنا بها لاستدعت أسفارا عديدة. ووقع لنا منها غزير. هـ)) .

((وللشيخ أبي إسحاق إبراهيم التازي قصيدة في هذا المعنى قال فيها:

زيارة أرباب التقى مرهم يبري ... ومفتاح أبواب الهداية والخير
وتحدث في القلب الخلي إرادة ... وتشرح صدرا ضاق من سعة الوزر
وتنصر مظلوما وترفع خاملا ... وتكسب معدوما وتجبر ذا كسر

إلى أن قال:

عليك بها فالقوم باحوا بسرها ... ووصوا بها يا صاح في السر والجهر
فزر وتأدب بعد تصحيح نية ... تأدب مملوك مع المالك الحر
ولا فرق في أحكامها بين سالك ... مرب ومجذوب وحي وذي قبر

((وقد قال الشيخ أبو العباس ابن عقبة لتلميذه الشيخ أبي العباس زروق: أي المددين أقوى ؛ مدد الحي أو مدد الميت؟ . فقال الشيخ زروق: إنهم يقولون: مدد الحي، وأنا أقول: مدد الميت ! . فقال له الشيخ ابن

[1] حديث الترخيص في زيارة القبور ؛ انظر الترمذي (1054)، والنسائي في "المجتبى" (4430)، والإمام أحمد في "المسند" (22496) والبيهقي في سننه (17977) كلهم عن بريدة رضي الله عنه.

عقبة: صدقت ؛ لأنه على بساط الحق. فالظاهر من كلامهما: أن زيارة الميت أنفع، وظاهر ما في رسالة القشيري من أن قبر معروف يستشفى به ترياق مجرب ؛ جوازها عنده)).

((وفي مدخل ابن الحاج [104]: إن كان الميت المزور ممن ترجى بركاته ؛ فيتوسل إلى الله تعالى به، وكذلك يتوسل بالميت ممن ترجى بركاته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل يبدأ بالتوسل إلى الله تعالى بالنبي صلى الله عليه وسلم ؛ إذ هو العمدة في التوسل، والأصل في ذلك كله، والمشرع له ؛ فيتوسل به صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بإحسان. وقد روى البخاري عن أنس رضي الله عنه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: كان إذا استسقى بالعباس رضي الله عنه يقول: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيك صلى الله عليه وسلم فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك ؛ فاسقنا. فيسقون!. هـ)).

((ثم يتوسل بأهل تلك المقابر – أعني: بالصالحين منهم – ثم قال: ويكثر التوسل بهم إلى الله تعالى، لأنه – سبحانه – قد اجتباهم وشرفهم وكرمهم، وكما نفع بهم في الدنيا ؛ ففي الآخرة أكثر. فمن أراد حاجته ؛ فليذهب إليهم، وليتوسل بهم، فإنهم الواسطة بين الله تعالى وبين خلقه)).

((وقد تقرر في الشرع وعلم ما لله تعالى بهم من الاعتناء، وذلك كثير مشهور، ومازال الناس من العلماء والأكابر كابرا عن كابر، مشرقا ومغربا يتبركون بزيارة قبورهم، ويجدون بركة ذلك حسا ومعنى. وقد ذكر الشيخ الإمام أبو عبد الله بن النعمان في كتابه المسمى "سفينة النجا لأهل الالتجا، في كرامة الشيخ أبي النجا"، في أثناء كلامه على ذلك ما هذا لفظه: تحقق ذوو البصائر والاعتبار أن زيارة قبور الصالحين محبوبة؛ لأجل التبرك مع الاعتبار، فإن بركة الصالحين جارية بعد مماتهم كما كانت في حياتهم، والدعاء عند قبور الصالحين والتشفع بهم معمول به عند علمائنا المحققين من أئمة الدين. ثم ذكر ما نقلناه أولا من "الإحياء" مستحسنا له)).

((ثم نرجع إلى الكلام على قوله في السؤال: إنها بدعة. فنقول: وجه كونها بدعة: أن الزيارة على وجه الانتفاع بالميت لم يرد عنه صلى الله عليه وسلم، وإنما ورد عنه: الزيارة على وجه الرحمة والاستغفار، والبدعة : ما أحدث على غير مثال سابق في الشرع. ثم لا يكفي ذلك في كونها مذمومة حتى يشهد الشرع بقبحها ؛ فإن من البدع على هذا التفسير ما شهد الشرع بحسنها ؛ فلا تكون مذمومة، ويبقى الكلام مع هذا القائل في المتكلم فيه من أي القسمين هو. وقد تقدم ما فيه كفاية في ذلك)).

((ثم إن النفع بغيره صلى الله عليه وسلم متعذر مع وجوده، ولا تتصور البركة – أيضا – من غيره عند فقد [105] شخصه، وذلك محال لمن اعتبره، ومن رامه من غيره ؛ فذلك لقصور نظره وجهل جلالة قدره، وعلو منصبه صلى الله عليه وسلم عند ربه، فضلا عن حقيقته الباطنة السارية في جميع العوالم. فمن تحقق هذا ؛ لم ير النفع إلا منه وبه، ومن لم يصل إليه ؛ رأى النفع من غيره. وهو بعيد)).

[الخلاف الواقع في زيارة القبور قولي فقط]:

« **فعلى هذا:** الخلاف الواقع في الزيارة خلاف قولي لمن اعتبره، وسنبينه إن شاء الله ؛ فنقول: قول من قال: لا ينتفع إلا بقبره. واقتصر بالزيارة عليه صلى الله عليه وسلم ؛ مرجوح ومخالف للجمهور كما تقدم. وعلى كل قول: الانتفاع به صلى الله عليه وسلم حاصل ، ولا يخفى على واصل، وشهد لذلك النقل الصحيح، والكشف الصريح »:

« **أما النقل:** فقوله تعالى: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾. [الشورى:23]. على القول بأن القرابة: أحباؤه. وثبت في صحيح الأحاديث كثير منه ».

« **وأما الكشف:** فالمعروف عند المحققين، وأرباب القلوب من العلماء المهتدين، ولا مخالف في ذلك في ذلك: أن زيارة الأولياء والعلماء – رضي الله عنهم – مواصلة له صلى الله عليه وسلم ؛ إذ كل خير وبركة قلت أو جلت منه حصلت، وبطلعته ظهرت. وكيف لا ؛ وسائر العلماء والأولياء – رضي الله عنهم – صور تفصيله صلى الله عليه وسلم، وخلفاؤه ومظاهر تعيناته ؟!. فما منهم إلا وهو سابح في نوره، ويمتد من بحره على حسب مقامه، فهو الجامع لما افترق، والرسول على الإطلاق[1]. قال الشيخ أبو الحسن علي بن وفا رضي الله عنه في صلاته: وسرك المنزه الساري في جزئيات العالم وكلياته، علوياته وسفلياته ؛ من جوهر وعَرَض، ووسائط، ومركبات وبسائط . . . إلى أن قال: وأرني سريان سره في الأكوان، ومعناه المشرق في مجاليه الحسان».

« **فعلى هذا:** لا زائر ولا مزور إلا له ومنه صلى الله عليه وسلم ؛ إذ هو أول موجود أخرج من العدم، وهو الرابطة بين الحدوث والقدم، وأس الخليقة، ومبدؤها على الحقيقة، كما روي في الحديث: أول ما خلق الله نوري، ومن نوري خلق كل شيء . وإذا كان – عليه الصلاة والسلام – أول نور بدأ ؛ كان أول نور تلقى من حضرة الوجود ، بل لا متملق على الحقيقة إلا هو ، فهو بذرة الوجود، وأقرب موجود، ويعسوب الأرواح، كما روي في الحديث: أنا يعسوب الأرواح. فعنه امتد الوجود كله كما امتدت الشجرة عن البذرة، حتى كملت الموجودات الكليات، ثم خلق آدم عليه السلام وولده، والنور يمد الكل من الأصل الذي هو الروح الأعظم، وآدم الأكبر من نقطة أحمد [106] الظاهر بمحمد . وفي الحديث: كنت نبيًا وآدم بين الماء والطين. وفي رواية: بين الروح والجسد[2] ».

« فبان أن نور الوجود وكماله، وخيره وجماله، في البواطن والظواهر ؛ إنما استمد ويستمد من نور ذاته الباطنة. فجميع الأولياء – بل وجميع الأنبياء – منسوبون إليه، ويستمدون منه، فلا ترى على التحقيق كرامة ولا آية ولا خرق عادة إلا وهي له صلى الله عليه وسلم، فهذا قد تحققه الصوفي من حيث كشف له من سره الأحمدي الممتد في الذوات الكاملة كلها ؛ الماضية منها والآتية. . .» .

---

[1] بالله على هذه الأوصاف الكريمة، والعبارات المستقيمة . نسخة (ب) .

[2] انظر الحديث عن الترمذي (3609) عن أبي هريرة، رضي الله عنه وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبي هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وفي الباب عن ميسرة الفجر .

« *وبالجملة:* قد اتفقت كلمة أولياء الله، والعلماء بالله؛ على أن المدد العلمي والعملي كله منه صلى عليه وسلم ؛ فهو الرسول المطلق، وكل من تقدم من الأنبياء والرسل قبله ؛ فعلى حسب النيابة عنه[1]، فكانت قبل بعثه ووجود شخصه نبوءة، وبعده: ولاية. فهو الظاهر بهم، والباطن فيهم، وهو الأول والآخر، والظاهر والباطن. قال صلى الله عليه وسلم: نحن الآخرون السابقون[2]. ولهذا كانت الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – نسخة من كلا[3] آدم ومحمد على الكمال، والعارفون الوارثون نسخة من آدم وباطن محمد على أتقن مثال، والمؤمنون نسخة من آدم وظاهر محمد ».

« وعلى هذا يحمل ما روي في الحديث: علماء أمتي كأنبياء بني إسرائيل. وقد ذكر بإسقاط الكاف. وحديث الأمثال مشهور ؛ وهو: إني لو شئت أخبرتكم بأمثال الأنبياء من أمتي إلى آخرهم. ثم قال: أبو بكر مثل إبراهيم، وعمر مثل نوح. إلى غير ذلك ».

« ومن أوجه التشبيه بالأنبياء عليهم السلام: أن سائر علماء الأمم السالفة لا تستمد منه صلى الله عليه وسلم إلا بواسطة أنبيائها، وليس كذلك علماء هذه الأمة المشرفة ؛ فهي تستمد منه، وتتلقى عنه بغير واسطة كما تتلقى منه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام منه بغير واسطة ؛ فشابهت العلماء الأنبياء من هذا الوجه. . . والله أعلم . والحق: إنه لا يعلم حقيقته غير ربه .وقد روي في الحديث: يا أبا بكر ؛ والذي بعثني بالحق لم يعلمني حقيقة غير ربي ! » .

[كل خير في الكون إنما هو بواسطته ﷺ]:

« وبالجملة: فهو صلى الله عليه وسلم إكسير السعادة ؛ فكل سعيد في الكون، فسعادته بواسطة بركاته عليه الصلاة والسلام، وقرب منزلته من مولاه على حسب استمداده منه. فمن حصل له شرب من ذلك ؛ ليس إلا بمدد باطن كل على حسب مقامه المقدر له أزلا في سابق علمه على ترتيب مشيئته وتخصيصه، وأما من قصر علمه، ووقف مع حسه ؛ إذ لا نفوذ له لغيره ؛ فتضرب له الأمثال: ﴿ وتلك [107] الأمثال نضربها للناس ﴾. [العنكبوت: 43]. فالسر الأحمدي الساري في الوجود، والممد لكل موجود ؛ كالبحر المحسوس المنبسط على وجه الأرض وامتدت منه جداول وأنهار، وانتشرت في أقاليم الأرض وسائر الأقطار، فكل مدة انبسطت منه حيثما كانت ؛ فهي عينه باعتبار ذاته، وغيره باعتبار تعينه. فافهم ».

---

[1] وإلى هذا أشار ابن الفارض في قوله:

وإني وإن كنت ابن آدم صورة ... فلي فيه معنى شاهد بأبوتي

نسخة (ب) .

[2] رواه البخاري في صحيحه (236) ومواضع أخر، ومسلم (855) والإمام أحمد (7353) وغيرهم عن أبي هريرة، رضي الله عنه.

[3] كذا في التصحيح في حاشية الكتاب ، وفي المتن : كتاب .

((ولك أن تقول: الأنوار الظاهرة على أولياء الله إنما هي من إشراق أنوار النبوءة عليهم ؛ فمثل الحقيقة المحمدية كالشمس، وقلوب الأولياء كالأقمار، وإنما ظهر القمر وأضاء لظهور نور الشمس فيه، ومقابلته إياها . فإذا: الشمس مستمرة الوجود، مضيئة نهارا وليلا، لظهور نورها في القمر الممد منها، فلا غروب لها في وقت ما . فافهم !)) .

((فعلى هذا: يجب دوام أنوار الأولياء لدوام ظهور أنوار رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم، فهو الظاهر فيهم، والباطن فيهم. وإن شئت قلت: أرواح أمته صلى الله عليه وسلم متعلقة بروحه صلى الله عليه وسلم، وروحه واسطة بين الحدوث والقدم، كما تقدم، فالرابط باطنا: سره الحسن. وظاهرا: أتباعه على أهدى سنن ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾. [آل عمران: 31]. فلا دخول لأحد إلا من بابه، ولا وصول إلا به وعلى يديه. إنما حرموا الوصول ؛ لتضييعهم الأصول. فبقدر وجهة العبد وقربه، ومحاذاته بهويته وسره ؛ ينجذب لحضرة ربه بواسطته صلى الله عليه وسلم انجذاب الحديد بالمغناطيس، ويجري عليه حكم الواسطة الرابطة بين الواسطة والموسوط. فالمغناطيس يجذب الحديد إلى نفسه ؛ لجنسية روحانية بينهما ، فيكسوه حلة خاصيته بحيث يجذب حديدة يتأتى منها جذب حديدة أخرى)).

((ولا شك أن الخاصية المغناطيسية في الحديد ليست التي للمغناطيس، وإن وجدت منه ظاهرا ؛ فهي تقول بلسان الحال: أنا صفة المغناطيس. فكذا روح المظهر النبوي بالنسبة إلى الحضرة الإلهية ؛ كالحديدة الأولى بالنسبة إلى المغناطيس، جذبه الذات الأقدس إليه بخاصية المحبة الأزلية أولا بلا واسطة، ثم إن أرواح أمته بواسطة روحه صلى الله عليه وسلم روحا فردا متعلقا به كالحديدة المتعلق بعضها ببعض، وكل حديدة ظهر فيها خاصية المغناطيس كأنها المغناطيس وإن تغاير الجوهران، فتنبه لهذا فهو مما يقصد هنا)).

((وقد أشار صلى الله عليه وسلم لهذه الحالة بقوله: فمن رآني فقد رأى الحق[1]. وقد ظهر هذا على بعضهم حالا [108] أو مقالا، ويكون تصريحا أو تلويحا، فبما تكلم به بعض أمته بكلام رباني أو نبوي على طريق الحكاية ؛ لا يتوجه عليه إنكار، وليسلم إلى أهله. وإلا فهو جناية والتسليم ولاية. والتصديق عناية)) .

((وأما من قصر علمه، وكل فهمه، ووقف خلف الظلال لعقله بالعقل، وتقيده بظواهر النقل ؛ فقد تخلف عن مشهده خلف شاهده، قائما بحسه في محراب وجوده، فحسبه من زيارته ؛ حصول الأجر، وموعظة القبر، فنفعه حاصل، وخـيره واصل، وقد تقدم دليله، وسبق تعليله ﴿ قل كل يعمل على شاكلته ﴾. [الإسراء: 8]، ﴿ ولا تقف ما ليس لك به علم ﴾. [الإسراء: 36] . ومن زاد مع قصر الباع وضيق المتسع ؛ ضل في الأوهام، وصـدق عليه قوله تعالى: ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾. [يونس: 39]. وأما من فني في التوحيد، وحصل له الجمع التام، وكان فرداني الصفات، وحداني الأفعال، دائم الشهود، واتحد عنده الشاهد والمشهود ؛ فقد استراح وأراح، وطلع فجره ولاح، فذهبت عنه علل التقييد، وأوحال التوحيد . قد استوى فرقه وجمعه، وإثباته ومحوه، وبعده وقربه ؛ فهو إن فعل ؛ فبالله، وإن قال ؛ فمن الله، وإن جلس ؛ فمع الله،

[1] رواه البخاري (6595)، (6596) عن أبي قتادة وأبي سعيد، ومسلم (2267) عن أبي قتادة كذلك.

وإن ذهب ؛ فإلى الله. وحيث نظر ؛ رأى الله. قد اتحد مزاره، وأحاطت به أنواره، فهذا مقام تقصر عنه العبارة، ولا تلحقه الإشارة إلا إيماء إشارة العارف للعارف ؛ إذ لا يفهم عنك إلا من أشرق فيه ما أشرق فيك، فليترك لأهله، ويقبض العنان عن الخوض فيه ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي... ﴾. الآية .[الكهف: 10]. والسلام)).

[معنى : إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد؛ تناهت إلى حيرة ، وهل هو حديث]:

وسئل – رضي الله عنه – عن معنى ما زعم السائل أنه حديث ؛ وهو: ((انتهى عقل العقلاء إلى الحيرة)). والذي نعرفه من كلام الشيخ أبي بكر بن هوارى البطائحي – رضي الله عنه: ((إذا تناهت عقول العقلاء في التوحيد ؛ تناهت إلى الحيرة)) . ذكره صاحب "الروض الناضر، في مناقب الشيخ عبد القادر" رضي الله عنه.

فأجاب بقوله: ((الحيرة والتحير لغة: الهيمان من تفرق النظر في شيء وامتناعه بحيث لا يجد له سبيلا، وما يقتضيه المقام التوحيدي هو: هيمان ينزل بالناظر لعجزه عن معرفة كنه الجلال، ونعوت الكمال ؛ فلا يجد لإدراك الكنه سبيلا ؛ لامتناع إدراك الحقيقة على الصحيح، وامتناع الإحاطة بها . قال تعالى: ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾. [طه: 110]. والناس في مواردهم على حسب مشاربهم مواجد مختلفات، وفي توحيدهم معارج متعددات: إيماني وبرهاني وإحساني، وعلى ترتيب العوالم الثلاثة: فعلا وصفة وذاتا . فمشرب العبد على حسب وسعه وسلامة ذهنه كما سبق في العلم الأزلي، عامة وخاصة، وخاصة الخاصة، [109] ﴿ قد علم كل أناس مشربهم ﴾. [البقرة: 60]، ﴿ كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك ﴾.[الإسراء: 20].)) .

((فالعامة وقفوا مع الدليل خلف الباب ؛ فأعطوا نصيبهم من وراء حجاب. فحيرتهم: عجزهم عن الإحاطة الممنوعة شرعا، إذ العقول معقولة مهما رامت أو طلبت ما ليس لها طلبه ؛ زجرها زاجر الشرع، واكتنفها وارد المنع ؛ فرجعت القهقرا، ونكصت إلى ورا ؛ فانحطت عن مدارك الوصول، فهي مترددة بين الرد والقبول، متفاوتة الفقد والحصول، فحظها ونصيبها من ربها:

قف بالديـار فهـذه آثـارهـم	وابـك الأحبـة حسـرة وتشـوقا
كم قـد وقفـت بربعها مستخبـرا	عن أهلـها أو داعـيا أو مشفقا
فأجابنـي داعـي الغـرام تحرقـا	فارقـت مـن تهـوى فعـز الملتقى

((**وتوحيد الخاصة:** يقين في القلب عن علم ضروري، يرد عن مكاشفات، ولها ثمرات ومنازلات تدرك بالتحلي والمصافاة، فحيرتهم من بساط مقامهم، منازلة هيمان ينزل عن بديهة، يرددهم بين اليأس والطمع في الوصول إلى مطلوبهم. وكمال مرغوبهم:

ويطمعني فيـه عـذوبة وصلـه	وتقطعـني عنـه سيوف قواطـع

وأعلــم أن النجــم دون وصالــه ولكن لـي قلبـا دهتـه المطـامـع

« لا يطمعهم الوصل فيدلجون، ولا يؤيسهم عن الطلب فيستريحون. قد كشف لهم تعالى عن أوصاف جماله، ونعوت كماله ؛ فهم سكارى متحيرون، ما بين طيش وعيش ولهون. فإن تجلى لهم؛ طاشوا، وإن حجبهم ؛ عاشوا . قد أخذهم عنهم ؛ فهم بلاهم. فأفناهم عنهم به له فيه ؛ فهيمهم، وأشهدهم منه إليه عليه؛ فأحياهم. قد نظروا به إليه ؛ فتحققوا أن لا دليل عليه تعالى سواه. وعرفوا أن لا وصول لشيء من معارفهم، إلا بتأييد وتخصيص من موجدهم:

تحيـرتُ فيــك فـخــذ سيـدي دليـلا لمــن قــد تحيـر فيــك
ورُمْـتُ الوصــــول فلــم أهتـــد وأنــت الدليــل لمـن يرتجيــك

« **وتوحيد خاصة الخاصة:** عن مشاهدة ووجدان منحوا حق اليقين، وأعلى مراتب العارفين، فحيرتهم كما يليق بهم، وعلى قدر مواجدهم . هو: هيمان من تحقيق نظرهم في مشاهدة كمال محبوبهم، كما يتحير البصر من مشاهدة نور الشمس تقريبا، وهذه الحيرة هي من مصادمات الحب، ومواجد القرب، يتوالى شربهم عليهم ؛ فهم في حضرة الجمع قاطنون، وبه إليه ناظرون، وبه فيه ذاهبون. قد غابوا عن التوحيد في التوحيد بالتوحيد ؛ [110] لاستهلاكهم في مشهدهم، وبقائهم بمحبوبهم على ساق التجريد، وقدم التفريد . قد أهلهم الله لحضرته، وحلاهم بمعرفته، وأقامهم مقام قربه ومشاهدته، تحفهم أحوال سنية، وآداب سَمِيَّة ؛ فعندها يعترفون أنهم عن مداركها قاصرون، فيتحقق العبد أنه – وإن بلغ أقصى الغايات، وأنهى المنازل – فهو عن ذروة أعلاها، وغاية أقصاها ؛ منحط نازل. لأن جميع الطاعات، وأنواع القربات، في مقابلة حقوق الهيبة جنايات، وكل أنواع المعارف الحاصلة للخلق، في مقابلة كبريائه وعظيم جلاله ؛ نقص وتقصير، ومنة منه تعالى وفضل، وبالنسبة لكماله وعلو جلاله قصور وجهل. فالعبد في أي مقام كان من المقامات – وإن كان عاليا جدا – إذا قوبل بجلاله صار عين التقصير ﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾. [الأنعام: 91]:

ولمـا تجلــى مـن أحـب تكَّرمـا وأشهدنـي ذاك الجمـال المعظمـا
تعـرف لي حتـى تيقنـت أنني أراه بعينـــي جهـرة لا تـوهــما
ومــا هــو في وصلـي بمتصل ولا بمنفصـل عني وحاشـاه منهما
ومـا قـدر مثلـي أن يحيط بقدره فأين الثرا من رفعة البدر انّما
أشـاهده في صفـو سـري فأجتلي جمـالا تعـالـى عـزه أن يُقَسَّـما

« فتوحيدهم هو التوحيد الذاتي ؛ انكشفت لهم أسرار الذات، ومعاني الصفات، حيث كانت معراجا لهم بقدر ما تسعه عقولهم، وتحمله أرواحهم ؛ رحمة من الله تعالى بهم ».

[مراتب أسرار أهل توحيد خاصة الخاصة]:

((**وهم في نيل هذه الأسرار على مراتب:** منهم من تنكشف له جملة، ومنهم من تنكشف له تفصيلا، ومنهم جملة وتفصيلا ؛ وهم الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام. وأعظمهم كشفا، وأعلاهم رتبة، وأوسعهم معرفة: سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم. فكانت هذه الأسرار التوحيدية، والأنوار الغيبية، قبل بعثه صلى الله عليه وسلم بحرا طامسا ، وسماء عابسا ، فبنوره ظهرت ، وبسره أشرقت ، صلى الله عليه وسلم، فجميع الحقائق ارتقت وتجلت في باطنه حتى صار قلبه معدنا لها، وباطنه مرساها، فقلبه صلى الله عليه وسلم معدن الحقائق والأسرار، وباطنه مهبط العلوم والأنوار، خص بذلك صلى الله عليه وسلم لاتساعه ؛ فما وسعه لا يسعه غيره)).

[جميع الأرواح إنما تتلقى من روحه ﷺ]:

((فأرواح العلماء، وقلوب العارفين، وسائر النبيين والمرسلين، وعباد الله الصالحين ؛ تتلقى من روحه صلى الله عليه وسلم العلم والحكمة والمعارف الربانية، والأسرار الملكوتية، فكل علم وحكمة نقطة من بحره صلى الله [111] عليه وسلم، فكانت حيرته صلى الله عليه وسلم على حسب معرفته، وكما يليق بمقامه وعلو منزلته، وحقيقة ذلك لم يدركها أحد بفهمه ﴿ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ﴾. [البقرة: 255]. الله من ظواهر الأمور دون بواطنها، وجليّها دون خَفِيّها، فالفهوم كلت، والعقول وقفت، وتضاءلت عن إدراك خفي سره، والوقوف على حقيقة أمره، ومَا يعلم ذلك إلا الذي خصه به سبحانه:

فهو الحبيب الذي حلت مواهبه	على الدوام فلا تخفى بَواديه
أفاض من عرفات الفضل بادية	من الجمال فكل تائه فيه
وأسبل الستر كي يبقى المحب له	ولو تكاشف مات الكل في التيه
قد طاب فيه لقلب الصب قتلته	ولذ فيه غرام ما يلاقيه
ألقى شواهده في قلب شاهده	وأين شاهده مهما يحاكيه؟ !
هذا الجمال الذي في حسنه ذهبوا	أهُوَ تجلى به أم هِيَ تَجلّيه

((فهذا الرسول الكريم بعثه الله دليلا عليه، وعرف الخلق الطريق إليه، وردهم إلى بابه الكريم، ونهج بهم الصراط المستقيم ؛ فدل على الله بأقواله وأفعاله، وأيقظ الأرواح إلى ملاحظة جلاله وجماله، فلم يخرق حجاب العظمة والوقار، ورفع عن بصائر العارفين حجب الأغيار، وظلم سحائب الآثار، بحجر العقول عن النظر في ماهية الذات وحقائق الصفات، وعَقلها بعقال شرعه المستقيم ؛ فأودع الله سبحانه نبيّه هذا السر العظيم، ليكون رحمة ونعمة للوجود، وحياة للأرواح، حيث حجبها عما فيه استهلاكها وفناؤها ؛ إذ لا قوة لها على

كشف الحقيقة، ولو كشف لها عن ذلك في هذه الدار ؛ لتفرقت الموجودات، وتمزقت وتركركت كما تركرك الجبل عند التجلي:

فلا يحيط به عقل فيدركه	جلَّ المهيمن عن إدراك مفتقر
تاهت عقول ذوي الألباب فيه وقد	كلت وضلت مجاري العقل والفِكَرَ

((وكما قصرت العقول عن كنه جلاله وجماله وكماله- ولو بلغت الغاية القصوى في الرجحان — قصرت الألسنة عن وصف ذلك الجلال والكمال، ولو كانت ألسنة العالم كله كلسان حسان وسحبان. وحسبك أن أرجح الناس عقلا، وأعظمهم علما، وأبلغهم في الفصاحة والبلاغة، وأحرزهم للمنزلة العظمى: من أوتي جوامع الكلم، وخص ببدائع الحكم صلى الله عليه وسلم قال مفصحا عن حق المقام، منبها لذوي النهى والأحكام: اللهم [112] لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك[1]. عليه من ربنا أزكى صلاة وأطيب سلام)).

[الفرق بين الإيمان والإسلام، ومعنى الجبروت عند الصوفية]:

وسئل — رضي الله عنه — عن مسألتين قال فيهما السائل: ((تحير فهمنا حين وجدنا في بعض التآليف: من قال: الإيمان والإسلام مخلوقان ؛ فقد كفر. ومن قال: غير مخلوقين ؛ فقد كفر حتى يفرق بينهما، ويعرف الحادث من القديم. فالقديم: إيمان المولى وإسلامه ؛ وهو قوله تعالى ﴿ السلام المومن ﴾. [الحشر: 23] وهما اسمان من أسمائه تعالى. وأيضا: ما المراد عند المتصوفة بالجبروت ؛ فقد سئل عنه القطب سيدي محمد ابن سليمان الجزولي فقال: ما يدرك منه طرف بالبصر، وطرف بالبصيرة. فقد صعب علينا فهم ذلك ؟ !)).

فأجاب: ((ما قاله القائل في الإيمان والإسلام ليس بمعروف، ولا في النصوص المعتبرة بمألوف، ولا وجه لما قاله في الإسلام ؛ لأن لفظ السلام ليس مأخوذا منه، فلا علاقة بينهما يترتب عليها ما ذكر)).

((وأما الإيمان ؛ فهو: التصديق. واسمه تعالى: المومن. معناه حاصل فيه ؛ لتصديقه تعالى بنفسه وكتبه ورسله، فيرجع إلى الكلام، وكلامه تعالى قديم ؛ فعلى هذا يفصل ويفرق بين القديم والحديث إذا اقتضت الحال ذلك لذكر الإيمان في معرض الشمول لهما، والمجمل في محل يتعين فيه التفصيل ؛ مخطئ لا محالة)).

((وأما الجبروت: فالكلام فيه متسع جدا، وقول الشيخ — رضي الله عنه – المذكور في السؤال: هو على رأي من يرى أنه واسطة بين الملك والملكوت ؛ كالسفينة بين السماء والماء، وهو مسبوق بهذا القول ؛ ينسب لأبي طالب والله أعلم)).

[1] رواه من ضمن حديث الإمام مالك في الموطأ (499) والإمام مسلم (486)، وأبو داود (879) والترمذي (3493)، والنسائي (1130)، وابن ماجه (384) كلهم عن عائشة رضي الله عنها.

« وقول غيره: هو أعلى من الملكوت ؛ ولهذا سمي جبروتا، مأخوذا من الجبر ؛ وهو القهراني. أي: العباد مقهورون عن إدراك كنهه. فيكون على هذا كعلم الذات، والملكوت كعلم الأسماء والصفات الدالة على الذات، والملك عِلم فعلِه الظاهر الدال على ما سبق. ويقال: الإنسان روح ثم نفس ثم جسم ؛ فالروح: عالم الجبروت، والنفس: عالم الملكوت، والجسم: عالم الملك. فالروح الجبروتي: مظهر الذات، والنفس الملكوتي: مظهر الصفات، والجسم الملكي: مظهر الأفعال، وعلى الأول- وهو: قول الشيخ - الملك: راجع إلى الأثر، والملكوت:راجع إلى الذات، والجبروت: راجع إلى الأسماء والصفات، وهو متوسط بينهما . فيدرك بالبصر: الأثر الدال عليهما، وبالبصيرة: المعاني الغيبية ».

« ووجه هذا القول: أن المذكور في القرآن هو: الملك والملكوت؛ وهو: عالم الغيب والشهادة، [113] لا غير، فليس إلا اثنان ؛ فكان الثالث كالنتيجـة يدرك بهما، ويستفاد منهما، وينشأ عنهما، ويدل عليهما ».

« ويقال: المُلك: ما ظهر. والملكوت: ما بطن. والجبروت: جامع لهما ؛ كالإنسان: ظاهره مُلك، وباطنه ملكوت ، وحيث جمع بينهما ؛ كان جبروتا ؛ فيدرك بالبصر والبصيرة. وبهذا كان أدل دليل على الله تعالى ﴿ وفي أنفسكم ﴾. . .الآية . [الذريات: 21]. ومن عرف نفسه ؛ عرف ربه. وألطف من هذا: أن الله خلق آدم على صورته. . . والكلام هنا يطول لا تحتمله هذه الورقة. والسلام ».

[هل ولد الرسول صلى الله عليه وسلم من نطفة من مني ؟ !]:

وسئل رضي عنه – عما قاله بعض الناس من أن: « من قال: خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم من نطفة من مني تُمْنَى ؛ فقد كفر. إنما هو كعيسى وآدم عليهما السلام !. قال السائل: كيف يكفر قائل هذا، وهل في ذلك نقص في جانبه صلى الله عليه وسلم ؟ !».

فأجاب: « هذا قول لا يعبأ به ولا بقائله، ولا يلتفت إليه، وما الكفر إلا فيما قاله ؛ لنفيه نسبه الشريف الثابت له بالعلم الضروري من ملته ، الواجب اعتقاده ؛ لتعيين شخصه الشريف الذي لا يحصل الإيمان إلا بتعيينه، وقد أجمع المسلمون على أنه: ابن عبد الله بن عبد المطلب حقيقة، **وتواتر ذلك عنه صلى الله عليه وسلم**، ولا يكون ابنه إلا إذا كان من نطفته. وفي قوله تعالى: ﴿ رسول من أنفسكم ﴾. [التوبة: 128] دليل واضح على ذلك. ولا يلحق جانبه الكريم نقص بسبب ذلك ؛ بل هو كمال. قال الشيخ أبو القاسم السهيلي في "الروض الأنف": هو من نطفة كسائر البشر. وبهذا يظهر تخصيصه وتفضيله على غيره ؛ إذ هو من جنس البشر، وأتى به توجيها فيما فعلته الملائكة من شق صدره وتطهير قلبه الكريم صلى الله عليه وسلم.وقال الشيخ سيدي سعيد العقباني: لما تكلم العلماء على الخلاف في طهارة المني استثنى أسودهم النطفة التي صور منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فلا خلاف في طهارتها. والكلام هنا متسع جدا لو اتسع المكتوب والسلام ».

[القضاء والقدر: هل هما مترادفان أو متباينان ؟ !]:

وسئل رضي الله عنه عن القضاء والقدر: هل هما مترادفان أو متباينان؟.

فأجاب: « اختلف في معنى القضاء والقدر من حيث الترادف والتباين ؛ فقيل: هما مترادفان بمعنى الإرادة. وقيل: بمعنى القدرة والإرادة. وقيل: مجموع القدرة والإرادة والعلم. وقيل: هما متباينان ؛ وهو قول الجمهور، فلكل واحد منهما معنى يخصه. وعليه مع كون أحدهما سابقا على الآخر اختلف في السابق منهما ؛ فقيل: القضاء سابق ؛ ومعناه: الإرادة الأزلية المتعلقة بالأشيـاء [114] على ما هي عليه فيما لا يزال. والقدر: إيجاد الله تعالى إياها على قدر مخصوص، وتقدير معين في ذواتها وأحوالها. ذكره السيد الشريف الجرجاني ونسبه للأشاعرة. وعلى هذا يرجع القدر إلى التعلق التنجيزي، ويتجه عود الضمير عليه من خيره وشره في حديث جبريل عليه السلام[1]. وقيل: القدر سابق، والقضاء متأخر. وعـليه الأكثر. فالقدر يرجع إلى الإرادة، وادعى بعضهم[2] الإجماع عليه. وقيل: يرجع إلى القدرة والإرادة ».

« والصحيح: أن القدر مجموع الثلاثة: القدرة والإرادة والعلم. قاله غير واحد، والقضاء: يرجع إلى الفصل. فعلى هذا: القدر يرجع بحسب القدرة إلى التعلق الصـلاحي أزلا، والقضـاء إلى التعلق التنجيزي».

« وقال الشيخ السنوسي رضي الله عنه: تعلق إرادته تعالى وعلمه أزلا بجميع الكائنات هو: القَدَر، وهو مما يجب الإيمان به. وإجراء الكائنات فيما لا يزال على وفق القدر: هو القضاء. فبان لك أن القضاء غير القدر، بل هو متأخر ناشيء عنه، وبه قال الإمام فخر الدين في تفسير قوله تعالى: ﴿ فقضاهن سبع سماوات ﴾. [فصلت: 12] فيرجع القضاء إلى الصفة الفعلية ».

« وقال الفاضل الطيبي رحمه الله: كل ما هو كائن: مسطور في اللوح، فالقدر كالأساس، والقضاء كالبناء عليه. وعليه كلام الراغب ؛ فقال: القضاء أخص من القدر ؛ لأنه التقدير، والقضاء: الفصل والقطع. وذكر بعض العلماء أن القدر بمنزلة المعد للكيل، والقضاء بمنزلة الكيل. ولهذا قال أبو عبيدة لعمر رضي الله عنهما: أتفر من القضاء؟. قال: أفر من قضاء الله إلى قدره. منبها على أن القدر ما لم يكن قضاء ؛ فمرجو أن يدفعه الله، فإذا قضي ؛ فلا مدفع له ». هـ.

« قيل لبعضهم: ما حكم الله أزلا، وما حكمه الآن، وما حكمه في المستقبل ؟. فقال: أما حكمه أزلا: فقدَّر مقادير الأشياء، ولا يقع الآن شيء إلا وقد قدر وقوعه في الأزل، في وقته الخاص، وصفته الخاصة، لا يتقدم شيءٌ، ولا يتأخر، ولا يتبدل ولا يتغير. وأما حكمه الآن؛ فيقضي ما قدره في أزله شيئًا بعد شيء ﴿

---

[1] حديث جبريل الشهير، وفيه من أركان الإيمان: ((أن تؤمن بالقدر خيره وشره)). انظره في صحيح مسلم (8) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

[2] هو ابن ناجي (حجرية).

﴿كل يوم هو في شأن﴾. [الرحمن: 29] أي: كل وقت هو تعالى ينفذ ما سبق به قدره، لا إله إلا هو العزيز الحكيم)).

وأجوبة الشيخ – رضي الله عنه – كثيرة في فنون مختلفة، لو جمعناها لكانت كتابا مستقلا، وفي هذا القدر كفاية بحسب شرط الكتاب والزمن. المنذر بالفتن المزعجة عن الوطر والوطن[1].

الفصل الحادي عشر
في جمل [115] من كلامه رضي الله عنه

قد وقع إلي جزء مما كتبه الفقيه المتصوف أبو العباس أحمد بن محمد الجزولي من كلامه الذي سمعه عنه في مجالسه، وها أنا أثبت من هذا الطرف طرفا، وأورد منه وسائط عقود تهدي إلى لبات المسامع والألباب طرفا. وهو الذي سمح الوقت بوجوده، وجاد بميسوره وموجوده، على أن مقيده قد تصرف، وعبر بحسب ما تعرف.

قال رضي الله عنه: ((الأشياء كلها: ظاهرها الخلق وباطنها الحق)). قال شيخنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد – رضي الله عنه[2]: ((أي: من حيث التعريف، لا بالحلول والتكييف)).

[1] ويا حبذا أن يقوم باحث بجمع كلام هذا الإمام الجليل وترتيبه في أبواب وفصول بحسب السياق، ونشره في كتاب مستقل، سواء أجوبته ورسائله، وأماليه رضي الله عنه ونفعنا به. والمادة موجودة، خاصة في الكتب التي أفردت ترجمته، كهذا، و"ابتهاج القلوب" وكتب أبنائه وأخيه العارف.

[2] يقصد عمه الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي الفهري رضي الله عنه.

«العبد المخلص لا يخطر له الخَلْق ببال». قال شيخنا أبو محمد عبد الرحمن: «لعله بفتح اللام[1]. وأما بالكسر؛ فهو: في المجاهدة. وهي لا تنافي الخطور».هـ. وقد يكون المراد به: الذي صار له الإخلاص ملكة ومقاما؛ لتحققه به.

«المعتدل الطباع لا يشهد إلا الله. العوالم أربعة: عالم المُلْك، وعالم الملكوت، وعالم الجبروت، وعالم العزة. فعالم الملك يدرك بالحس، وعالم الملكوت: يدرك بمبادئ العقل. وعالم الجبروت: يدرك بنهاية العقل. ولا مجال للعقل في عالم العزة».

«السر: عبارة عن المشاهدة. وهي: تسمية اصطلاحية. المشاهدة: لا يسعها التعبير، والعقل قاصر عن الإحاطة بها. وإذا كان في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ فجنة المعارف أولى وأحرى. المعارف لا تتناهى. العبد مأمور بمجاهدةِ الهوى، ولولا الهوى لم تكن له مثوبة. وقيده النبي صلى الله عليه وسلم بالمتبع؛ لأن الهوى أمر لازم للبشر. قرب العبد من ربه على قدر بعده من طبعه. وقال أيضا: بعد العبد من ربه على قدر ميله إلى طبعه».

قال شيخنا أبو محمد عبد الرحمن: «هذا صحيح في الجملة، والذي كان يقرره الشيخ رضي الله عنه أن من سيق إلى الله من طبعه؛ كان أقرب إلى الله من طبعه، ومن سيق بالبعد من طبعه؛ كان قربه على قدر بعده من طبعه». هـ.

«الهمة على حسب الحال. من كانت حالته الرغبة؛ اكتسب المتشابهات، ومن اكتسبها؛ اتسعت شهواته، لأن مكتسب المال من الشبهة؛ تسلط عليه شهوة ينفق فيها تلك الشبهة. والمال إن كان من حق؛ خرج في حق. ليست الطريق بكثرة القيل والقال، ولا بكثرة الأعمال، وإنما هي بفراغ القلب مما سوى الرب. من أقطع القواطع: شغل القلب. كل باطن لم يشهد للظاهر؛ فهو باطل». [116].

قيل للشيخ رضي الله عنه: «ما معنى قولهم: الصوفي لا نية له؟». فقال: «لا يرى لنفسه عمــلا؛ فكيف ينوي في عمل غيره؟. لأنه غائب عن شهود الخلق بشهود الحق. وهذا وإن كان مقاما عاليا؛ فالكمال: هو الرجوع إلى الخلق بالحق حتى لا يخل بشيء من الشريعة».

«ما يكاشف به الولي في هذه الدار من الجنة والنار أو غيرهما: فهو مثال، بخلاف النبي؛ فإنه يرى ذلك حقيقة. الصادق مع الله لا يحب أن يطلع عليه أحد. من لم يكتف بنظر الله؛ فهو مخدوع. العارف: يكون الجمع في باطنه مشهودا، والفرق على لسانه موجودا. المشاهد للفعل غائب عن فعل نفسه، والمشاهد للصفات: غائب عن صفات نفسه. والمشاهد للذات: غائب عن ذاته. الناس يقولون: إن صاحب الوقت يتكلم بكل لسان. والمراد: يعطي كل ذي حق حقه: بلسان العامة للعامة، وبلسان الخاصة للخاصة... وهكذا سائر تصرفاته».

---

[1] أي: في لفظ المخلص.

قال شيخنا أبو محمد عبد الرحمن: « يعني: أن ما ذكره: هو الوصف اللازم له، وكونه يتكلم بالعربية والعجمية كرامة كشفية غير شرط، وقد تكون كما يذكر عن الشيخ أبي العباس المرسي، وأصله من السنة معلوم ».

« جرت السبعة في كثير من الأمور: كالسماوات والأرضين، والأيام وأطوار الإنسان في أصل خلقه وتكوينه، وكأعضائه ورزقه ؛ بدليل قوله تعالى: ﴿ *فلينظر الإنسان إلى طعامه* ﴾. . .الآية. [عبس: 24][1]».

قال شيخنا أبو محمد عبد الرحمن: « لم يتعرض للسر في ذلك العدد، وكان الشيخ يقول: لأنه المقام الجامع للأشفاع والأوتار. .» هـ. يشير بذلك إلى ما ذكروه في خواص الأعداد. قال في " رسائل إخوان الصفا": « السبعة أول عدد كامل ؛ لأن الأعداد أزواج وأفراد، وأزواج أزواج، وأزواج أفراد، فأول الأفراد: ثلاثة، وثانيهما: خمسة، وأول الأزواج: اثنان، وثانيها: أربعة، فالثلاثة والأربعة: سبعة، والخمسة والاثنان: سبعة. وذلك أصل المخلوقات العلوية . والأربعة: زوج الزوج، والستة: زوج الفرد. فالسبعة جمعت الفرد والزوج على الكمال. وفي الثلاثة نوع من الجمع ؛ فلذلك جرت أيضا كثيرا في أمور كثيرة. قال في الرسائل: الثلاثة أول الأفراد، وهي أول عدد جمع الفرد والزوج ». هـ.

« من لم يجعل همه هما واحدا؛ أثرت فيه العوارض لا محالة. الدعاء يكون على امتثال الأمر، وإظهار الفاقة ظاهرا، والرضى والتسليم باطنا. إذا لاح نور الباطن ؛ تلاشى نور الحس. كما أن ذكر اللسان يتلاشى عند ذكر [117] القلب. ذكر القلب: هو الحضور ».

ذكر الشيخ – رضي الله عنه – أنه كان لا يحب أن يجيء إليه أرباب الدولة والجند، ويثقل عليه ذلك ؛ فكان مرة في طريق مع رجل لم يسمه،فرأى على بعد جماعة منهم على خيلهم ؛ فقال للرجل الذي معه: « مل بنا إلى هذا الوادي حتى يحوز[2] أولئك ». ففعل. ثم قال له ذلك الرجل: « ناشدتك الله ؛ هل يخطر عليك الخاطر الظلماني أم لا ؟ ». قال: « فقلت له: نعم ». فقال لي: « فبم تدفعه ؟ ». قلت له: « بالعلم ». فقال لي: « فكذلك الورود: يكون ظاهرا وباطنا ». قال: « ففتح علي في الحين ؛ فكنت بعد ذلك لا أبالي. من غلبت روحانيته على جسمانيته ؛ قرب من الملك. ومن غلبت جسمانيته على روحانيته ؛ قرب من البهيمة ».

سئل رضي الله عنه عمن يمشي على الماء ؛ فقال: « غلبت روحانيته على جسمانيته فصار الجسم لطيفا وخفيفا، والخفيف يطلب العلو ».

وقيل له: « إن الصراط أرق من الشعر، وأحد من السيف ؛ فكيف المرور عليه ؟ !». فقال: « إن الهواء ألطف مما ذكرت، وترى الطائر يقطعه بقدرة الله تعالى ! ». وذكر في أثناء ذلك أن الناس في الآخرة

---

[1] بل: الآيات.
[2] كذا في الأصل ، والأظهر أنها : يجوز بالجيم؛ أي : يمر .

أجساد بأرواحهم كما أنهم في الدنيا أرواح بأجسادهم: « ألا ترى أن بعضهم تخرق له العادة في الدنيا ؛ فيكون فيها على حالة الآخرة ؛ فيمشي على الماء، ويطير في الهواء ؟! ».

« كل ما يشغل القلب ؛ فهو شغل ولو كان من واردات النور. سماع الحقائق من أهلها لمستحقها ؛ يورث النهوض. المشاهدة: أعلى الرتب. ليس فوق الصديقية إلا درجة النبوءة. المال لا يُذَم لذاته، وإنما يُذَم لعوارضه. حب الشيء على قدر الحاجة إليه. لا عُجْب مع شهود المنة. الرضى: سرور القلب بمر القضاء».

سئل رضي الله عنه عن قولهم: « العارف فوق ما يقول ». فقال: « لأنه يصل إلى حقيقة لا يقدر على التعبير عنها، وعلى الإحاطة بكنهها. العارف: لو حاول أن يخطر عليه السوى ؛ لم يقدر ».

وقيل له رضي الله عنه: « بماذا ينال الحب؟! ». فقال: « الاكتسابي له طريقان: الإحسان والجمال. وفي الحديث: جبلت القلوب على حب من أحسن إليها[1]. والجمال محبوب بالطبع، ولا إحسان كإحسان الله تعالى الذي أسبغ نعمه ظاهرة وباطنة، ولا جمال كجماله سبحانه ؛ إذ كل جمال فهو أثر لجماله، فلا جمال إلا لله سبحانه. فكل جمال ظهر ؛ فإنما هو فرع عن جماله. فعليك بحب الأصل، ولا تلتفت للفرع ».

قيل له رضي الله عنه: « إن بعض المحبين يصحبهم النُحُول، وبعضهم بضد ذلك ». فقال: [118] « الفريق الأول: من مشاهدة الجلال. والفريق الثاني: من مشاهدة الجمال. الآدمي كالمرآة: نوراني وظلماني، وبالظلمة تميزت فائدته – يعني: أنه روحاني جسماني – أول خاطر يخطر لك عند المهمات ؛ فهو ميزانك ».

ذكر عنده – رضي الله عنه – قول الجنيد رضي الله عنه: « وكان أمر الله قدرا مقدورا »، جوابا لمن قال له: « أيزني العارف ؟»، وقول الشيخ ابن عطاء الله: « ليت شعري لو قيل له: أتتعلق همة العارف بغير الله؛ لقال: لا !».

فقال الشيخ رضي الله عنه: « انظر كيف جوزوا وقوع المعاصي الظاهرة، ولم يجوزوا وقوع العيوب الباطنة؛ لأن العارف محفوظ، والحفظ لا يقع معه ذنب في الباطن. لا كالعصمة التي هي للأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فإنها لا يقع معها ظاهرا ولا باطنا. الفقر على بساط العلم غريب في الوجود ».

سئل رضي الله عنه عن وجه ذكر كل واحد من الخلفاء – رضي الله عنهم – بوصف خاص ؛ كما في حديث: « أنا مدينة العلم وعلي بابها »[2].

---

[1] رواه البيهقي في "شعب الإيمان" من طريق ابن عطاء (466)، وعن ابن مسعود مرفوعا (8983).

[2] رواه الحاكم في "المستدرك" (137:3) عن ابن عباس وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم في عدة مواضع وروايات مختلفة، و الطبراني في "المعجم الكبير" (65:11) عن ابن عباس كذلك، والحافظ البغدادي، في "تاريخ بغداد" (172:7) عنه كذلك. وقد أفرد طرقه شيخ جملة من شيوخنا الحافظ الشريف أحمد ابن الصديق الغماري في جزء خاص سماه: "البرهان الجلي في أن باب مدينة العلم علي" ملأه علما. وهو مطبوع متداول.

فقال : « هذا كالطبائع الأربع، وإنما يحكم على الإنسان بالغالب، والخلفاء رضي الله عنهم لم يخل أحد منهم مما حكم به على الآخرين ».

وسئل – رضي الله عنه – عن قول القائل: « وكساني محبوبي ثوب الاتصال ». فقال: « المراد بالاتصال: دوام الحضور، ورفع الستور. المعرفة: شعور بالحق، لا كشف عن الحقيقة ؛ لأنه لا يحاط بكنهه ولو في دار النعيم. رؤية الحق في المحشر ليست رؤية تنعيم، وإنما هي رؤية تتجلى فيها المعبودات، وكل واحد هنالك على قدر علمه في هذه الدار. قال تعالى: ﴿ *يوم تبلى السرائر* ﴾. [الطارق : 9] الاتصال: هو الانفصال عن لوث الصلصال. المراد بالمعرفة: معرفة حق لا معرفة حقيقة ».

سئل – رضي الله عنه – عن قول من قال: « خضّت بحرا وقفت الأنبياء بساحله ». فقال: « الولي لما فاجأته الحقيقة ؛ لم يقدر على حملها، ولم يثبت لها ؛ فغرق في بحرها، وغاب عن كليته لضعفه، وربما أخل ببعض الشرائع في غيبته. والأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – أقوياء ثابتون ؛ لا يُقدَر على التعبير عما هم فيه وما حصل في مداركهم. ومع ذلك لم يشغلهم شيء عن التبليغ والتشريع – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين».

« الخاطر الشيطاني والخاطر النفساني مذمومان ؛ إلا أن الشيطاني: من خارج الدار. وخطوره في دائرة الإسلام – أي: في الذنوب الظاهرة – وأما النفساني ؛ فمن داخل الدار، وخطوره في دائرة الإيمان، وهو في العيوب الباطنة ؛ كالحسد والكبر [119] وحب الجاه. . .وجملة الأخلاق الذميمة. وارد الخوف والرجاء، والقبض والبسط والهيبة والأنس ؛ وارد رباني، إلا أنه حيث كان لصاحب مقام الإسلام ؛ سمي خوفا، وحيث كان لصاحب مقام الإيمان ؛ سمي قبضا، وحيث كان لمن فوق ذلك ؛ سمي هيبة. وكل واحد منها أقوى من الذي قبله، وهي ومقابلاتها تابعة لشهود الجلال والجمال ». قال شيخنا أبو محمد عبد الرحمن: « شهود الفعل الذي هو أثر للجلال أو الجمال ؛ يكون عنه: الخوف والرجاء. وشهود الجلال والجمال: يكون عنه: القبض والبسط، والهيبة والأنس ».

« باطن العارف: نهار، وباطن التالف: ليل. والسر في الساكن . وكما أن السحاب قد تعرض للشمس ؛ فكذلك الظلمة: قد تخطر للعارف، ولكن لا تؤثر شيئا، لأن الساكن هو النور، والظلمة عارض لا أثر له، كما أن النور قد يخطر للتالف ؛ ولكن لا يثمر شيئا ؛ لأن الساكن هو الظلمة، وغيرها عارض. والعارض لا عبرة به، وإنما يعتبر الساكن في القلب ».

« العقل: يكسر صنم الخيال، والعبد آخر صنم يقطعه العقل. كل أحد على حسب شهوده ؛ العارف: لو أعطي ملك الدارين ؛ لم يرض دون الله بشيء. النظر في المخصوص يقرر النور في القلب، ويستجلب رحمة الله وخشيته. الرجل المخصوص: له نوران: نور جلب، ونور دفع. قد يقصد الشيخ المريد كالأسد، وقد يقصده المريد، وقد يكون في ذلك أمر رباني لا من هذا ولا من هذا ».

« زيارة الحي لا تعدلها زيارة الميت ؛ لأن الحي كله غلَة. إن من الكلام ما يشبه أن يكون كالدواء ؛ لا

يصلح في الغالب إلا لذوي العلل، وأما صحيح البنية ؛ فلا. مدار كلام السلف وما دونوه: كله راجع إلى نتيجة واحدة: وهي: نفي الإثنينية، وإثبات الواحد. من عرف الله ؛ لا يحب أن يُعْرَف »[1].

« الولي: متجه إلى القبلة دائما ﴿ إني وجهت وجهيَ للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ﴾. [الأنعام: 79]. الولي: لا تؤثر فيه العوارض، الولي لا يكون إلا على شكل أهل زمانه؛ الحية على صفة الأرض! ، وقياس المتأخرين على المتقدمين قياس فاسد ولو في القرب الذي يليه . الولي: لا يخطر عليه السوى . الولي: لا يملك شيئًا ولا يملكه شيء إلا الله تعالى ».

« لا يخرج عن عوائده ومألوفاته إلا من قوي يقينه، ولا يقوى اليقين إلا بمخالطة أهل اليقين. قل أن يسلم دين الرجل مع الانبساط. صاحب الأسماء إن لم يكن له كشف على علم الطبيعة ؛ فليس بكامل !». قال شيخنا أبو محمد عبد الرحمن: « بل يفسد أكثر مما يصلح [120] وكذا كان يقرر – رضي الله عنه – ولذا ينبغي مجانبة ذلك ؛ لأنه خطر ». هـ .

قيل له رضي الله عنه: « ما سبب الكسل وقلة النشاط للعبادة ؟ » . فقال: «بإحدى ثلاث: أكل الحرام، وارتكاب ذنب، واشتغال القلب بالدنيا . العلوم خمسة: علم انفرد الله به، وعلم بثه في اللوح، وعلم خص به ملائكته، وعلم خص به أنبياءه، وعلم خص به أولياءه. الروح: أصلها العلم، وكل ما عرض لها من الجهل ؛ فمن الطينة، فإذا صارت الروح حاكمة على الجسم ؛ عادت إلى أصلها . الولي الكامل: هو الذي تكون حالته في الدنيا مثل حالة أهل الجنة ؛ من خوف الأدب وغير ذلك. الحكمة في أهلها كامنة كحجر الزناد . الولي يتحدى بالكرامة، وليس ذلك لكل ولي. أول عقوبة تعجل لصاحب الذنب ؛ اسوداد القلب. لم يبق اليوم إلا التصرف بالضرورة، والأكل بالضرورة ؛ لغلبة الحرام. الحلال على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم: ما علم أصله وأصل أصله، وعلى عهد السلف الصالح: ما علم أصله. والحلال اليوم: ما جهل أصله. من كان ظاهره مستورا ؛ فقد أباح لك الشرع معاملته. ما ورد من المتشابه في كتاب الله تعالى أو حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال مالك وجماعة: ظاهره غير مراد، وله في نفس الأمر معنى مراد، والله أعلم بما أراد. وذهب المتأخرون إلى التأويل ».

قال رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ﴾. [الأنفال: 29] : « هو نور فارق يميز به الخلائق. من ابتلي بالخلق وهو على صريح الحق ؛ أعين على ذلك. كل ذاكر مذكور به. السالك لا يَشتغل بلقط الحجر. لا تكاد الدالة تزايل المحبوب ؛ كأن يقسم على الله تعالى فيبره، ولا أسرع للإجابة منها . وهي مخصوصة لخصوص يستخرجها الحق تعالى منهم جبرا، وتعرف بالذوق لأهلها لا بالخبر، ولا سبيل إليها من غيرهم؛ لأنها منه سوء أدب. يصل العبد إلى حالة لا توصف بجلال ولا جمال. صاحب التمكين – وهو: الرجل الكامل – ليس هو مع الهيبة، ولا مع الأنس. لا جلال ولا جمال ». قال شيخنا أبو

[1] اللفظة غير مشكولة في الأصل، وما شكلته هو الأظهر عندي، وفتح الياء أغمض !.

محمد عبد الرحمن: « يعني: لأن هذه الأحوال إنما تتعاور على الوجود، ومتى طاح الوجود في الشهود ؛ أخذ عن ذلك وغيره ». هـ. هؤلاء الذين يتلذذون بالبلاء ؛ شغلهم الأنس بالله عن الألم، وإلا ؛ فالألم حاصل!.

قيل له رضي الله عنه: « إن القوم كانوا يتلذذون بالبلاء، وينقبضون لبسط النعم! ».

فقال: « إن القوم كانوا أقوياء ؛ يفرحون بالبلاء من حيث إنه اختيار [121] الله تعالى وفيه رضاه، ورضاه تعالى أعظم النعم. وأيضا: البلاء مقرون بالثواب، بخلاف النعمة ؛ فإنما هي حظ عاجل يجب فيها الشكر، فإن من الله تعالى على العبد وخلص منه ؛ بقيت مطالبة القيامة، وهي: الحساب والعقاب. العلوم التي يفتح بها على أهلها ليست من التفكر والتخمين ؛ إذ هو نقص وشغل للعارف».

فقيل له: « يا سيدي ؛ أليس أن التفكر استمطار من الغيب؟ !».

فقال: « نعم ؛ ولكن التكلف مذموم، وإن حصل بشبهة علم أو فهم ؛ فهو محظوظ، وكل محظوظ محطوط. وهو نقص عند العارفين. حقيقة العارفين متحدة، والرتب مختلفة. علم الفقه مبني على القواعد ؛ ينشرح له الصدر، ويزرع النور في القلب. بخلاف مجرد النقول. كيف يطلب أو يستعان بغيره، وغيره لا يملك شيئا ؟!. وما ذلك إلا غاية الحمق والجهل ».

« القرآن أعظم الأبواب إلى الله تعالى، وأعظم الوسائل. إذا جيء بآية من كتاب الله تعالى، أو حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شاهدا على معنى ؛ فهو له كالتاج. من عامل الحق بالحقيقة، والخلق بالشريعة؛ فهو صوفي. ومن عامل الحق والخلق بالشريعة ؛ فهو سني. وفسر معاملة الحق بالشريعة: بالمعاملة على الأجور. ومن عامل الحق والخلق بالحقيقة ؛ فهو زنديق ».

« مما يجب الإيمان به: أن الجنة حرام على كل أحد حتى يدخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم. التصوف: هو القصد إلى الله بما يرضى من حيث يرضى. النفرة من غير الملايم للطبع ؛ لازمة للبشر، وهو لا بأس به إذا لم يكن ركون إليه. ومن طلب الخروج عن هذا ؛ فقد طلب المحال. وهذا يوجد في صاحب الوقت بعينه ؛ لأنه أرضي لا سماوي. فافهم، واحذر الإفراط والتفريط! ». قال شيخنا أبو محمد عبد الرحمن: « يعني: إنه حاكم على الأحوال الباطنة، مقيم لرسم الظاهر ؛ فهو أرضي ظاهرا، سماوي باطنا. لا أنه أرضي الهمة! ».

سئل – رضي الله عنه – عن الفرق بين الغضب لله والغضب للنفس. فقال: « الغضب لله: هو الغضب لنصرة الحق. والغضب للنفس: هو الغضب لنصرتها. إذا رأيت المريد يحن إلى السماع ؛ فاعلم أن فيه بقية من البطالة. إن رخص لك في السماع ؛ فلا تعمل عليه، وإن شدد لك فيه ؛ فكذلك. وخذ من قوله صلى الله

عليه وسلم: استفت قلبك وإن أفتوك[1]. فإن كان السماع يردك إلى الله تعالى ؛ فلا بأس به. وإن كان يصدك عن الله، ويقوي مادة الهوى ؛ فحرام)).

ذكر بين يديه – رضي الله عنه – اجتماع الفقراء بالليل، وذكرهم كلام [122] الشيخ الششتري وغيره على عادة أهل فاس ؛ فقال رضي الله عنه: ((الذي عندي في هذا الاجتماع بالليل في الديار: أنه من البطالة ؛ إلا إذا كان المتسبب فيه رجلا محبا يغلبه الشوق ؛ فيجعل ذلك راحة لحاله. العارف لا يستند إلى شيء. وإن كان في ظاهره له معارف؛ ففي حال الرجاء فقط، وأما في حال الشدة ونزول المصائب ؛ فإنه حينئذ ينكرها، ولا يلتفت إليها، اكتفاء بالله تعالى الذي هو رب كل شيء ومالكه)).

((كأني أضحك من بعض الناس أراهم ينتسبون إلى هذه الطائفة، ثم إنهم يتذللون للظلمة ليقع لهم بذلك تحرير من الوظائف أو نحو ذلك. والذي أعرفه غير هذا: أن من كان واقفا ببابه تعالى؛ يحتاج الناس إليه ولا يحتاج هو لأحد. لأن الغني في الحقيقة: هو الواقف بباب الله تعالى ؛ ولو لم يملك شيئًا من الدنيا. والفقير: هو الشارد عن بابه تعالى ؛ ولو ملك الدنيا كلها. فلا يكون التذلل إلا لله تعالى. الغني الوهاب. من كان مؤيدا بالله تعالى، محفوفا بالنصرة منه ؛ لا يذوق ألم البلاء . العارف: لو طرح في لظى؛ لم يتكدر صفوه. من نزل به أمر فاضطرب له ؛ فهو دليل على عدم الصدق في دعواه. من انزرعت محبة الله في قلبه ؛ لم يتتبع عورات الناس. الزهد: عبارة عن برودة الدنيا من القلب حتى تصير كالميتة مرة واحدة لا عبرة بها، ولا يلتفت إليها؛ وذلك لليأس من النفع بها)).

((**الصفات الجامعة:** سميت جامعة ؛ لجمعها معاني سائر الصفات، وأيضا: لجمعها بين النفي والإثبات. فيقال: تعاظم بكذا وتعاظم عن كذا. وقس عليه الصفة الذاتية للعبد: لا تدفعها العوارض ؛ لأن الذاتي: أصل، والعارض: فرع. والأصل أثبت من الفرع، وأحق منه بموصوفه، كالفقر والغنى للعبد ؛ فالفقر: أصل، والغنى: فرع. وذلك أن العبد: عدم محض لا وجود له من ذاته، إنما وجوده بموجد أوجده، فإذا كان العبد في وجوده مفتقرا لموجد ؛ فكيف يدعي الغنى بعارض خارج عن وجوده، وهو مفتقر في وجود نفسه التي هي أقرب؟ !)).

((**اليقين:** عدم اضطراب القلب بحيث لا يعرض له شك ولا وهم، وهو على ثلاث مراتب: فما كان منه على طريق الخبر ؛ سمي: علم اليقين. وما كان من الكشف والعيان ؛ سمي: عين اليقين. وما كان من طريق الوجدان ؛ سمي: حق اليقين. وصاحب هذه الحالة قد لا يشعر بنفسه، وقد يشعر ؛ ولكنه يأنف من الرجوع إلى السوى[2]. والكامل: هو الذي يرجع إلى الخلق بالحق، وهو كمن يقرأ بالسبع ثم إنه يتنازل لتعليم الحروف [123] للصبيان وليس هو هناك. الصوفي: كالمصلي أو المعتكف، وذلك أن المصلي أو المعتكف ليس

---

[1] رواه الإمام أحمد من غير لفظة: ((وإن أفتوك)) . (17543)، والدارمي (2438)، وأبو يعلى (1586) كلهم عن وابصة الأسدي رضي الله عنه.
[2] السوى: مصطلح صوفي يراد به كل ما سوى الله تعالى .

هو مع عوائده ؛ أخذ عن المألوفات والمحبوبات. لا تستحسن غيره فتحجب عنه، لأن ذلك الغير إنما ظهر به ومنه، ولولا هو ؛ لم يظهر. الحقيقة: شهود أمره، والشريعة: قيام بأمره)).

((**اسم الجلالة:** اسم جامع للذات والصفات والأفعال ؛ وهو صالح للتعلق، دال على الحق. فمن كان ذاكرا له — وهو مثبت لوجود نفسه، مشاهد لفعله، باق على حاله — لم يثبت له هذا الذكر، وكل اسم يذكره العبد ولم يأخذ بشيء؛ فما دل عليه الاسم أو بشيء من معنى الاسم ؛ لم تشرق فيه خاصية الاسم، وكل اسم لابد له من خاصية)).

قيل له رضي الله عنه: ((ما الفرق بين المخلِص (بالكسر) والمخلَص (بالفتح) ؟)).

فقال: ((المخلص (بالكسر): مشاهد لفعله. والمخلص (بالفتح): مأخوذ عن فعله. وقت الصلاة حُبُس، والحبس لا يملك. المحروم: من تعود سماع الحقائق ولا يعمل بمقتضاها ؛ فيتخذها حرفة يتجمل بها في المجالس ؛ فلا يجيء منه شيء. وكثرة سماع الحقائق: تفسد القلب كما أن كثرة المياه تفسد الزرع، وحق العبد إذا سمع حقيقة: عمل بمقتضاها، وحينئذ يطلب غيرها. وأما كثرة الوضوء وقلة الصلاة ؛ فليس بشيء !)).

قيل له رضي الله عنه: ((كيف تقول: الله فاعل بذاته أو بقدرته؟)).

فقال: ((تقول: فاعل بقدرته فرارا من مذهب المعطلة، والفاعل على الحقيقة هو: الذات. السائر إلى الله تعالى لابد له من التخلي عن عوائده ومألوفاته، وقطع أسبابه، وجميع ما يستند إليه ؛ حتى لا يبقى له التفات للغير، فإن حصل تأييد الله له ونصرته إياه، وأراد منه تعالى الرجوع للخلق ؛ أتاهم بوجه آخر غير الأول. الشمس لا تظهر بغيرها، وإنما تظهر بنورها، وبه أيضا احتجبت ؛ فلا تدرك ذاتها على ما هي عليه، فاحتجابها بما به ظهورها. السماع بطبيعة النفس: حرام. وبطبيعة الروح: جائز. خالص التوحيد: هو التصوف. لا يقمع الهوى إلا وافر العقل. صلاح العقل: فيما أهل له ؛ بأن يكون نظره للأشياء من جهة بواطنها وما احتوت عليه من المعاني. وفساده: في غير ما أهل له ؛ بأن يكون نظره قاصرا على ظواهر الأشياء، لا يتعداها إلى ما احتوت عليه من المعاني والحكم التي يزداد بها نورا على نور)).

((الجولان في المحسوسات يسمى: تخيلا، والجولان في المعقولات يسمى: تفكرا. فالتخيل: مذموم. والتفكر: محمود. من كان يكثر الجولان في المحسوسات [124]: كثر تخيله، ومن كثر تخيله ؛ كان قلبه كالبيت الذي فيه التصاوير، وورد أن الملائكة لا تدخل بيتا فيه تصاوير[1]. فإذا كانت الملائكة تمتنع من الدخـول في البيت المحســوس لأجل التصاوير ؛ كانت تمتنع من القلب الذي فيه تصاوير التخيلات !. والملائكة أهل رحمة الله، وتخلفها الشياطين؛ وهم أهل البعد والطرد من رحمة الله)).

---

[1] انظر معنى الحديث في البخاري (3054)، ومسلم (2106) عن أبي طلحة رضي الله عنه. بلفظ: ((لاتدخل الملائكة بيتا فيه صورة)).

« عالم الخلق: عالم الأشباح، وهو عالم مركب يتحيز أو ينقسم، وينمو طورا بعد طور إلى حد إرادة باريه سبحانه. وعالم الأمر: عالم الأرواح، وهو عالم بسيط تخلق الروح فيه دفعة واحدة دون تدريج ونمو. والأول: ظلماني. والثاني: نوراني. وإنما ظهرت فائدة الروح بظهورها في العالم الجسماني؛ كالمرآة: حيث اتصلت بالظلمة أفادت النظر، وقبل ذلك لم تفد شيئا. الروح من عالم الأمر ؛ ملكية نورانية، مخلوقة دفعة واحدة، وإنما تكملت بظهورها في عالم الخلق ؛ لأن التفاضل والأعمال إنما ظهرت في هذا العالم لنيل الثواب الأخروي ».

« **المجذوب السالك:** أتم من السالك المجذوب. السالك لا يسلك إلا بالجذب، وأول جذبة للسالك: اليقظة؛ لأن الغفلة نوم، والنائم لا يشعر بشيء. المجذوب إذا أطلق: هو الغائب في شهود الذات. من عرف الله لا يحب أن يعرف. العارف: لا يختار على الله شيئا. العزلة: هي الانفراد، وهي: حالة للقلب. وإلا؛ فقد يكون العبد معتزلا عن الخلق ببدنه وهو معهم بقلبه. والمعتبر: هو القلب. ومن كان منفردا بقلبه ؛ لا تضره المخالطة. العارف : يرى سر الوحدانية في المطيع والعاصي كما يرى سر الوحدانية في النور والظلمة. العارف بالله شاهد حكمته وسره وجماله في كل شيء. لو أعطي العارف من العرش إلى الفرش ؛ لاستحيى وخاف أن يكون ذلك حظه من الله تعالى، ولذلك كانوا يتلذذون بالبلاء ؛ لأنه خارج عن الحظ ».

« **التوحيد:** ترك الاعتراض. الذكر: حرفة الفقير. أوقات الفقير. كلها مرفوضة إلا ما هو فيه. الولي يحيي ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن الولاية توجب النصرة، فلا معنى لولي الله إلا الناصر لدين الله». قال شيخنا أبو محمد عبد الرحمن: « كنا نسمع من الشيخ: من صح فقره إلى الله ؛ صح غناه به. فالفقير إلى الله: هو الغني بالله ».

هذا ما تيسر كتبه هنا مأخوذا من الجزء الذي وجدته من كتاب الفاضل أبي العباس الجزولي – رحمه الله – واقتصرت على هذا القدر ؛ ليناسب نمط الكتاب، وما نقلته عن شيخنا أبي محمد عبد الرحمن بن محمد [125] الفاسي رضي الله عنه وجدته في طرر بخطه على الجزء المذكور. والله ولي التوفيق.

الفصل الثاني عشر
في آخر أمره إلى وفاته رضي الله عنه

كان شأنه – رضي الله عنه – على ما تقدم ذكره، وكان قوي البدن، ومع ذلك لا يكاد يخلو في كل سنة من مرض يلزمه الفراش مدة، وكان غالب مرضه: الحمى.

إلى أن كان قبل وفاته بنحو عامين ؛ لازمته أمراض تلزمه الفراش مدة، ويبل منها أخرى ؛ فيخرج إلى

المسجد ويجلس للقراءة بين يديه. فقرأنا بين يديه ما تقدم ذكره في الفصل السادس إلى أن انتهينا في "الحِكَم" و شرحه كما تقدم إلى قوله: « عجب ربك من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل! » . وذلك عشية الأحد الحادي عشر من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وألف.

وهذا حديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والبخاري في صحيحه، وأبو داود في سننه من حديث أبي هريرة — رضي الله عنه — عن النبي صلى الله عليه وسلم بلفظ: « عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة في السلاسل »[1]. ونزع به الشيخ تاج الدين رضي الله عنه مقتبسا منه. ومعنى عجب: عظم ذلك عنده وكبر لديه. وقيل: معناه: رضي وأثاب.

[الخلاف في يوم المولد الشريف]:

ووقفنا في القراءة هنالك مستقبلين الصنيع للمولد الشريف في تلك الليلة المقبلة، وفي غدها ؛ وهو يوم اثني عشر من الشهر، على ما اشتهر بين الناس ؛ وهو: قول ابن إسحاق أنه صلى الله عليه وسلم ولد في الثاني عشر من ربيع الأول ؛ وفي ذلك أقوال:

قيل: في الثامن ؛ وهو الذي اختاره أكثر أهل الحديث، وأجمع عليه أهل التاريخ أو كادوا يجمعون عليه. وقيل: لليلتين. وقيل: لعشر. وقيل: لثمان بقين منه. وقيل: اليوم غير معين.

والصحيح: أن الشهر: ربيع الأول. وقيل: محرم يوم عاشوراء. وقيل: صفر. وقيل: ربيع الثاني. وقيل: رجب. وقيل: رمضان . . . والاتفاق أنه يوم الاثنين، وصح به حديث مسلم.

[متى ولد صلى الله عليه وسلم ليلا أو نهارا؟]:

واختلف هل ولد صلى الله عليه وسلم ليلا أو نهارا ؛ فقيل: ليلا. واستدل القائلون به بما رواه ابن السكن من حديث عثمان بن أبي العاصي عن أمه فاطمة بنت عبد الله الثقفية من أنها: شهدت ولادة النبي صلى الله عليه وسلم ليلا. قالت: « فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور، وإني لأنظر إلى النجوم تدنوا حتى إني لأقول: لتقعن علي ». وبتصريح عائشة — رضي الله عنها — بذلك كما رواه الحاكم.

وقيل: ولد نهارا. وهو الأصح ؛ كما صرح به حديث مسلم وغيره. قال [126] الهيثمي: « بعيد الفجر كما في حديث ؛ وإن كان فيه ضعف، فإن الضعيف في الفضائل والمناقب حجة اتفاقا ».هـ .

[شروط الأخذ بالحديث الضعيف]:

---

[1] انظر مسند الإمام أحمد (7953)، والبخاري (2848) وأبا داود في سننه (2677) كلهم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وما قاله من الاحتجاج به في الفضائل والمناقب ؛ قاله كثير من العلماء، وما قاله من كونه اتفاقا؛ فيه نظر. فإن جماعة منهم: القاضي أبو بكر بن العربي منعوا الاحتجاج بالضعيف مطلقا. ثم العمل به عند القائل به في فضائل الأعمال ظاهر ؛ فإن الشارع رتب الأحكام للمكلف على ظنه بشروطه، فلا مانع من كون الضعيف مما يرتب عليه نوع منها شرعا. فإن الضعيف مما يرجح طرف الحكم ؛ فيكون ظنا لا محالة يكتفى به فيما لا يطلب فيه الظن القوي.

على أنهم اشترطوا فيه: أن لا يكون شديد الضعف ؛ فإنه حينئذ يضعف الظن الناشئ عنه عن الاعتبار. وأن يكون مندرجا تحت أصل عام يكون ذلك الأصل شاهدا له في الجملة ؛ فيكون ذلك الأمر مطلقا مستندا لذلك، وإنما استند للضعيف في خصوص الصورة. قال ابن حجر: « فيخرج ما لا يكون له أصل أصلا ». وأن يكون العامل به لا يعتقد عند العمل به ثبوته ؛ لئلا ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يقله. فالاعتماد إنما هو على الأصل العام، والضعيف كأنه منبه على صورة خاصة. والله ذو الفضل العظيم.

وهذا في فضائل الأعمال كما رأيت، وأما المناقب: فإنها يبعد ذلك منها ؛ لأنها ترجع إلى الإخبار عن أمر واقع، وإن طابقه ذلك الواقع كان صدقا، وإلا ؛ فلا. لكن يمكن العمل فيها على شاكلة ما تقدم في الأعمال ؛ فيشترط فيها أن يكون من نسبت المنقبة له قد شهدت حاله له، وثبت له ما يقتضي صلاحيته لتلك المنقبة، فيعتمد على ما ثبت عاما لحاله، ويستأنس في خصوص المنقبة بالضعيف، ولأن اعتقاد الفضل لأهل الفضل شهر له الشرع في الجملة، وهو من جملة الأعمال المرتب عليها الجزاء، فلعل المنقبة المعينة كفضيلة العمل المعينة ؛ فيكتفى فيها بما ذكر، ويرجى الثواب عليها من فضل الله تعالى، ولا يعتمد على الضعيف في الوقوع.

ويبقى النظر في كون الميلاد الشريف ليلا أو نهارا مما يجري فيه ذلك. وأنت خبير بما فيه. وغاية الأمر: أن الضعيف موافق لأحد طرفي التجويز العقلي، ثم لا ينهض معينا له.

[ما لا ينبني عليه شرع هل يستدل له بالقطع أم لا؟]:

وقد اختلف فيما لا يطلب اعتقاده شرعا من الأمور التي ليست بعملية ؛ مثل: كون الأرضين سبعا: هل يكتفى فيها بأخبار الآحاد أم لابد من القاطع ؟. فذهب الإمام المازري، والشيخ ابن عرفة إلى أنه يكتفى فيها بخبر الآحاد. وذهب الشيخ عبد الحميد الصائغ إلى طلب القاطع [127]. والظاهر أن ذلك بحسب الناظر ؛ فإن استشرفت نفسه إلى علم الأمر على ما هو عليه ؛ فلابد له من دليل قاطع، فإن العلم لا ينتجه إلا القاطع. وإن لم تستشرف نفسه إلى العلم، وقنعت بالظن أو الشك ؛ كفاه ما ينتج ما قنع به، وعليه درج أكثر الناس، وأما الشرع: فلا يطلب منه علما ولا ظنا. قال الهيثمي: « فمن أطلق أنه صلى الله عليه وسلم ولد ليلا ؛ أراد بالليل: ما قبل طلوع الشمس، أو أراد: مجاز المجاورة ».هـ .

وقد اختلف فيما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس ؛ فأما الفلكيون فهو عندهم من الليل ولا إشكال. وأما

علماء الشرع: فالأكثر أنه من النهار. وقيل: إنه من الليل. وقيل: إنه ليس بليل ولا نهار.

وكان الشيخ أبو المحاسن – رضي الله عنه – يقول: «إن النبي صلى الله عليه وسلم ولد مقارنا للفجر». فأما الدليل خاص؛ لم نقف عليه أو الجمع بين الأدلة. وتوسط للتجوز أو الكشف والله أعلم. وهو على كل حال مناسب؛ فإنه صلى الله عليه وسلم ماح لظلام الشرك؛ فيكون ماحيا للظلام حسا ومعنى.

وكيف لا؟!. وهو صلى الله عليه وسلم الفجر الأعظم، ومن نوره تستمد أنوار العوالم بأسرها. وقد وصفه خالقه بأنه: سراج منير[1]. فهو الفجر الحقيقي صلى الله عليه وسلم.

وقد كنا يوما نتكلم في وقت ميلاده صلى الله عليه وسلم، وذكرت القول بأنه كان في الليل. فاستعظم ذلك بعض الحاضرين ممن تقدم له ذوق؛ وقال: «كيف يوجد النور الأعظم، وتبقى من الظلام بقية؟». فذكرت له القول بمقارنة الفجر؛ فكان طلوعه وطلوع الفجر سواء. فكاد يطير سرورا به واستحسانا وطربا.

وكان الشيخ أبو المحاسن يرخص في السماع للمولد الشريف؛ فيجتمع لذلك عنده خلق عظيم، ويحضر أهل السماع الذين يحفظون مقطعات الشيخ أبي الحسن الششتري وما يجري مجراها، ويحكمون صناعة تلحينها دون آلة، ويحكمون طرق تلحين الميلاديات؛ المعربة: الموزونة بأوزان الشعر العربي. وما يجري مجراه. والملحونة: الموزونة على عروض البلد وغيره على العادة في ذلك بحضرة فاس. ويشرعون في ذلك بعد صلاة الصبح في أول وقتها؛ فيبدؤون بالميلاديات، فإذا قضوا منها وطرا؛ أخذوا في الششتريات وما يجري مجراها إلى قرب الزوال.

وكان يرى أنه أعظم أفراح المسلمين وأعيادهم التي للسماع فيها أصل في الشرع أصيل كما تقرر في محله.

[أصل عمل المولد الشريف]:

وما جرى الرسم به في الآفاق من الاحتفال له منذ مئين من السنين، وإلحاقه بأعياد المسلمين؛ مما تولى [12] العلماء – رضي الله عنهم – تمهيد سبيله، وتأييد دليله، بما يشفي صدور قوم مومنين، وتطمئن له قلوب المحبين الموقنين.

وقد كره الشيخ سيدي الحاج ابن عاشر صيامه، ووافقه الشيخ سيدي أبو عبد الله بن عباد، وقصته معه في ذلك شهيرة.

قال الخطيب أبو عبد الله ابن مرزوق: «أول ملك قام بالمغرب بإقامة ليلة المولد الشريف: أبو يعقوب يوسف المجاهد المريني[1]، وكان العزفي – رضي الله عنه – قد أقامه بسبتة، وبه وقع الاقتداء».هـ. ومات أبو يعقوب سابع ذي القعدة عام ستة وسبعمائة.

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وداعيا إلى الله وسراجا منيرا ﴾. [الأحزاب: 45-46].

ومما ينزع به في الفرح بالمولد الشريف: قوله تعالى: ﴿ *قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا* ﴾. [يونس: 58] وقد قال تعالى: ﴿ *وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين* ﴾. [الأنبياء: 107] والفرح في كل أمر بحسبه؛ فيحمل هنا على المتعارف في الأعياد ونحوها، وقد دل حديث الجاريتين على أن العيد وقت فرح، وأن من الفرح ما كانتا تصنعانه.

[من عادات يوم المولد بفاس]:

وكان الشيخ أبو المحاسن – رضي الله عنه – يطعم الناس في ذلك اليوم العصيدة: من سميد القمح. توكل بالسمن والعسل و ثريد الزّرْمك بلحم الغنم. ومع كل قصعة منه صحن من عسل ليوكل به. وكثيرا ما يزاد مع ذلك الروز[2] مطبوخا باللبَن الحليب، مأكولا بالسمن والعسل، حتى يعم ذلك الناس، ويحضر خلق من المساكين لا يحصون ؛ فيأكلون ويحملون ما أمكن. يصنع ذلك في اليوم الثاني عشر كما تقدم ذكره، وفي سابعه أيضا ؛ وهو: اليوم الثامن عشر على ما جرت به العادة في فاس.

فإن كان ذلك بناء على مشهور مذهبنا المالكي أنه: يشترط في الاعتداد ليوم الولادة وابتداء العدد منه في السابع الذي هو يوم العقيقة: أن لا تكون الولادة متأخرة عن الفجر ؛ كان أيضا بناء على أن المولد الشريف لم يكن بعد الفجر. ومفهوم قول الشيخ خليل: « وألغي يومها إن سبق بالفجر » . أن الولادة المقارنة للفجر كالسابقة عليه ؛ لا يلغى يومها ولكن يعتد به، ويحتاج إلى استظهار عليه، والظواهر على خلافه ؛ فلو سبقها الفجر ؛ لم يعتد بذلك اليوم، وكان يوم العقيقة هو ثامنه.

وكانت العادة بالقصر: أنهم يصنعون ذلك في ثامن المولد الشريف ؛ وهو: اليوم التاسع عشر من الشهر، وكأنه أيضا باعتبار المشهور، بناء على أن المولد الشريف كان نهارا .

[مرض الشيخ الأخير]:

ولما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول من السنة المؤرخة كما تقدم ؛ صنع الشيخ ما جرت به العادة المتقررة كما ذكر، ثم صلى الظهر في المسجد، ثم قام إلى مكانه المعتاد [129] لجلوسه في صدر الزاوية، تجاه الباب الذي في قبلتها، نافذا للمسجد . فجلس هنالك ومعه جماعة من أصحابه، واستمر إلى قرب العصر،

---

[1] بل هو الملك الموحدي عمر المرتضى والذي تأثر في عمله بأمير سبتة أبي القاسم العزفي . انظر تحقيق ديوان ابن الصباغ الجذامي ج1، ص46 (دراسة جامعية لنيل الدراسات العليا في الآداب) لخالتنا الدكتورة نور الهدى الكتاني حفظها الله .

[2] الأرز .

واتفق أني جلست مع صاحبنا الأديب البليغ أبي عبد الله محمد بن أحمد المكلاتي – رحمه الله تعالى – في دهليز الدار ؛ وهو الذي يقال له في العرف: الأسطوان[1] . عند الباب الأخير القريب من المسجد، على خشبة معروضة هنالك. وكنا نتجاذب أطراف الأحاديث والأخبار، ونتهادى طرف القصائد والأشعار. وإذا بالشيخ قد استقبلنا خارجا من المسجد بين القاضي أبي نصر عبد الوهاب ابن القاضي أبي محمد عبد الواحد الحميدي، والشيخ الصالح الحاج أبي سالم إبراهيم ابن قاسم الأندلسي يعينانه على المشي إلى الدار. فلما رأيناه ؛ قمنا نتلقاه، فسارا معه إلى الباب المفضي إلى داخل الدار، وقالا لي: خذ بيدي الشيخ. ورجعا.

فدخلت معه، وتلقانا من حضر من أهل الدار، فدخلنا به إلى فراشه في الجانب الجوفي من بيته الكبير، المقابل للداخل من باب الدار، وإذا به قد عرته رعدة وسكرات يغيب بها عن حسه ثم يفيق، وحضر صلاة العصر ؛ فصلى جالسا، ثم استند في فراشه، ورأيته يعد في أصابعه ؛ فقلت له: « يا سيدي ؛ لا تتعب نفسك، فإن المرض مسقط للحرج بفضل الله ورحمته !»، وحملني على ذلك: الإشفاق عليه، واختبار حاله. فلم يترك ذلك، ثم قال لي: يذكر كل يوم ألف مرة الحمد لله، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله. ويصلي على النبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة مرة. فقلت له: « هل أذكر أنا ذلك؟ ». فقال لي: « أذكره: ذكره الشيخ أبو الحسن الشاذلي، وأنا أعطيتك إياه! ».

وذكر شيخنا أبو العباس أنه: في اليوم الذي مات في الليلة بعده ؛ رآه أيضا يسبح: فقال له: « ما تذكر؟ »، فقال له الشيخ: « الحمد لله، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ». قال شيخنا أبو العباس: « فجاءني أن ذلك مما كان يفعله صلى الله عليه وسلم عند وفاته من قوله: الحمد لله، واستغفر الله. يتأول القرآن: ﴿ *فسبح بحمد ربك واستغفره* ﴾.[النصر: 3]. » .

وحدثني القاضي أبو نصر والحاج أبو سالم أن الشيخ كان جالسا حيث ذكرنا وهما معه ؛ فدخل رجل إلى المسجد من الباب المواجه له ؛ فقال الشيخ: « يا لطيف الطف بي! » . ولم يزل يكرر ذلك حتى وصل إليه ذلك الرجل، وسلم عليه، وجلس إليه ؛ وقال له: « يا سيدي ؛ مرحبا بلقاء الله تعالى ». ثم قام من حينه، وأتبعناه أعيننا، فلم ندر أين سار، وذهب بين سمع الأرض وبصرها. ولم نكن عرفناه قبل ذلك ولا رأيناه قط. وهو: رجل [130] طويل القامة، قمحي اللون، تعلوه صفرة نورية، عليه سيما الخير والصلاح، ثيابه في غاية النظافة ؛ وكانت من الصوف، عليه حائك، وعلى رأسه كرزية...[2].

قالا: « فبنفس ما غاب عنا ونحن متعجبون من أمره ؛ نظرنا إلى الشيخ ؛ فرأينا حاله حال من حدث له مرض. فقمنا معه إلى الدار كما رأيت، فكان ذلك أول مرضه، وكان الناس يعودونه ؛ فإذا وجد في نفسه

---

[1] عند فتح باب البيوت القديمة في فاس والمغرب يمر الضيف في دهليز إلى أن يصل لوسط الدار. وهو المسمى بالأسطوان. أو السُطْوان.
[2] الكرزية: الظاهر أنه: القب؛ قبعة صغيرة متصلة بالثوب، معروفة في لباس المغاربة. والكرز: الخرج يوضع فيه القوت وغيره.

إفاقة؛ ذكر أصحابه وأوصاهم، ودلهم على الله، وحضهم على الوقوف ببابه، والعكوف على طاعته، وكذلك كان يوصينا)).

((وقال لنا مرة: عهد إلي المشايخ أن لا أمكث بفاس إلا خمسا وعشرين سنة ؛ وقد استوفيتها !. وقال لنا : تجوز[1] عليكم حزة أو هزة. وأنتم اصبروا، والعاقبة خير إن شاء الله)).

وقلت له: ((يا سيدي ؛ ادع الله لنا بأن لا تفارقنا بركتك)). فقال: ((البركة فيكم وفي ذريتكم، وذرية ذريتكم إن شاء الله، وقد كان الشيخ عبد الرحمن المجذوب – نفعنا الله ببركاته – يقول في دعائه لي: جعل الله منك الزرع والزريعة. الزرع: أنت، والزريعة: أولادك!!!)).

وجاءه في بعض ليالي مرضه بعض أصحابه ؛ وهو المرابط الخير الحاج أحمد البريهي – رحمه الله – بشيء من ماء زمزم، وكان قد استصحبه معه من محله بمكة المشرفة، وكان قريب العهد بالقدوم من المشرق ؛ فقربناه إليه، وقلنا له: ((يا سيدي ؛ هذا ماء زمزم، لعلك تشربه للشفاء، ففي علمكم ما ورد فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم!)). فشربه. فقلت له: ((يا سيدي ؛ بأي نية شربته ؟)). وأنا أطمع أن يقول لي: بنية الشفاء ؛ ليرتاح قلبي إلى ذلك. فقال لي: ((بنية أن يوجهني إليه !)). فقلت سرا: ((لا حول ولا قوة إلا بالله؛ إنه ليس بحريص على صحبتنا، ولا بمختار للإقامة معنا)).

[ما ورد في ماء زمزم]:

والوارد في ماء زمزم أحاديث كثيرة: منها في "الجامع الصغير": ((ماء زمزم لما شرب له))[2]. رواه ابن أبي شيبة وأحمد، وابن ماجه والبيهقي في "السنن" كلهم عن جابر رضي الله عنه. ورواه البيهقي في "الشعب" عن عبد الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنهما. وفيه: ((ماء زمزم لما شرب له ؛ فإن شربته تستشفي به ؛ شفاك الله، وإن شربته مستعيذا ؛ أعاذك الله، وإن شربته ليقطع ظمأك ؛ قطعه الله، وإن شربته لشبعك ؛ أشبعك الله))[3]. رواه الدارقطني والحاكم في "المستدرك" عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وفيه: ((ماء زمزم لما شرب له ؛ من شربه لمرض ؛ شفاه الله، أو لجوع ؛ أشبعه الله، أو لحاجة؛ قضاها الله)) . رواه [131] المستغفري في "الطب" عن جابر رضي الله عنه. وفي "الدرر المنتثرة": ((ماء زمزم لما شرب له)). قال الزركشي: ((رواه ابن ماجه من حديث جابر بسند جيد، والخطيب في تاريخه بسند صححه الدمياطي[4])). قال الأسيوطي: ((وصححه – أيضا – النووي، وحسنه ابن حجر)).

---

[1] أي: تمر بكم.
[2] رواه الإمام أحمد في مسنده (14435)، وابن ماجه في سننه (3062) والحاكم في "المستدرك على الصحيحين" (1739) وغيرهم، كلهم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
[3] أورده الدارقطني في سننه عن ابن عباس برقم (238) .
[4] ذمياط كجريال: بلد معروف، وذمياط بالمعجمة لغة في المهملة صح قاموس .نسخة (ب) .

وفي "اختصار الإحياء" للبلالي: « روى مسلم: ماء زمزم طعام طُعْم[1]. زاد الحافظ الطيالسي: وشفاء سقم، ولما شرب له[2]. وصححه البيهقي في "شعب الإيمان"، وصححه ابن عُيَيْنة. نقله ابن الجوزي في كتاب "الأذكياء"، ووثق رجاله الحافظ الدمياطي، وصححه الحاكم ؛ وقال: إن سلم من الجارود. وقد سلم ! ». ثم قال: « فلا عبرة بمن ضعفه. وأما حديث: الباذنجان لما أكل له. فوضعته الزنادقة ».

وأما نقل ماء زمزم إلى البلدان ؛ ففي مناسك ابن معلى: « يجوز إخراج ماء زمزم وغيره من مياه الحرم، ونقله إلى جميع البلدان ؛ لأن الماء يستخلف، بخلاف التراب والحجر »، ونحوه في مناسك الشيخ خليل رضي الله عنهم أجمعين.

وفي "المختصر": « وكثرة شرب ماء زمزم ونقله » . عطفا على المندوبات. قال الشيخ ابن غازي: « قال قاسم بن أحمد الطرابلسي في مناسكه: يستحب أن يتزود منه إلى بلده ؛ لما عند الترمذي عن عائشة – رضي الله عنها – أنها: كانت تحمل من ماء زمزم وتخبر أنه عليه الصلاة والسلام كان يحمله ».

وفي "الجامع الصغير": « كان صلى الله عليه وسلم يحمل ماء زمزم »[3]. وأخرجه الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها. وفي "الجامع" أيضا: « كان صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يتحف الرجل بتحفة ؛ سقاه من ماء زمزم »[4] أخرجه في "الحلية" عن ابن عباس رضي الله عنهما ؛ وهو ظاهر فيما بعد من بير زمزم، وأعم من كونه في الحرم وفي خارجه، وفيه أصل للإتحاف به.

ولما احتضر الشيخ – رضي الله عنه – كان ولده شيخنا أبو العباس قريبا منه، فقال على قصد التلقين: « لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقال له الشيخ: « أأنت تعلمني يا أحمد ؟ ! . متى غاب عني حتى أنساه، ومتى نسيته حتى أذكره ؟ ! ».

وكان كثيرا ما يجري على لسانه في مرضه: « بسم الله تعالى ». ولم تفته صلاة في مدة مرضه فيما علمت ولم يسمع منه كلام بعد الشهادتين فيما علمت.

[وفاة الشيخ أبي المحاسن رضي الله عنه]:

وتوفي[5] – رضي الله عنه – في آخر الثلث الأول من ليلة الأحد الثامن عشر من ربيع الأول سنة ثلاث عشرة وألف. فكان مدة مرضه بيوم ابتدائه: ستة أيام. ولما توفي – رضي الله عنه – دخل إليه جماعة من

---

[1] انظر صحيح مسلم برقم (2493) عن أبي ذر رضي الله عنه.
[2] أورده عبد الرزاق في "المصنف" من كلام كعب (9116)، و(9117) ومواضع أخر، وانظر "المعجم الصغير" (296) فقد أورده عن أبي ذر مرفوعا، وكذا رفعه البيهقي في "السنن" (9751) عن أبي ذر وعزاه لمسلم، ورفعه كذالك في "الشعب" عنه (4130).
[3] روى معناه أبو يعلى في مسنده (8:139) عن عائشة رضي الله عنها. ولم أقف عليه عند الترمذي ولا الحاكم.
[4] رواه بلفظ قريب: أبو داود الطيالسي في مسنده (2:48) عن ابن عباس موقوفا.
[5] انظر وفاة الشيخ أبي المحاسن وترحم عليه اللهم وارحمنا بعده يا أرحم الراحمين . نسخة (ب) .

خواص أصحابه، فرأوه وتبركوا به، [132] وخرجوا، وبقي هنالك الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف الأندلسي؛ المعروف بالبيطار، ومعه رجلان أو ثلاثة، أظن أن أحدهم: الشيخ الصالح الحاج أبو سالم إبراهيم بن قاسم الأندلسي. فنقلوه من فراشه الذي كان فيه في جوفي البيت إلى مكان هيؤوه له في صدر البيت، وما أنكروا من حاله شيئا، وكأنه حي؛ لولا أنه لا يتحرك ولا يتنفس. وقضى الناس العجب مما عرفوا في وجهه من نضرة النعيم، مُسْفِرًا كأنه مبتسم مستبشر.

وغسل من الغد؛ غسله أبو الحسن البيطار ومن ذكر معه، وظهرت بين عينيه إلى أعلى جبهته غرة بيضاء تلوح مشرقة؛ شاهدها كل من حضر، وقضى الناس منها ومن حسنها العجب. وقد شاهدتها والحمد لله.

قال بعض شيوخنا – فيما قرأته بخطه بعد وفاته – بعد أن حكى ذلك: « فرأينا أن الله تعالى أكرمه بالغرة في الدنيا قبل القيامة! ».

وصنع له مغسل ونعش جديدان على العادة بفاس، وحمل إلى جامع الأندلس، فصلى عليه هنالك بإثر صلاة الظهر في يوم الأحد المؤرخ: إمام المسجد الفقيه الخطيب أبو عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن جلال – رحمه الله – وحمل إلى تربته رضي الله عنه، وحضر الناس خاصة وعامة، بحيث لم يغب ممن بفاس – فيما يظن – إلا من حبسه العذر مع استفراغ المجهود ﴿ *ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود* ﴾. [هود: 103].

فدفن في قريب من الوسط، في الروضة المنسوبة له خارج باب الفتوح، تحت مصلى العيدين الجديد، من شماله الشرقي، وفي جهة القبلة من جميع ما هنالك من تراب الصالحين وروضاتهم، في ذلك السفح الذي فيه الشيخ أبو الحسن علي حماموش، والشيخ أبو الحسن علي الصنهاجي، والشيخ أبو عبد الله ابن بكار، والشيخ أبو النعيم رضوان، والشيخ أبو محمد الحسن الجزولي... وغيرهم رضي الله عن جميعهم، ونفعنا ببركاتهم[1].

[مدفن الشيخ أبي المحاسن وبناء ضريحه]:

وكانت الأرض التي دفن فيها مملوكة لرجل من أصحابه وجيرانه، فوهبها له في وباء سنة ست وألف. وهي أرض واسعة نقية صلبة. لم يتقدم فيها دفن. فأمر الشيخ – رضي الله عنه – ببناء حائط دائر عليها؛ فبني، وجعل لها بابان: أحدهما – وهو الأكبر – في الحائط الشمالي مما يلي المشرق والقبلة، والآخر في الحائط الجوفي مما يلي الشمال. وطولها أكثر من عرضها بيسير، إلا أن عرضها في الشمال مما يلي الجوف نقص منه طرف مستطيل لسبب اقتضى ذلك. ودفن فيها كثير من أصحابه ممن توفي في الوباء [133] وبعده.

---

[1] أما الآن (عام 1423) فقد سقطت جل تلك الأضرحة وصارت مزابل، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وكان الشيخ – رضي الله عنه – قد عهد إلينا في مرضه أن لا نبني عليه في ذلك الوقت، وسكت عن غيره ؛ وكان وقت غلاء، فقال: « استحيوا من الله تعالى أن تنفقوا المال في البناء والمسلمون في الحاجة إليه للقوت وإمساك الرمق، وما تنفقونه في الطين ؛ أنفقوه على المساكين ». ثم وقع التأويل فيما عهد به، ووقع الشروع في بناء قبة ضخمة البناء، رحيبة الفناء، ليس في القباب الدائرة بالمدينة ما يساويها في ذلك ؛ فأسست ورفعت أركانها الأربعة، وصَرَف عنها القدَرُ وجميع ما يحتاج إليه في بنائها حاضر، ورأينا أن ذلك بسبب مخالفة عهده رضي الله عنه.

فبقيت على ذلك إلى سنة إحدى وأربعين وألف ؛ فحرك الله تعالى لإتمامها قلب تلميذه وخاصته: الشيخ الفقيه العارف، البركة الظاهرة، والحجة الباهرة ؛ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن معان[1] الأندلسي ؛ فنهض لها نهوض المأذون له، فتمت على أحسن وصف، وتروق العيون بهجة، قد طلب سمكها السّماك فاستوضح في العنان نهجه.

وإنما ذكرت مثل هذا مما يشاهده من بفاس، ولا يعرض فيه اشتباه ولا التباس، فيغني فيه العيان، عن الوصف والبيان ؛ رعيا لمن بعدت داره، ولم يقع قط عليها إبصاره، ففي المؤلف لهم من هو بهذه الحال، لم تكن له قط بها إقامة ولا إليها ارتحال، ويكفي أن الكتاب بغيرها كان إهلاله، وطلوعه واستقلاله، بعد نحو ست وعشرين سنة من فراقها، والبعد في المدارات عن آفاقها، فإن كان في هذه المدة إليها وصول، وفي قراراتها حصول ؛ فإقامة ضيف، وإلمامة طيف، والخيرة فيما يختار، من يخلق ما يشاء ويختار[2].

هذا ما فتح به في هذا الباب، وسهلت إليه الطرق والأسباب ؛ فتيسر إيراده، وعرضتُ بحسب الإمكان جموعه وأفراده، مما كنت أحفظ وأعي، أو من تعاليق هي في الوقت معي، وعسى ما بفاس أن يجتمع على الغرض به، وينشر ما طوى على المراد من كتبه، وما اشتمل عليه من تقاييد يعتمد عليها، وأسانيد يستند في هذا القصد إليها ؛ فتغزر مادته. وتوضح للسالك جادته. وعسى أن يكون بذلك اعتناء، ممن هيئ له من نجباء الأبناء، فيستدركوا عليه ذيلا، وينالوا به في الفضائل نيلا، والله تعالى يمدهم بتوفيقه وإعانته، ويجعلهم من الحافظين لما يودعهم من أمانته[3].

وإذ انتهيت من هذا الباب إلى ما أردت، وأفضيت إلى الوجه الذي قصدت ؛ صرفت عناني، إلى [134] الباب الثاني، وبالله تعالى أستعين على ما أعاني، وأدرك ما أقصده من الآمال والأماني.

---

[1] أي: الشيخ محمد ابن عبد الله معن الأندلسي الشهير الذكر.

[2] انظر هذا الكلام وما مناسبته مع ما قبله، وأي ارتباط بينه وبين الكلام السابق؟، تأملته فوجدت من قوله: ففي المؤلف، إلى قوله: ويختار. لا تعلق له بما قبله، ولا ارتباط له به أصلا! . اهـ . بل فيه ارتباط واضح؛ وذلك جواب عن إشكال واعتراض يرد عليه . فيقال: مافائدة وصف ما ذكر وتأليفه بعد العيان والمشاهدة؟ . أجاب عن ذلك بقوله: وإنما . إلخ . والمؤلف لهم: الاولاد حسبما في صدر الكتاب، ويكفي أن التأليف ألف بغيرها – يعني: بغير فاس – لكونه كان بتطاون ونواحيها بعد المدة المذكورة، وإن وقع منه رجوع في إشارة؛ فهو بمنزلة العدم . فلا اعتراض! . فتأمل والله أعلم . (اعتراض وجواب بخطين مختلفين في نسخة ب) .

[3] في هذه الفقرة دعوة من المؤلف – رضي الله عنه – لأبنائه وأبناء إخوانه أن يؤلفوا في هذا المضمار . وقد فعلوا ؛ خاصة الشيخ المهدي الفاسي (ت 1109) في كتابه: "ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من التلامذة والأتباع"، والشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت 1096)، في "ابتهاج القلوب في أخبار الشيخ أبي المحاسن وشيخه المجذوب".

الباب الثاني

في ذكر من له اتصال به بأبوة أو بنوة أو أخوة ممن يتميز بعلم أو صلاح

الفصل الأول

في ذكر والده الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف رحمه الله[1]

ولد الشيخ أبو عبد الله بالقصر الكبير سنة اثنتي عشرة وتسعمائة، ونشأ به في عفاف وصيانة، ومروءة وديانة، وعدالة وأمانة، وقرأ القرآن، وجالس العلماء.

وتوسع في التجارة ؛ فكثر ماله، واتسع حاله، وغزرت مادة الثراء لديه، وعظمت نعمة الله تعالى عليه. كثير التجْر والحرث والماشية، وغيرها من الفوائد الناشية، ظاهر النعمة، حسن الشارة، عالي الهمة، كبير النفس كثيراَ الحاشية، مخدوما متبوعا مقصودا.

جميل المعاملة، حسن المعاشرة، متواضعا وقورا، مهيبا معظما، واسع البر، كثير الإحسان لمن عرف ومن لم يعرف، لا يمر بمنكسر القلب إلا جبره، ولا بباك من كبير أو صغير إلا آسَهُ حتى يُسَلّيَهُ، وإن انكسرت له آنية أو سقط منه شيء ؛ أعطاه مثله أو ثمنه، حتى ربما كان يخدعه بذلك بعضهم ؛ فينخدع، كما قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: « من خَدَعَنَا بالله انخدعنا له ».

وكانت داره مألف الأيتام، والأرامل والمساكين، ومنزل الضياف والواردين، ينزل الناس منازلهم، ويوفيهم حقوقهم، وكان لا يصرف شيئًا في النفقة إلا صرف مثله في الصدقة، استفاض ذلك من حاله. وهو نحو ما ذكره القاضي عياض في "المدارك"، والشيخ أبو زيد بن الدباغ في "تاريخ القيروان" في حق الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن مسرور الدباغ القيراوني، وأنه كان يغتل في كل شهر أربعة دنانير، وكان يصرف اثنين لصدقته، واثنين لنفقته.

وذكر الشيخ أبو يعقوب التادلي وغيره عن الشيخ أبي العباس السبتي أنه قال: « وجدت آية من كتاب الله تعالى ترد على قلبي كثيرا، وعلى لساني ؛ وهي قوله تعالى: ﴿ *إن الله يأمر بالعدل والإحسان* ﴾. [النحل: 90] فتدبرت ذلك وقلت: لعل هذا لسبب، وأنا مطلوب بهذه الآية ؟! ؛ فلم أزل أبحث عنها في التفاسير إلى أن وقفت على غريب التفسير ؛ وفيه: أنها نزلت حين آخى النبي [135] صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، وأنهم سألوا النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمهم حكم المواخاة ؛ فأمرهم بالمشاطرة. ففهمت أن العدل المأمور به هو: المشاطرة. ثم نظرت قوله صلى الله عليه وسلم: تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة،

---

[1] انظر ترجمته في "عناية أولي المجد" ص14. و جميع من ترجموا لمن في هذا الفصل اعتمدوا على هذا الكتاب فاكتفينا به لأنه المصدر الأول.

كلها في النار إلا واحدة ؛ وهي: ما أنا عليه وأصحابي[1]. وأنه قال ذلك صبيحة اليوم الذي آخى فيه بين المهاجرين والأنصار، ذكروا له أنهم شاطروا المهاجرين ؛ فقال ذلك بإثر ذلك. فعلمت أن الذي عليه هو وأصحابه: هو الشَّطر والإيثار، فعقدت مع الله تعالى أن لا يأتيني شيء إلا وأنا أشاطر فيه إخواني المومنين الفقراء، فعملت على هذا عشرين سنة ». ثم ذكر ترقيه في ذلك وما فتح له فيه.

[إسناد الشيخ محمد بن يوسف في طريق القوم]:

وأخذ الشيخ أبو عبد الله طريق القوم عن الشيخ العارف أبي العباس أحمد بن قاسم الشرفي الأندلسي ؛ صحبه بفاس وكان يقصده من القصر للزيارة والسلوك على يديه ؛ فانتفع به، وظهرت عليه بركاته. فهو قدوته في الطريق، وعليه عول فيها.

[ترجمة الشيخ علي بن محمد صالح الأندلسي][2]:

وأخذ الشيخ أبو العباس عن الشيخ العارف أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي- وهو من أهل غرناطة- وكان يطلب شيخا يلقي إليه قياده، فكان يقال له: « شيخك في العدوة ». فانتقل إلى فاس، وفتح بها حانوتا في القيسارية.

ثم قدم إليها من مراكش شيخ المشايخ أبو محمد عبد العزيز بن عبد الحق الحرار الشهير بالتباع، ونزل بمدرسة العطارين، وقعد في وسط قبتها، وانحشر أهل فاس للتبرك به، وجاء الشيخ أبو الحسن في آخرهم، فحين قرب من الفصيل الذي ينفذ منه إلى الصحن ؛ قام إليه الشيخ سيدي عبد العزيز يتخطى الناس، فتلقاه وأخذ بيده، وصعد في درج المدرسة ؛ فمكثا هنيئة ونزلا، وطلب الشيخ سيدي عبد العزيز فرسه للركوب، فطلب منه الناس الإقامة، فامتنع وقال: « إنما جئت لأمانة كانت عندي لربها ؛ فقد أديتها !». وانصرف رضي الله عنه.

وكان الشيخ أبو الحسن حين جاءه نزل من حانوته، ورفع المغلاق الأسفل فقط على نية الرجوع قريبا، فلما لقي شيخه ؛ كان ذلك آخر عهده بالحانوت، فلم يعد إليها، وتأهل من حينه للمشيخة، واتخذ زاوية للفقراء في الزيتون من عدوة الأندلس من فاس – حرسها الله – وهي معروفة إلى الآن، إلى نظر حفدة الشيخ سيدي محمد الصغير السهلي. وتوفي في حياة شيخه أبي محمد عبد العزيز.

---

[1] رواه الترمذي (2565) عن ابن عمر رضي الله عنهما. وابن ماجه (3983) عن عوف بن مالك رضي الله عنه، والإمام أحمد (8046) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[2] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (71)، وطبقات الحضيكي (2:258).

وصحبه خلق ظهرت عليهم آثار الخصوصية، وتأهل كثير منهم للمشيخة، وأكثرهم أندلسيون، ودفن كثير منهم ومن تلامذتهم معه في روضة واحدة [136] تعرف بروضة الأنوار خارج باب الفتوح من أبواب فاس، وبمقربة منها إلى جهة المدينة: روضة الشيخ أبي ميمونة دراس بن إسماعيل – رحمهم الله، ورضي عنهم، ونفعنا ببركاتهم.

[كيفية وقوع الشيخ الغزواني في شباك الشيخ أبي الحسن]:

وناهيك بشيخ حصل في شبكته: الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد الغزواني، فإنه على يده كان فتحه في خبر يحسن ذكره ؛ وهو: أن الشيخ أبا محمد الغزواني كان يقرأ في مدرسة الوادي بعدوة الأندلس من فاس، وكانت جماعة من الفقراء تجتاز في عشية الخميس بباب المدرسة، فتساءل الطلبة فيما بينهم: « إلى أين يجتازون؟! ». فقال بعضهم: « لزاوية قريبة هنا ». فقالوا: هل لكم في المبيت معهم، فنتفرج في حضرته – أي: السماع – ونشبع من الكسكسون[1] عندهم ؟![2] ».

فساروا إلى الزاوية بهذا القصد وفيهم الشيخ سيدي عبد الله ؛ فلما أخذ الفقراء في الذكر ؛ دخل معهم فيه، فأدركه في باطنه أمر عظيم. قال: « إنه كشف له فيه من العرش إلى الفرش ». ويقال: « إنه غسل أيدي الفقراء بعد الطعام، وشرب الماء الذي غسلوا فيه أيديهم ». فلما نزل به ما نزل ؛ جلس بين يدي شيخ أولئك الفقراء ؛ وهو: الشيخ أبو الحسن علي بن محمد صالح، وقص عليه قصته، وطلب منه أن يقبله مريدا . فقال له الفقراء: « يا سيدي ؛ اقبله ! ». فقال لهم: هذا عربي كوي – بالقاف القريبة من الكاف، كما ينطق به أهل الأندلس – بل أبعثه للشيخ ! . فبعثه لمراكش للشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع، فصحبه وخدمه، وكان من أمره ما هو مشهور .

ووجدت بخط شيخنا أبي عبد الله القصار رحمه الله: « كان سلوك الشيخ الغزواني بسورة طه، حتى توفي وهي في لوحه » .

[اعتناء الشاذلية ومشايخهم بمحبة النبي ﷺ]:

---

[1] في نسخة عتيقة بدون نون (حجرية) .

[2] قال الشيخ ابن عسكر في الشيخ الغزواني: ((إنه كان يتعلم العلم بفاس، فيسمع بالشيخ أبي الحسن علي صالح الأندلسي، فذهب إليه ولازمه أياما ، فرأى من بركته ما حرك بلباله، وأنهض إلى حضرة فاس أحواله، فسأل منه أن يسلك به طريق التربية النبوية؛ فقال له: يا ولدي؛ صاحب الوقت بمراكش، فاذهب إليه!. وأمره بالرحلة إلى سيدي عبد العزيز التباع نفعنا الله بهم)) . انتهى . نسخة (ب) .

وكان الشيخ أبو عبد الله دائم الخشوع، سريع العَبْرة، ولا سيما عند التلاوة أو الذكر ؛ متهالكا في حب النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه، لا يتمالك عند ذكره، معظما لكل ما هو بسبب منه، مكثرا من الصلاة عليه، ينشد كثيرا بيتي أبي محمد بن أبي المجد من أشياخ ابن الخطيب رحمهما الله تعالى:

ألا يـا محب المصطفى زدْ صبابة[1]	وضمخ لسان الذكر دأبا بطيبه
ولا تعبـأن بالمبطـلـين فـإنـــما	علامـة حـب الله حـب حبيبه

مواظبا على قراءة "دلائل الخيرات" لشيخ المشايخ أبي عبد الله الجزولي ؛ أخذ ذلك عن مشايخه أتباع الشيخ الجزولي – رحم الله جميعهم ورضي عنهم – وقد رأيت بخط شيخنا شيخ الإسلام أبي عبد الله القصار رحمه الله: ((كان سيدنا محمد ابن سليمان الجزولي الشاذلي على محبة عظيمة له صلى الله عليه وسلم؛ فقد قيل له: فضَّلتك على أهل عصرك بكثرة صلاتك على حبيبي محمد ! . **وساداتنا الشاذلية – رضي الله عنهم – مخصوصون بزيادة محبة فيه صلى الله عليه** [137] **وسلم** ؛ لأن طريقتهم مبنية على كثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي تفيد ذلك.وأيضا: فإن شيخهم وشيخه من ذريته صلى الله عليه وسلم، فاجتمعت فيهما المحبتان: الدينية والطينية ؛ فتضاعفت فيهما المحبة، فاستمد أصحابه من مادة قوية جدا . قال سيدنا أبو العباس المرسي: لو حجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفة عين ؛ ما عددت نفسي من المسلمين ! . وكان سيدنا ابن وفا يراه صلى الله عليه وسلم في اليقظة)).هـ.

والشيخ الجزولي شريف – أيضا – واسمه: محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان بن يعلى بن يخلف بن موسى بن علي بن يوسف بن عيسى بن عبد الله بن جندوز بن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن حسان بن إسماعيل بن جعفر بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم.

وذكروا أن الشيخ سيدي عبد العزيز التباع دخل عليه بعض الفقراء ومعه "دلائل الخيرات" ؛ فقال الشيخ: ((يا فقراء ؛ هذه رائحة "دلائل الخيرات" فيكم !)). فقال ذلك الفقير: ((هو – يا سيدي – عندي)). فناوله إياه ؛ فحركه الشيخ في يده وقال: ((إنه سقط منه شيء في بعض أوراقه)). فاختبروه ؛ فوجدوه كذلك. وفيه – مع كرامة صدق الفراسة – مزيد خصوصية "بدلائل الخيرات ".

وقال لي شيخ الإسلام أبو عبد الله محمد بن الشيخ الكامل سيدي أبي بكر أنه بلغه أن الشيخ الشهير الولي الكبير سيدي أحمد بن موسى الجزولي السملالي جاءه رجل بكتاب مطوى ؛ فناوله إياه ؛ فقال له: ((لا أقبضه حتى تُعَدّ لهُ)). ففتحه الرجل وتأمله، فلم يجد فيه شيئا يصلحه، فرده إليه ثانيا وثالثا، ثم تفطن لكون المراد: ذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد كان أسقطها، فكتبها فيه ؛ فأخذه الشيخ من يده. وفيه

[1] قف قف قف على البيّين!! . نسخة (ب) .

كرامة له بالإطلاع على ذلك، والتعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم، والمحافظة على الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم.

[ترجمة الشيخ أحمد بن موسى السملالي][1]:

وهو: من أصحاب الشيخ عبد العزيز التباع، وعلى يده فتح له، ثم أمره بالمسير إلى الشيخ سيدي أحمد بن يوسف الراشدي ؛ فأخذ عنه ولازمه عامين. ثم أمره بالسياحة ؛ فساح سنين، ثم رجع إلى مراكش سنة سبع وعشرين وتسعمائة ؛ وهي سنة الجوع الكبير، فأقام على قبر شيخه سيدي عبد العزيز سبعة أيام، وكان قد عهد إليه بذلك، وانصرف إلى بلاده من السوس الأقصى.

ورأيت بخط شيخنا أبي عبد الله القصار – رحمه الله: « سيدي الشيخ عبد العزيز التباع شيخ الجماعة، يلقن لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ذكر سيدي رضوان ».

وكانت للشيخ أبي عبد الله وجاهة عظيمة عند الأمير بالقصر أبي زكرياء يحيى بن السلطان أبي عبد الله محمد الملقب بالبرتغالي [138] ابن السلطان أبي عبد الله محمد الشيخ الوطاسي المريني، وهو أخو ملك فاس إذ ذاك وما إليها: السلطان أبي العباس أحمد آخر ملوكهم. فانتفع بوجاهته خلق كثيرون، ولم يسامح نفسه بنيل شيء من الدنيا بسبب ذلك الجاه، إلى أن أسر الأمير أبو زكرياء في وقعة (وادي دَرْنا) للشرفاء على بني وطاس في رجب سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة، ومات في تلك الليالي الغريبة غما وأسفا رحمه الله.

ثم لما استولى الشرفاء على المغرب، وتداول القصر ولا تهم ؛ كان وافر الجاه عندهم، محترم الجانب، منظورا إليه بعين الإجلال والتعظيم، موقر الحاشية، مقبول الشفاعة.

[ليس من ضرورة الزهد قلة الإنفاق على النفس]:

وكان – رحمه الله – واسع الإنفاق، رفيع الثياب، كثير الطيب، فربما أنكر ذلك بعض الناس زعما أنه سرف، وأنه ليس من شأن أهل الطريقة، وليس كذلك: فإنه ليس سرفا بالنسبة إلى ماله وحاله، فيكون من قبيل المباح ﴿ *قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق* ﴾. [الأعراف: 32]. وقد يترجح في حق من يصلح قلبه به. وقد أخرج الترمذي والحاكم عن عبد الله ابن عمرو بن العاصي أن رسول

---

[1] انظر ترجمته في "دوحة الناشر"(83). "طبقات الحضيكي" (2:1)، و"إيليغ قديما وحديثا" (19)، والإعلام بمن حل مراكش" (233:2)، و"أعلام المغرب العربي" (180:5).

الله صلى الله عليه وسلم قال: « إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده » ، وأخرج ابن أبي الدنيا عن علي بن زيد بن جذعان مرسلا: « إن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده في مأكله ومشربه »[1] .

وعرَّف في "المدارك" بالشيخ أبي إسحاق السبائي وقال: « كان من العلم بالله وأمره في خطة ما انتهى إليها أحد من أهل وقته . . . ثم حكى عن ابن سعدون أنه قال: كان خبز السبائي من السميد . فقيل له في ذلك، فقال: والله لو قدرت على الجوهر وعلمت أنه يزيد في عقلي ؛ لسحقته وأكلته، فإني لا أجد نفسي تصلح إلا إذا أكلت طيّبا ! » .

وقال شيخ الإسلام ابن حجر: « في كثرة الإنفاق ثلاثة أوجه ؛ الأول: أن يكون في الوجوه المذمومة شرعا ؛ فلا شك في منعه. الثاني: أن يكون في الوجوه المحمودة شرعا ؛ فلا شك في كونه مطلوبا . الثالث: أن يكون في المباحات بالأصالة ؛ كملاذ النفس. فهذا ينقسم إلى قسمين: أحدهما: أن يكون على وجه يليق بحال المنفق، وبقدر ماله. فهذا ليس بإسراف. والثاني: ما لا يليق به عرفا ؛ وهو ينقسم أيضا إلى قسمين: أحدهما: ما يكون لدفع مفسدة – إما ناجزة وإما متوقعة – فهذا ليس بإسراف. والثاني: ما لا يكون من ذلك؛ فالجمهور على أنه إسراف. وذهب بعض الشافعية إلى أنه ليس بإسراف. قال: لأنه تقوم به مصلحة البدن، وهو غرض صحيح. وإذا كان في غير معصية ؛ فهو مباح. قال ابن دقيق العيد: وظاهر القرآن يمنع [139] ما قال » .هـ .

« وقد صرح بالمنع: القاضي الحسين ؛ فقال: هو حرام . وتبعه الغزالي، وجزم به الرافعي. وفي "المحرر": إنه ليس بتبذير . وتبعه النووي، والذي يترجح: أنه ليس مذموما لذاته، بل لكونه يفضي غالبا إلى ارتكاب المحذور ؛ كسؤال الناس. وقال الباجي من المالكية: لم يكره كثرة إنفاقه في مصالح الدنيا ، ولا بأس به إذا وقع نادرا لحادث يحدث ؛ كضيف أو غيره ، ووليمة » . هذا كلام ابن حجر، ونقلته بطوله لفائدة.

ومما يتصل بهذا المعنى: ما ذكره في "المدارك" أن بعض أصحاب القاضي أبي بكر بن زرب وجد عند القاضي بردة من درمك بلحم خروف، حسنة الصنعة، وبعدها جنب خروف مشوي برغيف درمك، وقال له القاضي: « هذا طعامي ؛ لونان في وقت لا أزيد عليهما ، ولا سرف في لونين » . فقال له صاحبه: « أيها القاضي ؛ أمن أصل تقوله ؟ » . قال: « نعم »، ورفع فيه حديثا لم يذكره الراوي للحكاية.

وأما الطيب وحسن الثياب ؛ فمعروف لا نطيل به، مع أن الشيخ أبا عبد الله كان – كما تقدم – يخرج في صدقته مثل ما يخرج في نفقته.

وكان – رحمه الله – كثير التهجد ، له أوراد كثيرة في الليل، ولما صحب ولده الشيخ أبا زيد المجذوب ؛ جرى في نفسه حديث من إنكار ذلك ؛ فوقع له فتور في ورده من الليل ؛ فرأى أن ذلك من الخاطر الذي خطر له، فاستغفر منه، وأهدى إلى الشيخ أبي زيد أربع بقرات رغائث[2]، فعاد إلى حاله.

---

[1] رواه الترمذي في سننه (2744)، والإمام أحمد (7759) عن أبي هريرة رضي الله عنه .
[2] أي: مرضعات .

وهذا ينظر إلى ما وقع لأستاذ الطائفة أبي القاسم الجنيد ؛ فقد حكى الأستاذ أبو القاسم القشيري عنه أنه قال: « كنت جالسا في مسجد الشونيزية أنتظر جنازة أصلي عليها، وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة، فرأيت فقيرا عليه أثر النسك يسأل الناس ؛ فقلت في نفسي: لو عمل هذا عملا يصون به نفسه كان أجمل به! . فلما انصرفت إلى منزلي – وكان لي شيء من الورد بالليل ؛ حتى البكاء والصلاة وغير ذلك – فثقل علي جميع أورادي ؛ فسهرت وأنا قاعد ؛ فغلبتني عيناي ؛ فرأيت ذلك الفقير جاءوا به على صوان ممدودا، وقالوا لي: كل لحمه فقد اغتبته!، وكشف لي عن الحال ؛ فقلت: ما اغتبته ؛ إنما قلت في نفسي شيئا ! . فقيل لي: ما أنت ممن يرضى منه بمثله ؛ اذهب فاستحله ! . فأصبحت، ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء أوراقا من البقل مما تساقط من غسل البقل ؛ فسلمت عليه، فقال: تعود يا أبا القاسم؟ !. فقلت: لا أعود ! . فقال: غفر الله لنا ولك ».

وتوفي الشيخ أبو عبد الله في جمادى الثانية سنة أربع وسبعين وتسعمائة، ودفن في الزاوية داخل القصر الكبير بقرب والده رحمه الله وسقى تربتهم. [140] وخلف من الولد أربعة؛ وهم: الشيخ أبو المحاسن ؛ وهو بكر أبيه. والشيخ أبو محمد عبد الرحمن، والحاج أبو عبد الله محمد الأكبر، وأبو عبد الله محمد الأصغر.

[ترجمة الحاج محمد (الأكبر) بن محمد الفاسي الفهري]

فأما الحاج أبو عبد الله محمد ؛ فكان رجلا فاضلا، جزلا أبيَّ النفس، رفيع الهمة، متحققا بالرياسة، كثير الحاشية، موسعا عليه في دنياه، كثير المعروف. معروفا بالجود والرفق بالضعفاء، له شركاء في التجر، وعمال يعملون بماله. وكان مجدودا محفوظا، وله ماشية كثيرة من بقر وغنم، وفلاحة في بلاد الهبط. وذكر بعض أصحابنا أنه كان معه في سفر، فجلس معه مرة خارج الخباء، وإذا برجل دخل الخباء، فالتفت أبو عبد الله ؛ فرآه يلتمس دراهم هنالك. فتغافل عنه، وصار يسأل عن أشياء لا حاجة له بها، إلى أن قضى الداخل حاجته، وكان من معارفه.

ولقد كان مرة أخرى في جماعة وقوفا في غرض، وفي مكتوبه[1] عدة دنانير من الذهب، وقد عرف ذلك بعض أصحابه الحاضرين من ذوي الهيئات ؛ فحاذاه، وأدخل يده في مكتوبه ليخرج ما فيه أو بعضه، فأحس به؛ فنظر إليه وأعرض عنه سريعا، حتى أخذ ما أحب، ثم بعد ذلك قال له بعض الحاضرين: « قد رأيت فلانا فعل ما فعل، ورأيتك نظرت إليه ثم أعرضت عنه، فعجبت لذلك! ». فقال له: « لا عجب في ذلك، ما قدْر ما أخذ في جَنْبِ سِتْرِهِ والإبقاء عليه؟، وما عند الله خير وأبقى! ».

---

[1] جيبه.

وشَرَّق في الركب المغربي من فاس، وشيعناه إلى بلد صفر[1]، فأقمنا معه هنالك مدة إقامة الركب، ثم سار الركب، فودعنا وسار، وذلك في أحد الربيعين سنة ثمان وألف. ففشا فضله ومعروفه، ورفقه بالمساكين في ذلك الركب، وحسن أثره فيه، وحج من عامه. وعرض له في أيام التشريق إسهال، فمرض أياما، فأعتق فيها مماليك، وتصدق بمال وافر. ومات بمكة – زادها الله تشريفا – في السادس والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وألف، ودفن هنالك مذكورا بالفضل، معروفا به، مثنيا عليه بالخير، مدعوا له بالرحمة والرضوان. ولم يولد له قط. فمات من غير عقب. رحمه الله.

[ترجمة محمد (الأصغر) بن محمد الفاسي الفهري]

وأما أبو عبد الله محمد الأصغر ؛ فكان خيرا دينا، تاجرا نفاعا، جوابا للآفاق. سافر في سبيل التجارة إلى مراكش، وتَارُودَنْت[2] من سوس الأقصى وتلمسان والجزائر... وغيرها.

ولقي بتلمسان الشيخ الإمام أبا عثمان سعيد المقري – رحمه الله – وحضر مجالسه، ولازمه. وكانت له عنده مكانة لنفسه ولأُخُوَّته للشيخ أبي المحاسن. وكذلك لقي غيره من العلماء والفضلاء ؛ كالشيخ العالم أبي زيد عبد الرحمن ابن موسى، والشيخ الصالح أبي عبد الله محمد ابن رحمة... وغيرهم.

وفي آخر أمره لزم داره، مقبلا على شأنه، مرضي [141] الحالة ؛ إلى أن توفي قبل طلوع الشمس من يوم الأربعاء الرابع عشر من ربيع الأول سنة اثنين وأربعين وألف. ولم يخلف غير بنت رحمه الله .

الفصل الثاني
في ذكر جده الشيخ أبي الحجاج يوسف بن عبد الرحمن بن أبي بكر[3]

---

[1] أي : صفرو ؛ وهي مدينة معروفة جهة القبلة من فاس .
[2] وهي: رودانة.
([3]) انظر ترجمته في "عناية أولي المجد" ص13 .

ويقال له: بُكَر (بضم الباء وفتح الكاف) رحمه الله، ورضي عنه. قدم أهله بنو الجد من مالقة — أعادها الله تعالى دار إسلام — في حدود سنة ثمانين وثمانمائة، بسبب الفتنة الناشئة بمالقة لما ثار بها القائد محمد القرسوطي ومالأه على ذلك كثير من القواد والأجناد، وتحرك إليه مرات سلطان الأندلس إذ ذاك أبو الحسن علي بن سعد ابن الأحمر ؛ من بني نصر، من قاعدتهم غرناطة، وحاصر مالقة وضيق عليها، وكان أخوه محمد بن سعد ببلاد النصارى — دمرهم الله — فاستدعوه، وبايعوه بمالقة، وبقي بها مدة.

وعظم الخطب هنالك، واشتدت الفتن، وامتحن الناس بالخلاف الواقع بين المسلمين، وتكالب العدو الكافر عليهم. فقد كانت عاقبة أمرها: أن أخذها النصارى — دمرهم الله — في أواخر شعبان سنة اثنتين وتسعين وثمانمائة، وبعدها في ربيع الأول سنة سبع وتسعين أخذت غرناطة، واستولى الكفر على الجزيرة. والأمر لله وحده. وآل الأمر في ذلك الخلاف بعد خطوب إلى اتفاق الأخوين، ومسير محمد إلى أخيه ؛ فبقي أهل الخلاف فوضى.

وانتهت الحال إلى قيام مالقة بدعوة السلطان أبي الحسن، وقتل من القواد: القرسوطي وابن سراج وابن سيدهم، ورحلت بيوت من مالقة — كغيرهم بسبب تلك الفتن – فأجازوا البحر إلى هذه العدوة. واستقر هذا الفل من بني الجد بفاس ؛ وهو: أبو زيد عبد الرحمن المذكور، وأخوه، وسكنوا — في غالب ظني – في حومة الشَمَّاكين من عدوة القرويين من فاس، واحترفوا بعمل الشمع المسبوك مع صناع تعانيه في موضع أعدوه له، فجرى عليهم لفظ: الشَمَّاع، وعرفوا به، ولعله جرى عليهم ببلدهم من قبل.

[نشأته وسكناه بالقصر الكبير]:

وولد أبو الحجاج بفاس، ونشأ بها، ثم مات أبوه وعمه وأولادهما في طاعون كان بها سنة سبع وثمانين وثمانمائة، وبقي هو وأخت له أكبر منه مع أمهما أم الفتح بنت عبد الوهاب الكناني، وتركه أبوه في الكتّاب يقرأ ؛ فقرأ ما يسر له بحسب سنه. وتيسر أمره. ثم ماتت أمه، وتزوجت أخته، ولقيته سنون شديدة، وصرفه الزمان عن القراءة وأقبل على التكسب.

ثم تفرغ للتجارة بما بقي بيده مما اجتمع له من تراث[1] أهله، فتردد في سبيل التجارة على القصر الكبير، وكان القصر إذ ذاك مقصدا للتجارة، وسوقا [142] تجلب إليه بضائع العدوتين وسلعها، إذ كان ثغرا بين بلاد المسلمين وبلاد النصارى — دمرهم الله — تحط به رحال تجار المسلمين من آفاق المغرب، وتجار الحربيين من أصيلا وطنجة والقصر الصغير وسبتة، ولأنه كان محل عناية سلطان المغرب إذ ذاك : الشيخ ابن أبي زكرياء

---

[1] التراث: المال.

الوطاسي ؛ فإن القصر قاعدة بلاد الهبط التي كانت موقع شرارة السلطان المذكور ومشب ناره، وموشج عصبيته، مع مجاورته لبلاد الحرب ؛ فكان نظره مصروفا إليه، واختصاصه موقوفا عليه، وتقبل بنوه بعده مذهبه فيه.

[سبب تلقيبه باسم الفاسي]:

ولورود أبي الحجاج على القصر من فاس – وطنه الثاني – غلب عليه اسم: الفاسي، فجرى عليه، وعرف به، وجرى كذلك على بنيه بعده، كما جرت كثيرا النسبة إلى الأوطان، كما ذكره المحدثون قالوا: ولا سيما في المتأخرين . وهو نوع من أنواع علوم الحديث، وبه ختم ابن الصلاح ومن تبعه في الترتيب كتابه، وجعله الرشاطي والسمعاني وغيرهما من مقاصد كتبهم.

ولما وقعت المعرفة والشهرة بهذا ؛ تنوسي ما كان قبله، لأن المقصود إنما هو: ما يحصل به التعارف.

[أسماء بعض ممن لقب بالفاسي من الأعلام]:

وعلى ذكر هذه النسبة ؛ فمن المشهور بها: الشيخ أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الزناتي، وقيل: الهواري، الشهير بالفاسي: الشيخ الإمام المشهور، رحل إلى المشرق، ودخل بغداد، واستوطن قيروان، وتوفي بها سنة ثلاثين وأربعمائة، ذكره القاضي أبو الفضل عياض في "المدارك". وقال الحافظ أبو محمد الرشاطي: ((ينسب إلى فاس جماعة:

منهم: أبو ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي، وتوفي[1] سنة سبع وخمسين وثلاثمائة، وذكره أيضا في "المدارك". وكان قد رحل وجال في الأندلس وإفريقية والمشرق. وتوفي بفاس، وقبره خارج باب الفتوح منها: معظم مقصود للتبرك وطلب الحاجات.

ومنهم: شارح الشاطبية أبو عبد الله محمد بن الحسن بن محمد بن يوسف بن إبراهيم ابن حروان. قرأ بفاس على أبي عبد الله البر المرادي، واستوطن حلب، وتوفي سنة ست وخمسين وستمائة.

ومنهم: السيد تقي الدين الشريف الحسني المكي ؛ قاضي المالكية بها من أهل المائة التاسعة، وله في تاريخ مكة – شرفها الله – كتب متعددة ؛ منها: "تحصيل المرام من تاريخ البلد الحرام"، وهو تاريخ مفيد محرر، وهو الذي رأيته من كتبه. وأما ذكره والنقل عنه، فكثير شهير...وغير هؤلاء ممن شهر بهذه النسبة كثير...)) .

---

[1] وفاة سيدي دراس ابن إسماعيل سنة 357. (حجرية).

وهذا ومثله – وإن كان ليس من مقصود الكتاب بالوجه الأخص – فإنه من مقصوده بالوجه الأعم، الذي هو: ذكر العلماء والفضلاء – رضي الله عنهم؛ ونفعنا ببركاتهم – وعند ذكر الصالحين تنزل الرحمة، والاستكثار من [143] ذلك مقصود محمود.

وكان من أدركنا من أهل السر وغيرهم يذكرون عنه أمورا حسنة، وينقلون عنه أخبارا لا أضبط كثيرا منها ؛ لطول العهد بسماعها، وبرؤية ما هو مكتوب منها، فلم أذكرها هنا تحريا واحتياطا.

وبالجملة: كانوا يذكرون أن في سلفه أهل علم ومروءة وحسب ببلدتهم.

وكان بنو الجد نسبهم في فهر، ودار سلفهم لبلة، وأوطنوا بعدها إشبيلية، وكان بها منهم: الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى، وجلوا عن إشبيلية في جاليتها حين أخذها النصارى – دمرهم الله – وكان أخذها في يوم الاثنين الخامس من شعبان سنة ستة وأربعين وستمائة.

وكان الشيخ أبو الحجاج يطيل المقام في القصر في شأن تجارته، وكان بحال عفاف وصيانة ومروءة ؛ فتزوج هنالك امرأة ثيبا من بني ومراس – إحدى قبائل الفحص – فكانت سبب إقامته في القصر.

وكان تام المروءة، حسن السمت، قويم الهدي، غزير البر، كريم النفس، رفيع الهمة، كثير الصدقة والإطعام، لا يستسيغ الطعام وحده حتى يحضر من يأكل معه. وكان يعم جيرانه بما يأتي به الوقت مما يستطرف، لا ينفرد عنهم، وكان أكثر صبيانهم يأكل عنده، ولا يكبر عليه شيء من متاع الدنيا، ولا يعظم عنده ما يبذله في سبل الخيرات، وذلك شائع من شأنه رحمه الله .

وكان مدده من الشيخ أبي العباس زروق – رضي الله عنه – أدركه وصحب أصحابه، واختص بالشيخ أبي عبد الله الشريف المشامري – من قدماء أصحاب الشيخ أبي العباس زروق نفعنا الله به – بفاس ؛ فظهرت عليه بركته، ولاحت عليه أشعته.

وكان شديد المحبة للنبي صلى الله عليه وسلم، والتعظيم له، يظهر عليه أثر ذلك عند ذكره، وعند كل ما هو بسبب منه، وكان له ربائب أولاد السيد الشريف أبي العباسي المعروف بالطويل. فكان مبالغا في برهم وإكرامهم، مفضلا لهم على أولاده ؛ رعيا لنسبتهم، وقياما لواجب حقهم، وامتثالا للأمر بمودتهم.

وقد أخرج أبو نعيم في "الحلية" عن عثمان بن عفان رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من أولى رجلا من بني عبد المطلب معروفا في الدنيا فلم يقدر المطلبي على مكافأته، فأنا أكافيه عند يوم القيامة »[1] . وأخرج الخطيب عنه أيضا قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من صنع صنيعة إلى أحد من خلف عبد المطلب في الدنيا: فعلي مكافاته إذا لقيني»[2] .

---

[1] وأورده كذلك القضاعي في "مسند الشهاب" عن عثمان رضي الله عنه.
[2] أورده الخطيب في "تاريخ بغداد" عن أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه (10: 103) .

وكان ذلك شأنه – رحمه الله – مع أهل البيت الطاهر النبوي – زاده الله شرفا – مبالغا في برهم وتعظيمهم، والقيام بحقوقهم، [144] وجعلها كلمة باقية في عقبه ؛ فجروا على ذلك – والحمد لله على ما من به من ذلك.

وقد رأيت في رق رسم شرائه دارا بخط بعض المعتبرين، وقد احتفل في الوثيقة وأطال في تخطيطه، ومن جملته: « جمع همته على النبي صلى الله عليه وسلم، واعتماده في كل أموره على الاستناد لجنابه المعظم ». وكناه بأبي شعيب. ولم أدر مستنده في هذه التكنية؟.

وتوفي – رحمه الله تعالى – في حدود العشرين وتسعمائة، ودفن بالزاوية داخل القصر – رحمه الله، وسقى تربته – وخلف ولدين لا غير ؛ أحدهما: الشيخ أبو عبد الله محمد.

[ترجمة أحمد بن يوسف الفاسي الفهري]

وثانيهما: الحاج أبو العباس. وكان شجاعا:

إذا هــمَّ ألـقـى بين عينيـه عزمَهُ	ونكّب عـن ذكـر العواقب جـانبـا
ولـم يستّشِـرْ في أمـره غيـر نفسه	ولـم يرض إلا صا رم السيف صاحبـا

وركب في شبيبته البحر إلى المشرق حاجا ؛ فحج وتردد هناك مدة، وحبب إليه غزو البحر؛ فركب في أسطول الأتراك، وحظي عندهم لجرأته وإقدامه على الأهوال، وجزالته وجريه على الجد في جميع شأنه، ولم يكن يعرف الهزل، فاغتبطوا به، ومكث معهم على ذلك سنين، وامتحن بالأسر ؛ فمكث فيه سنين، ثم فرج الله سبحانه عنه.

ورجع إلى المغرب ؛ فتزوج بالقصر، وأقام فيه مرضي الحال في دينه ودنياه. وولد له ولد سماه: أحمد. ومات سنة سبع وثمانين وتسعمائة أواخر السنة التي قبلها، وبقي ولده إلى أن مات من غير عقب رحمه الله.

[التعريف بالقصر الكبير]:

وقد جرى ذكر القصر كثيرا ؛ وهي: مدينة سهلية على واد كبير شتوي، يقال له: لُكُسْ بالعدوة الشمالية منه. وذكره ابن خلدون في العشر الأول الغربي من أجزاء الإقليم الثالث، وغالب الظن أن التي ذكرها أبو عبيد البكري في كتابه "المسالك والممالك" غير هذه، وأن تلك كانت بالموضع المعروف الآن بالغرفة، فدثرت، وبقيت

هنالك رسوم منها.

وتعرف بالقصر الكبير، وقصر كتامة، وقصر عبد الكريم. فأما الاسمان الأولان ؛ فليتميَّز من القصر الصغير الذي يعرف بذلك، وبقصر مصمودة ؛ لأنه في بلادهم. وإن خفي اسمهم هنالك، وبقصر الجواز ؛ لأنه فرضه المجاز لعدوة الأندلس، لكون البحر الذي هو على مكسر موجه أضيق بحر في بحر الزقاق ؛ فعرضه نحو اثني عشر ميلا.

وقد كانت البلاد التي بها القصر الكبير لكتامة، فذهب اسم كتامة إلا عن جماعة ضعيفة على وادي لكس بالعدوة الجنوبية قبل وصوله إلى القصر، وغالب الظن أن القبائل التي هو في بلادها كلها كتامة [145] وإن ذهب الاسم عنها. وتعرف الآن بأهل سريف.

وأما عبد الكريم الذي يضاف إليه ؛ فإنه رئيس من رؤسائهم كان فيه، وسمعت سابقا من أهل تلك البلاد أنه: قصده جيش السلطان ؛ ففر إلى الدمنة وتحصن بها، ثم ألقى نفسه وهو على فرسه من موضع هنالك ينعتونه من سورها، وأنه وصل إلى الأرض سالما هو وفرسه، ثم لا يذكرون الآن ما كان بعد ذلك من أمره.

وهي قلعة منيعة في قنة جبل، على شفا جرف سحيق الهوى، على مسيرة يوم من القصر مما يلي الشمال الشرقي، ومازال كثيرا من سورها ماثلا، وقد رأيته من بعض المواطن القريبة من ذلك الجبل.

وتلك البلاد لبني جرفط. وقد قال القاضي عياض في "المدارك": « إن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن العجوز الكتامي طلب العلم وسمع من أبيه، وكان أكثر مدته في قومه كتامة، ودخولهم قلعتهم الدمنة ». وقال الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن العزفي في فهرسته في ذكر شيخه الشيخ الفقيه القاضي الجليل أبي تميم المعز بن منصور الزهيلي: « ولي قضاء قصر كتامة وهو في حكم القرى، فلم يزل يربي أهله، ويرشح أذكياءه للشهادة ، وطلبته للخطط، ويحوط سكانه، ويسعى في مصالحهم، ويقهر الطغاة، ويعاقب الجناة، ويستعين على الظالمين الذين لا يقدر على الانتصاف منهم بالولاة والسلطان، ويعين تجاره وأهل الفلاحة والحراثة، حتى انجبر جمهورهم، واستغنى أكثرهم، حتى استوطنه أكثر الرحالين، ونافس في سكناه أكثر المسافرين، ولجأ إليه كثير من فلّ بلاد الأندلس ؛ وبخاصة أهل غرب الأندلس، كشنترين والأشبونة، ومن بناتها: قصر أبي دانس — عمره الله — ويابرة — جبرها الله — فاتسع فناؤه، وكثر جزاؤه، وأسمع نداؤه، وارتفع بناؤه، فصار في عداد البلاد، وصلح لاتخاذ الطريق والتلاد ». هـ. وكان ذلك على أيام يعقوب المنصور أو أبيه يوسف.

[بعض صلحاء وأعلام القصر الكبير]:

وقد سلف في القصر جماعة من العلماء والأولياء يطول ذكرهم، ومن مشاهيرهم: الشيخ الإمام العارف، شيخ الصوفية في وقته ؛ أبو الحسن علي بن خلف بن غالب الأنصاري الشلبي. ومنهم: السيدة فاطمة

الأندلسية. ومنهم: الشيخ أبو يحيى بن الملاح، وروضتاهما متقاربتان، وبمقربة منهما: الشيخ شعيب، والذي في ذهني أنه: أبو مدين العثماني والد بني أبي مدين كتاب الدولة المرينية لأبي يوسف ومن بعده، وعهدي ببقية من أعقابهم بفاس. وقال ابن خلدون: « شعيب بن مخلوف من بني أبي عثمان، من قبائل كتامة، [146] المجاورين للقصر الكبير. كان منتحلا للدين ومشتهرا به، ولما تغلب بنو مرين على ضواحي المغرب ؛ كان بنو عبد الحق قد تخيروا شعيبا هذا فيمن تخيروه للصحبة من أهل الدين، وكان يعقوب بن عبد الحق أشدهم صحبة له، فعظم في الدولة قدره، وربي بنوه بقصر كتامة، ومات يعقوب ؛ فاستخلصهم ولده يوسف لخدمته، وترقى بهم مرتبة بعد أخرى، ومات أبوهم أبو مدين شعيب سنة سبع وتسعين وستمائة.. » .

[قبة الرئيس]:

وأما القبة التي تعرف بقبة الرئيس ؛ فإنها لبعض الأمراء. ذكر ابن الخطيب في "الإحاطة" أن الرئيس أبا محمد عبد الله بن إبراهيم بن علي بن شقيولة التجيبي ثار بوادي آش، ودعى إلى مَلِك المغرب ؛ فلم يغثه، ووقعت مراسلات أجلت عن انتقاله إلى المغرب معوضا عن وادي آش بقصر كتامة، وذلك في عام ستة وثمانين وستمائة، ومات بالقصر. قال: « وزرت مقبرة الرؤساء من بني شقيولة بظاهره ؛ وهي قبة كبيرة، نسيجة وحدها بذلك البلد، وسنام قبره رخام، وعند رأسه لوح قائم من الرخام مكتوب ». وقد وصفه ابن الخطيب في الجزء الذي وصف فيه البلدان من كتابه "الريحانة"، وذكر ممادحه ومذامه كما فعل في غيره من البلدان. ومقابر الأولياء هنالك كثيرة – رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم. آمين.

الفصل الثالث

في ذكر أخيه الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد رضي الله عنه[1]

كان أبو محمد – رضي الله عنه – إماما عالما، متبحرا نظارا، جامعا لأدوات الاجتهاد، مائلا إليه، محققا في جميع العلوم، عارفا بالنحو واللغة، والفقه والأصول، والكلام والمنطق والبيان... وغير ذلك. إماما في جميع

---

[1] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (90)، و"الصفوة" (34)، و"الروض العطر" (110)، و"التقاط الدرر" (85)، و"السلوك" (2: 302)، و"زهر الآس" (2: 70)، و"شجرة النور" (1: 299)، و"الفكر السامي" (2: 275)، و"الحركة الفكرية" (2: 366)، و"الزاوية الفاسية" (179)، وغيرها. وهو الشهير بالعارف الفاسي.

ذلك، متوسعا في الأصلين، لا يدرك فيهما شأوه، جيد الفهم، مصيب السهم، شهد له بذلك شيوخه، واعترف له به أهل عصره.

وأما معاني القرآن والحديث والتصوف المؤيد بالكتاب والسنة ؛ فلا يجارى في شيء من ذلك، يورده استحضارا. مستحضرا لحديث الصحيحين وأكثر مشارق القاضي عياض، وما عورض به بين الآيات أو بين الأحاديث. وما قيل في ذلك، وما أجيب به، ويصحح ويرجح، ويضعف ويزيف.

متين الدين، صلبا في الحق، قوالا به، حسن الأخلاق، كريم النفس، عالي الهمة، ممتع المجالسة، طيب المؤانسة، [147] حسن العبارة، سهل التعليم، زاهدا في الدنيا، لم يتعاط قط أسبابها، ولا رغب فيها، وإنما كان يتعاطى القيام بما بيده منها غيره. ثم مضى ذلك ولم يتأثر به، ميسر الرزق غير مهتم له، متوكلا على الله تعالى، حسن اللباس ؛ لا يرى عليه أثر فاقة ولا حاجة، ظاهر الغنى، غنيا بالله تعالى.

ولد – رضي الله عنه – بالقصر الكبير في محرم سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة. ومات والده الشيخ أبو عبد الله وهو في سن الفطام أو أزيد قليلا، وربي في حجر أخيه الشيخ أبي المحاسن. وكان هو والشيخ أبو العباس بن الشيخ أبي المحاسن رضيعي لبان، وقريني سن ومكان. ودخلا الكتاب معا؛ فقرآ القرآن وما يتعلق برسمه وضبطه وأدائه من الأراجيز التي تعرف عرفا بالكراريس، وما يتبع ذلك مما جرت العادة به من كتب النحو والفقه وغيرهما.

[طلبه العلم بفاس وشيوخه فيها]:

ثم بعثهما الشيخ أبو المحاسن إلى حضرة فاس سنة ست وثمانين بقصد القراءة بها، وبعث معهما خال الشيخ أبي محمد ؛ وهو: الفقيه الصالح الأستاذ أبو محمد عبد الله بن أحمد الشكراني الطليقي، ويعرف بالجلالي، مرافقا لهما، وملازما للقراءة معهما، وناظرا في شؤونهما ومصالحهما.

وكان إذ ذاك العلماء متوافرين بفاس؛ منهم: الشيخ الإمام مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها أبو زكرياء يحيى بن محمد السراج، والشيخ الإمام قاضي الجماعة بفاس وخطيب جامع السلطان بالمدينة البيضاء أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الحميدي، والشيخ الإمام المتفنن المرجوع إليه في الأصلين والبيان والمنطق أبو العباس أحمد بن علي المنجور، والشيخ الأستاذ شيخ النحاة والمقرئين أبو العباس أحمد بن قاسم القدومي... وغيرهم. فلازموهم وأخذوا عنهم علوما جمة، من الفنون المختلفة، وأخذ الشيخ أبو محمد عن جماعة آخرين:

منهم: العلامة المحقق أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مهدي ؛ أخذ عنه العربية، وكان إماما فيها، وسمعت الشيخ أبا محمد كثيرا ما يثني عليه، ويصفه بجودة الفهم والتحقيق، وحسن العبارة.

ثم لازم الشيخ أبو محمد الشيخ الإمام المتفنن المحقق النظار أبا عبد الله محمد بن قاسم القصار، وقرأ عليه بلفظه جميع رواية يحيى بن يحيى الليثي في أصل عليه خط القاضي أبي بكر بن العربي، وصحيح البخاري

في أصل ابن سعادة المسموع على الصدفي، وجميع صحيح مسلم في أصل ابن خير، و"الشمائل" للترمذي، ورسالة ابن أبي زيد، وجل " الشفا" للقاضي عياض، وأجازه في جميع [148] ما يحمله، وما يصح له وعنه روايته. وكان ينوه به، ويشهد له، ويحيل في كثير من المسائل عليه. وقرأ عليه – أيضا – جميع ألفية العراقي في علوم الحديث، وجميع مختصر سعد الدين، والمختصر الأصلي لابن الحاجب بشرحه للعضد، وشرح الكبرى، ومُعَوَّل سعد الدين، وشرح "الألفية" للمرادي، ومختصر الشيخ خليل. . . وغير ذلك، قراءة تحقيق في جميعها، إلا أن بعضها لم يكمله، وانتفع به كثيرا، وتضلع بالعلوم، ودرس في أنواعها وأفاد، وصنف وقيد.

ولازم أخاه الشيخ أبا المحاسن سنين كثيرة، واقتصر بعد تضلعه من العلوم على الأخذ عنه، والحضور بمجلسه، والسلوك على يديه. فأخذ عنه كثيرا من التفسير، والحديث، والتصوف وغير ذلك. وفتح له على يديه، فطلع له فجر الحقيقة طلوع الفجر المبين، وتحقق بمقامات اليقين، وتفجرت ينابيع المعرفة من قلبه على لسانه تفجر الماء المعين.

[مــؤلـفــاتــه]:

ومن تصانيفه: تفسير الفاتحة على طريق الإشارة، وحاشية في التفسير عظيمة الفائدة، وحاشية على صحيح البخاري كثيرة النكت والفوائد، تداولها الناس وانتفعوا بها. وحاشية مفيدة على " دلائل الخيرات"، وحاشية على "الحزب الكبير"، وحاشيتان على "شرح الصغرى"، إحداهما جمعها في أيام قراءته على مشايخه، ثم تصرف فيها في أيام قراءتها عليه، وهي حسنة بديعة، ثم غابت عنه، فكتب حاشية أخرى جليلة أيضا، وهما موجودتان الآن والحمد لله.

وحين قرأنا عليه شرح المحلي على "جمع الجوامع"، وأكثر شرح العضد على أصلي ابن الحاجب ؛ كان يكتب حاشية على المحلي رابطا لكلامه بكلام العضد، وغاب عني خبرها، وله أجوبة وتقاييد كثيرة في التفسير والحديث والأصلين والفقه والتصوف. . .وغيرها، وعلى كتبه حواش كثيرة في فنون متعددة، إذا خرجت حصل بها نفع عظيم إن شاء الله.

وانفرد في أواخر عمره بالإمامة في العلم والعرفان، وأذعنت له الكافة. وبنى بإزاء داره مجتمعا حسنا تام المرافق، وأجرى إليه جدول ماء من عيون تعرف بعيون أبي خزر ؛ وهو ماء غزير يتخرج منه هنالك شآبيب، تصب من أنابيب مفعمة، في سقاية بديعة الصنع، وينصرف إلى المطاهر[1] ومواضع الوضوء، يجتمع الناس بذلك المجتمع للصلاة به معه، والأخذ عنه، وحضور مجالسه والتبرك به، وقراءة الأحزاب، وهي التي تقدم ذكرها ؛ إلا أنه أسقط وظيفة الشيخ أبي العباس زروق، وحزب [149] الشيخ أبي عبد الله الجزولي.

---

[1] الميضآت.

وانقادت إليه الرياسة بحضرة فاس ؛ فانفرد بها، واحتاج إليه السلطان فمن دونه، ونفذت كلمته، مرجوعا إليه في كل مهم، متبوعا في كل ما يقصد .

[وفاته]:

إلى أن توفي – رضي الله عنه – في آخر ليلة الأربعاء السابع والعشرين من ربيع الأول سنة ست وثلاثين وألف. قال صاحبنا الأديب البليغ أبو عبد الله المكلاتي – رحمه الله – في *تذييله* لقصيدة صاحبنا الكاتب البليغ أبي عبد الله محمد بن علي الفشتالي رحمه الله:

أبو زيد الفاسي *شلو* معظم رثاه حديث المصطفى بمسلسَل

ودفن في روضة أخيه الشيخ أبي المحاسن، قريبا من القبة، في شمالها، وبني عليه بناء حسن في صورة البيت. رحمه الله ورضي عنه.

الفصل الرابع
في ذكر ولده الفقيه أبي عبد الله محمد رضي الله عنهما [1]

كان أبو عبد الله محمد أكبر وُلْد الشيخ أبي المحاسن. ولد في القصر سنة تسع وخمسين وتسعمائة، ونشأ به وقرأ القرآن، وطلب العلم هنالك، وحضر مجالس أبيه، ثم رحل إلى مكناسة وفاس، وقرأ على مشيختهما، فاستفاد وحصل، وأفاد وعلم وانتفع به جماعة من الطلبة.

[1] انظر ترجمته في "السلوة" (2: 87) .

وكان الغالب عليه: علم القرآن والفقه. وكان خيرا دينا فاضلا رقيق القلب، كثير الخشوع، سريع العبرة، سمحا جوادا، كريم النفس، مستطاب الحديث، حسن التلاوة، شجي الصوت، لا يكاد يسمع أحد تلاوته إلا بكى ورق قلبه.

سكن بفاس إلى أن توفي في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة، ورغب بعض السادة الأشراف في دفنه في مقبرتهم في الكَغَّادين داخل باب الفتوح ؛ فدفن هنالك. وذلك في حياة والده – رضي الله عنهم.

الفصل الخامس
في ذكر ولده الشيخ أبي الحسن علي رضي الله عنهما[1]

كان أبو الحسن من العلماء العاملين، وعباد الله الصالحين، والسالكين سَنَنَ المهتدين، ومن أهل المعرفة واليقين، والمقتدى بهم في العلم والدين، مؤثرا للخمول والبعد من الناس، والاقتصاد في العيش، والميل للأيسر، والبراءة من التكلف، مقتصرا من الدنيا على ما لا بد منه، غير ناظر إلى زهرتها، منقبضا عن أهلها، متنزها عن الخوض فيما هم فيه من أمر دنياهم، لا يلابسهم إلا حيث لا مندوحة، متعززا بالله تعالى عليهم، [150] مع لين الجانب، وخفض الجناح، وطيب الأخلاق، وحسن السمت، ومؤالفة المسلمين والضعفاء، وقرب المتناول لطلاب العلم وقصاد الآخرة.

ولد في القصر في النصف من شعبان سنة ستين وتسعمائة، ونشأ به وقرأ، ثم رحل إلى فاس؛ فقرأ بها، وأخذ عن مشيختها، وشارك في فنون عديدة ؛ من علوم القرآن والعربية، والعقائد والفقه، والحساب والفرائض... وغير ذلك من الفنون، وانتفع وحصَّل، واستفاد وأفاد، وقرأ عليه بنوه وغيرهم. وتخرج به غير واحد .

وبعد انتقال والده الشيخ أبي المحاسن إلى فاس ؛ زوجه في القصر –كما تقدم – فأوطنه إلى وفاته.

وتوفي – رضي الله عنه – وقت العصر من يوم الجمعة السادس عشر من جمادى الأولى، سنة ثلاثين وألف، ودفن بالروضة القريبة من داره في القطانين من القصر، وهي المنسوبة لسيدي الخطيب رضي الله عنهم أجمعين.

---

[1] انظر ترجمته في "نشر المثاني" (1249 موسوعة)، و"عناية أولي المجد" (24)، و"زهر الآس" (2: 71)، و"شجرة النور" (1: 297) وغيرها.

الفصل السادس

في ذكر ولده الشيخ أبي العباس أحمد رضي الله عنهما[1]

كان الشيخ أبو العباس بحرا من بحار العلم، و جبلا من جبال الدين، متحققا بالعرفان وعلوم أرباب القلوب، واسع المعرفة بطرق القوم ومذاهبهم، حسن الكلام عليها، عارفا بمآخذ الصوفية من الكتاب والسنة، مستحضرا لهما، غزير الحفظ، ثاقب الفهم، متفننا في أنواع العلوم، مشاركا فيها أحسن المشاركة، متبحرا في الأصلين والفقه، مطلعا على مذاهب الفلاسفة في الإلهيات.

منفردا بعلم الحديث لا يجارى فيه ولا يبارى، حافظا لحديث الصحيحين، مستحضرا لما اتفقا عليه وما انفرد به أحدهما، وللاختلاف في لفظ متن أو سند ؛ تصحح من حفظه نسخ البخاري ومسلم. كلام ابن حجر والأبي نصب عينيه. عارفا بالرجال والعلل، معتنيا بجمع الطرق، محصلا لفائدة ذلك، عارفا بالتعادل والتراجح، محققا للصناعة، جاريا على سنن أهلها، مستعملا للسنة، محافظا عليها، ملاحظا لها في جميع أحواله، صادق اللهجة، معروفا بالصدق منذ الصبا.

[1] أنظر ترجمته في: "نشر المثاني" (185) موسوعة، و"التقاط الدرر" (1: 55)، و"عناية أولي المجد" (23)، و"الاستقصا" (4: 158)، و"السلوك" (2: 219)، و"زهر الآس" (2: 89)، و"الأعلام" (1: 275)، و"الحركة الفكرية" (2: 365)، و"الزاوية الفاسية" (323)... وغيرها، وهو الشهير بالحافظ الفاسي.

الفصل السادس

في ذكر ولده الشيخ أبي العباس أحمد رضي الله عنهما[1]

كان الشيخ أبو العباس بحرا من بحار العلم، و جبلا من جبال الدين، متحققا بالعرفان وعلوم أرباب القلوب، واسع المعرفة بطرق القوم ومذاهبهم، حسن الكلام عليها، عارفا بمآخذ الصوفية من الكتاب والسنة، مستحضرا لهما، غزير الحفظ، ثاقب الفهم، متفننا في أنواع العلوم، مشاركا فيها أحسن المشاركة، متبحرا في الأصلين والفقه، مطلعا على مذاهب الفلاسفة في الإلهيات.

منفردا بعلم الحديث لا يجارى فيه ولا يبارى، حافظا لحديث الصحيحين، مستحضرا لما اتفقا عليه وما انفرد به أحدهما، وللاختلاف في لفظ متن أو سند ؛ تصحح من حفظه نسخ البخاري ومسلم. كلام ابن حجر والأبي نصب عينيه. عارفا بالرجال والعلل، معتنيا بجمع الطرق، محصلا لفائدة ذلك، عارفا بالتعادل والتراجح، محققا للصناعة، جاريا على سنن أهلها، مستعملا للسنة، محافظا عليها، ملاحظا لها في جميع أحواله، صادق اللهجة، معروفا بالصدق منذ الصبا.

كثير التهجد ؛ مقسما لليل، كثير النظر في ملكوت السماء، لا يطلع الفجر إلا وهو يرقبه، كثير التلاوة والذكر، والنوافل والأوراد، حريصا على نصح الخلق وهدايتهم ونفعهم.

نشأ في ظلال الدين وارتضع العُلا فجاء تُقًى يختال في الرتب الشُم [151]

[ولادتـــــــــه]:

ولد – رضي الله عنه – قرب طلوع الفجر، ليلة الأحد، السادس من ذي الحجة، سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، في القصر الكبير. وبه نشأ، وربي في حجور الفقهاء والصالحين، لا يعرف غيرهم.

[1] أنظر ترجمته في: "نشر المثاني" (185) موسوعة، و"التقاط الدرر" (1: 55)، و"عناية أولي المجد" (23)، و"الاستقصا" (4: 158)، و"السلوك" (2: 219)، و"زهر الآس" (2: 89)، و"الأعلام" (1: 275)، و"الحركة الفكرية" (2: 365)، و"الزاوية الفاسية" (323) . . . وغيرها، وهو الشهير بالحافظ الفاسي.

[طــلبه العــــلم]:

وقرأ القرآن في صباه ؛ فحفظه في الختمة الأولى، وقرأ الكتب التي اعتيد للمبتدئين في طلب العلم حفظها، وكان – كما تقدم – هو وعمه الشيخ أبو محمد عبد الرحمن تَرْبِيْنَ في سن واحد، واشتغال واحد، ورحلا إلى فاس في طلب العلم مع الأستاذ أبي محمد الجلالي – كما تقدم ذكره – واعتمروا بيتين في مدرسة الصفارين، بالجانب الشرقي منها، متوسطين في البيوت التي تشرف سراجيبها[1] على صحن المدرسة، وفيهما أو ما يقرب منهما قرأ أبو عبد الله وأبو الحسن المتقدم ذكرهما.

وأخذ الشيخ أبو العباس العربية عن جماعة ؛ منهم: العلامة النحوي المحقق أبو عبد الله محمد بن يوسف بن مهدي الزياتي. وعن شيخه شيخ المقرئين والنحاة الأستاذ أبي العباس أحمد بن قاسم القدومي. . . وغيرهما.

وأخذ أصول الدين والبيان وغيرهما ؛ عن الشيخ الإمام، المرجوع إليه في ذلك أبي العباس أحمد بن علي المنجور، وحضر أيضا عنده في ألفية العراقي. ورجز ابن بري.

وأخذ الفقه عن الشيخ الإمام أبي زكرياء يحيى بن محمد السراج، وعن الشيخ الإمام أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد الحميدي ؛ ولازمه في مختصر الشيخ خليل سنين عديدة. وأخذ الفقه – أيضا – عن غيرهما.

وقرأ على الشيخ العلامة أبي القاسم ابن سودة شمسية الكاتبي في المنطق، وغيرها من أصول وغيره. وأخذ عن غير واحد من مشايخ فاس غير من ذكرنا.

وكان هو وعمه الشيخ أبو محمد مشتركين في أكثر الطلب، والأخذ، والمشايخ، لا يفترقان إلا في القليل.

ولازم الشيخ أبو العباس أخيرا: الشيخ الإمام العالم المحقق أبا عبد الله محمد بن قاسم القصار، وحضر جميع ما تقدم ذكره في ترجمة عمه، وأخذه عنه أخذ تحقيق، وسمع عليه جميع "الموطأ"، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، وشمائل الترمذي، ورسالة ابن أبي زيد، وجُل "الشفا". . . وغير ذلك. وأجازه في جميع ما يصح له وعنه روايته، ومن جملته: ما اشتملت عليه فهارس ابن الزبير والعراقي وابن حجر، وزكرياء وأبي زكرياء السراج والمنتوري وابن غازي، ومشيخة ابن البخاري. . . وغيرهم، وجميع ما يجوز له وعنه روايته. وكان كثيرا ما يشهد له بالتفنن والحفظ والصلاح.

وقرأ على والده الشيخ [152] أبي المحاسن كثيرا من علم الأصول، والتفسير وغيرهما. وقرأ عليه تائية ابن الفارض قراءة تحقيق وتدقيق وإيضاح ؛ كما عند الفرغاني والقاشاني من معنى

---

[1] أي: شبابيكها .

غامض دقيق. وقد حضرت مجالس كثيرة منها في صغري، وقرأ عليه حِكَم الشيخ ابن عطاء الله، و"القصيدة الشريشية" في السلوك. . . وغير ذلك من كتب التصوف.

وكان للشيخ أبي المحاسن مجلس بعد العصر يقرأ فيه بين يديه دائما، إلا في أوقات عذر، وكان القارئ في ذلك المجلس: هو الشيخ أبو العباس، وكان يحضره دائما الشيخ أبو محمد –كما تقدم ذلك في الفصل السادس من الباب الأول– فقرأ عليه صحيح البخاري مرات كثيرة، وصحيح مسلم مرات أيضا، و"قوت القلوب" للشيخ أبي طالب، و"الإحياء" للشيخ أبي حامد، وشرح الشيخ ابن عباد على "الحكم"، وعددا من شروحها للشيخ زروق، ورسالة الشيخ أبي القاسم القشيري وتحبيره. . . وغير ذلك من الكتب التي لا يحضرني الآن ذكرها. وسلك على يديه طريق الإرادة. واستفتح به ؛ فجاءه الفتح المبين، وأشرقت عليه أنوار المعرفة واليقين، وتحقق بمقامات العارفين المحققين.

[لقياه شيوخ الطريق]:

ولقي الشيخ أبو العباس كثيرا من المشايخ والأولياء، وعمدته في الطريق: والده، وإنما كان مع غيره على سبيل التبرك، وأدرك في صباه سيدنا وبركتنا الشيخ أبا زيد المجذوب، وبعثه إليه مرة والده مع بعض أصحابه ؛ فتلقاه بألطف المبرة، ونوه بذكره، فلما حضر الطعام ؛ جعل له سهمين، وقال: ((سهمه كسهم الفارس مع الراجل)).

وفي محرم سنة ثمان عشرة وألف ؛ خرج من فاس لزيارة الشيخ الشهير، الولي الكبير، سيدي أبي بكر بن محمد المجاطي[1] – رضي الله عنه – فزاره، وأخذ عنه، وأقبل عليه سيدي أبو بكر إقبالا عظيما، وتلقاه بغاية الإجلال والتعظيم والترفيع لشأنه، ولما رجع ؛ سئل عنه فقال: ((أخذ الناس بالأوصاف، وأخذ سيدي أبو بكر بالاتصاف[2])).

وكان الشيخ أبو المحاسن يشهد له وينوه بذكره، وأثنى عليه في مرض موته، وشهد بخصوصيته.

ولما توفي الشيخ[3] ؛ قام بعده أحسن مقام، ومضى على سنته في المجلس العلمي والكلام العرفاني، وكان على عهده وبعده له مجلس لقراءة الحديث والفقه وغيرهما، وكان دائم المطالعة، كثير المذاكرة، ودرَّس في أنواع العلوم، ونفع وأفاد وقيد كثيرا.

---

[1] ولصاحب الترجمة تأليف في أسانيد شيخه سيدي أبي بكر المذكور . نسخة (ب) .
[2] معناه: أنه تحقق حالا بما ادعاه غيره مقالا – والله أعلم . نسخة (ب) .
[3] يعني: الشيخ أبا المحاسن.

[مـــؤلـفـــاتـــــه]:

وصنف كتبا مفيدة ؛ منها: شرح "الشريشية" في السلوك ؛ وهو شرح جليل، مستوف لما يحتاج إليه في معانيها، ومنها: شرح "عمدة الأحكام" للحافظ عبد الغني بن سرور ؛ سلك فيه مسلك الاختصار والتهذيب، محصلا لما في شرحيها لابن دقيق العيد والفاكهاني، ولما عند ابن حجر والأبي، والحاضر الآن [153] من هذا الشرح: النصف الأول، ولعل ما بقي يوجد في الكتب التي بفاس. وله جزء في الكلام على ليلة النصف من شعبان ؛ سماه: « الدرر الحسان في الكلام على ليلة النصف من شعبان »، بين فيها حكمها فقها وحديثا ؛ فأجاد وأفاد، وله جزء في الكلام على الذكر جماعة ؛ كتب عليه شيخنا الإمام أبو عبد الله القصار مستحسنا له. وله حاشية على شرح الصغرى، وله جزء في وزن الأعمال، وتكفير السيئات بالأعمال الصالحات، وهل يعم ذلك الكبائر أم لا ؟. وله جزء في أولاد المشركين، وجزء في السماع وما يتعلق به. . . وغير ذلك.

وشرع في تصنيف كتب عديدة ؛ منها: حاشية على صحيح مسلم ؛ كتب منها جزءا، وغير ذلك من الكتب ؛ فعاق الزمان عن تكميل ذلك. وله تقاييد جمة، وأجوبة كثيرة ؛ مطولة ومختصرة، في أنواع من العلوم، وسنثبت منها هنا ما حضر إن شاء الله.

[الكلام على حديث قول القائل يوم القيامة: «أنا ربكم الأعلى»]:

وقد حدثني الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن الشيخ الولي الشهير سيدي أبي بكر الجاطي الصنهاجي – رضي الله عنهما – أنه لما قدم حضرة فاس في أواخر سنة سبع عشرة وألف كان يوما مجلس حضر فيه شيخنا الإمام أبو العباس، وشيخنا الإمام أبو الطيب بن مهدي، والشيخ الإمام أبو عبد الله محمد الهواري، والشيخ الإمام أبو العباس أحمد المقري، والفقيه العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الحليم وكل واحد من الثلاثة الأخيرين ولي الفتوى بفاس، فجرى استشكال قول القائل يوم القيامة: « أنا ربكم »[1] وهو بغير الصفة التي يعرفونها، فإن كان مَلَكا ؛ فكيف جاز أن يخبر بغير الواقع، ولا سيما هذه الدعوى، والملك معصوم ؟!. فتكلم كل واحد بما حضره.

فقال شيخنا أبو العباس: « يجاب عنه بأن ذلك الملك يكون حينئذ في مقام الفناء والجمع ؛ فيغيب عن نفسه في شهود التوحيد، فيقول ذلك .كما وقع للحلاج وغيره من الأكابر رضي الله عنهم أجمعين! ». قال: « فانفصل المجلس في هذه المسألة على ذلك ».

[1] أنظر الحديث كاملا في صحيح البخاري (1: 277) وسنن الترمذي (4: 691) وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ولما هزمت الدولة بفاس، وكثر الاختلاف من أعقاب السلطان، وتناوبوا الهزائم والغنائم، وعتت القبائل وعاثت، وجرى بسبب ذلك ما جرت به العادة في مثل ذلك . واستدعى ذلك كثيرا من أهل النزاهة، إلى الدخول فيما لا يرضونه، وحضور ما يتنزهون عنه.

[فتنة تسليم العرائش للنصارى لعنهم الله]:

ومن أشنع ما وقع من ذلك: أن السلطان تكلم مع النصارى - دمرهم الله - في تمكينهم من مدينة العرائش لأغراض فاسدة، وموه على الناس بأعذار واهية، وبعث من يعرض ذلك على العلماء، ويأخذ موافقتهم ؛ ليدفع اللومة عن [154] نفسه، فمنهم من لم يجد مندوحة، ومنهم من عصمه الله بالورع. فخرج شيخنا أبو العباس قبل وصول المفاوضة في ذلك إليه، وغاب عن فاس مدة، فما رجع حتى انتهى الأمر إلى آخره، ودخل النصارى – دمرهم الله – العرائش – أعادها الله دار إسلام – في أوائل رمضان سنة تسع عشرة وألف، ورأى شيخنا أبو العباس الخروج من فاس ببعض أهله فرارا من الفتن بدينه، وبراءة من الخوض كالذي خاضوا . وبعث إلى الشيخ سيدي أبي بكر بن محمد – رضي الله عنه – يستشيره ؛ فأشار له بالخروج، وكان عند شيخنا أبي العباس علم بتفاصيل مآل تلك الحال ؛ إما عن خبر وإما عن كشف. أما بحسب الجملة ؛ فقد علم ذلك كل من له نظر في المقدمات والنتائج .

[هجرة المؤلف وشقيقه أبي العباس من فاس]:

فخرجت من فاس بأهلي وبعض أهله صبيحة يوم السبت السابع عشر من صفر سنة عشرين وألف. وهو يوم عشرين من أبريل، وأقام هو بفاس أياما، ثم لحق بنا في بني يحمد وقد تطارحوا علينا في الإقامة عندهم، فأقمنا إلى أواخر ربيع الثاني، ثم أقمت أنا، وسار هو بالأهل جميعا إلى بُوزيري من بلاد مصمودة عمل أَزَّاجن ؛ وهو منزل سيدنا وبركتنا سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله عنه. فنزلنا به خير نزول في خير منزل. وكان لنا متسع في تلك البلاد وتلك القبائل منذ زمان قديم.

وبعد خروجنا من فاس بقريب ؛ وهو: يوم الجمعة الحادي والعشرين من ربيع الأول ؛ ثار بفاس أبو الربيع سليمان بن محمد الزرهوني. وعضده محمد المربوع اللمطي، وتبعهما أهل فاس بأجمعهم، وأخرجوا من كان من جيش السلطان، وقتلوا كثيرا منهم، وجرت في ذلك خطوب آلت بعد سنين إلى

انقطاع الملك بفاس، وبقي الناس فوضى إلى الآن، والله مالك الملك يوتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده[1].

ومن الغرائب: أني يوم خروجنا من فاس لقيت ببلاد لمطة كبير بني عامر وفقيرهم[2]، وكان صديقا لنا ؛ فقال لي: « نِعْمَ ما فعلتم، من الآن إلى نحو شهر يتزلزل هذا الملك تزلزلا لا ينجبر بعده أبدا ! ». فكانت الثورة المذكورة بعد شهر وثلاثة أيام، ثم غدر المربوع سليمان ؛ فقتله يوم السبت رابع صفر سنة ست وعشرين وألف، ثم قتل المربوع بعد ذلك في أخبار لا حاجة لنا في ذكرها، وأقمنا حيث نزلنا بنجاة من الهياط والمياط الذي كان بفاس وما إليها إلى أوائل ربيع الثاني سنة إحدى وعشرين وألف.

[وفاة الحافظ أبي العباس الفاسي]:

فمرض شيخنا أبو العباس بالحُمَّى إلى أن توفي - رضي الله عنه - بين الظهر والعصر من يوم الأربعاء [155] الحادي والعشرين من ربيع الثاني، سنة إحدى وعشرين وألف، ببوزيري، ودفن من الغد يوم الخميس بعد صلاة الظهر بموضع هنالك يعرف بالمنيزلة، في الروضة المنسوبة لسيدي محمد السبع ولد الشيخ أبي زيد المجذوب، وصلى عليه على شفير قبره أخوه أبو الحسن علي رضي الله عنهم أجمعين. وحضر لذلك خلق لا يحصون من القبائل وغيرهم ؛ لأنهم لما سمعوا خبر مرضه توقعوا ذلك، فتأهبوا له. والله أعلم. يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد. ورمز تاريخ وفاته صاحبنا أبو عبد الله المكلاتي — رحمه الله - بقوله:

ولست *أشك* في ابن يوسف أحمد   ومسنده قد صح عن خير مرسل

[بعض أجوبة الحافظ أبي العباس العلمية]

وحضرني بعض أجوبته ؛ فقدمت ما حضر. سئل منه — رضي الله عنه — الجواب في مسألة: رجل قال في ملأ من الناس: « عامة من لم يعرف العشرين صفة وأضدادها بالبرهان ؛ لم ينج من الخلود في النار ! ». وتحيرت العامة من ذلك. وعظم عليهم الأمر، واضطربت أحوالهم ؛ فأجاب:

---

[1] وقد عادت العرائش إلى المغرب بتاريخ 18 محرم عام (1101) للهجرة.
[2] هو: محمد بن عبد الرحمن العامري المكوكي الملقب بالأدغم.

[جواب حول وجوب معرفة البرهان في الاعتقاد على العامة والخاصة]:

((الحمد لله الذي أكمل الدين وأتمه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبي الرحمة، وعلى آله وصحبه الذين نقلوا دينه القيم وأقاموا رسمه. الجواب، والله الموفق للصواب، والمعين فيه سبحانه أستعين: إن الذي أجمع عليه أهل السنة: أن من آمن بالله تعالى على ما هو عليه من الكمال والتقدس عما لا يليق بجلاله، وأنه موجود قديم باق واحد، ليس كمثله شيء، متصف بالقدرة والإرادة، والعلم والحياة، والسمع والبصر والكلام، وآمن بالرسول صلى الله عليه وسلم، واعتقد ما يجب له من الصدق والأمانة، وكمال التبليغ. ونزهه عما لا يليق بعلي جنابه، وكان ذلك عن تقليد جازم، لا عن ضرورة أو برهان ؛ فهو مومن ناج في الآخرة من الخلود في النار، ثم اختلف أهل السنة هل يأثم بترك النظر أم لا؟ ، والذي عليه الفقهاء والمحدثون والصوفية، وجمهور السلف والخلف: أنه غير آثم. وقيل: يأثم. وعليه كثير من المتكلمين. قالوا: وإن كان إيمانه صحيحا ؛ فلا بد من دليل على ما يعتقد. ثم اختلفوا، فقيل: لا يشترط أن يكون الدليل عقليا، بل يكفي فيه ما تواتر عنه صلى الله عليه وسلم قرآنا وسنة، وقيل: لابد أن يكون عقليا ولو جُمَليا، يفهمه فهما يعرف به الحق، ويخرج به من التقليد. ولا تشترط فيه القدرة على ترتيب الأدلة ودفع الشبه، والتمكن من التعبير عنه، ولا تحرير ما يعتقده على طريق المتكلمين واصطلاحاتهم)).

((وقد سئل ابن رشد عن طائفة قالوا: إنه يتعين على العالم والجاهل قراءة مذاهب المتكلمين من الأشعريين، والبداءة بذلك قبل تعلم [156] ما يقيم به أمر دينه من وضوئه وصلاته وسائر العبادات المفترضة عليه، وكفروا من خالف ذلك. فأجاب بأن قال: ما الكفر إلا في اعتقاد ما ذهبوا إليه من ذلك ؛ لأنهم إذا لم يصلوا ولا صاموا ولا حجوا حتى يعرفوا الله تعالى من تلك الطريق الغامضة البعيدة ؛ قد لا يصلون إلى معرفته من تلك الطريقة إلا بعد المدة الطويلة، وتنبوا أفهامهم عنها جملة ؛ فيمرقون من الدين، ويخرجون من جملة المسلمين)). هـ.

((ثم القائلون بأنه: يأثم بترك النظر اختلفوا ؛ فمنهم: من أطلق ذلك ولم يفصل. والذي عليه المحققون من المتقدمين والمتأخرين . أن من كانت فيه أهلية النظر وفي وقته فسحة تسعه لذلك ؛ فإنه يأثم بترك النظر. وأما من لم يجد فسحة للنظر ؛ لموته قبل التمكن من النظر، أو لم تكن فيه أهلية لذلك ؛ ككثير من العوام والعبيد والنساء ؛ فلا إثم عليهم ؛ لعجزهم عن النظر في الأدلة وتمييزها عن الشبه، لكنهم كلفوا تقليد المحق دون المبطل ؛ وهذه الطريقة تجري على قاعدة: التكليف بالمقدور. وشرط المطلوب: الإمكان. وعليها درج القاضي أبو بكر الباقلاني في كلام نقله عنه الشيخ أبو الفضل راشد الوليدي)).

((وقد سلكها أيضا جماعة من المتقدمين ومن المتأخرين ؛ كالشيخ أبي العباس ابن زكري، والشيخ أبي عبد الله السنوسي ؛ فإنه قال في "شرح صغرى الصغرى"، وقد ألفه بعد شروح "الكبرى" و"الوسطى" و"الصغرى" ما نصه: وإذا كان عن تقليد ؛ ففي ذلك طرق وأقوال، أصحها:

أنه يجـب عليه البحث عن البرهـان حتى تحـصل له المعرفة عنه، مهما كانت فيه قابلية لفهم ذلك)) . هـ .

((فهذا حصر أقوال أهل السنة في هذه المسألة، ولا قائل بأن البرهان شرط في الإيمان ولا يكفي التقليد في النجاة من الخلود في النار ؛ إلا رواية شاذة تعزى للشيخ أبي الحسن الأشعري ؛ فشنع عليه جماعة بأنه يلزمه تكفير العوام ؛ وهم غالب المومنين. وتأولها جماعة ؛ فبعضهم بأن ذلك فيمن اختلج في قلبه شيء ؛ فيجب عليه زواله بالبرهان، وبعضهم بما سيأتي. وردها آخرون وكذبوا ناقلها عنه ؛ كالأستاذ أبي القاسم القشيري – وهو من أعلم الناس بأقوال الأشعري – فقال: هذا زور عليه، من تلبيس الكرامية على العوام، فإنهم يقولون: الإيمان: الإقرار المجرد. وعند الأشعري: الإيمان هو: التصديق. والظن بجميع عوام المسلمين أنهم يصدقون الله في أخباره ؛ فأما ما تنطوي عليه العقائد ؛ فالله أعلم به)).

((**ومما يقوي ذلك:** أن الأشعري اختلف قوله بالتكفير وعدمه في أهل الأهواء : كالقدرية. كما اختلف [157] قول ملك والشافعي فيهم. وهم أسوأ حالا من المقلد على مذهب أهل السنة ؛ لاعتقاده الحق واعتقادهم الباطل، فكيف يجزم الأشعري بتكفير المعتقد للحق تقليدا ؟ !. على أن المحققين على عدم تكفير أهل الأهواء، إلا من صرح بالكفر ؛ بأن لم يصدق بما علم ضرورة مجيء الرسول به، أو فعل ما يدل عليه غالبا . وقد قال أبو الوليد الباجي عن شيخه أبي جعفر السمناني – من أكابر الأشعرية – إن مسألة الخلاف في إيمان المقلد من مسائل الاعتزال ثبتت في المذهب السني)).

((**ومن أدلة الاكتفاء بالتقليد:** ظواهر الأحاديث المتكاثرة، والسير المتواترة عنه صلى الله عليه وسلم في الاكتفاء بالشهادتين والإجابة للإسلام ؛ كما استدل بذلك القاضي أبو بكر الباقلاني فمن بعده كما سيأتي، ولا شك أن الظواهر إذا تكاثرت في شيء ولم يعارضها سواها ؛ أفادت القطع. على أنه لا حاجة إلى أن يكون الدليل على ذلك قطعيا ؛ فإن المسألة – وإن كانت علمية – فلا يشترط فيها القطع، إنما ذلك فيما يرجع للذات والصفات، كما نبه عليه الشيخ الأبي هنا، والشيخ ابن عرفة في غير هذا)).

((فأما سيرته صلى الله عليه وسلم ؛ فقد استفاض عنه وتواتر أنه كان لا يطالب العرب – على اختلاف قابليتهم – بأكثر من التصديق، ولم يفرق بين من آمن عن تقليد أو عن برهان. واكتفى منهم بذلك، ولم يطالبهم بالبرهان. ولا يقال: إنما اكتفى منهم بذلك في؛ لأنه ضعيف جدا كما قال الشيخ الأبي والشيخ السنوسي، إذ لا يقبل منهم في الظاهر ويدعهم كفارا في الباطن، ومنع كونهم مقلدين أيضا كذلك ؛ إذ هي دعوى تحتاج إلى دليل، والظاهر خلافه)).

« **ومن الأحاديث:** ما في "الصحيح" عن معاذ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من أحد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صدقا من قلبه ؛ إلا حرمه الله على النار[1]. وجاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال: أأسلم أم أقاتل؟ فقال: أسلم ثم قاتل. فأسلم ثم قاتل ؛ فاستشهد[2]. وحديث الصبي اليهودي الذي كان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ، فدخل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في النزع ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أسلم!. فنظر إلى أبيه ؛ فقال له: أطع أبا القاسم. فأسلم فمات. . .الحديث »[3].

« وفي "الصحيح" عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا، من خلق كذا؟. حتى يقول: من خلق ربك؟ ![4]. فإذا بلغه ؛ فليستعذ بالله ولينته. وفي رواية قال: لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق [158] الله ؛ من خلق الله؟. فمن وجد ذلك ؛ فليقل: آمنت بالله ورسوله[5]. فانظر لماذا رده!. ولم يرده لإبطال الدور والتسلسل. وفي رواية للترمذي والنسائي: فإذا قال ذلك ؛ فقولوا: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ إلى آخر السورة، ثم ليتفل عن يساره ثلاثا، وليستعذ بالله من الشيطان الرجيم. . . إلى غير ذلك من الأخبار. فهذا تعليمه عليه الصلاة والسلام. قال بعض العلماء: وهو — والله — النافع ».

« ثم إن المقلد ليس كما يتبادر إلى الذهن، وأنه: من لم يمارس العقائد على أربابها. فقد قال الأستاذ أبو منصور الماتريدي، وسعد الدين التفتزاني: ليس النزاع في الذين نشؤوا في ديار الإسلام من الأمصار والقرى والصحاري، وتواتر عندهم أمر النبي صلى الله عليه وسلم وما أتى به من المعجزات، ولا في الذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار، فإنهم كلهم من أهل النظر والاستدلال ؛ بل فيمن نشأ في شاهق جبل مثلا، ولم يتفكر في ملكوت السماوات والأرض، فأخبره إنسان بما افترض عليه في اعتقاده ؛ فصدقه فيما أخبره بمجرد إخباره من غير تفكر ولا تدبر! ». هـ.

« ولا شك أن دلالة الآفاق والأنفس، والأدلة السمعية على وجوده جل وعلا، واتصافه بصفات الكمال ؛ يحصل بأدنى نظر، بل يكاد يكون أمرا ضروريا لسائر الأنفس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها ﴾. [الروم: 30] . وقوله عليه الصلاة والسلام: كل مولود يولد على

---

[1] رواه البخاري في صحيحه في عدة مواضع، منها (59:1) عن أنس رضي الله عنه. ومسلم في صحيحه عن معاذ(61:1).

[2] رواه البخاري في صحيحه (رقم 2653)، والإمام أحمد في مسنده (4 : 290) عن البراء بن عازب رضي الله عنه .

[3] رواه البخاري في صحيحه (455:1) وأبو داود في سننه (185:3)، وأحمد في مسنده (175:3) عن أنس رضي الله عنه.

[4] رواه البخاري في صحيحه (رقم 3102) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[5] رواه مسلم في صحيحه (1 : 119)، وأبو داود في سننه (231:4) عن أبي هريرة، وابن حبان في صحيحه (362:1) عن عائشة رضي الله عنهما .

الفطرة[1]. الحديث. وقوله في الآية: ﴿ أفي الله شك ﴾. [إبراهيم: 10])). هذا آخر ما وجدت من هذا الجواب ولم أجد ما بقي منه[2]. 3

الفصل السابع
في ذكر ولده محمد العربي وهو مؤلف الكتاب
وفقه الله ولطف به وخار له

قد ساق السياق إلى ذكر هذا الفصل، واقتضى إلحاقه بما تقدم إلحاقَ الفرع بالأصل، وعسى أن يحصل به جمع الشمل والوصل، وإن تباينت الحال وتباعد الخصل. فلِلزَّج على بُعده اتصال بالعامل والنصل، حكمت له فيه الإضافة بالوصل على الفصل. وقد يروج بين الكمل الزائف. ويجوز بين أهل الشفاعة الخائف. وحقا أقول: لولا اتباعي نفسي هواها، وهُويّي معها في مهواها ؛ لما التفت لما سوَّلتَ، ولم أصغ لما هَوَّنَتْ أو هَوَّلَتْ، فلو ألهمت رشدي ؛ لو قفت عند حدي، وتنكرت استحياء فلم أتعـرف، واختفيت خمولا بحيث لم أعـرف. لكني بعد غلبة الهوى ؛ أتعلل بأن لكل امرئ ما نوى [159].

والله تعالى المسؤول، أن يلحق ما كشفناه من عوارنا بستره الجميل، وأن يلطف بنا في مواقع عثارنا ؛ فهو الذي يلطف ويقيل، وأن يجعل مآل مساعينا أحسن مما سعينا فيه، وأن يسلك بنا مسلكا يوافي رضاه ولا ينافيه.

[اسـمـــــــي]:

وعلى الانسياق في حكم السياق ؛ فاسمي: محمد، ولقبت بالعربي، وكنيت بأبي حامد. وكثيرا ما تُسكن العامة الراء من العَرْبي، وهو لقب غلب كثيرا ذكره منفردا، وقد يذكر معه الاسم، وقليل ذكر الاسم دونه، وكان والدي الشيخ أبو المحاسن يطلق علي الاسم وحده، وكذلك أخي الشيخ أبو العباس.

---

[1] رواه البخاري في صحيحه (1385) عن أبي هريرة رضي الله عنه.
[2] بقي في أصل المؤلف هنا قدر ورقتين من البياض. (حجرية).
[3] اللهم ارحم جميعهم، وانفعنا يا مولانا ببركات علومهم، واحشرنا في حمى العلماء العاملين . من خط الناسخ؛ نسخة (ب) .

[ولادتي ومنشئي]:

ولدت في حومة العيون من عدوة القرويين من فاس، في ضحى يوم الاثنين السادس من شوال سنة ثمان وثمانين وتسعمائة، وهو أول يوم من فصل الشتاء. وكان في أول شهر رمضان قبله مرض السعال الذي عم الناس. هكذا وجدته مقيدا بخط سيدي وأخي وشيخي سيدي أحمد رضي الله عنه، وأول الشتاء هو: اليوم السادس عشر من نونبر، على ما جرى عليه الناس بالمغرب . وما أكملت العام إلا في المخفية من عدوة الأندلس، وبها نشأت وربيت؛ وأقمت إلى وقت خروجي من فاس كما يأتي ذكره.

ولما ناهزت السنة الرابعة ؛ كتب لي والدي الحروف وبعض الفاتحة في لوح، وتولى تعليمي على قدر سني شيخنا العالم الصوفي أبو عبد الله محمد بن علي النيجي ؛ فحفظت الحروف والفاتحة وما قرب من ذلك. وكنت أتردد بين الروايات، وتعلم الآيات. وكان ذلك التعليم، ليس على سبيل التحتيم؛ إنما كان لإلف القراءة والأنس بها، ليأتي الوقت المعتاد لها، وقد سكنت إليها النفس وأَنِسَتْ بها .

[طلبي العلوم ومشيختي]:

ولما جاوزت خمس سنين ؛ ابتدأت القراءة ابتداء ثانيا على شيخنا الفقيه العابد الزاهد الحاج أبي الحسن علي بن أحمد ابن سعيد، وأفرد لقراءتي موضع بجائز من ألواح الأرز، في الدار التي كان فيها اجتماع الفقراء والناس عند الشيخ أبي المحاسن، فقرأت عليه على الطريق المعهود في التعليم بالمغرب ؛ من الابتداء بالحروف، ثم الفاتحة، ثم سورة الناس، ثم سورة الفلق. . . وهكذا صاعدا إلى سورة البقرة.

ولما ختمت سورة الرحمن ؛ عرض لشيخنا أبي الحسن ابن سعيد عذر، فابتدأت القراءة من سورة القمر على شيخنا الإمام العلامة أبي الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي إلى تمام الختمة، ثم قرأت عليه ختمة ثانية ؛ فحفظت القرآن، ثم قرأت عليه في اللوح نحو عشر ختمات، بعضها لورش وبعضها لقالون. وكنت أجود عليه وعلى والدي الشيخ أبي المحاسن. وكان شيخنا أبو الطيب قد أقبل على سلوك، وزهد [160] واعتزل الناس ؛ فاختصصت به نحو ثمان سنين ؛ قرأت عليه فيها "مورد الظمآن" للشيخ أبي عبد الله الخراز في الرسم، ورجزه في الضبط، و"الدرر اللوامع" للشيخ أبي الحسن ابن برّي، و"الشاطبية" و"الجرومية" و"الألفية"، و"اللامية"، ورسالة الشيخ ابن أبي زيد، ومختصر الشيخ خليل، وشرح "الصغرى" للشيخ السنوسي، ومقدمته. . . وغير ذلك، وتكررت قراءتي لما ذكر عليه، وقرأت عليه كثيرا من "المغني" لابن هشام. وكثيرا من "إعراب القرآن العزيز". وكنا نعتمد فيه على الصفاقسي. كنت أطالعه في نسخة، ويطالعه هو في أخرى، ثم أقعد بين يديه

لذلك بعد صلاة الصبح، واستفدت منه وانتفعت به كثيرا، مع اهتمامه بشأني، واعتنائي بإفادتي جهد الاستطاعة.

وقرأت في هذه المدة على عمي شيخنا أبي محمد عبد الرحمن كثيرا من رسالة الشيخ ابن أبي زيد قراءة في غاية الحسن والتحقيق، وقرأت عليه غير ما مرة شرح "الصغرى" في غاية التحرير والتحقيق، وكان نسيج وحده في ذلك، وقرأت عليه كثيرا من "تلخيص المفتاح"، ومختصر المنطق. . . وغير ذلك. وكان يعاملني في التعليم والإفادة والتنبيه وإملاء النكت معاملة من طب لمن حب.

واستفدت كثيرا في هذه المدة من أخي شيخنا الإمام أبي العباس أحمد، ومن شيخنا الإمام أبي القاسم ابن القاضي ؛ وكنت أقرأ عليه تصريف الشيخ المكودي، وسألت منه شرحه ؛ فشرحه برسمي، ولما استدعاه إلى مراكش للوفادة الخليفة أبو العباس المنصور، اقتضت الحال أن يرفع إليه ذلك الشرح وغيره من مصنفاته ؛ فصنف خطبة وذكر فيها الخليفة.

وحضرت كثيرا من كلام والدي على تائية ابن الفارض، وغير ذلك إنما قرأته بدارنا .

وكنت مذ عقلت لا أخالط الصبيان، ولا أعرف شيئا من لعبهم، إنما ربيت مقبلا على الجد، لا أخرج من الدار إلا لصلاة الجمعة ونحوها في صحبة قوم صالحين.

ولما كنت ابن نحو عشر سنين ؛ بعثني والدي مع أخي وعمي وسيدي الحسن بن مهدي إلى شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار ؛ فدخلنا إليه بموضع كتبه وخلوته من داره التي بقرب حمام القلعة، وذلك أول يوم رأيته، وذلك بعد الظهر من يوم (. . .)[1]. وكان إذ ذاك ملازما لداره، لا يخرج منها إلا نادرا، فأدناني – رحمه الله – وفرح بي، وناولني جزءا من صحيح البخاري، وأجازني في جميع مروياته التي منها جميع ما اشتملت عليه فهرسة ابن حجر والمنتوري وابن غازي، وكتب لي ذلك بخطه، وأنشدني رحمه الله من لفظه: [161]

تمسك بحب الشاذلية تَلْقَ ما	تروم وحقق ذا الرجاء وحصل
ولا تعـدُوَنْ عيناك عنهم فإنهم	شموس هُدًى في أعين المتأملَ

ونسبهما للشيخ أبي الحسن علي بن وفا رضي الله عنهم. ثم رأيت في "القاموس": « شادل: كصاحب عَلَم وبهاء، قرية بالمغرب، أو هي بالذال ؛ ومنها: السيد أبو الحسن الشاذلي، أستاذ الطائفة الشاذلية من صوفية الإسكندرية، وفيهم يقول أبو العباس بن عطاء الله:

تمسك بحبل الشاذلية تلق ما	تروم فحقق ذاك منهم وحصل
ولا تعدون عيناك عنهم فإنهم	شموس هُدًى في أعين المتأمل »

[1] هكذا هذا البياض في أصل المؤلف (حجرية) . (بمقدار ثلاث كلمات) .

وقد توفي الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله سنة تسع وسبعمائة، والشيخ أبو الحسن بن وفا سنة سبع وثمانمائة، وصاحب "القاموس" مجد الدين الفيروزبادي سنة عشر وثمانمائة عن سن عالية.

ولما جاوزت خمس عشرة سنة ؛ خرجت لحضور مجالس العلم في القرويين وغيرها على مشيخة فاس، فلازمت: شيخنا الفقيه العالم، الصالح الخطيب المفتي ؛ أبا عبد الله محمد بن أحمد المريني سنين عديدة في قراءة "الرسالة"، ينقل عليها تقييد الشيخ سيدي يوسف بن عمر، وشرح ابن ناجي، ملتزما بنقل ألفاظهما والكلام عليهما، ويحضر هنالك الطلبة غيرهما من شروح "الرسالة" ؛ كالجزولي، والقلشاني، وسيدي زروق وأبي الحسن المصري، والتتائي... وكان مجلسا حافلا. وفي قراءة "عمدة الأحكام" للحافظ عبد الغني، وكان يلتزم نقل شرح ابن الفاكهاني عليها. وفي قراءة مختصر الشيخ خليل، وفي قراءة "الألفية" وشرحها للمرادي... وغير ذلك.

ولازمت شيخنا قاضي الجماعة أبا الحسن عليا بن عبد الرحمن ابن عمران في قراءة مختصر الشيخ خليل، ومغني ابن هشام، وشيء من "المدونة" للبراذعي. وحضرت عنده جملة من التفسير، ومن السير، ينقل فيه السيرة لابن إسحاق، وتهذيب ابن هشام، وكلام السهيلي عليها، وكل ذلك باللفظ. وكان مجلسه في ذلك لا نظير له ؛ فصاحة لسان، وصراحة بيان، وحسن إيراد وترتيب وتنميق.

ولازمت شيخنا قاضي الجماعة أبا القاسم بن محمد ابن أبي النعيم في قراءة محصَّل المقاصد للشيخ أبي العباس ابن زكري، ومختصر الشيخ السنوسي في المنطق، وشرحه لكبراه، و"تلخيص المفتاح"، وجملة من التفسير. وفي سنة ثمان عشرة وألف حضرنا عليه "تلخيص المفتاح" ؛ كان يجلس له بعد العصر في المسجد [162] المجاور لداره بالعقبة الزرقاء[1]، وكان يحضره العلامة واحد عصره أبو العباس أحمد بن محمد المقري، والعلامة الأستاذ الحاج أبو محمد عبد الواحد بن أحمد ابن عاشر، والعلامة النحوي أبو الحسن علي ابن الزبير السجلماسي... وغيرهم من الأعيان. وكان شيخنا أبو القاسم يعرف ذلك الفن معرفة تامة ؛ شهد له بها أهل عصره، وكان قد فاتني شيء يسير من أول الكتاب ؛ فطلبت منه أن أقرأه عليه في الضحى، فقرأته عليه، وكان يحضر معي فيه صاحبنا الأديب الحسيب أبو الحسن علي بن أحمد الشامي، إلى أن استكملت ما فاتني وزدت جملة صالحة مما حضرناه عشية.

ولازمت أيضا شيخنا العلامة الصالح أبا القاسم بن محمد ابن القاضي سنين كثيرة ؛ في علوم متعددة من علوم القرآن والنحو والتصريف، والعروض والحساب، والفرائض والتوقيت... وغير ذلك. وكان واحد عصره في معرفة مذاهب النحاة، وحفظ أقوالهم، له عناية بشروح "الجمل"، و"الإيضاح"، وتوسع في مطالعة ما يمكنه من الكتب، وتقييد الفوائد منها. وكنت أحضر دروسه ؛

---

[1] قف على محل منزل الإمام أبي القاسم بن أبي النعيم.

كدرسه في "الألفية"، و"التسهيل" بشرحيهما للمرادي، وفي "المغني"، وفي الحوفي ببسط العمل، وفي تلخيص ابن البناء، وفي مقصورة الشيخ أبي زيد المكودي ؛ وكان يقرؤها الأديب الكاتب أبو فارس عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم الفشتالي، وكان يكتب عليها شرحا ويستعين عليه فيما يرجع إلى إعرابها بقراءته على شيخنا . وقرأت عليه قصيدة كعب بن زهير التي أولها: بانت سعاد . مع شرح ابن هشام عليها . . . وغير ذلك مما يكثر عده، وكنت أجالسه كثيرا، وأدخل معه إلى داره ومحل كتبه ونظره ؛ فأستفيد وأفيد، وأنظر من كتبه ما شئت.

ولازمت أيضا الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبا عبد الله القصار سنين كثيرة، فكنت أحضر دروسه في مختصر الشيخ خليل، وشرح "جمع الجوامع" للمحلي، و"ألفية" العراقي، وفي التفسير والحديث. . . وغير ذلك، وجالسته كثيرا، وكانت مجالسته تقوم مقام دروس كثيرة ؛ فإنها كان يحصل بها من الفوائد ما لا يكاد يحصل في دروس كثيرة، وكان إمام عصره تفننا في العلوم وتبحرا فيها، وجودة نظر ودقة فهم وسهولة مأخذ، واختصاصا بإيضاح المشكل، وتسهيل العويص، على وجازة فطر عليها في كلامه ربما لم يتأد معها المقصود لكثير ممن قصر فهمه ؛ فتحامى لذلك الاستفادة منه كثير منهم. أما أهل التحصيل والفهم الأصيل ؛ فأكبوا على الأخذ والاستفادة منه ؛ فحصلوا على علم عظيم، وملكة تامة ؛ [163] إذ كان متصرفا نظارا على سنن الأكابر من أهل النظر.

وقرأت على أخي شيخنا أبي العباس كثيرا من "العمدة" و"الرسالة"، و"المختصر"، "وألفية" العراقي . . . وغير ذلك مما يكثر، وعلى عمي شيخنا أبي محمد عبد الرحمن كثيرا من شرح العضد على مختصر ابن الحاجب، وجميع شرح المحلي على " جمع الجوامع" وغير ذلك. وعلى شيخنا أبي الطيب بن مهدي "الألفية" وشروحها مرات، والمختصر وغير ذلك. وحضرت عند العلامة أبي الحسن علي بن بو الأعراب السفياني في قراءة "لامية الأفعال"، "وإيساغوجي" قبل أن يتصل بالسلطان ويلي القيادة. وحضرت في قراءة المختصر عند الفقيه الحافظ الناثر أبي الحسن علي بن جلول.

وممن لقيته غير مرة، وأخذت عنه واستفدت منه: شيخنا العلامة الحافظ، الناظم الناثر ؛ أبو عبد الله محمد بن الشيخ الفاضل البركة أبي الحسن علي القنطري القصري، حضرت مجلسه في التفسير وفي غيره، وأخذت عنه الحديث المسلسل بالمصافحة، فصافحني رحمه الله بزاوية والده بالشريعة من القصر الكبير ؛ قصر كتامة، بعد صلاة العصر من يوم الأربعاء، الثاني من جمادى الأولى، سنة سبع عشرة وألف. وقال: « صافحني الشيخ الإمام، الورع الزاهد ؛ أبو إبراهيم رضوان بن عبد الله الجنوي الفاسي بمنزله المعروف. . . »[1].

---

[1] بقي بأصل المؤلف هنا من البياض ما يقرب من الكراس. (حجرية) .

فصل

في ذكر الشيخ الإمام أبي الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي الزياتي رضي الله عنه[1]

[اسمه وأصله وقبيله]:

هو أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي بن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي (بالياء التحتانية والتاء الفوقانية)، يعرف في بلاده بابن مهدي ويعرف في غيرها به وبالزياتي. أصله من بني عبد الواد ؛ إحدى قبائل زناتة المشهورة، وهي التي كان لها الملك والسلطان في تلمسان وما إليها من لدن يَغْمُرَاسَن بن زيان مقيم الدولة في أوائل المائة السابعة وماهدها لبنيه بعده، إلى أن تغلب الترك عليها وانتزعوها من أحمد بن عبد الله من أعقاب يغْمُرَاسَن.

قال الشيخ قاضي الجماعة أبو محمد عبد الواحد بن الشيخ أبي العباس أحمد الونشريسي رحمه الله ؛ ومن خطه نقلت: « قدم حسن بن خير الدين التركي، واستولى على تلمسان في أواسط شعبان سنة اثنين وخمسين وتسعمائة، وأخرج منها الأمير أحمد بن الأمير عبد الله، ووزيره منصورا بن أبي غانم، ولحقا بدبدو مع من انضاف إليهما من أمراء تلمسان وكبرائها، فغدرهم [164] عمرو بن يحيى – يعني: المريني صاحب دبدو – وأخذ أموالهم، واعتقلهم، وسرح منصورا في محرم سنة ثلاث وخمسين ».هـ . ولا حاجة لذكر ما بعد ذلك من الأحداث التي لم تستقر ؛ كدخول الشرفاء ملوك المغرب إياها، فإن الأمر استقر بها للترك إلى هذا التاريخ، وهو: سنة ست وأربعين وألف.

[الكلام على مدينة تيجسَّاس]:

ونزل سلف الشيخ أبي الطيب بمدينة تيجيسَّاس، وهي في شرق تطاون، على مسيرة يوم منها، في موضع كثير الحجارة والصخر، في سفح جبل في غربيها، تحتها في شمالها جرف كثير الصخر عظيمه، على مكسر موج البحر. لها نهر نبّاع، يجلب إليه منه جدول ؛ ولها تبسيط تركبه الجداول من كل جهة ؛ فتسقي الزرع والكتان والثمار، فأهلهما في أمن من القحط، وهي قديمة العمران.

---

[1] انظر ترجمته في "نشر المثاني" (1:198)، و"التقاط الدرر" (1 : 66) و"الأعلام" (2:288)، و"الحركة الفكرية" (2:458). وغيرها.

لما قسم الإمام محمد بن الإمام إدريس أعمال المغرب على إخوته ؛ ولى بتيجيساس وأقطارها أخاه (عمر)[1]، ولم تزل عامرة إلى حدود سنة ثمانمائة، فجلى عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي؛ واليها من قبل بني مرين، فخلت من سكانها، وانتقلوا إلى القبائل وغيرها . ولم يزل سورها ماثلا إلى الآن.

وانتقل سلف الشيخ أبي الطيب إلى القبيلة الحافة بها من جهاتها الثلاثة ؛ وهي: قبيلة بني زيات (بزاي، ثم ياء تحتانية خفيفة، ثم ألف، ثم تاء مثناة فوقية) من قبائل بني يال (بياء تحتانية، ألف مد، فلام) بطن من بطون غمارة، ويقول نسابتهم: يال، ونال. بالنون مكان الياء، أخوان ؛ فتفرع يال إلى بني زيات وبني سلمان وبني منصور وبني بوزرا، وتفرع نال (بالنون) إلى بني خالد وبني رزين وبني كرير (بالقاف المعقودة) وبني مسيح. فصاروا في عدد بني زيات. ثم بني جَلا منهم (وهو بجيم مفتوحة، ثم لام مشددة بعدها ألف) فنزلوا معهم، وكانوا أهل حسب ومروءة وطلب علم. قد عرفوا بذلك، واستمروا عليه.

[ولادة صاحب الترجمة ونشأته]:

ولد صاحب الترجمة في نصف جمادى الثانية سنة أربع وستين وتسعمائة، ورحل إلى فاس في طلب العلم شقيقاه أبو العباس أحمد بن يوسف بن مهدي وأبو عبد الله محمد، فقرآى على مشيخة ذلك العصر، فنجبا وفاقا غيرهما من أقرانهما، ودرسا بفاس، ولا سيما أصغرهما أبو عبد الله. فكان نسيج وحده لا يجارى في العربية ولا يبارى، إلى حسن الإلقاء، وجودة العبارة ونفوذ الفهم. وأقبل الناس على القراءة عليه، وتنافسوا فيها، وطار ذكره كل مطار.

[طلبه العلم بفاس]:

ثم لحق بهما أخوهما – صاحب الترجمة – فقرأ عليهما، وحصل ما عندهما، ولازم شيخهما شيخ المقرئين والنحاة: أبا لعباس أحمد بن قاسم القدومي، إلى أن توفي بعد عصر يوم [165] الأربعاء، الخامس عشر من شعبان عام اثنين وتسعين وتسعمائة، ودفن من الغد خارج باب الفتوح من أبواب فاس. وقد أتقن عليه علوم القرآن العزيز، من القراءات وغيرها، وعلوم العربية ؛ نحوا وتصريفا وغير ذلك، وحظي منه بعلم غزير حتى صار المشار إليه في تلك العلوم، والمرجوع إليه في تحقيقها، وبيان مشكلها وفتح مقفلها.

---

[1] فراغ في الأصلين المعتمدين ؛ وقد ذكرت جميع مصادر درجمة الإمام مولانا إدريس – رضي الله عنه – أنه ولى بتلك المنطقة ؛ أخاه الإمام عمر رضي الله عنه ، انظر "نظم الدر والعقيان" ص288 ، و"الدر السني" ص11 حجرية، وهو الذي أثبتناه .

ولم يتفق له أن يكمل الجمع للسبعة على شيخه أبي العباس ؛ لموته، ولا اتفق له ذلك عن غيره، فلم تكن عنده إجازة في السبع ؛ مع تحقيقه لذلك، وبلوغه فيه إلى مرتبة انفرد بها، كما انفرد بمعرفة معاني "الشاطبية" معرفة لم يشاركه فيها غيره، وهي من جملة ما حقق على شيخه أبي العباس القدومي.

وقد رأيت الأستاذ الشهير أبا العباس أحمد بن شعيب يلازم حضور مجلسه في الكلام عليها، وعلى "الدرر اللوامع"، وشارك في علوم كثيرة محققا في جميعها.

ولازم في قراءة مختصر الشيخ خليل قاضي الجماعة أبا محمد عبد الواحد بن أحمد الحميدي، وقرأ من أوله إلى فصل الصداق على الشيخ الإمام شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار؛ وقرأ عليه ألفية العراقي في علوم الحديث، و"تلخيص المفتاح" إلا بعضه... وغير ذلك من الكتب، وسمع عليه "الموطأ" والصحيحين وغير ذلك. وأجازه في جميع ذلك، وفي جميع ما يصح له وعنه روايته، وكتب له بذلك خطه. وقرأ الأصلين والمنطق وغير ذلك على مشايخ ذلك العصر المسمين في غير هذا.

[لقيه بالشيخ أبي المحاسن وسلبه الإرادة له]:

وصحب الشيخ أبا المحاسن على طريق الإرادة والتحكيم ؛ سمعته – رحمه الله – يقول ما معناه: « إنه لما توفي شيخه أبو العباس القدومي، وجد عليه وجدا عظيما، واشتد به الأسف حتى غلبت عليه السوداء، واستولت عليه الأفكار الردية، فكان يخيل إليه في كثير من الأوقات أن الموت قد نزل به، فبينما هو يوما في بيته بمدرسة الحلفاويين، من البيوت المشرفة على الصحن، في الجانب الفوقاني، عن يمين الداخل للمدرسة، والبيت مغلق عليه، وهو معمور البال بأفكاره ؛ إذ مر رجلان من الطلبة في المباح الذي بين صفي البيوت، فقال أحدهما للآخر: إن سيدي محمد النيجي اتخذ سيدي يوسف شيخا، وسلب له الإرادة، وانتفع به!. قال: فتنبهت، وكان لي ولأخوي اعتقاد عظيم في سيدي محمد النيجي، ووثوق بعلمه ومعرفته بطريق القوم ؛ فقلت: هذا الذي انقاد إليه لا مَعْدِلَ عنه، فلو سألت عن الشيخ ذا بصيرة لم أسأل غيره، وما أحوجني إلى [166] هذا الشيخ! ». وقد كان سيدي محمد النيجي صحبه قبل ذلك.

فسار إلى الشيخ من حينه ؛ فكان شفاؤه في لقائه، وصادف عناية لم تدع له متلفتا عن السلوك، فأقبل عليه، ورفض الدنيا، ولبس الخشن بعدما كان عليه من الترفه، ولازم المجاهدة ؛ ففتح عليه، ووردت عليه واردات المعارف والأسرار، ولاحت عليه أنوار الاختصاص والولاية إلى أن لقي الله تعالى على خير عمل وأحسن حال.

وقد قرأ على الشيخ أبي المحاسن ختمات كثيرة من القرآن العزيز، ولازم مجلسه في أنواع العلوم،

وزوجه الشيخ ابنته، وقام بجميع مؤونه، إلى أن توفي الشيخ – رضي الله عنه.

ودرس في أنواع العلوم، وصنف وقيد كثيرا، وكان مشارا إليه بالتحقيق، معترفا به، ولما انتصب للتدريس كما تقدم ؛ لازمناه أيضا في الجماعة، وأقبل على التدريس، وانتفع به خلق كثير.

[تآليفه]:

وصنف كتبا مفيدة ؛ منها: شرح على صلاة القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش، وشرح جمل المجراد، وحاشية على شرح "اللامية" للمكلاتي، وحاشية على شرح "الصغرى"، وحاشية على شرح "الضبط" للتنسي، وحاشية على شرح "الجرومية" لسيدي الشريف، وحاشية على شرح "الألفية" للمكودي ؛ إلا أنها لم تكمل، وشرح "توضيح" ابن هشام يتكلم فيه مع الأزهري ؛ كتب منه نحو النصف في نحو سفرين، وحاشية على مختصر الشيخ خليل مفيدة جدا، تركها في هامش نسخته من المختصر، وبطائق وأوراق تصدى لتخريجها بعده ولده الأستاذ العلامة أبو فارس عبد العزيز، فكتب منها جملة صالحة في كراريس عديدة، ولم أدر هل أكملها أم لا ؟. وجمع أجوبة شيخه أبي المحاسن، وله غير ذلك، وجمع وقيد وأفاد رحمه الله ورضي عنه.

ولما اضطرب أمر هذا المغرب، واختلفت أحواله، وعظم الخطب بفاس ؛ خرج سنة اثنين وعشرين وألف إلى جبل كرت من بلاد عوف، وكان له أصحاب هنالك. وهي بلاد من أخصب بلاد المغرب، فأقام هناك منفردا بنفسه، وله سبب من حرث وماشية، إلى أن مرض مدة، وتوفي بين الظهرين من يوم الثلاثاء الرابع والعشرين من شهر رمضان سنة ثلاث وعشرين وألف، ودفن بالموضع المعروف بزاوية الهبطي من جبل كرت. رحمه الله ورضي عنه[1].

فصل

في ذكر الشيخ الإمام أبي العباس أحمد بن علي الشريف رضي الله عنه[2]

---

[1] بقي هنا في أصل المؤلف نحو (7) أسطر من البياض (حجرية).
[2] أنظر ترجمته في "لقط الفرائد" (942 موسوعة)، و"الأعلام" (1 : 180) .

هو: السيد أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن عيسى بن علي بن سعيد بن عبد الوهاب [167] بن علال بن القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش (واسمه: سليمان) بن أبي بكر بن علي بن حرمة بن عيسى بن محمد بن سلام بن مزوار بن حيدرة (واسمه علي) بن محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن المثنى بن الحسن بن علي وفاطمة رضوان الله عليهم أجمعين. وسيأتي مزيد كلام فيما يتعلق بهذا النسب الشريف، ويتصل به، مما فيه إفادة بيان وتعريف.

[ولادته ونشأته]:

ولد هذا السيد في عيد الأضحى سنة إحدى وسبعين وتسعمائة ببلد شفشاون، وكان سلفه قاطنين بجبل العلم الذي به قبر جدهم القطب أبي محمد عبد السلام، وهو الذي به منبت هذه الشجرة الطيبة التي امتدت في أكنافه فروعها، وأحاطت بجوانبه أفرادها وجموعها. ولما اختط بنو عمهم مدينة شفشاون، انتقلوا إليها.

[مدينة شفشاون واختطاطها]:

وكان ابتداء اختطاطها في الجهة المعروفة عندهم بالعدوة ؛ وهي: عدوة وادي شفشاون، في حدود سنة ست وسبعين وثمانمائة، على يد السيد الفقيه الصالح، الناصح المجاهد؛ أبي محمد الحسن (المعروف بابن جمعة) وهو: الحسن بن محمد بن الحسن بن عثمان بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال ابن القطب أبي محمد عبد السلام، ومات شهيدا قبل تمام ما شرع فيه، بتدبير النصارى — دمرهم الله — مع أهل النفاق إذ ذاك من أهل الخروب، وقد جاءهم في سبيل الجهاد، وبينما هو يتهجد بالليل في مسجد هنالك، أضرموا عليه نارا ؛ فمات رضوان الله عليه.

وقام مقامه فيما كان بسبيله من الجهاد والاستنفار له، وجمع الجموع وتجييش الجيوش: ابن عمه الأمير الجليل الفاضل الأصيل أبو الحسن علي بن موسى بن راشد بن علي بن سعيد بن عبد الوهاب بن علال ابن القطب أبي محمد عبد السلام ؛ فشرع في اختطاط شفشاون في العدوة الأخرى، فبنى قصبتها، وشيدها وأوطنها، ونزل الناس، فبنوا وصارت في أعداد المدائن، إلى أن توفي سنة سبع عشرة وتسعمائة.

ولم يزل أولاده فيها بين سلم وحرب إلى أن حاصرهم الوزير أبو عبد الله محمد بن عبد القادر ابن الخليفة أبي عبد الله محمد الشيخ الشريف بجيوش عمه الخليفة أبي محمد عبد الله بن الخليفة أبي عبد الله محمد الشيخ.

وكان صاحب شفشاون إذ ذاك الأمير الفاضل أبا عبد الله محمد بن الأمير أبي الحسن علي بن

موسى بن راشد . فلما اشتد عليه الحصار ؛ خرج ليلا فيمن إليه من أهله وولده وقرابته، ومنهم: السيد أبو الحسن علي والد صاحب الترجمة، وصعدوا في الجبل المطل على شفشاون في مسلك وعر صحبتهم فيه السلامة، وذلك ليلة الجمعة الثاني [168] من صفر سنة ستة وتسعمائة، وساروا إلى ترغة، فركبوا منها البحر يوم الجمعة تاسع الشهر المذكور، واستقر الأمير أبو عبد الله بالمدينة المشرفة إلى أن مات بها، وأقام السيد أبو الحسن هنالك مدة، وحج ثم رجع إلى المغرب.

حدثني الشيخ الصالح المعمر أبو الحسن علي بن علال – وهو: خـال صاحب الترجمة – قال: « بعث إلي الشيخ الصالح سيدي عبد الرحمن المجذوب يستدعيني، قال: فجعلت جملة صالحة من النارنج في سرج البغلة ؛ وهو كثير بشفشاون، وغريب في بادية العرب، وسرت إليه. أظنه قال: وجدته بمرشاقة من بلاد عوف – قال: فقال لي: أنت قيم أولاد سيدي علي بن أحمد الشريف؟ قلت له: نعم ! . فسألني عنهم وغبطني بموالاتهم، وأكد علي حقهم، وأعطاني بقرة سمينة، وقال لي: اجعلها خليعا[1] لهم، وأعطاني حمل البغلة قمحا جيدا، وقال لي: عد إلي لتوصل إليهم عولتهم. قال: فلم أعد لأعذار عرضت، وكان موت الشيخ بقرب ذلك » .

[طلبه العلم بفاس]:

ونشأ صاحب الترجمة أحسن منشأ، مقبلا على شأنه، مجتهدا في طلب العلم. ثم رحل إلى حضرة فاس قبل ست وتسعين وتسعمائة ؛ فسكن بيتا في مدرسة الحلفاويين مجاورا لبيوت أخي أبي العباس أحمد، وعمي أبي محمد عبد الرحمن، فكان ثالثهم في طلب العلم، وتكفل الشيخ أبو المحاسن بمؤونته ؛ فتفرغ لشأنه، فلازم مشايخ فاس إذ ذاك كما ذكر في ترجمة رفيقيه المذكورين ؛ فحصل علما كثيرا، وكتب بخطه كتبا كثيرة. مع حسن الخط، وكثرة الإتقان والضبط، وبرع في علم الوثائق والأحكام براعة فاق بها أهل عصره. مع المشاركة التامة في أنواع العلوم، والاضطلاع بها. وقد انتفعنا به كثيرا في علم الأحكام الشرعية.

[رجوعه لشفشاون ومكانته بها]:

ورجع إلى بلده شفشاون بعلم غزير، ملحوظا بالعلم والديانة، والعدالة والأمانة، فولي خطابة الجامع الأعظم، فحسن موقعه من قلوب الخاصة والعامة ؛ حسن بيان، وفصاحة لسان، ومراعاة ما يليق بكل زمان، وقام بحق تلك الخطة أحسن قيام، وشهد الجميع بأنه لم يتقدم مثله هنالك خطيب ولا إمام.

---

[1] الخليع: القديد . (لحم مجفف مملح) .

وكان القاضي إذ ذاك بشفشاون: الشيخ الإمام العالم المحقق أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن عرضون عالما متبحرا، وهو أسن منه، فأدرك من لم يدركه، فرافقه واستفاد ما عنده، ولم يزالا في ألفة تامة إلى أن توفي القاضي أبو عبد الله بفاس قرب عصر الثلاثاء الحادي عشر من شعبان سنة اثنتي عشرة وألف. ودفن خارج باب الفتوح في روضة الفضلاء أبناء بكار، وكان من قضاة العلم والعدل، مشهودا له [169] بالتحصيل وجودة الفهم. منظورا إليه بعين الإجلال والتعظيم. رحمه الله ورضي عنه.

فتعين عليه إذ ذاك منصب القضاء ؛ فوليه جبرا، وسار فيه أحسن سيرة، فأقام مراسم الخطة، ونفذ أحكامها على يد العلم والعدل، والانفراد بالرياسة في تلك البلاد وما إليها غير مزاحم فيها. ومازال يتلطف في التنصل من خطة القضاء حتى تنزه عنها، مرجوعا إليه في مهماتها، موقوفا عليه مصالح الخاصة والعامة، تصدر الأمور عن رأيه وإشارته، معظما مسموع الكلمة، يملأ العيون جمالا، والقلوب جلالا.

وقد رأيت بخطه – رحمه الله – فصلا قال فيه: « أنه ليس في سلفه من انتمى للمخزن أو دخل مدخله، غير أبينا، دخل في ذلك بسبب روح ترامت عليه، وقد محضه الله من ذلك ببلوغه الحرمين الشريفين، وموته قتيلا شهيدا، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر... قال: وسلفنا كلهم فضلاء صلحاء، وما ذكره السيد ابن السكاك من خلال الشرفاء الذين ذكرهم، وجدنا كثيرا منها في أنفسها والحمد لله ».

وما ذكره من دخول والده – رحمه الله – يريد به: ما كان له مع بني عمه الراشديين الذين تقدم ذكرهم، وقد مات غدرا بسهم رماه به بعض المفسدين في الأرض، ممن لا يخاف الله ولا يحذر يوم العرض.

وكان صاحب الترجمة بعد سنين من رجوعه إلى بلده، وتأهله به واستقراره ؛ خطب عند شيخه الشيخ أبي المحاسن ابنته، فزوجه إياها بفاس، وبوأهما دارا قريبة منه ؛ فكان يقسم السنة بين داري فاس وشفشاون برضى أهل بلده، إلى أن توفيت بعد وفاة والدها.

وكان السيد أبو العباس يدرس في الفقه وغيره، وانتفع به خلق كثيرون، وله حاشية على شرح "الصغرى" مفيدة جدا، هي عندي بخطه، وله جزء في نقل الميت من قبر إلى قبر دل على حفظ واطلاع تام، وله جزء في أنساب قومه أهل العلم، وله شجرة أنساب بني عبد السلام منهم، وله جمع كلام شيخه أبي المحاسن، وله مقيدات كثيرة في الفقه والأصول، والعربية والطب، والتاريخ وغير ذلك، تشتمل على فوائد كثيرة جمة.

[نبذة من الرسائل المتداولة بين المترجم والإمام القصار]:

وقد رأيت كتابا بخط شيخنا الإمام أبي عبد الله القصار كتبه لشيخنا الولي الشهير أبي عبد الله محمد بن علي المعروف بابن ريسون قال فيه: « والسلام علي موالينا أولادكم أعزهم الله تعالى، والله الله فيهم في طلب العلم، وعندكم اليوم ابن عمكم سيدي أحمد بن سيدي علي بن أحمد أعزه الله تعالى ؛ فقيه جليل لكم فيه عون ».هـ . وقوله: « عندكم » أي: في ناحيتكم. فإن شفشاون والعلم عمل واحد، وبينهما نحو مسيرة [170] يوم[1] .

ورأيت – أيضا – كتابا بخط شيخنا أبي عبد الله القصار كتبه لصاحب الترجمة، خاطبه فيه بالسيد الفقيه المتفنن الصالح، الشريف الحسني، الخطيب.

ورأيت – أيضا – كتابا بخطه كتبه إليه بعد رجوعه من فاس إلى شفشاون في أوائل استقراره بها، اشتمل على فوائد يحسن إيرادها، قال فيه:

« وفرحت غاية بختمك "الصغرى"، فشد روحك، وطالع كتب الشيخ السنوسي السبعة حتى تحفظها، وبالك تخالف في شيء إلا بعد مشاورة غير واحد، والمومن وفاق، وكتاب ابن مالك: "الفوائد المحوية في المقاصد النحوية" فيه ما في "الكافية"، ووري به في قوله: مقاصد النحو بها محوية. والتورية لا يلزم منها أن يكون في "الألفية" ما فيه، وكذلك وري به في اسم "التسهيل". مع الإشارة إلى أن "التسهيل" تسهيل له وتكميل، وهو كذلك. وقول المادح: إن الفوائد جمع لا نظير له. الظاهر أنه: أراد "الفوائد المحوية"، وكان هذا قبل تأليف"التسهيل"، ويحتمل – على بعد – أن يكون أراد "تسهيل الفوائد"، وعبر عنه بالفوائد لضيق النظم ».

« وبعد هذا التحقيق ؛ يظهر لك الصحيح والفاسد مما في "النكت"، والجواب عن المسألة التي قبل هذه في "النكت": أن المهمات أهم من المقاصد. فإن المهم ؛ جمع المقاصد وبعض الوسائل، فسقط منها بعض الوسائل المهمة ».

« وأعجبني إقراؤك "الرسالة" وفرحت به، لا سيما إذا اقتصرت على المحتاج إليه، وختمتها سريعا، وكذلك إقراؤك الخراز أعجبني، واعتمد على ابن آجطا ؛ فإن نقله صحيح جدا، وكثير من شروح الخراز فيه تحريف – نفعك الله ونفع بك ».

« وإذا رأيت تأليفا لا تتحقق أني رأيته ؛ فأعلمني به، والمراد أن الإنسان يموت طالبا للعلم. أماتنا الله على الإيمان والتوبة والسنة. وما أجيب به من أن مراده بقوله: كان معدوما، ثم كان أنه كان غير متصل بالنطفة، ثم اتصل بها، خلاف صريح نصه متنا وشرحا، ثم لو فرضنا ذلك ؛ لرجع إلى الثاني، وأيضا لو نظرت إلى تغير صفات العالم ؛ لأنه لا يفيدنا إلا الاجتماع بعد الافتراق ».

---

[1] بل نصف يوم . نسخة (ب) .

« والجواب عن الآخر: أن القائل بأن منشأ احتياج الحادث إلى الصانع: الحدوث. أو هما، أو الإمكان بشرط الحدوث قائل بقول المصنف، والجائز لا يكون وجوده إلا حادثا، فهذا البرهان يصح على الأربعة، وهم متفقون على صدق هذه القضية، فإذا وافق الجميع على الصغرى والكبرى، فقد وافقوا على الدليل، ثم الكبرى ليست ضرورية فيبرهن كل واحد عليها بمذهبه، ومن هنا نشأ توهم أنه لا يجري على الجميع. والله أعلم ». انتهى من خطه رضي الله عنه.[171].

وفي كتاب آخر إليه بخطه أيضا ما نصه: « وما قيل: إن مراد السنوسي: إن الزائد لم يكن متصلا بالنطفة، ثم اتصل بها. خلاف نص السنوسي متنا وشرحا. ولو فرضناه ؛ لرجع إلى الدليل الثاني، لأنه لا يعهد إلا الاجتماع بعد الافتراق. وما قيل: إن دليل البقاء لا يجري إلا على القول بأن منشأ الاحتياج الإمكان ليس بصحيح، لأن قوله: الجائز لا يكون وجوده إلا حادثا يقول به أهل الأقوال الأربعة، والخلاف إنما هو في دليل هذه القضية لا فيها، ولا يلزم من الخلاف في دليل القضية الخلاف فيها، ولا في الدليل الذي هو جزء منه. فمن رأى أنها كلها طرق صحيحة ؛ استدل بما شاء منها، ومن رأى صحة البعض فقط ؛ استدل به فقط ».

« **والحاصل:** المتكلمون المختلفون في منشأ الاحتياج يقولون كلهم بأن الموجود الذي صح وجوده وعدمه ؛ حادث، ويستدل كل أحد على هذه القضية بمذهبه، ومن صحح المذاهب كلها – كالسنوسي – يستدل بما شاء. وإذا ترى في قول: شيئًا أو يراه غيرك ؛ تمن علي به. قال مالك: كل كلام يوخذ منه ويرد إلا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ».انتهى من خطه رضي الله عنه.

[رسائل بين علماء المغرب حول مبحث احتياج الحادث إلى الصانع]:

ولا بأس بإيراد ما وجدته من المكاتبات في هذه المسألة تتميما للفائدة:

فقد وجدت بخط شيخنا الشيخ العلامة القاضي أبي عبد الله محمد بن الحسن ابن عرضون – رحمه الله تعالى – كتابا كتبه إلى شيخنا شيخ الإسلام أبي عبد الله القصار رحمه الله تعالى قال فيه: « وما أوضحتم من أن أول دليلي الشيخ السنوسي دليل مستقل ؛ لا يتوقف على شيء من مقدمات الثاني، فقد بان لنا وقبلناه، وإنما انتقلنا الآن إلى ما لاح لنا من بيان صحته واستقلاله، وذلك أنه ظهر لنا أن قوله: الزائد، لم يكن ثم كان ضروريا. فالنطفة زنتها – مثلا – أوقية، وقد صارت زنتها أضعاف ذلك، فصار الزائد لم يكن فيها، ثم كان ؛ فهو حادث ضرورة، إذ لا معنى للحدوث إلا ذلك ».

« غاية ما يبقى: تعيين المحدث له ؛ هل هو الفاعل المختار – وهو: المطلوب – أو الطعام ولبن الأم؟. وقد أبطل الثاني بما أبداه من قوله: فتعلم أن لصانعك اختيارا . . .إلى آخره. فتعين الأول ؛ فقد صار الدليل مستقلا. هذا ما لاح لنا، وإليكم المفزع في حل المشكلات، ولا كثرت مراجعتنا

لكم في هذه المسألة إلا من أجل أن النفس لم ينقطع حديثها النفسي فيها، لا من أجل أمر زائد »).

((ومسألة القدرة الحادثة: نقل الشيخ القول بأنها تؤثر في المقدور على أقدار قدرها الله سبحانه. ثم اعترضه بأن التأثير الذي أثبته هذا القائل للقدرة الحادثة ؛ إما أن يكون وصفا نفسيا، أو لا [172] وأبطل الثاني بأنه يؤدي إلى التسلسل، وأبطل الأول بأن التأثير إذا قدر أنه نفسي ؛ لم يتوقف على شيء أصلا. فأشكلت علينا هذه العبارة. مع قوله في شرط تأثير القدرة الأزلية: موقوف على إرادته تعالى ذلك. نعم ؛ إن التأثير للقدرة الأزلية وصف نفسي، وقد توقف على إرادته تعالى، فاللازم كاللازم)).

((فإن أجيب بأن الأزلية المتوقف، والمتوقف عليه فيها قائم بذات واحدة. وفي الحادثة ليس كذلك ؛ قلنا: هذا فرق صوري، وإلا ؛ فالتوقف موجود في كليهما، فليبين أن القدرة الأزلية تأثيرها ليس متوقفا – مثلا – على شيء ليصح هذا البحث مع القائل بتأثير الحادثة، فيبحث في قوله: موقوف . على إرادته تعالى ذلك الأثر. أو يبين أن تأثير الأزلية ليس نفسيا ؛ فيلزم عليه ما ألزم القائل من التسلسل)).

((**وبالجملة:** فمحل الإشكال: أن القدرتين معا عند القائل بالتأثير لهما أنه: في كل منهما نفسي متوقف على الإرادة، فاللازم كاللازم. فأزح بنور علمكم هذا الإشكال، بما يمنحكم الكريم المتعال، وعجل علينا به، لأنه تعلق به البال، والله تعالى يديمكم للحق تنصرونه، وللعلم تظهرونه. والسلام)).

((**انعطاف:** قول السيد السنوسي: الزائد لم يكن ثم كان. ضروري ؛ إذ من الزائد: اللحية والأسنان ولم يخرج بهما . وقوله بعده: ثم إذا نظرت إلى هذا الزائد ؛ فتعلم قطعا أن لصانعك اختيارا يعين أن هذا الزائد (كذا)[1] اللبن والطعام، إذ لا اختيار لهما ولا طبع، وإلا ؛ لكان (كذا)[1]، فقد قام هذا البرهان، واستقل بنفسه. والسلام معاد عليكم)).انتهى من خطه رحمه الله. ولم أدر هل أجابه شيخنا أبو عبد الله القصار عن هذا الكتاب أم لا؟.

ووجدت بخط شيخنا الإمام المحقق عمي أبي محمد عبد الرحمن بن محمد رحمه الله كتابا كتبه لصاحب الترجمة: ((ولما وجهت إلي قبل هذه الساعة ما رده علي سيدي محمد ابن عرضون من الجواب عما بحث به مع الشيخ السنوسي في برهان البقاء، وأنه لا يجري على غير الإمكان، وأن ما أجبتُ به أنا هو: الإمكان، وكان هذا دعوى من غير دليل، وعجزنا عن الإنهاء إليكم في تلك الساعة كما لا يخفاكم مما اعتذرتم به الآن؛ أردنا الآن بيان ذلك إن يسر الله سبحانه. ونص ذلك مصدرا بمدعاه، محكيا بقيل:

((**قيل:** هذا البرهان إنما هو جار على القول بأن المحوج إلى الفاعل: الإمكان، فلا يجري على غيره)).

---

[1] هذا البياض في المحلين وجدنا في أصل المؤلف (حجرية).

((**وجوابه:** منع الحصر ؛ فإن منشأه توهم انحصار بيان استلزام الجواز للحدوث فيما أشار إلى بيانه به في الشرح من قوله: لما عرفت. إلى آخره)).

((**وحاصله:** [173] إنه يجب افتقاره – حيث كان جائزا – إلى مرجح، فيكون حادثا، فقد جاء الحدوث بعد ثبوت الصانع، وهي طريقة الإمكان المجرد كما ذكره في شرح "الكبرى"، كيف ولا يمتنع أن يبين الاستلزام المذكور بما لا يقتضي ذلك أنه إذا كان جائزا لم يمتنع عدمه سابقا ولا لاحقا، إذ ذاك حقيقة الجائز، وفرض عدمه سابقا على وجوده، حيث صح لكونه جائزا هو: الحدوث، وحينئذ: يلزم من حدوثه: افتقاره إلى محدث ؛ إما ضرورة ؛ وهي: طريقة الحدوث المجرد ؛ أو بالنظر؛ وهي: طريقة شوبه بالإمكان؟)).

((**فبان من هذا:** أن الجواز يستلزم تطرق الحدوث لا لزومه، ولا فرق في استحالة بين التطرق واللزوم، وأن الإله يستحيل عليه ذلك مطلقا، وأيضا: ما صح في حقه وجب له ؛ فلو صح في حقه الحدوث بناء على الفرض المذكور ؛ لوجب له، ولا خفاء ببطلانه، وهذا أحد وجهي بيان منع الحصر، وهو لي)).

((ووجه آخر لسيدي محمد القصار، هو: أنه إذا كان جائزا ؛ لزم كونه إما جوهرا أو عرضا، والعرض حادث ؛ لطروقه[1] وانتفائه أو قبوله لذلك، والجوهر حادث ؛ لملازمته للعرض الحادث، فلزم من كونه جائزا: كونه إما جوهرا أو عرضا، ومن كونه كذلك: كونه حادثا ؛ فيكون مفتقرا إلى محدث إما ضرورة أيضا ؛ وهي: طريقة الحدوث المجرد. أو بالنظر ؛ وهي: طريقة الشوب على وجه الشرطية أو الشطرية)).

((**فإن قلت:** هذا مبني على صحة حصر الجائز في الجوهر والعرض، ولا نسلم ذلك، كيف وقد اختلف في وجود قسم ثالث ؟!)).

((**قلت** : على ثبوت هذا القسم ؛ لم يثبت جوازه ولا حدوثه من جهة العقل، وإن ثبت ذلك بالسمع : كان الله ولا شيء معه . والملازمة المذكورة عقلية لا سمعية، ولو ثبت جوازه ؛ لما توقف في حدوثه ؛ لما ذكره في الشرح، وأيضا لم يوجد فيه شيء مما يقتضي الجواز عقلا، وهي: تلك المقابلات الست. فلا سبيل إلى إثبات جوازه بالعقل، بل الذي يقتضيه العقل: الوقف في ثبوته وحدوثه وجوازه، حسبما نقل ذلك سيدي أحمد المنجور في حاشيته الكبيرة. والله الموفق لإدراك الحقائق، والتخلص من المضايق)).

((ثم من جملة ما كنت ذكرت لي: أنه أجاب عن بحث سيدي محمد القصار في الدليل الذي في أول "الكبرى" بما حاصله: إن الكلام في خصوص النطفة . ولا شك أن ما زاد عليها كان معدوما

[1] في الأصل: لطروق.

منها، لا في مادته ولا في صورته ؛ لأنه كان معدوما مطلقا، حتى يرد الاعتراض بوجود المادة. قال: وكلام الشيخ صريح في هذا)).

((**وهو مـردود من وجـوه:** الأول: لأنه لو كان كذلك ؛ لم يكـن بينه وبين الدليل الثاني فرق، فإن [174] حاصله – على ما ذكر – الاستدلال على حدوث هذا الزائد بحصول الاجتماع له بعد الافتراق، ولا يعني بتغير الصفات سوى هذا. الثاني: أنه إذا تبين لك أن حاصل ما ذكره هو هذا ؛ اتضح لك أن الحادث: الصورة لا المادة، إلا مِن تطرق الحدوث إليها من صورتها. الثالث: ما اشتمل عليه كلامه من التناقض بين قوله: في مادته، وبين قوله: لأنه ... إلخ. الرابع: دعوى أن ذلك مراد الشيخ. وكلام الشيخ صريح في دفع ذلك)).

((**وبالجملة:** فكلامه مردود من أوجه لا يسع بسطها، إلا أني أؤكد عليك – أخي – أن تتصفح ما ذكرت لك في هذه المسألة، لأني لست على يقين مما ألزمته آخرا لي، فما حضرني ذلك حالة الكتب. ثم مما ظهر لي في العذر عن الشيخ السنوسي حيث اقتصر في البيان على ما ذكر: أن ذلك لتقرير برهان القدم)) .هـ.

وهذه المسائل ليست هنا مقصودة الذكر بالذات حتى يحتاج إلى استيفاء الكلام فيها، وإنما ذكرت بالعرض ؛ إذ ساق إليها ما وقع فيها من المكاتبات لصاحب الترجمة.

[سند الإمام القصار في علم الكلام]:

ورأيت نسخة من شرح الصغرى بخط صاحب الترجمة، فرغ من كتابتها سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة، وعلى ظهر أول ورقة منها بخط شيخنا الإمام أبي عبد الله القصار ما نصه: ((الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا. يقول كاتبه محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي نسبا، الغرناطي أصلا وأبا، القصار لقبا – عفا الله عنهم: قرأ علي سيدنا الفقيه المتفنن الفاضل سيدي أحمد بن السيد الكبير الحاج المجاهد الشهير سيدي علي الشريف الحسني، حفيد قطب الأقطاب سيدنا عبد السلام – نفعنا الله به آمين – علم العقائد وعلم الكلام وغيره، وأجزت له إجازة عامة، وقلت[1]:

أجزت لكم مروينا مطلقا وما   لنـا، سـائـلا أن تتحفـوا بدعـاء

((وأخذت علم العقائد وعلم الكلام عن جماعة ؛ كالشيخ الإمام المتفنن الرحال سيدي محمد اليسّيتّني، والشيخ الإمام سيدي محمد بن جلال، والشيخ الإمام سيدي شقرون ابن هِبَة، وكلهم

[1] هذا بيت من بحر الطويل . نسخة (ب) .

أخذوا عن أصحاب السنوسي وابن زكري، وأخذتهما عن الشيخ الإمام جار الله سيدي محمد خرُّوف التونسي الأنصاري، وعن الشيخ الإمام الحافظ سيدي علي بن عمر السوسي، وعن الشيخ الإمام سيدي محمد بن قنزع التلمساني. وأخذ شيخنا ولي الله سيدي علي بن عيسى عن الوجدي عن السنوسي، وأخذ شيخنا ولي الله سيدي أبو شامة عن سيدي أحمد ابن حيدة، وأخذ عن السنوسي، وكُتب في آخر عام إحدى عشر [175] وألف: محمد المذكور عفا الله تعالى عنه ». انتهى من خطه رحمه الله.

وكان السيد صاحب الترجمة – رضي الله عنه – كثير الإنصاف، وهو حقيق به ؛ فإنه من شيم الأشراف، وكان ينزلني – من حسن اعتقاده – منزلة أنا منها على الحقيقة بمنزلة الثرى من الثريا. فكان يكتب إلي في مسائل كثيرة ؛ منها: مسائل كتب إلي بها جملة سنة ثمان وألف. ووقع الجواب عليها، فصار كالتآليف المستفاد، وقد استحسن ذلك الجواب من رآه من أشياخنا – رضي الله عنهم – منها: مسألة حديث ذي اليدين. ومنها: قول السبكي: « جائز الترك ليس بواجب ». ومنها: قول الشيخ المكودي في بناء أمس على الحركة ليس لالتقاء الساكنين، ثم قال: « وكانت كسرة لأجل التقاء الساكنين ». ومنها: قوله: « التحق جمع القلة بجموع الكثرة لاقترانه بأل ». ومنها: الذي نقل عنه المرادي في أول "جمع التكسير": ابن إيازا وابن أبان، ومنها: شرح: حمى لا يحل الدهر إلا بإذننا . . . البيت. ومنها: شرح قول ابن مالك: « وعلم التثنية احذف للنسب ». وما وقع من الخلاف بين شارحيه، ومنها: الكلام في الاشتقاق وأنواعه، وشرح كلام المرادي فيه.

[سماع للشيخ القصار في الأنساب]:

وزار مرة شيخنا الإمام أبو عبد الله القصار الشيخ أبا المحاسن – رضي الله عنهما – فقعد معه في مسجده، وقعدت بين أيديهما ؛ فدخل صاحب الترجمة، فلما بصرا به ؛ قال الشيخ أبو المحاسن للشيخ أبي عبد الله مداعبا له: « ما عندك في شرف سيدي أحمد ؛ أصحيح هو؟! ». فقال له الشيخ أبو عبد الله: « شرف سيدي أحمد مثل تلك الشمس »، وكانت تظهر من صحن المسجد . . .

ثم قال: « إن الشرفاء الذين لا يشك في شرفهم كثيرون ؛ كالجوطيين من الحسنيين الإدريسيين، وكشرفاء تافلالت من الحسنيين أيضا المحمديين، وكالصقليين والعراقيين ؛ وكلاهما من الحسينيين (بالياء الساكنة بين السين والنون) فإن شرف جميعهم لا يختلف فيه اثنان من أهل بلادهم، ومن يعرفهم من غيرهم، لكن اختص أحفاد سيدي عبد السلام بقرب إثبات النسب، فإن القطب سيدي عبد السلام شرفه معلوم ومتحقق عند أهل المغرب والمشرق، فلا يتكلف أحدهم إثبات نسبه إلا إلى سيدي عبد السلام، والآباء في ذلك ثمانية أو نحوها، وإثباتها أقرب وأسهل من إثبات عشرين ونحوها

إذا وقف عند الإمام إدريس رضي الله عنه ونحوه، وأكثر من ذلك إذا استكمل النسب، وهو نحو ما قالوا: إن الطبقة إذا قلت رجال أسانيدها ؛ كان التصحيح أمكن لها وأسهل [176] عليها ، كطبقة البخاري ومسلم ؛ فإن النظر في الرجال أخف مؤونة عليهم ممن بعدهم طبقة فطبقة، وكذلك من أوصل السند إلى إمام معتبر حكم بصحة الحديث، فإن ذلك يكفيه مؤونة النظر فيما بعده، وفي حكم أحفاد سيدي عبد السلام: غيرهم من أهل العلم ؛ لأن اتصالهم به معروف عندهم، ثم إن ثبوت ذلك لكل واحد منهم يشهد به خلق لا يحصون من القبائل النازلة معهم والمجاورة لهم)) .

وعلى ما ذكر من العدد ؛ فقد سمعت – أيضا – شيخنا أبا عبد الله القصار في سنة أربع وألف أو نحوها يقول: ((إن النسب في هذا الوقت إلى الحسن رضي الله عنه – لا يزيد على أربعة وعشرين، أو خمسة وعشرين، وإلى الحسين – رضي الله عنه – لا يزيد على ستة وعشرين، أو سبعة وعشرين)). وقد اعتبرنا ذلك في كثير من الأنساب ؛ فوجدناه كما قال رحمه الله، ولم نجد الزيادة على ذلك إلا حيث لا وثوق بالنسب أو العدد .

[مبحث في نظرية حساب الأنساب لابن خلدون]:

وأما الآن ؛ وهو سنة ست وأربعين وألف، فقد زاد العدد على ذلك واحدا أو اثنين. وقد ذكر ابن خلدون تقسيط الآباء على المئين في مطلق الأنساب ؛ فقال: ((اتخذ قانونا يصحح لك عدد الآباء في عمود النسب الذي تريده من قبل معرفة السنين الماضية إذا كنت قد استربت في عدتهم، وكانت السنون الماضية منذ أولهم محصلة لديك ؛ فعد لكل مائة من السنين ثلاثة من الآباء، فإن نفدت على القياس مع نفاد عددهم ؛ فهو صحيح، وإلا ؛ فلا. وكذلك تأخذ عدد السنين من عددهم إذا كان محصلا لديك صحيحا)) .هـ .

وهذا على سبيل التقريب ؛ فقد توجد الزيادة والنقصان، لكن باليسير، كما في النسب المذكور، فإنه لا يرتاب في عدده.

وما ذكر لأهل العَلَم ذكر ابن خلدون لمطلق الأدارسة ما يعضده ويشهد لاعتباره ؛ فقال: ((نسب بني إدريس بمواطنهم من فاس وسائر ديار المغرب قد بلغ من الشهرة والوضوح مبلغا لا يكاد يلحق، ولا يطمع أحد في إدراكه، إذ هو نقل الأمة والجيل من الخلف عن الأمة والجيل من السلف، وبيت جدهم إدريس بين بيوتهم، ومسجده لصق محلتهم ودروبهم، وسيفه منتضى برأس المئذنة العظمى من قرار بلدهم. . . وغير ذلك من آثاره التي جاوزت أخبارها حدود التواتر مرات، وكادت تلحق بالعيان)) .هـ .

فبنو الشيخ أبي محمد عبد السلام تكرر هذا المعنى في حقهم بما هم بنو الإمام إدريس؛ فشاركوا في ذلك غيرهم من الأدارسة، وبما هم [177] بنو الشيخ عبد السلام، وله من الشهرة ماله،

واختصوا بذلك دون غيرهم.

[منقبة لشرفاء جبل العَلَم]:

قال شيخنا الإمام أخي أبو العباس – رحمه الله – ومن خطه نقلت: « سمعت الوالد رضي الله عنه – يعني: الشيخ أبا المحاسن – يقول: إن شرفاء العلم عموما لهم مزية عظيمة اختصوا بها ؛ فإن سلفهم الأول كانت لهم الرياسة بحضرة فاس دار ملكهم، ومستقر خلافتهم، ولما خرج ولي الله سيدي سليمان المدعو بسلام ؛ لم يكن خامل الذكر هنالك، بل كان معروفا بالفضل والصلاح والدين المتين، مقدما عندهم في أمر دينهم، وكذلك جميع من بعده من ولده إلى قطب مدارهم وشمس نهارهم سيدي عبد السلام وأولاده وأعمامه وإخوانه رضي الله عن جميعهم ونفع بهم ».

« ثم كل ما تفرع منهم – رضي الله عنهم – قد تواتر عند جميع القبائل من جيرانهم أنهم شرفاء منتسبون لهذا النسب الكريم، يرث ذلك الابن عن أبيه، ويعرفون الرجل بعينه، وأنه: ابن فلان، ويعرفون الأب أيضا كذلك، بحيث انتهوا في ذلك إلى معرفة الأشقاء من الذين للأب في كثير منهم. وأرضهم وديارهم وقبورهم معلومة مشهورة إلى اليوم، مع تحفظهم إلى الغاية في نسبهم، حتى إن من سكن بين أظهرهم – ولو توالت الأعصار عليه وعلى بنيه من بعده – لا يغفل أمره، ولا يمكنه الدخول فيهم أصلا، بل يتوارثون معرفته ونسبه، جزاهم الله عن نسبهم أفضل الجزاء ».

[شجرة لصاحب الترجمة تضم جملة من شرفاء العلم والمغرب]:

وقد كان صاحب الترجمة صنع شجرة أنساب بني سيدي عبد السلام وكتبها في رق، وذلك في حدود سنة ألف ؛ كاد يستوفيهم فيها، وبقي بعضهم كان مراده إلحاقهم ؛ فلم يتفق، ومات بعض المذكورين فيها من غير عقب، وولد لبعضهم أولاد لم يذكروا ؛ إلا أن الخطب في ذلك كله سهل، وهي لا محالة أصل يرجع إليه، وعسى أن يتيسر استدراك من بقي منهم - إن شاء الله – وهم عدد يسير. والله أعلم.

وأما من حدث منهم ؛ فإلحاقه بأبيه قريب، لا سيما مع قرب الزمان. وأما من لم يعقب ؛ فلا يضر وجوده فيها، على ما فيه من المنافع في المواريث من معرفة القعدد وغير ذلك. وقد رأيت أن أثبتها هنا تبركا بها، وتيسيرا لنشرها والانتفاع بها، إلا أنه لم يمكن كتبها في صفح واحد ؛ لضيق هذا الورق، فكتبتها أجزاء، وذلك لا يخل بالمقصود منها – إن شاء الله.

وقد كان كاتبها – رضي الله عنه – أعطانيها في حدود سنة عشر وألف بقصد بعض هذه المقاصد ؛ فاتخذتها تميمة وذخيرة عظيمة، والله تعالى [178] ينفعنا ببركاتها وبركة المذكورين فيها،

ويحقق لنا التمسك بأسبابهم، والحشر في زمرة محبيهم المتعلقين بأذيالهم، ويجعلهم صلة بيننا وبين جدهم المصطفى صلى الله عليه وسلم[1].

وهذه صورتها وعمودها مبدوءا باسم كاتبها في الأصل صاحب الترجمة رضي الله عنه، وكان قد استدرك ولديه، واستدركت أنا ولديهما، وإذا كان استدراك ؛ فإني أجعل عليه علامة هكذا (ك)، والله الموفق. (*انظر المشجرات بالصفحات التالية*) .

[179] [180] [181] [182] [183] [184] فهذه فرق الجوطيين، وبنو أبي طالب المذكورون فيهم مع الذين هم في هذه الأعصار في الجزيرة، ودرب السعود، وما والى ذلك من عدوة الأندلس من فاس – حاطها الله – وبفاس – أيضا – شرفاء آخرون يعرفون ببني أبي طالب أدركنا سكناهم في العيون من عدوة القرويين من فاس حرسها الله.

وقد حدثني الشيخ العالم، الرئيس الكاتب، المؤرخ النسابة الضابط ؛ أبو العباس أحمد ابن الشيخ العالم العارف بالله المؤرخ المتقن أبي عبد الله محمد بن الغرديس – رحمه الله – أنه ذكرهم – أو أحدهم – بين يدي أبيه وغض منهم ؛ فقال له أبوه: « لا تقل هكذا ؛ فما أدركنا الناس المقتدى بهم في هذا الشأن إلا يثبتون شرفهم، ولا يشكون فيه » . هـ .

وقد ذكر المؤرخون أن الإمام إدريس خلف ثلاثة عشر ولدا أو أكثر، وقد أعقبوا كلهم، أو كثير منهم، وكان لكثير منهم في الأجيال الماضية من الشهرة ما لغيرهم ممن تقدم ذكره ؛ لكن اختلاف الأحوال، وشدة الخطوب والأهوال، وأذى الملوك الذين اغتصبوا خلافتهم، وحسدوهم على ما آتاهم الله من فضله، وجاهدوا في جحد ما لم يشاركوا فيه تصفية لترشحهم لما هم به أحق وأولى ؛ فجروا عليهم أذيال الخمول، واضطروا كثيرا منهم إلى الاختفاء والدخول في غمار العامة ؛ غطى على أنساب كثير منهم، وسلب الشهرة كثيرا منها .

---

[1] أثبتنا الشجرة مأخوذة بالسكانر حفاظا عليها .

[نسب الشرفاء العلويين ملوك المغرب]:

[1]وأما شرفاء تافلالت ؛ فإنهم من بني الإمام محمد الملقب بالنفس الزكية بن عبد الله الكامل بن حسن بن الحسن بن علي رضي الله عنهم، والإمام محمد والإمام إدريس أخوان، ويقول بعض الزيدية

---

[1] *تعاليق على المشجرات المذكورة:*
المشجر الأول: على قوله: غاورزيم: هو حول شفشاوة. كذا في الحجرية؛ وفي (ب): هو حول شفشاون؛ كذا بخط سيدي محمد. وعلى أول النسب عند اسم أحمد بن علي قال: وهو الفقيه العلامة العلم الشهير المشارك، انتهت إليه رياسة القضاء والفتوى، والخطابة والعلم والعمل والوجاهة بالقطر الشفشاوني رحمة الله عليه. وقد أغفل الشيخ المؤلف الإمام القدوة أبو عبد الله السيد محمد العربي بن علم الطريقة الجامع بين الشريعة والحقيقة يوسف بن محمد الفاسي قدس الله روحه مسألة؛ وهي مسألة أكيدة، مما تعين عليه ذكرها، ويجب وجوبا لازما، وذلك حيث تصدى لما تصدى إليه من ذكر أهل النسبة الشريفة أن (كلمة غير واضحة) ذكر ما اشتمل عليه غروزيم من السادة الأشراف، الجامعين المجادة من الأعراف، ويعدهم واحدا واحدا، ويتبرأ من عهدتهم بعدتهم؛ لأنه خاتمة العلماء، وإمام يقتدى به في أقواله وأفعاله، والعذر له؛ فإن الجواد يكبو، والصحيح الذي لا مرية فيه — والله أعلم — ما تضمنته هذه الأرجوزة؛ فاقرأها، وثق بما فيها، وليس الخبر كالعيان: الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبئ بعده:

يقول من نقل الرواة نظما ... من الثقاة العلماء العظما
مصليا مسلما طول المدا ... على الرسول الهاشمي أحمدا
أول ساكن بغروزيم ... من شرفاء العلم الكريم
بنو سعيد وبنو الحراق ... فاستوجبوا الفضل على الإطلاق
بالسبق للمنزل والبلاد ... ونية الرباط والجهاد
ثم الرحامن ذوي الإحسان ... والمنتمي بعد إلى فيلال
هم والرحامنة خير آل ... والمنتمي بعد لافيلال
أسكنهم به أبو سعيد ... عثمان من توفيقه السديد
خير إمام من بني مرين ... ما إن له في المجد من قرين
أقام شرع المسلمين وفق ما ... أمره إلهه وحتما
وكان ذا تقوى وذا عفاف ... تقصر عن أمداحه القوافي
إلى جمال رائق وهاج ... كأنه البدر بليل داج
سبحان من ألبسه أسرارا ... تتبعه الأبصار حيث سارا
وهو ابن أحمد الرضي المستنصر ... بالله في الطاعات لم يقصر
عام ثمانمائة أحلهم ... بغروزيم مكرما محلهم
لذاك سماه بلا خلاف ... جيرانه بمنزل الأشراف
فعمروا الأغوار والأنجاد ... وأصلحوا البلاد والعباد
وجاهدوا كل الجهاد في العدا ... وسيد يخلف منهم سيدا
وقد بنوا شفشاونا كما ترى ... فاحفظ وع التاريخ عن أقرى الورى
لما بنوا تطوان في *تحفات* ... فانفردت بأبدع الصفات
لا زالتا محفوظتين أبدا ... من كل آفة بجاه أحمدا
صلى عليه ربنا وسلما ... ما حن مشتاق إلى أهل الحمى
وآله وصحبه والتابعين ... لهم بإحسان على رغم اللعين
ورحم الله بفضله السلف ... وجاد بالعفو على خلف الخلف

انتهى بحمد الله تعالى . انتهى بخط الناسخ .
المشجر الخامس: وجدت بخط شيخنا أبي عبد الله القصار — رحمه الله — ما نصه: أبو القاسم بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن يوسف بن يوسف (مرتين) بن علي بن عبد السلام بن حمدون بن مشيش . كذا في رسم شهد فيه ولي الله سيدي عمر بن عبد الوهاب؛ فيكون حمدون أخا القطب سيدي عبد السلام، ولا أعرفه! . انتهى من خط المؤلف رحمه الله. وتعليق على

من الإمامية[1]: « إن الإمامة المتصيرة إلى يحيى بن زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي من آبائه واحدا عن واحد عن الحسين عن أخيه الحسن عن أبيه علي ؛ تصيرت بعهده إلى محمد النفس الزكية، وعهد هو بها إلى إدريس، واستقل بها بالمغرب ». ذكر ذلك ابن خلدون.

وأولهم بتافلالت القادم عليها من الحجاز: السيد حسن بن قاسم بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي وفاطمة رضي الله عنهم 0

وإنما تفرعت شجرتهم من السيد أبي الحسن علي ؛ المعروف بالشريف بن الحسن بن محمد بن حسن القادم من الحجاز، وكان للسيد علي الشريف المذكور ولدان: أحدهما: السيد محمد، والآخر: السيد يوسف [185] ومنهما تفرع جميع أشراف تافلالت.

وممن أدركناه بالسن ولم نره من الفريق الأول: الإمام العلامة مفتي مراكش أبو محمد عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن علي الشريف المذكور. وممن أدركناه من الفريق الثاني، واستفدنا منه، وكانت بيننا وبينه ألفة أكيدة: الإمام العلامة الأستاذ المتبحر أبو محمد عبد الله بن علي بن طاهر بن الحسن بن يوسف بن علي الشريف المذكور. وممن أدركناه من علماء هذا الفريق ولم نره: قاضي درعة العالم العدل أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن عبد الصادق بن محمد بن يوسف بن علي الشريف.

قوله: أخا القطب: أبا القطب؛ وإلا فلا يعقل! . ثم يليه: هذا ما انتهت المعرفة إليه، ووقع التوقيف من أهل العلم عليه، من الشجرة الطيبة الشماء، التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، بوأنا الله تعالى من كنفها مقعدا شريفا، ومد علينا من ظلالها ظلا= = وريفا، وليس في المغرب – فيما نعلمه من الادارسة – من يبلغ في صراحة نسبه ووضوحه مبالغ أهل العلم والجوطيين، أما أهل العلم؛ فقد مضى من ذكرهم ما تيسر، وأما الجوطيون؛ فهم : ولد يحيى الجوطي بن محمد بن يحيى العدام بن القاسم بن إدريس . هذا الذي عند ابن خلدون، وقال غيره: يحيى الجوطي هو: ابن القاسم بن إدريس . والذي نعرفه من الجوطيين ثلاث فرق، وتشعبت إحداها شعبتين، كلها بحضرة فاس إلا شعبة من الشعبتين؛ فإنها بمكناسة الزيتون، ولنتبرك بذكر شجرتهم على الاختصار، من غير تتبع للأفراد؛ اكتفاء بذكر الفصائل والأجداد. . .ويليه على الهامش تعليق اخر: رايت بخط الفقيه المؤرخ سيدي احمد بن يحيى الشريف البوسرواسي: صح عند اهل تاصروت أولاد يملح ان جدهم محمد بن يملح تزوج بنت عمه سيدي عبد السلام؛ واسمها: فاطمة، وازداد له معها: عبد الجبار وعبد الغفار . كذا صح من خط المؤلف رحمه الله .(حجرية + النسخة ب)

المشجر السادس: الطاهريون؛ وهم في هذه الأعصار مقاسموا العمرانيين في النقابة . العمرانيون: ومنهم: أهل دار القيطون؛ دار جدهم الإمام إدريس بن إدريس بفاس، بجوار مسجده، وهم ولاة ضريحه به . المكناسيون: ومنهم ولاة ضريح جدهم الإمام إدريس الأكبر بزرهون (حجرية) .

[1] لا يقال: بعض الزيدية من الإمامية، إنما يقال: بعض الزيدية من الشيعة ؛ إذ إن الزيدية فرقة من الشيعة تنتسب للإمام زيد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي عليهم السلام، والمستشهد عام (122)، وهم أقرب الفرق إلى السنة، تأثروا بمذهب الاعتزال في القرن الثالث الهجري على يد الإمام قاسم الرسي، وإذا أطلق لفظ الزيدي في الكتب القديمة إنما يقصد به: من يرى مقاومة الحكام الظلمة بالسيف، وهو مذهب متقدمي آل البيت، ولا يقصد به مذهب الاعتزال، وإلى ذلك ينصرف وصف بعض المؤرخين المتقدمين للإمام إدريس عليه السلام بذلك. أما مذهب الإمامية ؛ فهو المذهب الاثني عشري المعتزلي، المنسوب كذبا للإمام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين عليهم السلام، ويرى العصمة في الأئمة الإثني عشر، وأنهم منصوص عليهم.

ومن علمائهم ممن هو الآن في قيد الحياة – أمتع الله بهم وبارك في أعمارهم: السيد العالم المتفنن الصالح الأستاذ أبو زيد عبد الرحمن بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الواحد بن يوسف بن علي الشريف. والعالم المتفنن المصنف الأستاذ أبو محمد عبد الهادي بن السيد أبي محمد عبد الله بن طاهر المتقدم ذكره. وكل واحد من السيدين المذكورين بيننا وبينه ألفة بليغة، نفعنا الله بمحبتهم، وحشرنا في زمرتهم آمين.

[الشرفاء القادريون ونسبهم]:

وبفاس أيضا: الشرفاء القادريون: من بني القطب أبي محمد عبد القادر الجيلاني. رضي الله عنه. ونسبتهم إليه ثابتة بموجب الثبوت، فصحت صحة لا مطعن فيها، وأذعن لها الكافة، وهو رضي الله عنه المعروف بالشريف عبد القادر بن أبي صالح موسى بن عبد الله بن يحيى الزاهد بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي رضي الله عنهم.

وموسى بن عبد الله أخو الإمامين محمد وإدريس، وأبوهم: عبد الله، يقال له: الكامل. ويقال له: المحض ؛ أي: الخالص. كان شيخ أهله، ومقدما فيهم، فضلا وعلما وكرما. قال مصعب الزبيري: « انتهى كل حُسْن إلى عبد الله بن حسن، كان يقال: من أحسن الناس؟. فيقال: عبد الله بن الحسن. ويقال: من أفضل الناس؟. فيقال : عبد الله بن الحسن ».

وروى مالك الحديث عنه. وسئل عن السدل ؛ فقال: « رأيت من يقتدى بفعله: عبد الله بن الحسن يفعله ». وكان هو يقول في نفسه: « أنا أقرب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله؛ ولدني مرتين ! »، وذلك لأن أمه هي: فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم، زوجه إياها أبوها الحسين رضي الله عنه، وقال له: « هي: أكثر شبها بأمي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم »، [186] فكل من كان من ولده ؛ فعليه ولادة الحسن والحسين رضي الله عنهما، وكل واحد من ولده الثلاثة مشهور بالفضائل التي لا تنبغي إلا لهم.

وكذلك تزوج زين العابدين أم عبد الله بنت الحسن بن علي، وولد له منها: محمد الباقر وعبد الله وحسن وعلي. قاله ابن قتيبة في "المعارف".

والشيخ أبو محمد عبد القادر شهير الذكر في المشارق والمغارب، وتوفي سنة إحدى وستين وخمسمائة ببغداد.

[فوائد تتعلق بعمود نسب مولاي عبد السلام بن مشيش]:

وتوفي الشيخ أبو محمد عبد السلام[1] شهيدا سنة اثنين وعشرين وستمائة – فيما قيل – وقيل: بعد ذلك فيما قبل سنة ست وعشرين ؛ قتله في العلم قوم بعثهم لقتله ابن أبي الطواجن الكتامي الساحر، المدعي النبوءة، وبسبب هذه الدعوى، زحفت إليه عساكر سبتة، وكان عند بني سعيد ؛ ففر وقتله بعض البرابرة غيلة، وكانت ثورته سنة خمس وعشرين وستمائة. قال ذلك كله ابن خلدون. وقال لي بعض قضاة بني سعيد: «إنه قتل في وادي لوْ»، وهو من أطراف بلادهم، في جهة الشرق، مجاورا لبني زيات.

ومشيش: بفتح الميم، وشين منقوطة مكسورة، وياء مد، وشين منقوطة، هذا الذي يعرفه أهل قطره، ولا يختلفون فيه، ولا يعرفون غيره. وذكر بعض أهل الأقطار النائية أنه يقال فيه: بشيش بالباء مكان الميم، ولا شك أن إبدال الميم باء وعكسه لغة مزنية، وأنه يقال فيه أيضا: مرشيش ؛ براء ساكنة بين الميم والشين.

وسَلام: بفتح السين واللام المشددة بعدها ألف مد فميم، واسمه: سليمان. على ما قيل. والمعروف الآن في تلك البلاد أنهم يستعملون هذا الاسم فيمن اسمه عبد السلام لا غير.

ومزوار: بميم وزاي ساكنة، وواو مفتوحة، وألف مد، وراء، وهو باللغة البربرية: بكر أبيه، واستعمل كثيرا في رئيس الجماعة المتميزة ؛ كنقيب الأشراف ورئيس المؤذنين وموقتهم، وفي حاجب السلطان.

وحيدرة: بحاء مهملة مفتوحة، وياء تحتانية ساكنة، ودال مهملة مفتوحة، وراء مفتوحة، وهاء التأنيث: اسم الأسد، وكان علي – كرم الله وجهه – قد سمته أمه فاطمة بنت أسد باسم أبيها، ثم سمي بعلي؛ فلذلك قال يوم خيبر: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة». فصار لقبا له، ثم لقب به علي ابن محمد بن إدريس المذكور في عمود النسب.

والعَلَم: بفتح العين واللام بعدها ميم ؛ كلفظ واحد الأعلام التي هي: الجبال، وهو جبل عظيم مرتفع، دفن الشيخ أبو محمد عبد السلام [187] في قنته، وآثاره هنالك كثيرة ؛ من مغارة للخلوة والعبادة، ومسجد جدرانه نحو القامة أو أكثر من أحجار مرتبة، وموضع لارتقاب الفجر... وغير ذلك. وتحت ذلك بأكثر من ميل عين كان يتوضأ فيها، ومقتله فوقها بقريب ؛ فيقال: إنه توضأ فيها عند الفجر، وقصد الصعود لمحل عبادته وارتقابه للفجر ؛ فقتلوه هنالك.

ومن الشائع: أنهم ألقي عليهم ضباب كثيف أضلهم عن الطريق، ودفعوا إلى شواهق تردوا منها في مهاوي سحيقة تمزقت بها أشلاؤهم، ولم يرجع منهم مخبر.

---

[1] أي: ابن مشيش.

وعلى هذا العين، بمقربة منها، مسجد عليه جدار دون القامة، من أحجار دون طين، هو محط رحال زوار ضريح الشيخ، وتحت هذه العين بمسافة أخرى: رسوم دار الشيخ التي كان يسكنها، ولا ساكن هنالك اليوم، وإنما العمران في سفح هذا الجبل، دائرا به في مداشر وعمائر كثيرة، يسكنها أهل هذا النسب الكريم، ومعهم كثير من غيرهم، وهم يحفظون نسبهم، ويحفظ لهم، فلا يتطرق إليه التباس والحمد لله.

والجوطي: نسبة إلى جُوطة ؛ بجيم مضمومة، وواو مد، وطاء مفتوحة، وهاء تأنيث. وهي: قرية عظيمة على نهر سُبُو في العُدوة الجنوبية، خربت ولم يبق منها إلا آثار، ولها مسيل شتوي يعرف بمخرط جوطة، نزلها السيد يحيى؛ فنسب إليها، وقبره هنالك معروف. وحدثني قوم من أهل تلك البلاد أن النهر تحيف كثيرا منه؛ وهي من بلاد أولاد عمران من الخلط . والكلام فيما يتعلق بالأنساب الشريفة طويل عريض، وروض ناضر أريض، لا يستوفيه قاصده المتفرغ له ؛ فليس يمكن أن يستوفى هنا .

وإنما الغرض: التعرض لما ساق إليه ذكر نسب صاحب الترجمة بإيراد هذا القدر منه، تبركا به وتوصلا لرضى الله بسببه، وإيداعا لذخيرته في صوان هذا الكتاب، الذي من مقاصده: تحصيل الفوائد، ولا سيما ما كان من ذكر أهل الفضل الذين تنزل الرحمة عند ذكرهم، مع وضوح مناسبة ذكره لذكر نسب صاحب الترجمة الإمام أبي العباس أحمد بن علي الشريف رضي الله عنه.

وقد نظم عمود نسبه في رجز: شيخنا الإمام أبو عبد الله القصار، ورأيته بخطه. ونظمه أيضا: الفقيه الأديب أبو عبد الله محمد بن السايح العمراني في قصيدة من الطويل، نونية موصولة بالهاء، مخروج منها بالألف، مردفة بغير الألف. وقد رأيتها بخطه، وهي نحو سبعة عشر بيتا، ولم تحضرني الآن [188] وقد عارضتها بقصيدة في عروضها وقافيتها تزيد على مائتي بيت، ونظمت أيضا قصيدة في الطويل بائيه موصولة، بالياء مؤسسة، فيها أكثر من مائة بيت، تضمنت آباءه ونحو ثلاثين حديثا في فضل أهل البيت. تقبل الله ذلك بمنه وفضله، وكان نظمها في سنة ثمان وألف.

[وفاته رضي الله عنه ومدفنه]:

وكانت وفاته – رضي الله عنه – في شفشاون سنة سبع وعشرين وألف، ودفن في مقابر سلفه في القبة العظيمة المبنية لهم في شفشاون محاذيا للأمير الجليل السيد أبي الحسن علي بن راشد رضوان الله عليهم أجمعين[1] .

---

[1] بقي في أصل المؤلف هنا من البياض نحو ورقتين ونصف (حجرية) .

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه وسلم

[أسانيد الطريقة[1] الجزولية والشاذلية]

فصل

[أسانيد الشيخ يوسف الفاسي]

أخذ والدي الشيخ أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي – رضي الله عنه – طريق الإرادة عن الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المجذوب، وطريق التبرك والاستفادة عن والده الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف، والشيخ أبي سالم إبراهيم الزواري (بزاي منقوطة، ثم واو، بعدها ألف مد ثم راء، ثم ياء نسب) والشيخ أبي عبد الله محمد الملقب بكانون المطاعي، والشيخ أبي عبد الله محمد الطالب، والشيخ أبي محمد عبد الله الهبطي، والشيخ أبي محمد عبد الله بن ساسي، والشيخ أبي العباس أحمد بن منصور الحاحي، والشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشنزائي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن مخلوف الضريسي[2]، والشيخ أبي محمد الحسن بن عيسى المصباحي، والشيخ أبي النجا سالم العماري. . . وغيرهم من المشايخ رضي الله عنهم.

فأما الشيخ أبو عبد الله محمد بن يوسف الفاسي ؛ فعن الشيخ أبي العباس أحمد بن قاسم الشرفي الأندلسي عن الشيخ أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التبّاع المراكشي عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي.

وأما الشيخ أبو سالم الزواري التونسي ؛ فعن الشيخ أبي المظفر منصور الزوّاري ؛ ومنه اكتسب الشيخ أبو سالم هذه النسبة لطول ملازمته إياه عن الشيخ أبي العباس ابن عروس دفين تونس عن الشيخ فتح الله العجمي التونسي.

وأخذ الشيخ أبو سالم أيضا عن الشيخ ابن عروس دون واسطة، وعن الشيخ أبي العباس أحمد بن عقبة الحضرمي بمصر، وعن تلميذه الشيخ أبي العباس زروق، وعن تلميذه الشيخ أبي العباس

[1] راجع بالتفصيل في هذا الباب كتاب "البرهان الجلي في انتساب الصوفية لعلي" لشيخ شيوخنا الحافظ الشيخ أحمد بن محمد بن الصديق الغماري الإدريسي الحسني المتوفى عام (1380–1960) . فقد أوعب وشفى.

[2] في النسخة (ج): الضريصي .

أحمد بن يوسف الراشدي، وعن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع. وكان [189] الشيخ أبو سالم قد عمر فوق المائة، وتوفي سنة إحدى وستين وتسعمائة بفاس، ودفن خارج باب الجيسة من أبوابه.

وأما الشيخ أبو عبد الله كانون المطاعي ؛ فعن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع.

وأما الشيخ أبو عبد الله الطالب والشيخ أبو محمد الهبطي والشيخ أبو محمد بن ساسي والشيخ ابن منصور ؛ فأربعتهم عن الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني عن الشيخ أبي محمد التباع عن الشيخ أبي عبد الله الجزولي.

وأما الشيخ أبو عثمان بن أبي بكر ؛ فعن الشيخ أبي عثمان سعيد الداعي عن الشيخ أبي محمد التباع.

وأما الشيخ أبو عبد الله ابن مخلوف ؛ فعن الشيخ أبي حفص الحصيني عن الشيخ أبي محمد التباع.

وأما الشيخ أبو محمد الحسن بن عيسى المصباحي ؛ فعن الشيخ أبي عبد الله محمد المدعو بأبي عسرية بن الزبير بن الحسن بن الزبير بن طلحة بن مصباح المصباحي عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع.

وأما الشيخ أبو النجا سالم العماري ؛ فعن الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن عيسى الشريف العلمي المعروف بابن ريسون عن الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع.

فصل

[أسانيد الشيخ عبد الرحمن المجذوب]

أول من أخذ عنه الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن عياد المجذوب: الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد الصنهاجي، وكان يلقب بالدوار، قيل: ولم يكن يحب ذلك اللقب. وهو دفين خارج باب الفتوح، ثم أخذ عن شيوخ أجلاء وخدمهم ؛ منهم: الشيخ أبو العباس أحمد المدعو بالشبية بن عبد الواحد بن عبد الرحمن الشريف الجوطي المكناسي، دفين خارج باب عيسى ؛ أحد أبواب مكناسة الزيتون.

ومنهم: الشيخ أبو زكرياء يحيى بن علال بن موسى بن محمد بن غانم ؛ المكنى بأبي خصيب القرشي العمري ثم المالكي ؛ لكونه في عداد قبيلة بني مالك، دفين خارج باب الفتوح، أحد أبواب فاس.

ومنهم: الشيخ أبو حفص عمر الخطاب الزرهوني ؛ دفين زرهون.

ومنهم: الشيخ أبو عثمان سعيد بن أبي بكر المشنجائي ؛ دفين خارج مكناسة الزيتون.

ومنهم: الشيخ أبو عبد الله محمد المعروف بجعران بن علي بن أحمد السفياني الذاودي .

ومنهم: الشيخ أبو العباس أحمد المدعو بأبي الرواين[1] بن حسين العبدلي السهلي ؛ دفين خارج مكناسة.

فأما الشيخ أبو الحسن الصنهاجي ؛ [190] فأخذ عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم الزرهوني المعروف بأفحّام دفين جبل زرهون، وكان قد رأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم ؛ ففتح له على يده الكريمة، وأخذ عنه، ثم انضاف إلى الشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد زَرُّوق. وصحبه، وانتسب إليه بقصد التربية والتهذيب.

وأما الشيخ أبو العباس الشريف: المدعو بالشبيه ؛ فأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحيم بن يجبش التازي وهو عن عمه الشيخ أبي الحسن علي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله الزيتوني دفين المسيلة من بلاد الجريد، والشيخ أبي محمد عبد العزيز القسمطيني. وأخذ الشيخ القسمطيني عن الشيخ زروق[2].

وأما الشيخ أبو زكرياء بن علال، والشيخ أبو حفص الخطاب ؛ فكلاهما عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز بن عبد الحق الحرّار المدعو بالتباع عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الجزولي الشريف.

وأما الشيخ أبو محمد الزليجي ؛ فعن الشيخ أبي عبد الله محمد الملقب من شيخه بالصغير (مصغَّرا) ابن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم العَمْري (بسكون الميم) من أولاد عمرو من قبائل عرب سوس، المعروف بالسهلي ؛ نسبة إلى أخواله: السَهول، دفين خندق الزيتون من أحواز فاس عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الشريف المعروف بالجزولي.

---

[1] الذي في "دوحة الناشر": أبو عبد الله محمد المدعو بأبي الروابن . نسخة (جـ) .

[2] وأخذ الشيخ القسمطيني أيضا عن سيدي محمد زيتون عن سيدي عبد الله بن أبي القاسم الجزيري . وظاهر قوله في بعض رسائله: ((نحن من غرسة من غروس إحسانه))، أي: معتمده وإليه ينسب . نسخة (جـ) .

وأما الشيخ [أبو][1] **عثمان سعيد بن أبي بكر** ؛ فعن الشيخ أبي عثمان سعيد الداعي دفين المقرمدة من حوز فاس عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع.

وأما الشيخ أبو عبد الله جُعْران ؛ فعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن منصور السفياني ؛ دفين البسابس من السواحل التي بين نهري سبو ولكس عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع.

وبنى الشيخ أبو زيد المجذوب على الشيخ أبي عبد الله بن منصور روضة، وحين أكملها ؛ رآه في النوم، فأخذ عنه وألبسه الشيخ أبو عبد الله حلة خضراء.

وأما الشيخ أبو الرَّوَاين ؛ فعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى الكبير الفهدي، السفياني الأصل، ثم المختاري ؛ وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر الحارثي السفياني، وعلى يده كان فتحه، وهو عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن سليمان الشريف الشهير بالجزولي.

وأخذ أيضا الشيخ أبو عبد الله بن عيسى بعد شيخه أبي العباس الحارثي وبأمره عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع، وعلى يديه كان [191] تكميله.

فصـل
[أسانيد الشيخ زروق]

أخذ الشيخ الإمام أبو العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البُرنُسي الفاسي المعروف بزرّوق عن جماعة من المشايخ، وقد ذكرهم هو في برنامج ؛ منهم: الشيخ أبو عبد الله بن زمام، والشيخ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الزيتوني الفاسي، والشيخ أبو العباس أحمد بن عروس دفين تونس. . . وغيرهم.

وعلى كل حال ؛ فهو ينتسب للشيخ أبي الحسن الشاذلي، كما صرح به تلميذه الشيخ طاهر بن زيان القسمطيني، وإن كان بعض شيوخه لا يتصل سنده به، فإنه يتصل به غيره من شيوخه.

وأخذ آخرا عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عمر بن محمد بن عقبة الحضرمي ثم المصري، وانتسب إليه، واعتمد في الطريق والتحقيق عليه، وهو أخذ عن الشيخ أبي

---

[1] هذه الزيادة إضافة من نسخة (جـ) .

زكرياء يحيى بن أحمد الشريف القادري[1] عن الشيخ أبي الحسن علي بن وفا عن والده الشيخ أبي عبد الله محمد عن الشيخ شرف الدين أبي سليمان داود الباخلي عن الشيخ تاج الدين بن عطاء الله والشيخ ياقوت الحبشي كلاهما عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر المرسي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي. هكذا ثبت في بعض التقاييد، وأن الشيخ أبا العباس بن عقبة أخذ عن الشيخ أبي زكرياء الشريف عن الشيخ أبي الحسن بن وفا.

وانتقد بقول الشيخ أبي العباس زروق فيما وجد بخطه[2]: إنه سأله عن خرقته؛ فقال له: « نحن لا نعرف شيئًا من هذا، ولكن طريق أمي وسلفها تنتهي للشيخ أبي مدين المغربي »[3]هـ. ويمكن أن يجاب بأن المنفي هنا هو: السند بلبس الخرقة لا مطلق السند بالأخذ، إرادة أو تبركا، وقد ذكر عنه الشيخ زروق أنه لقي بمكة الشيخ عبد الكبير الحضرمي اليمني وأخذ عنه ما فتح له على يديه، ولم ينافِ ذلك نفيه للبس الخرقة.

وأيضا: بأن التاريخ يمنع كون الشيخ أبي زكرياء في هذا المحل، ويمكن أن يجاب بأن ذلك: إنما يتوجه بعد تحقق أن الذي يمنعه التاريخ هو المراد هنا، ولم يتحقق ذلك، وهذا الباب أوسع من باب أسانيد الحديث؛ فلا يلتزم هنا كل ما يلتزم هنالك، لما لا يخفى.

وفي بعض التقاييد أن الشيخ أبا العباس ابن عقبة أخذ عن الشيخ أبي الحسن بن وفا دون واسطة، ولا يصح؛ لتقدم وفاته عن ولادته بنحو سبع عشرة سنة، فإن الشيخ أبا الحسن توفي سنة سبع وثمانمائة. وقال الشيخ أبو العباس زروق: إن شيخه أخبره أن مولده في أحد الجمادين من سنة أربع وعشرين وثمانمائة.

وفي [192] بعضها أن الشيخ أبا العباس بن عقبة أخذ عن سيف الدين أبي زكرياء يحيى عن والده ظهير الدين أحمد عن والده عماد الدين أبي صالح نصر عن والده تاج الدين عبد الرزاق عن والده الشيخ أبي محمد عبد القادر الجيلاني، والتاريخ يأبى ذلك، وقد ذكر جلال الدين الكركي في كتابه "نور الحدق، في لبس الخِرَق" أن شيخه شمس الدين البكري لبس الخرقة من الشيخ فتح الدين المالقي سنة إحدى وعشرين وثمانمائة، كما لبسها من الشيخ صلاح الدين الفوي المعروف بالميقاتي، كما لبسها من الشيخ علاء الدين علي وأخيه زين الدين عبد القادر، كما لبساها من والدهما الشيخ شمس الدين محمد، كما لبسها من والده الشيخ سيف الدين يحيى، كما لبسها من والده الشيخ ظهير الدين أحمد، كما لبسها من والده الشيخ عماد الدين أبي صالح نصر، كما لبسها من والده الشيخ تاج الدين عبد الرزاق؛ وكانت وفاته سنة ثلاثين وستمائة، كما لبسها من والده الشيخ عبد القادر.

---

[1] صوابه: يحيى بن أحمد الوفائي عن عمه سيدي علي وفا. نسخة (جـ) بخط بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي.

[2] وقد وجدها بخطه: الشيخ ابو العباس بن ابي المحاسن. نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي.

[3] احسب أن والدته شريفة من ال باعلوي الحضرميين، فسندهم يتصل بجدهم الإمام الشريف الفقيه المقدم محمد بن علي بن محمد الحسيني العلوي عن الشيخين عبد الرحمن المقعد وعبد الله الصالح المغربي كلاهما عن الشيخ ابي مدين رضي الله عنهم.

فقد لبسها البكري قبل ولادة الشيخ ابن عقبة بثلاث سنين من المالقي الذي لبسها من الميقاتي الذي لبسها من حفيد الشيخ سيف الدين.

فواضح أن الشيخ سيف الدين يحيى في طبقة متقدمة لا يمكن أن يأخذ عنها الشيخ ابن عقبة، ولا سيما إن كان الأخذ بالخرقة؛ فقد نفاها كما تقدم.

وما ذكره الشيخ أبو العباس زروق في أوائل شروحه " للحكم" وفي غيرها من رواية كتب الشيخ تاج الدين بن عطاء الله عن شمس الدين السخاوي بسنده؛ فليس من أسانيد طريق القوم في ورد ولا صدر، وإنما هي رواية محضة على العادة في رواية الكتب.

ولفظه في إجازته للفقيه المبارك أبي العباس أحمد بن الشيخ الصالح أبي عمران موسى بن عمر، وقد سأله أن يجيز له ما يجوز له وعنه روايته؛ ما نصه: « أجزت له أن يروي عني جميع ذلك بشرطه؛ ومنه: كتب ابن عطاء الله. أخبرني بها إجازة شفاها شمس الدين السخاوي بداره بالقاهرة سنة ست وسبعين وثمانمائة، قال: أخبرني بها إجازة من بيت المقدس أبو زيد عبد الرحمن القبابي[1] بإجازته من شيخ الإسلام أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي عن مؤلفها تاج الدين ». هـ .

فصـــل

[أسانيد الإمام الجزولي]

أخذ الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الشريف الشهير بالجزولي ثم السملالي، ويعرف بالجزولي؛ لكونه في عداد جزولة عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الله آمغار[2] نزيل رباط تيطنْفطرْ؛ قرية بساحل بلد آزمور تعرف [193] الآن بتيط، وبها كان مأوى سلفه المبارك أهل الخير والصلاح والولاية، إلى الشيخ أبي يعقوب يوسف، وأخيه الشيخ أبي محمد عبد السلام، ووالدهما: الشيخ أبي عبد الله محمد؛ وهو من أقران الشيخ أبي شعيب، ووالده الشيخ أبي جعفر إسحاق؛ وهو من أقران الشيخ أبي ينور، ووالده الشيخ إسماعيل بن سعيد، وبهذه

---

[1] وبخط أبي الطيب الحسن الزياتي: القبابي بتشديد الباء هـ . وبخط المؤلف كما في الأصل، وكذا بخط الشيخ زروق. نسخة (جـ) . بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي كما يبدو.

[2] قال فيه الشيخ أبو العباس بن الشيخ أبي المحاسن: سيدي محمد بن عبد الله . ولكني ما رأيته بخطه، ثم رأيته كذلك بخط المؤلف سيدي العربي الفاسي رحمه الله . (جـ) . بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي كما يبدو.

القرية كان سكنى الشيخ أبي زيد عبد الرحمن المجذوب في أول أمره، وكذلك والده وسلفه، ثم رحل والده إلى نواحي مكناسة.

وأخذ الشيخ أبو عبد الله أمغار؛ عن الشيخ أبي عثمان سعيد الهرتاني عن الشيخ أبي زيد عبد الرحمن الرجراجي[1]؛ وأقام بحرم الله عشرين سنة، عن الشيخ أبي الفضل الهندي عن الشيخ عنوس البدوي راعي الإبل عن الإمام أبي العباس أحمد القرافي[2] عن أبي عبد الله المغربي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم.

قال شيخنا أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي المحاسن: ((هكذا رأيت هذا السند عند فقراء العصر وشيوخهم الذين في مَعَدّ أشياخنا وأشياخ أشياخنا ؛ كالشيخ أبي الحسن علي بن محمد صالح الأندلسي فيما رأيته بخطه، إلاَ أنه قال: عن الإمام القرافي. ولم يسمه . ولم أر عندهم غيره، ولست أعرف من هؤلاء الشيوخ أحدا سوى الشيخ أبي عبد الله آمغار ؛ فلم نزل نسمع أنه لقيه الشيخ أبو عبد الله الجزولي ببلاد دكالة، وأنه أخذ عنه، وكثيرا ما يذكره باسم: الشيخ. في بعض ما جمع عنه من الكلام والمناقب)).

((وأما الإمام القرافي؛ فلا أعلم هل هو العالم المتبحر صاحب "الذخيرة"، و"القواعد"، و"شرح الأربعين"، و"شرح المحصول" . . . وغيرها، والتاريخ يقبله إن كان هو المراد ؟!)).

((**وأما المغربي** ؛ فلم نجد له ذكرا في "لطائف" المنن، وكتاب ابن الصباغ، وكتاب السيد الشريف أبي محمد عبد النور، ولا شك أنهم لم يستوفوا ذكر أصحاب الشيخ أبي الحسن، وقد تخرج به في المغرب رجال من الصديقين والأولياء، ثم رحل إلى مصر وأخذ عنه عالم من الناس، وقال رضي الله عنه: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام ؛ فقال لي: يا علي؛ انتقل إلى الديار المصرية ؛ تربي بها أربعين صديقا . ولم يذكروا هذا العدد من أصحابه ولا ما يقرب منه، فلعل المغربي من الذين لم يذكروهم!)). هذا كلا شيخنا أبي العباس، وبعضه بالمعنى.

---

[1] ابن الخلوق: ((وأقام بمكة مجاورا عشرين سنة، وهو المعروف عند العامة بأبي زيد و الياس، وقبره بوادي شفشاوة من عمل مراكش، وقد انتهى مقامه إلى القطبانية))، وبخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي: ((ابن الخلوق في ترجمة شيخه أبي الحجاج الفيجيجي لما ذكر أخذه عنه طريق القوم بالعهد والصحبة قال: أفادني بسلسلة أشياخه، وأجازني في روايتها عنه عن سيدي ابن عيسى عن (فراغ بمقدار كلمة) عن الجزولي. . . ثم ساق السند إلي (فراغ بمقدار كلمة) ثم قال: وقد أخبرني بصحة هذا السند الفقيه الحافظ الراوية: أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد العبادي التلمساني عام 68 (أي: من التسعمائة) وبإجازة أبيه له في ذلك، وأجازني هو في روايته عنه من طريق أبيه عن الشيخ الجزولي . لكن أكثر ما ينتهي السند إلى الشيخ عبد الرحمن المدني. . .)) . نسخة (جـ) .

[2] ابن الخلوف (كذا) : ((وذكر لي شيخنا أبو الحجاج الفيجيجي أن الشيخ القرافي المذكور في السلسلة أخذ عن الشيخ أبي العباس المرسي أيضا)) . نسخة (جـ) .

وذكر أن الشيخ أبا عبد الله الجزول[1]ي أخذ في الجامع الأزهر عن الشيخ أبي محمد [194] عبد العزيز العجمي عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي، والتاريخ يأبى أن تكون الواسطة بينهما رجلا واحدا؛ فإن الشيخ الجزولي توفي سنة سبعين وثمانمائة، والشيخ الشاذلي توفي سنة ست وخمسين وستمائة. رضي الله عنهم أجمعين.

فصل

[أسانيد الإمام أبي الحسن الشاذلي]

أخذ الشيخ أبو الحسن الشاذلي الشريف رضي الله عنه طريق الإرادة والاقتداء عن الشيخ أبي محمد عبد السلام بن مشيش الشريف عن الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن الحسين الشريف العطار المدني الشهير بالزيات ؛ لسكناه بحارة الزياتين عن الشيخ أبي أحمد جعفر بن عبد الله بن أحمد ابن سيد بونة الخزاعي الأندلسي عن الشيخ أبي مدين وغيره.

وقيل: إن الشيخ أبا محمد عبد الرحمن المدني أخذ عن الشيخ أبي مدين دون واسطة، وهو الذي في "نور الحدق" لجلال الدين الكركي.

وفي "النبذة المفيدة": « قال الشيخ أبو العباس المرسي في هذه الطريقة: إنها متصلة بالأقطاب، معنعنة برجل عن رجل إلى الحسن بن علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم. فلما اطلعت على هذا الكلام ؛ أمعنت الفحص عن معرفة بقية هذا الطريق، فلم أجد سوى أن الشيخ أبا محمد عبد الرحمن المدني أخذ عن عارف وقته الشيخ القطب تقي الدين الفقير ؛ الذي لقب نفسه بتقي الفقير (بالتصغير فيهما) وذلك من أرض العراق. وهو عن القطب فخر الدين عن القطب نور الدين أبي الحسن علي عن القطب تاج الدين عن القطب شمس الدين بأرض الترك عن القطب زين الدين القزويني عن القطب أبي إسحاق إبراهيم البصري عن القطب أبي القاسم أحمد المرواني عن القطب أبي محمد سعيد[2] عن القطب أبي محمد فتح السعود[3] عن القطب سعيد الغزواني عن القطب جابر عن أول الأقطاب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب سبط سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ».

[1] وفاة الجزولي أبا (كذا) عبد الله 890 . نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي .
[2] عن القطب أبي محمد سعيد عن القطب سعد عن القطب أبي محمد فتح السعودي . كذا عند الشيخ أبي العباس ابن أبي المحاسن . وفي "دوحة الناشر": المرواني (في الأصل المراوني وأصلحتها) عن شيخه سعد عن شيخه فتح السعودي . وسمى كلا من تاج الدين وشمس الدين الذي بأرض الترك، والغزواني محمدا، وكنى جابرا بأبي محمد، وكتب الغزواني كما كتبناه . هـ . نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي .
[3] ففي النسخة (جـ): فتح السعودي .

« واعلم أنني ظفرت بهذه السلسلة واتصالها – بعد الفحص الكبير – وجدتها منقولة عند الشيخ تاج الدين بن عطاء الله صاحب الشيخ أبي العباس المرسي، ومطابقة لقول المرسي: إن طريق المدني متصلة بالأقطاب. ففي هذا إشعار بصحة هذه الطريق واتصال سلسلتها، وإن كنت لم أجزم فيها إلا بالشيخ الشاذلي وشيخه ابن مشيش، وشيخه المدني، ثم بالحسن بن علي . فمجموعها على قسمين ؛ منها: ما هو قطعي، ومنها ما هو ظني. وأما قولهم [195] فيها: فلان الدين، ولم تذكر له شهرة بحيث وجدت ذلك هنا ؛ فاعلم أني نقلته كذلك، فحكيته على ما وجدته ». انتهى.

ومؤلف "النبذة" قيل: إنه سبط الشيخ الشاذلي. وقد ذكر فيها أنه أدرك من أصحاب الشيخ المرسي جماعة، وتكرر إليهم متبركا بهم، مستجلبا لأدعيتهم، رضي الله عنهم أجمعين.

وقال سيدي أبو العباس المرسي: « طريقتنا لا تنسب لمشارقة ولا مغاربة، وإنما هي واحد عن واحد إلى الحسن بن علي ». فقد أثبت الشيخ أبو العباس وجود السلسلة متصلة، فمن وافقها نقلا ؛ فذاك الأخذ والانتساب، ومن لنا بالموافقة ؟ ! .

قال شيخنا الإمام أبو عبد الله القصار: « ولا يلزم من الأخذ الانتساب ؛ فإن الإنسان يأخذ عن شيوخ كثيرة، وينتسب لواحد ». ولا علم لنا لمن ينتسب سيدي عبد الرحمن المدني، ولو تحققنا أخذه عن معين واحد أو أكثر. وقد ذكرنا أولا أن قصدنا: ما هو أعم من الانتساب والأخذ والإرادة والتبرك.

ولو اتفق أن يأخذ الشيخ أبو محمد عبد السلام عن الشيخ أبي مدين ؛ لكان الزمان قابلا لذلك فضلا عن أخذه عنه بواسطة أو واسطتين، فقد توفي الشيخ أبو مدين سنة أربع وتسعين وخمسمائة عن نحو خمس وثمانين سنة، وتوفي تلميذه الشيخ أبو أحمد بن سيد بونة سنة أربع وعشرين وستمائة عن مائة سنة ؛ فإنه ولد سنة أربع وعشرين وخمسمائة.

[تحقيق وفاة الشيخ ابن مشيش]:

وأما الشيخ أبو محمد عبد السلام ؛ فقيل: إنه توفي سنة اثنتين وعشرين وستمائة[1]، ولم نقف نحن ولا شيخنا أبو عبد الله القصار على ما يعتمد عليه في ذلك. إلا أنه من المستفيض أن الشيخ مات شهيدا ؛ قتله جماعة وجههم لقتله ابن أبي الطواجن . وقد قال ابن خلدون: « ثار محمد بن محمد الكِتامي سنة خمس وعشرين وستمائة، كان أبوه من قصر كتامة منقبضا عن الناس، وكان ينتحل السيمياء. ولقَنَهُ منه ابنه محمد هذا، وكان يلقب: أبا الطواجن؛ فارتحل إلى سبتة، ونزل على بني سعيد، وادعى صناعةَ الكيمياء، فاتبعه الغوغاء، ثم ادعى النبوءة، وشرع شرائع، وأظهر أنواعا من الشعوذة ؛ فكثر تابعوه، ثم اطلعوا على خبثه، ونبذوا إليه عهده، وزحفت عساكر سبتة إليه؛ ففر عنها، وقتله بعض البرابرة غيلة ». هـ.

وذكر لي بعض قضاة بني سعيد أنه: قتل بوادي (لو) من بلادهم. قال شيخنا أبو عبد الله القصار: « وإذا كانت ثورته سنة خمس وعشرين ؛ فكيف قتل سيدي عبد السلام [196] قبل ذلك؟ ! . قال: والغالب أن مثله يضمحل أمره سريعا ؛ فتكون وفاة سيدي عبد السلام قريبا من هذا التاريخ ». هـ. ولا يلزم توقف ذلك على الثورة، فلعل أبا الطواجن كان متمكنا من ذلك قبلها، فقد كان يتعاطى ما يهيئ له ذلك.

---

[1] وقد نظمها سيدي محمد بن علي السوسي البوسعيدي هي ووفاة الشاذلي بقوله:

والشاذلي تنور   وشيخه تبكر

نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي .

وعلى ما في "النبذة" "ونور الحدق" من أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي ولد سنة إحدى وسبعين وخمسمائة؛ يكون أخذه عن الشيخ أبي مدين من الممكن، لكنه لم يتفق، ولا خلاف أنه توفي سنة ست وخمسين وستّمائة ؛ فيكون عمره على هذا: خمسا وثمانين سنة أو نحوها كما صرح به في "النبذة"، وهو خلاف ما عند غيره. حتى قال شيخنا أبو عبد الله القصار رحمه الله:

الشــاذلــي مــات عــام وفـــخ وهـو ابن نحو جص إحفظه أخي

[طرق أخرى للإمام الشاذلي]:

وللشيخ أبي الحسن الشاذلي طرق أخرى بمجرد التبرك والانتفاع ؛ فأخذ عن أبي عبد الله محمد بن حرازم عن الشيخ أبي محمد صالح بن ينصارن بن غفيان الماجري الدكالي ؛ دفين رباط مدينة آسفي، وكانت وفاته سنة (كذا)[1] عن الشيخ أبي محمد عبد الرزاق الجزولي ؛ وكان استقراره آخرا بالإسكندرية، وبها توفي في حياة شيخه سنة اثنين وتسعين وخمسمائة عن شيخه الشيخ أبي مدين[2].

وأخذ الشيخ أبو محمد صالح أيضا عن الشيخ أبي مدين دون واسطة. قال الشيخ أبو العباس أحمد بن الميلق الإسكندراني صاحب الشيخ تاج الدين بن عطاء الله: ((كان الشيخ أبو محمد صالح قد صحب الشيخ عبد الرزاق في حياة شيخه أبي مدين، فرأى الشيخ عبد الرزاق بطريق الكشف أنه من أصحاب شيخه أبي مدين ؛ فقال له: أنت من أصحاب شيخي !. فتوجه إليه واصحبه، واقتد به!. ففعل ذلك الشيخ أبو محمد صالح، ولزم الشيخ أبا مدين إلى حين وفاته)).

قال في "النبذة": ((وطريق الشيخ أبي الحسن هذه أقدم من طريق اقتدائه بالشيخ أبي محمد عبد السلام، وفي بعض التقاييد: أخذ الشيخ أبو الحسن عن الشيخ أبي سعيد خليفة بن أحمد الباجي التميمي صاحب الكرامات المشهورة عن الشيخ أبي مدين)).هـ.

وقد قال ابن الصباغ: ((حكى الشيخ الصالح أبو فارس عبد العزيز بن فتوح في كتاب "فضائل سيدي أبي سعيد الباجي" عن الشيخ أبي الحسن الشاذلي أنه قال: لما دخلت مدينة تونس في ابتداء أمري، قصـدت من فيها من المشايخ، وكان عندي شـيء أحب أن أعرضـه على من يبين لي ما فيه [197] فلم يكن منهم من

---

[1] هذا البياض هكذا بالأصل. (مصحح) .وذكر جد جدنا في "سلوة الأنفاس" (2 : 44) أن وفاته كنت عام 631 رحمه الله تعالى ونفعنا به .

[2] تنبيه: رأيت أن محيي الدين ابن العربي الحاتمي أخذ عن أبي الحسن ابن حرزهم، ومات الحاتمي سنة ثمان وثلاثين وستمائة، ولعله الذي أخذ عنه الشاذلي . كذا بخط الشيخ القصار . وبخط الشيخ أبي محمد عبد الرحمن بن محمد الفاسي عن الحاتمي توفي سنة 637 . كاتبه محمد بن إدريس القادري: الذي أخذ عنه الشاذلي: ولد أبي الحسن ابن حرزهم كما في الأصل وغيره، لا ابو الحسن بن حرزهم . نسخة (خـ) والجملة الاولى بخط الشيخ عمر بن يوسف القاسي كما يبدو، وصاحب الجملة الأخيرة هو المذكور اسمه، ولعله المحدث الحافظ المتوفى عام 1350، صاحب شرح صحيح الترمذي .

شرح لي حالا، حتى دخلت على الشيخ الصالح أبي سعيد الباجي فأخبرني بحالي قبل أن أبدأه، وتكلم على سري ؛ فعلمت أنه ولي الله تعالى، ولزمته، وانتفعت به كثيرا . قال الراوي: وسمعت ذلك منه مرارا ›› .هـ .

فصـل

[أسانيد ابن سيد بونة والرفاعي]

أخذ الشيخ أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن سيد بونة الخزاعي عن الشيخ أبي مدين، وبه تخرج، وإليه انتسب، وعليه عول. ثم بعد ذلك لقي بالمشرق: الشيخ أبا العباس أحمد بن علي بن أحمد الرفاعي ؛ فلبس منه الخرقة، وكانت سكنى الشيخ أبي العباس عَبيدة (بفتح العين) قرية من البطائح، وهي: قرى مجتمعة في وسط الماء بين واسط والبصرة، وكانت وفاته بها سنة ثمان وسبعين وخمسمائة وقد ناهز الثمانين سنة. قال الذهبي: ‹‹ ولد سنة خمسمائة ››. وهو أخذ عن الشيخ علي بن القاري الواسطي عن الشيخ أبي الفضل بن كانح[1] عن الشيخ أبي علي غلام بن تركان عن الشيخ علي بن باربائي عن الشيخ علي العجمي عن الشيخ أبي بكر الشبلي عن الشيخ أبي القاسم الجنيد .

وفي "نور الحدق": ‹‹ أخذ الشيخ أبو العباس الرفاعي عن خاله الشيخ منصور عن الشيخ علي ابن القاري››. إلى آخر السند .

وأخذ الشيخ أبو العباس الرفاعي – أيضا – عن خاله الشيخ منصور البطايحي عن الشيخ أبي محمد الشنبكي عن الشيخ أبي بكر بن هُوارَى البطائحي ؛ من الهوارين: قبيلة من الأكراد، تاب وطلب شيخا يوصله إلى الله تعالى ؛ فرأى في نومه النبي صلى الله عليه وسلم وأبا بكر الصديق رضي الله عنه ؛ فقال له: ‹‹ يا رسول الله ؛ ألبسني خرقة! ››.فقال له: ‹‹ يا ابن هُوارَى، أنا نبيك وهذا شيخك! ››. وأشـار إلى أبي بكر الصديق. ثم قال: ‹‹ يا أبا بكر ؛ ألبس سَمِيَّك ابن هـوارى! ››. فألبسه ثوبا وطاقية، ومر بيده على رأسه، ومسح على ناصيته، وقال: ‹‹ بارك الله فيك ››، ثم استيقظ، فوجد الثوب والطاقية بعينهما عليه.

---

[1] كانح: كذا وجدته في نسخة من "نور الحدق" . انتهى من خط المؤلف . (حجرية) .

فصـل

[أسانيد الشيخ أبي مدين التلمساني]

أخذ الشيخ أبو مدين شعيب بن الحسين القطنياني الأندلسي دفين عباد تلمسان – رضي الله عنه – عن جماعة من الأكابر ؛ منهم: الشيخ أبو يَعْزَى يَلَنُّور بن عبد الله الهزميري، وقيل: من بني صبيح من هسكورة، وقيل: من أغماة هيلانة؛ نزيل تاغيا من إيرجان، وبها قبره. ووفاته في أول شهر شوال عام اثنين وسبعين وخمسمائة. قاله "التادلي".

ومنهم: الشيخ أبو الحسن علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرازم الأندلسي الأموي الفاسي ؛ نزيل مدينة فاس، وبها وفاته سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وقبره خارج باب الفتوح ؛ أحد أبواب [198] فاس. ولفظ حَرَازم، هكذا ينطق به أهل بلده فاس، وكثيرا ما يكتب حِرْزَهم، والظاهر أن هذا الثاني هو المقصود ؛ إلا أن المسمي استعمله باللغة المنحرفة، وهي التي يستعملها برابر أحواز فاس أهل القرى ؛ فإنهم يسقطون هاء الضمير، والأقرب أن الأصل: حَرَزَهُم، بصيغة الماضي، فتكون التسمية بالجملة، وعلى هذا فيلفظ به: حرزم، دون ألف بعد الراء، والمتحفظون ينطقون به: حرزهم، بكسر الحاء وسكون الراء، فتكون التسمية بالمركب الإضافي، وهو في غاية البعد، مما انحرف إليه الاستعمال. قال شيخنا أبو العباس: « ورأيت حرزهم في نسخة عتيقة من "التشوف"، بفتح الحاء والراء والزاي »[1].

ومنهم: الشيخ أبو الحسن علي بن خلف بن غالب الأنصاري الأندلسي، سكن بفاس مدة، وبها أخذ عنه الشيخ أبو مدين، وانتقل إلى قصر كتامة، وبه توفي سنة ثمان وستين وخمسمائة. وقيل: سنة ثلاث وسبعين، ودفن خارج باب سبتة ؛ أحد أبواب القصر.

ومنهم: الشيخ أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الشريف الحسني[2]؛ المعروف بالجيلاني نزيل بغداد، وبه توفي سنة إحدى وستين وخمسمائة – رضي الله عنهم أجمعين – أخذ عنه الشيخ أبو مدين بمكة شرفها الله.

---

[1] حقق الأستاذ أحمد التوفيق الجزولي في تحقيقه لكتاب "التشوف" للتادلي ص (94)، هذا اللفظ بما فيه طول وفوائد، والحاصل أن لفظ (حرازم)، مجموع كلمتين بربريتين: إحرا: الساق، وإزم: الأسد. وله قصة شهيرة مع الأسد، وقد تطلق لفظة (إزم) على الكرامة كذلك.

[2] ، أخذ عنه في آخر أمره. أي: آخر أمر أبي مدين. كذا عند أبي العباس ابن أبي المحاسن. نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي. كما يبدو.

فصـل

[أسانيد الشيخ أبي يعزى]

أخذ الشيخ أبو يعزى[1] عن جماعة ؛ قال في "التشوف": « وكان أبو يعزى يقول: خدمت نحوا من أربعين وليا لله تعالى ؛ منهم من ساح في الأرض، ومنهم من أقام بين الناس إلى أن مات » .هـ .

فمنهم: الشيخ أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي الزموري، وكان يلقب بالسارية ؛ لطول قيامه في صلاته عن الشيخ أبي ينور عبد الله بن وكريس الدكالي المشنزائي عن الشيخ أبي محمد عبد الجليل بن ويحلان الدكالي نزيل غمات عن الشيخ أبي الفضل عَبد الله بن الشيخ أبي بشر الجوهري عن والده عن الشيخ أبي بكر الدينَوَري عن الشيخ أبي الحسين أحمد بن محمد النوري ؛ رفيقِ الجنيد عن الشيخ أبي الحسن سري بن مغلس السقَطي بسنده.

والنوري أيضا: عن الشيخ أبي الحسن أحمد بن أبي الحواري عبد الله بن ميمون بن عباس بن الحارث الدمشقي المعروف بابن أبي الحواري عن الشيخ أبي سليمان عبد الرحمن بن عطية الداراني وغيره.

وقال الشيخ أبو يعقوب التادلي في كتاب "التشوف": « أبو محمد عبد الجليل بن ويحلان: دكالي الأصل، ونزل غمات، وبها مات شهيدا سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . كبير الشأن من أهل العلم والعمل، رحل إلى المشرق ؛ فلقي به شيخا من الصوفية، فأخذ عنه هذا الشان [199] شيخا عن شيخ بالسند المتصل إلى أبي ذر الغفاري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم » .هـ .

وهذا السند المشار إليه غير السند المذكور هنا – والله أعلم – والزمان والمكان صالحان لأخذ الشيخ أبي شعيب عن الشيخ أبي محمد عبد الجليل دون واسطة، لكني لم أجده إلا بواسطة الشيخ أبي ينُّور، ولم أدر سبب ذلك؟ . ولا شك أن الشيخ أبا ينور من أشياخه.

ففي "التشوف ": « أبو ينور عبد الله بن وكريس الدكالي: من مشنزاية من أشياخ أبي شعيب أيوب السارية: كبير الشان، من أهل الزهد والورع »، وفيه: « أبو علي منصور بن إبراهيم المسطاسي: كبير الشان من أهل العلم والعمل، مات بأزمُّور سنة أربعين وخمسمائة، وهو من أشياخ أبي شعيب أيوب السارية » . هـ . وهذا – كما رأيت – قرين الشيخ أبي محمد عبد الجليل.

وقد ذكروا – كما في "التشوف" – أن الشيخ أبا شعيب هو الذي صلى على حجة الإسلام الغزالي بطوس ، وقد توفي حجة الإسلام عام خمسة وخمسمائة، وقد كان أوصى أن لا يصلوا عليه حتى يأتي رجل يصلي عليه، والحكاية معروفة، فقد كان أبو شعيب في ذلك التاريخ من أهل الخصوصية التامة، والتمكن من

---

[1] يقال: أبو يعزى (بالتخفيف) وأبو يعزى (بتشديد الزاي) وأبو عزا . وكنه أبو الحسن الحراني: أبا نجم ، وأبا يعزى . وذكر صاحب كتاب "المشارق" أن اسمه: يل البخت بن عبد الرحمن بن أبي بكر الإيلاني . وذكر صاحب كتاب "المناقب" أن اسمه: يلنور بن عبد الرحمن بن أبي بكر الإيلاني؛ من أغماة إيلان . نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي .

الوصول في الزمان القريب إلى المكان البعيد، وذلك قبل وفاة الشيخ أبي محمد عبد الجليل بنحو ست وثلاثين سنة، مع المشاركة في الوطن أو قربه.

وفي "التشوف": « أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي من بلاد آزَمُّور، ومن أشياخ أبي يَعْزَى، وكان في أول أمره معلما للقرآن بقرية إسْكاوِن من بلد دكالة، ومات بآزمور يوم الثلاثاء العاشر من ربيع الثاني سنة إحدى وستين وخمسمائة ». رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

فصل

[أسانيد الشيخ علي ابن حرزهم]

أخذ الشيخ أبو الحسن بن حَرْزَهم تعلما واستفادة وتبركا عن الشيخ الإمام القاضي أبي بكر محمد ابن عبد الله بن العربي المعافري الإشبيلي[1]؛ دفين خارج باب الشريعة، وهو المعروف الآن بباب المحروق ؛ أحد أبواب فاس عن الشيخ حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي عن الشيخ إمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني النيسابوري عن الشيخ الأستاذ أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشَيْري النيسابوري عن الشيخ الأستاذ أبي علي الحسن بن علي الدقاق[2] عن الشيخ أبي القاسم إبراهيم بن محمد النصرأبادي عن الشيخ أبي بكر الشِبْلي عن الشيخ أستاذ الطائفة وسيدها أبي القاسم الجنيد بن محمد القواريري.

وكثيرا ما يقال: أخذ إمام الحرمين عن الشيخ أبي طالب المكي عن الشيخ أبي القاسم الجنيد [200] فإن كان لذلك أصل ؛ ففيه انقطاع على كل حال، فإن إمام الحرمين توفي سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، والشيخ أبو طالب توفي سنة ست وثمانين وثلاثمائة، والشيخ أبو القاسم الجنيد توفي سنة سبع وسبعين ومائتين، ولم يقل الشيخ أبو طالب فيه قط في كتابه "القوت": « شيخنا »، وإنما قاله في تلميذه أبي سعيد بن الأعرابي ؛ فيحسن أن يقال: الشيخ أبو طالب عن الشيخ أبي سعيد بن الأعرابي عن الشيخ أبي القاسم الجنيد.

وفي بعض التقاييد: الشيخ أبو طالب عن الشيخ أبي محمد الجريري عن الشيخ أبي القاسم الجنيد. ومن المعلوم أن الشيخ أبا محمد الجريري من أكابر تلامذة الشيخ الجنيد.

---

[1] أبو العباس ابن أبي المحاسن: « وأما سيدي علي بن حرزهم؛ فكثيرا ما يذكر أنه أخذ عن أبي بكر ابن العربي، ولكن صرح سبط الشاذلي أنه إنما أخذ عنه علم الظاهر، وشيخه الحقيقي هو عمه: أبو محمد صالح ابن حرزهم. ومراده بسبط الشاذلي هو: صاحب "النبذة المفيدة" المتقدمة الذكر في كلام المصنف. والله أعلم ». نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي.

[2] توفي سنة 412 (حجرية).

وفي بعضها: الشيخ أبو طالب عن أبي عثمان المغربي عن أبي عمر الزجاجي عن أبي القاسم الجنيد، ويبقى النظر فيما بين إمام الحرمين والشيخ أبي طالب.

وأخذ الشيخ أبو الحسن بن حرازم أيضا إرادة واقتداء عن عمه الشيخ أبي محمد صالح عن الشيخ القاضي وجيه الدين عمر بن محمد بن عبد الله المعروف بعموية، وهو عن والده محمد بن عبد الله وعن الشيخ أخي فرج الزنجاني.

فأما والده محمد ؛ فعن والده عبد الله عموية وشيخه أبي العباس الدينوري الأسود.

أخذ عبد الله عموية عن والده سعد عن والده الحسين عن والده القاسم عن والده النضر عن والده القاسم عن والده محمد عن والده أبي بكر الصديق – رضي الله عنهم – عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخذ الشيخ أبو العباس الدينوري عن جماعة ؛ منهم: الشيخ أبو محمد الجريري[1]، والشيخ أبو علي عمشاد الدينوري كلاهما عن الأستاذ أبي القاسم الجنيد.

وأما الشيخ أخي فرج ؛ فعن الشيخ أبي العباس النهاوندي عن الشيخ أبي عبد الله بن خفيف الشيرازي عن الشيخ أبي محمد رؤيم عن الأستاذ أبي القاسم الجنيد. وقد لقي الشيخ أبو عبد الله ابن خفيف الأستاذ أبا القاسم وصحبه.

وأخذ – أيضا – الشيخ أبو عبد الله ابن خفيف عن الشيخ أبي حامد جعفر الحذَّاء عن الشيخ أبي عمرو الإصطخري عن الشيخ أبي تراب عسكر بن حصين النخشبي عن الشيخ شقيق[2] بن إبراهيم البَلْخِي عن الشيخ أبي إسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور بن يزيد بن جابر التميمي العِجْلِي عن الشيخ موسى بن عبد الله ؛ ويقال: ابن زيد الراعي عن السيد الجليل أويس القرني عن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب، وأمير المؤمنين أبي الحسن [201] علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأخذ الشيخ أبو إسحاق إبراهيم ابن أدهم أيضا عن سفيان الثوري، وعن الفضيل بن عياض كلاهما عن منصور بن المعتمر عن إبراهيم بن يزيد النخعي عن علقمة بن قيس النخعي عن عبد الله بن مسعود[3] رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

وقد روينا في ترجمة الحافظ أبي عبد الله بن مَنْدة من كتاب "الأربعين" للحافظ أبي الحسن بن المفضل المقدسي حديثا رواه المفضل عن الحافظ أبي طاهر السلفي بسنده إلى ابن مندة عن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الرازي عن أبي عبد الله محمد بن فارس البلخي عن حاتم الأصم عن شقيق البلخي عن إبراهيم

---

[1] في الحجرية : الجرير . والتصحيح من النسخة (خـ) .

[2] في بعض التقاييد من "الحلية": شقيق عن إبراهيم بن أدهم عن موسى بن عبد الله عن أويس عن علي . صح من خط المؤلف . نسخة (حـ) .

[3] قال الحاكم: ((أصح الأسانيد عن ابن مسعود: سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود)) . نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي .

بن أدهم عن مالك بن دينار عن أبي مسلم الخولاني عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا، وصمتم حتى تكونوا كالأوتار، ثم كان الاثنان أحب إليكم من الواحد ؛ لم تبلغوا الاستقامة! ». قال السلفي : « هذا حديث حسن من رواية هؤلاء العباد الأعلام، بين علماء الزهاد، ليس منهم أحد إلا يستسقى بذكره، ويستشفى بقبره قال: ومالك بن دينار تابعي بصري يروي عن أنس بن مالك، والحسن البصري، والقاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق. وأبو مسلم الخولاني: زاهد أهل الشام وقارئهم ؛ أسلم قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ولم يره، ووفد في خلافة الصديق ».

فصل

[أسانيد الشيخ أبي الحسن بن غالب]

أخذ الشيخ أبو الحسن بن غالب عن الشيخ أبي العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الصنهاجي[1]؛ المعروف بابن العريف عن الشيخ أبي بكر عبد الباقي بن محمد بن بريال الأنصاري الحجاري ؛ من واد الحجارة عن الشيخ أبي عمر أحمد بن محمد المعافري الطلمنكي عن الشيخ أبي عمر أحمد بن عون الله عن الشيخ أبي سعيد أحمد بن محمد بن زياد البصري ؛ المعروف بابن الأعرابي.

وأخذ الشيخ أبو عمر الطلمنكي – أيضا – بمكة عن الشيخ أبي علي الحسن بن عبد الله بن الحسين بن محمود الجرجاني ؛ خادم الشيخ أبي سعيد بن الأعرابي عنه. وللشيخ أبي سعيد الرحلة الشاسعة الأقطار، والأخذ عن المشايخ الجلة الكبار ؛ منهم: الشيخ أبو القاسم الجنيد بسنده، ومنهم: الشيخ أبو محمد سَلم بن عبد الله الخرَاساني ؛ وكان كبير أصحاب الشيخ أبي علي الفضيل بن عياض، وهو عن هشام بن حسان، ويونس بن عبيد.. وغيرهما من أصحاب أبي سعيد الحسن بن أبي الحسن بن يَسَار البصري [202] رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

---

[1] سمي أبوه بالعريف: لأنه كان بطنجة صاحب حرس الليل. كذا في التادلي. نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي.

فصـل

[أسانيد الشيخ عبد القادر الجيلاني]

أخذ الشيخ أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الشريف الجيلاني عن الشيخ أبي الحسن علي القرشي الهكاري عن الشيخ أبي الفرج محمد بن عبد الله الطرسوسي عن الشيخ أبي الفضل عبد الواحد بن عبد العزيز بن الحارث التميمي عن الشيخ أبي بكر الشِبْلي عن الشيخ أبي القاسم الجنيد بسنده.

وقد لبس الشيخ أبو محمد عبد القادر الخرقة من الشيخ أبي سعيد بن المبارك بن علي المخرّمي، كما لبسها هو منه بسؤال كل واحد منهما لصاحبه في ذلك، كما لبساها معا من شيخهما الشيخ أبي الحسن الهكاري بالسند المذكور.

وأخذ الشيخ أبو محمد عبد القادر – أيضا – عن الشيخ تاج العارفين أبي الوفاء الكردي عن الشيخ أبي محمد الشنبكي عن الشيخ أبي بكر بن هوارى عن خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وقد تقدمت كيفية أخذه عن الصدّيق في سند الشيخ أبي العباس الرفاعي.

وأخذ – أيضا – الشيخ أبو محمد عبد القادر عن الشيخ حماد بن مسلم الدباس.

فصـل

[أسانيد الإمام الجنيد]

أخذ الشيخ أبو القاسم الجنيد عن خاله الشيخ أبي الحسن سري بن المغلّس السقطي بسنده، وعن الشيخ أبي الفيض ذي النون بن إبراهيم المصري بسنده، وعن الشيخ الحارث بن أسدَ المحاسبي، أخذ عنه السبحة عن بشر بن[1] الحارث المرْوَزي الحافي عن عامر بن شعيب عن الحسن البصري[2]؛ وقال: « سألته عن ذلك ؛ فقال: يا بني ؛ هذا شيء استعملناه في البدايات، فما كنا بالذي نتركه في النهايات، أحب أن أذكر الحق تعالى بقلبي ولساني ويدي! ».

---

[1] في الحجرية: بشر بن ابن الحارث . والظاهر أنه سهو.

[2] من خط المصنف في بعض كتب التاريخ: الجنيد عن السري عن معروف عن بشر بن الحارث عن عمر المكي عن الحسن البصري . انتهى . نسخة (جـ).

فصـل

[أسانيد الشيخ سَرِيِّ السقطي]

أخذ الشيخ سري السقطي عن الشيخ أبي محفوظ معروف بن فيروز الكرخي. وأخذ – أيضا – عن بشر بن الحارث المروزي الحافي . قاله ابن خلكان . وأما ابن السمعاني فقال: « أخذ سري عن معروف عن بشر بن الحارث عن عمر المكي عن الحسن البصري » .

فصـل

[أسانيد الشيخ معروف الكرخي]

أخذ الشيخ أبو محفوظ معروف الكرخي عن علي الرضى عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين السبط الشهيد عن أبيه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. والحسين – رضي الله عنه – صحابي ؛ فيصح أن لا تذكر واسطة بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم، وفي الصحبة كفاية، ويصح ذكرها كما في السند [203] المذكور ؛ لمزيد تربية وإفادة.

وأخذ – أيضا – الشيخ أبو محفوظ عن الشيخ أبي سليمان داود بن نصير الطائي عن الشيخ حبيب العجمي عن السيد الجليل أبي سعيد الحسن البصري.

وروينا في كتاب "الأربعين" للحافظ أبي الحسن بن المفضل: أخبرنا أبو الطاهر السّلفي الصوفي: أخبرنا أحمد بن علي بن محمد الأسواري الصوفي: أنا[1] علي بن شجاع بن علي المصقلي الصوفي في كتابه: أنا أحمد بن منصور المذكر: أنا أحمد بن عثمان الزيدي الصوفي قال: حضرت مجلس الجنيد ببغداد ؛ فقال: حدثنا السري بن المغلس السقطي: نا معروف الكرخي: نا معبد بن عبد العزيز العابد عن الحسن البصري عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « طلب الحق فريضة » . قال السلفي: « هذا حديث غريب المتن، عزيز الإسناد، حسن من رواية الصوفية الزهاد خلفا عن سلف. هَلُمَّ إلى شيخنا أحمد بن علي الأسواري الصوفي، وما كتبته إلا عنه » .

---

[1] (أنا) بكتابة أهل الحديث بمعنى: أخبرنا . و(ثنا) بمعنى: حدثنا . فليتنبه .

فصل

[أسانيد الحسن البصري وروايته وترجمته]

أخذ السيد الجليل أبو سعيد الحسن البصري عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، وكانت أم سلمة – رضي الله عنها – زوج النبي صلى الله عليه وسلم تلقمه ثديها في صغره، تعلله بذلك إذا غابت أمه في شغل، وربما در اللبن. ورأى علي بن أبي طالب –كرم الله وجهه – وكثير من الحفاظ لا يصحح له زائدا على الرؤية من أخذ أو رواية. وصحح الحافظ جلال الدين السيوطي أخذه وروايته عنه[1]. واختص بأنس بن مالك وعمران بن حصين، وحذيفة بن اليمان أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وعلى حذيفة في هذا الشأن اعتمد ؛ فقد ذكر الشيخ أبو طالب في "القوت" أنه إنما أُخذ عنه علم الخواطر، وخبايا النفس، وما في معنى ذلك عن حذيفة رضي الله عنه، وأنه قيل له: « يا أبا سعيد؛ إنك تتكلم في هذا العلم بكلام لم نسمعه من أحد غيرك، فممن أخذت هذا العلم؟! ». فقال: « من حذيفة بن اليمان ». قيل: « وقيل مثل ذلك لحذيفة ؛ فقال: خصني به رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ».

ولو لم يثبت له من علي –كرم الله وجهه – غير الرؤية ؛ لكفت، فإن خصوصية الصحبة والتابعية تكفي في حصولها الرؤية، ومن المشايخ من يوصل إلى الله بنظرة . وقال الشيخ أبو الحسن في تلميذه الشيخ أبي العباس رضي الله عنهما: « أبو العباس هذا إذا نظر إلى رجل أغناه! ». فذلك في حق علي –كرم الله وجهه – من أقرب القريب بالأولوية [204] الواضحة، ولا سيما في حق الحسن المستعد لقبول ذلك النور، ويكفيه خصوصية التقام الثدي الطاهر، فإنه به متأهل لذلك، والله يختص برحمته من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وقد تم ما تيسر إيراده من هذه الأسانيد المباركة، الموضحة من سَنَن الطريق مناهجه المستقيمة ومسالكه، محررة حسب الإمكان، في الزمان الذي ما ساعد ولا أعان، وبالله وحده الاستعانة، وبه الاكتفاء في كل الأمور سبحانه.

---

[1] خص موضوع سماع الحسن البصري عن علي كرم الله وجهه. جمع عن الحفاظ، وممن ألف في ذلك مثبتا: العلامة المحدث أحمد أبو الخير مرداد المكي في سفر، والحافظ الشيخ أحمد بن الصديق الغماري في كتابه "انتساب الصوفية إلى علي"، وهو مطبوع.

[ذكر اتصالنا بأسانيد الشاذلية]

وقد رأيت أن ألحق بها طرق اتصالي بها، والتعلق بأسبابها وأساليبها، بذكر من لقيته من السادة، مكتفيا بالرؤية فضلا عن الصحبة والاستفادة، فالتبرك حاصل، والمدد – إن قدر – باللمحة واصل، وشأن العبد: الوقوف بالباب، والتمسك في النسبة بما أمكن من الأسباب. وإن لم أكن أهلا للانتساب، والالتحاق بتلك الأنساب؛ فهم القوم لا يشقى جليسهم، ولا يفوت الغريب تأنيسهم. وقد كان الشيخ أبو العباس المرسي – رضي الله عنه – كثيرا ما ينشد:

لـــي ســـــادة مِـــنْ عـــــزهـــم	أقـــدامـهـــــم فـــوق الجـبـــاهْ
إن لـــم أكـــن مـنـهـــم فـلـــي	في ذكــرهـــم عـــز وجـــــاه

ونحن أولى بأن نكثر إنشاده، ونولي ذكره إشاعة وإشادة. وهذا الإلحاق – وإن كان في نفسه من المقاصد المهمة – فهو بحسب أصل هذا الكتاب تابع له وتتمة، والمذكور هنا: من عرفت في الجملة إسناده، ولم ألق من إليه جعل استناده، وهذا حين أبتدي، وببركاته أسترشد وأهتدي:

[1- الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي]:

الأول: والدي الشيخ أبو المحاسن، وقد ربيت في حجره، وسمعت منه كثيرا، ولقنني الذكر غير مرة، واستفدت منه بأوجه الاستفادة، وقد تقدم من ذكر أسانيده ما أغنى عن الإعادة.

[2- الشريف محمد بن علي ابن ريسون][1]:

الثاني: الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن عيسى بن عبد الرحمن بن الحسن الشريف الحسني الإدريسي المحمدي اليونسي؛ يعرف بابن ريسون، وهي أم والده السيد علي نزيل تاصروت من مواطن شرفاء العلم، وبها قبره، ووفاته ضحوة يوم الخميس الثامن عشر من محرم سنة ثمان عشرة وألف.

---

[1] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (148)، و"نشر المثاني" (1172 موسوعة).

وكتب إلي بعض الفقهاء أنه سمع أن صاحب الترجمة بعث للشيخ أبي القاسم ابن الزبير الآتي ذكره، وقال له: ((إلى متى الإقامة بدار الدنيا ؟)). وكان ذلك قرب موته، فكان موتهما متقاربا كما يأتي.

وهو من أهل العلم والولاية، والبركات الظاهرة، [205] كثير التلميذ، كبير النفع، عظيم الشهرة، وجهة القاصدين، ومحط رحال الزائرين، حسن الأخلاق، كريم العنصر والطباع، ممتع الحديث، كثير الفضائل.

زرته بتاصروت مرات، وانتفعت به كثيرا، وربما أفرد لي مجلسا من الظهر إلى المغرب، أو إلى العشاء، وربما قرأت عليه شيئا من كتب التصوف. وبالجملة ؛ فلقاؤه من المفاخر التي يتنافس فيها . والحمد لله على ما من به من ذلك.

وكانت بينه وبين الشيخ أبي المحاسن ألفة أكيدة منذ الصبا، وطلب العلم والمعاشرة في سبيله بالمدرسة المصباحية بفاس. وأخذ عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن حسين (من أهل بزو ؛ قبيلة تيفة، نزيل تامصلوحت من حوز مراكش ودفينها، وتوفي – في غالب ظني – سنة سبع وسبعين وتسعمائة، وقيدها بعضهم: عند الزوال يوم الاثنين الحادي والعشرين من ربيع الأول سنة تسع وسبعين وتسعمائة، ودفن بعد العصر من يومه) وهو عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن محمد الغزواني (نزيل مراكش ودفينها، وتوفي سنة خمس وثلاثين وتسعمائة) وهو عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز بن عبد الحق الحرار ؛ المعروف بالتباع (نزيل مراكش ودفينها، وتوفي سنة أربع عشرة وتسعمائة) وهو عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجزولي ثم السملالي، وقد تقدم في أوائل هذا الباب سنده، كما تقدم نسبه في ترجمة الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف الفاسي. وهنالك– أيضا – تقدم الخبر عن بداية الشيخ الغزواني.

[ترجمة الشيخ عبد العزيز التباع][1]

وكان الشيخ أبو محمد التباع قد فتح له على يد الشيخ أبي عبد الله الجزولي، وأخذ بعده عن أحد أكابر إخوانه في صحبته ؛ وهو: الشيخ أبو عبد الله محمد الصغير السهلي ؛ وكان يغني بنظرة، وكان الشيخ أبو عبد الله الجزولي قد أوصاه عليه، وأمره بتربيته بعده ؛ فخدمه بمنزله من خندق الزيتون سنين عديدة. فعلى يده تمكن حاله، وكمل أمره، وصلح لإرشاد الخلق وتربيتهم، حتى كان منه ما هو مشهور.

وبإثر موت الشيخ الجزولي ؛ كان مجيئه للشيخ أبي عبد الله الصغير السهلي، وحينئذ لقي الشيخ أبا العباس أحمد المعروف بزروق والشيخ أبا عبد الله الزيتوني بزاوية بوقطوط من داخل باب الفتوح، وأظن أن المراد: زاوية الحجاج، القريبة منها . وأخبرهما بموت شيخه الجزولي.

---

[1] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (52)، وإظهار الكمال" (297)، و"دوحة الناشر" (136)، و"سلوة الأنفاس" (2:211)، و"الإعلام بمن حل مراكش" (8:413)، و"بلوغ الامال" (79).

[ترجمة الشيخ محمد بن سليمان الجزولي][1]:

والشيخ أبو عبد الله الجزولي: هو مؤلف "دلائل الخيرات"، وقد وجدت على ظهر [206] نسخة قديمة منه بخط بعض المعتبرين ما نصه: « السيد أبو عبد الله المذكور كان بآسفي، وكان بها كثير الأوراد، مراقبا لله تعالى في جميع أحواله، واقفا عند حدوده، عاملا بكتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، إلى أن اشتهر بالصلاح، وظهرت منه الكرامات ؛ مثل المكاشفة وغيرها، وتاب على يديه هنالك خلق كثير، وانتشر ذكره في الآفاق، وأخذ في تربية المريدين. . .ثم إنه انتقل من هنالك بعد ظهور ما من الله به عليه من البركات، وتتابع الخيرات، إلى الموضع المسمى بأفوغال من بلاد مطرازة، فأقام به على حالته من تربية المريدين وإرشادهم إلى سبل الهدى، فاستنارت لهم ببركته الأنوار، وظهرت لهم معالم الأسرار. ولقد ورد عليه من طالبي القرب إلى الله تعالى خلق كثير ؛ حتى اجتمع من المريدين بين يديه – رحمة الله تعالى عليه – اثنا عشر ألفا وستمائة وخمسة وستون، كلهم ممن نال منه خيرا جزيلا على قدر مراتبهم ومنزلتهم منه، وتوفي – رحمة الله عليه، ونفع به – هنالك وهو ساجد، في السجدة الأولى من الركعة الثانية من صلاة الصبح، يوم الأربعاء من القعدة الحرام، عام تسعة وستين وثمانمائة، ودفن لصلاة الظهر من ذلك اليوم بوسط المسجد الذي كان أسسه هنالك ». هـ.[2]

وقال غيره: توفي سنة سبعين. وقرأت بخط شيخنا أبي عبد الله القصار: « أخرج صاحب آسفي الشيخ الجزولي ؛ فدعا عليهم، فسئل منه العفو ؛ فقال: أربعين سنة. فأخذها النصارى بعدها ».هـ . وكان خروج النصارى منها ورجوعها إلى المسلمين سنة ثمان وأربعين وتسعمائة.

وحكي عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع أنه قال: « قلنا للشيخ في آخر تلك الليلة – يعني: التي مات في صبحها – الناس يذكرون فيك أنك الفاطمي !. فخرج وقال: ما يدرون إلا من يقطع رقابهم، والله يسلط عليهم من يقطع رقابهم !. فكرر الدعاء مرارا ».

[الحديث عن ثورة عمرو المغيطي]:

قيل: فكان ظهور دعائه في عمرو المغيطي ؛ المعروف بعمرو بن سليمان السياف؛ ال1ي كان في تلك الجهة، وهو: عمرو المريدي الشيظمي ، وتوفي سنة تسعين وثمانمائة، ويقال: إن نساءه قتلنه امتعاضا، لأجل ما

---

[1] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (16)، و"شجرة النور" (264:1)، و"الإعلام بمن حل مراكش" (40:5)، و"بلوغ الآمال" (133).

[2] وفي "دروة الحجال" (كذا) لابن القاضي أنه: توفي سادس ربيع النبوي سنة خمس وسبعين وثمانمائة . نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي كما يبدو .

كان عليه من الفساد في الأرض. وكان قد جمع الجموع وجيش الجيوش بسوس، وسفك كثيرا من الدماء، وأخبا ره معروفة.

ولما ولي الشرفاء ملك مراكش ؛ نقلوا الشيخ أبا عبد الله الجزولي إلى مراكش ودفنوه بها، فقبره الآن بها بعد ثنتين وستين سنة [207] من موته، وكانت ولايتهم: سنة ثلاثين وتسعمائة، والسلطان إذ ذاك منهم: أبو العباس أحمد؛ المعروف بالأعرج، وهو أولهم، وهو الذي نقله، ثم انتزع الملك منه أخوه أبو الأملاك أبو عبد الله محمد الشيخ[1]، وذكروا أنهم لما أخرجوا الشيخ من قبره بسوس ؛ وجدوه بحاله حين توفي، لم تَعْدُ عليه الأرض، ولم يغير طول الزمان شيئًا من أحواله، وأثر الحلق من شعر رأسه ولحيته ظاهر كحاله يوم موته. رضي الله عنه ونفعنا ببركاته.

[حكم قص شعر التائب]:

وكان الشيخ أبو عبد الله الجزولي يقص شعر التائب، وأخذ بذلك أصحابه ؛ فلما جاء الشيخ أبو عبد الله الخروبي إلى المغرب الأقصى ؛ لقي بعض مشايخ الطائفة الجزولية ؛ فأنكر عليهم ذلك، وقال: « إنه بدعة! ». فقالوا له: « إن الشيخ الجزولي كان يفعله ». فقال لهم: « لعله بإذن، والإذن له لا يعمكم ؛ فإن الإذن للنبي يعم أتباعه، والإذن للولي لا يعم أتباعه! ». هكذا قيل عنه.

وقد قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام في أجوبته: « لا بأس بقص شعر التائب » ؛ وذكره أيضا البرزلي في نوازله، وليست كل بدعة مذمومة، وإذا كانت مذمومة ؛ فلا إذن بعد النبوءة ينسخ ذمها. فلينظر في ذلك[2].

[3- الإمام محمد بن قاسم القصار][3]:

الثالث: الشيخ أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي، الغرناطي الأصل، الفاسي المولد والدار، المعروف بالقصار: الإمام العالم، المستبحر المحقق النظار، مفتي فاس وخطيب جامع القرويين بها، ومحدث المغرب في وقته، وكان دائم الخشية والخشوع، سريع الدمعة، ذاكرا للموت. كلامه كله جد مشوب بالوعظ والتذكير، مجالسته روض مزهر، كثير الفوائد.

---

[1] كان بخط المؤلف: « وليه (كذا) إلى أن مات، ولما قتل السلطان أو عبد الله محمد الشيخ كما هو معلوم؛ دخل خدامه على أخيه المسجون فقتلوه بالسجن هو ومن كان معه من أولاد . . » . نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي كما يبدو.

[2] توسع الشيخ المهدي الفاسي في "ممتع الأسماع" ص 31 في حكم هذه المسألة من الوجهة الشرعية ؛ إذ كانت من عادة أتباع الشيخ الجزولي رضي الله عنه ، وكذا جد جد والدنا جبل السنة أبو المكارم عبد الكبير بن محمد الكتاني في كتابه "تحديد الأسنة في الذب عن السنة" (مخطوط) ، غير أنه يظهر لي أن هذه كانت عادة قديمة عند البربر؛ فقد ذكر ابن عبد الحليم في كتابه رحمه الله تعالى : "أنساب البربر" ص74 ، طبعة المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي، أن البرابرة لما وفدوا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لإعلان إسلامهم حلقوا رؤوسهم ولحاهم بنية التوبة وقالوا: حلقنا رؤوسنا من شعر نبت في كفر! .

[3] انظر ترجمته في "خلاصة الأثر" (4:121) ، و"نشر المثاني" (1114 موسوعة)، و"التقاط الدرر" (2:39)، و"تذكرة المحسنين" (1136 موسوعة)، و"الاستقصا" (6:6)، و"السلوة" (2:63)، و"الإعلام بمن حل مراكش" (5:227)، وشجرة النور" (1:295)، و"فهرس الفهارس" (2:956)، و"الإعلام" (7:6) و"الحركة الفكرية" (2:363).

لازمته سنين عديدة، بالمجالسة والاستفادة والمباحثة، وحضور مجالسه العلمية. وأنشدني — رضي الله عنه — أول يوم رأيته، وذلك في أواخر جمادى الثانية سنة ثمان وتسعين وتسعمائة:

تمســك بحبـل الشاذلية تُلق ما	تـروم وحقق ذا الـرجاءَ وحصل
ولا تعـدُوَنْ عينـاك عنهـم فإنهـم	شـمـوس هدى في أعين المتأملَ

والبيتان للشيخ تاج الدين بن عطاء الله، ذكرهما صاحب "القاموس" مع مخالفة في بعض ألفاظهما.

وأجازني — رضي الله عنه — في كل ما يصح له وعنه روايته، وكان يعتقد الشيخ أبا المحاسن، ويقول بإمامته، ويصدر عن رأيه، ويكتب في حقه: « سيدي وسندي »، وكان كثيرا ما يدعو لي بقوله: « رزقك الله خير الآخرة، وجعل الدنيا خادمة [208] لك ». وقد رأيت أثر دعائه والحمد لله، ونسأله الكمال بخير بمنه.

وخرج من فاس إلى مراكش، وبه مرض، مات به في الطريق، فحمل إلى مراكش ودفن بإزاء باب روضة سيدي أبي العباس السبتي، وذلك في شعبان أو شهر رمضان سنة اثنتي عشرة وألف. وكان مولده بفاس سنة ثمان وثلاثين وتسعمائة[1].

[ترجمة الشيخ رضوان الجنوي][2]:

وأخذ عن الشيخ أبي النعيم رضوان بن عبد الله الجنوي ؛ إمام أهل الزهد والورع، والعلم والعمل على سنن السلف الصالح، وحفظ الحديث وروايته في وقته، وكانت وفاته بفاس قرب العشاء من ليلة الخميس الرابع عشر من ربيع الأول سنة إحدى وتسعين وتسعمائة، وصلي عليه من الغد لصلاة الظهر بجامع الأندلس، ودفن خارج باب الفتوح، وكان مولده: سنة اثنتي عشرة وتسعمائة[3]. وأخذ عن الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني ؛ وإليه انتسب، وعليه عول[4].

---

[1] في الحجرية: ثمان وثمانين وتسعمائة. وهو لا يمكن بحال، والذي أثبتناه هو من النسخة (جـ)، وعليه درج محقق "التقاط الدرر" الأستاذ هاشم العلوي القاسمي ص39.

[2] انظر ترجمته في "الجذوة" (1:167)، و"ممتع الأسماع" (109)، و"لقط الفرائد" (942 موسوعة)، و"الروض العطر"(167)، و"السلوة" (2:257)، و"زهر الآس" (1:307)، و"الفكر السامي" (2:260)، "وشجرة النور" (1:286)، و"فهرس الفهارس" (1:434)، و"الإعلام" (3:27) و"الحركة الفكرية" (2:359)، وغيرها . . .

[3] وذكر ابن القاضي أن مولده سنة عشرة وتسعمائة، وعندي لسيدي أحمد بن يوسف (أي: الفاسي) كما ذكره أخوه هنا . نسخة (جـ) بخط الناسخ على الارجح .

[4] ثم لازم بعده وارثه سيدي محمد الطالب . تعليق بنسخة (جـ) بخط الناسخ على الأرجح .

[ترجمة الشيخ محمد بن علي الشطيبي][1].

وأخذ أيضا عن الشيخ الحاج أبي عبد الله محمد بن علي الأندلسي البرجي الشهير بالشطيبي ؛ رأيت بخط الشيخ أبي النعيم في مواضع متعددة يقول فيه: شيخنا. وكان سكناه بتازغدرة من بلاد بني زروال، وبها توفي في ربيع الثاني سنة ثلاث وستين وتسعمائة، قاله سيدي رضوان. قال: وأخبرني أنه ولد سنة اثنين وثمانين وثمانمائة، وهو صاحب التآليف المشهورة. وأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي، وهو عن الشيخ أبي العباس زروق.

[ترجمة الشيخ محمد بن علي الخروبي][2].

وأخذ – أيضا – الشيخ أبو النعيم عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الخروبي الطرابلسي نزيل الجزائر، ودفين خارجها، وتوفي سنة ثلاث وستين وتسعمائة كالذي قبله ؛ قاله سيدي رضوان. وهو واسع العلم والمعرفة، شهير الذكر، وله التآليف المتعددة، وقدم المغرب الأقصى مرتين في سبيل السفارة بين ملوك المغرب الأوسط والمغرب الأقصى ؛ فأخذ عنه كثير من أهل المغرب الأقصى، وأخذ هو عن الشيخ أبي العباس زروق. رضي الله عنهم، ونفعنا بهم.

[4- الشيخ علي بن أحمد الحصار][3].

الرابع: الشيخ أبو الحسن علي بن أحمد بن سعيد الجيتوتي الحصار ؛ أحد الأفراد من أهل الدين المتين، والزهد والورع والمجاهدة، كثير الصيام والقيام.

بدأت القراءة عليه أيام الصبا ؛ فقرأت عليه إلى سورة القمر، وانتفعت به كثيرا، وكان يحملني على الورع ومجاهدة النفس بترك شهواتها.

وكان قد صحب أولا الشيخ أبا النعيم [209] رضوان بن عبد الله، وعلى يديه فتح له، ولازمه إلى وفاته، وبعده صحب الشيخ أبا المحاسن إلى وفاته – رحمه الله – وخرج إلى الحج، وظهرت له في طريقه بركات، وأقام في المشرق أعواما، ثم رجع. ولم يتزوج قط.

وكان في زاوية الشيخ أبي المحاسن إلى أن مرض بالوباء في رجب، ولم يطل مرضه، وتوفي كهلا سنة خمس وألف، ودفن خارج باب الفتوح. رضي الله عنه، ونفعنا ببركاته.

---

[1] انظر ترجمته في "لقط الفرائد" (303) ، و"نشر المثاني" (89:1) و"السلوة" (258:2)، و"الأعلام" (292:6)، و"الحركة الفكرية" (482).

[2] انظر ترجمته في: "الجذوة" (322)، و"تحفة أهل الصديقية" (67)، و"نشر المثاني" (90:1)، و"السلوة" (258:2)، و"الإعلام بمن حل مراكش" (150:4).

[3] انظر ترجمته في "نشر المثاني" (1088 هجرية)، و"السلوة" (83:3).

[5- الشيخ محمد بن علي الوزروالي][1]

الخامس: الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن (كذا) الوزرولي ؛ المعروف بالنبجي: العالم العارف، كان مشاركا، كثير الحفظ للغة، حسن الشعر، حافظا ضابطا لمحفوظه، صادق اللهجة، محافظا على السنة في أحواله، حافظا لصحته، متين الدين، لا يجلس إلا مستقبلا، ممتع الحديث، كثير الفوائد، من أعرف الناس بعلوم القوم واصطلاحاتهم.

وله تصانيف حسنة، منها: شرح صلاة القطب أبي محمد عبد السلام بن مشيش، وشرح "الشريشية" في السلوك، وشرح "المباحث الأصلية" . . .وغير ذلك.

وكان قاطنا بتالاوَغْرَاس ؛ أحد مداشر بني وزروال، وكان خطيب المسجد الجامع هنالك إلى وفاته رحمه الله. صحبته منذ الصبا، وانتفعت به كثيرا.

أخبرني أنه ولد سنة سبع وأربعين وتسعمائة، وتوفي – رحمه الله – يوم الأربعاء الثالث من ربيع الثاني عام ثلاثين وألف، بالمنزل المذكور، ودفن من الغد في ظهر يوم الخميس، وصليت عليه بإيصائه بذلك، ولم أكن في تلك البلاد حين موته ؛ فتيسر حضوري للصلاة عليه على وجه معدود في كراماته الظاهرة، وأضربت عن ذكره اختصارا.

صحب في أول أمره الشيخ أبا محمد عبد الوارث بن عبد الله اليالصوتي[2]، وانتفع به، وفتح له على يديه. وبعد موته بسنين كثيرة صحب الشيخ أبا المحاسن وانتسب إليه. وقد تقدم ابتداء صحبته إياه في الفصل الثامن من الباب الأول، واعترف بمنة الله عليه به، واعتكف على خدمته إلى وفاته.

أما الشيخ أبو المحاسن ؛ فقد تقدم ذكر أسانيده.

[ترجمة الشيخ عبد الوارث بن عبد الله اليالصوتي] [3]

وأما الشيخ أبو محمد عبد الوارث ؛ فكان من أهل العلم والعرفان، والولاية الشهيرة، واتباع السنة؛ أخبرني شيخنا أبو عبد الله أنه ولد سنة ثمان وثمانين وثمانمائة، وتوفي سنة إحدى وسبعين وتسعمائة بتَمَزَّرَرْت، وبها قبره يزار ويتبرك به.

---

[1] انظر ترجمته في: "نشر المثاني" (1247 موسوعة) و"الحركة الفكرية" (480:2) .

[2] وكناه ابن الخلوق بأبي العقا (كذا) وقال: ((اصله من قرية شفوان، ويقال: إن يلصوا هذا جده؛ هو: يلصوا بن عبد الله بن أبان بن عثمان رضي الله عنهم)) . نسخة (جـ) بخط الناسخ كما يبدو .

[3] انظر ترجمته في "دوحة الناشر" (912 موسوعة)، و"ممتع الأسماع" (96)، و"السلوة" (222:1)، و"الحركة الفكرية" (476:2) .

أخذ عن الشيخ أبي النجا سالم الزدَّاني الشاوي[1] [210]، والشيخ أبي عبد الله الصغير السهلي، والشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني.

[ترجمة الشيخ سالم الزداني الشاوي][2]:

أما الشيخ أبو النجا ؛ فقرأ عليه وانتفع به في أول أمره، وكان الشيخ أبو النجا إماما بمسجد تالاوغراس، وهو الذي أقام الجمعة به، وكان كتابه في الفقه: "المدونة"، وكان أولا يقرأ في المدرسة العنانية، فلما نزل الشاوية الغربَ ؛ خرج من فاس خائفا، وذلك في أيام الحفيد. وأخذ عن الشيخ سيدي مالك بن خدة، ولم يحضرني الآن سنده.

[ترجمة السلطان الشريف محمد بن عمران الجوطي (الحفيد)][3]:

والحفيد: هو أبو عبد الله محمد بن عمران الشريف الجوطي، بايعه أهل فاس وقتلوا سلطانهم عبد الحق بن أبي سعيد المريني في آخر رمضان عام تسعة وستين وثمانمائة، وقام محمد المدعو: الشيخ بن الوزير أبي زكرياء يحيى بن زيان الوطاسي المريني في أصيلا، واستتبع القبائل، واستعجل أمره، وحاصر فاسا وقتا بعد وقت إلى أن دخلت في طاعته في رمضان سنة ست وسبعين وثمانمائة، وخرج منها السيد الحفيد، ودخلها السلطان الشيخ ابن أبي زكرياء في أوائل شوال من سنة التاريخ، وهو مورث الملك لبنيه. والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين.

[ترجمة الشيخ أبي عبد الله الصغير السهلي][4]:

وأما الشيخ أبو عبد الله الصغير السهلي؛ فصحبه بعد الشيخ أبي النجا عشر سنين إلى أن مات، وهو من أكبر أصحاب الشيخ أبي عبد الله الجزولي، وكان في خندق الزيتون قرب وادي اللبن من أحواز فاس، وبه توفي عن سن عالية جدا سنة ثمان عشرة وتسعمائة، وقبره هنالك مشهور مشهود، وبنى عليه روضة الشيخ أبو محمد عبد الله الغزواني. وقد رأيت كتابا بخط الشيخ أبي العباس زروق كتبه إليه تضمن التعظيم والمواصلة.

---

[1] ذكر ابن الخلوق أنه: قرأ عليه "الرسالة" وأرجوزة ابن سينا في الطب، و"المباحث"، وعلم المعاملات، وأنه ألف في الطريق تآليف منها: "شرح المباحث" . نسخة (جـ) . ومحل التعليق لم أجزم به، والتعليق بخط الناسخ كما يبدو. تعليق لم أدر محله: عمره: 83 . قال ابن الخلوق: ((وقبره معروف بموضع يقال له: بني دركول وفارو على مقربة من نهر ورغة، وقد نيف على تسعين سنة)) . بنفس الخط السابق، والظاهر ان الكلام عائد إلى البالصوتي.

[2] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (97) .

[3] انظر ترجمته في "الدر السني" ص23 .

[4] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (52)، و"السلوة" (2:211) .

[إضافات في ترجمة الشيخ عبدالله الغزواني]:

وأما الشيخ أبو محـــمد عبد الله الغزواني ؛ فأخذ عن الشـيخ أبي محمد عبد العزيز. كما تقدم الخبر عن ذلك.

ومما يتصل به – وهو مما حدثني به شيخنا أبو عبد الله النيجي – أنه: لما بعثه الشيخ أبو الحسن علي صالح إلى الشيخ أبي محمد عبد العزيز ؛ صحبه وخدمه ما شاء الله، فقال له مرة: « سر إلى ابن داود – وكان من أشياخ الشاوية وعتاتهم – وقل له: احتجنا الإدام! ». فسار إليه، وذكر له ذلك، وبات عنده ؛ ومن الغد نزع ثيابه ولبس ثياب الفقراء. وكسر رمحا وجعل منه عكازا، وقدم بين يديه جميع ما يملكه، وسار إلى الشيخ أبي محمد عبد العزيز صحبة سيدي عبد الله الغزواني ؛ فلما وصل لمراكش قبله الشيخ، وأقبل [211] عليه، وقال له: « قد قبلت مالك، ورددته عليك، فاعمـل زاويـة! ». فرجع وعمل الزاوية، وصار من أهل الخصوصية.

ثم بعد ذلك قال أيضا الشيخ لسيدي عبد الله: « سر إلى أهلك من الشاوية، وقل لهم: احتجنا الإدام!». فسار إليهم ؛ فبينما هو يتهيأ للرجوع إلى الشيخ ؛ ورد عليه خبر موت الشيخ ؛ فحمل ما اجتمع إلى دار الشيخ، وعزى فيه، ورجع إلى أهله ؛ فأقام فيهم ما شاء الله ؛ فإذا جماعة من إخوانه الملازمين لزاوية الشيخ بمراكش وردوا عليه ؛ فقالوا له: « إنا إذا قرأنا الحزب في الزاوية ؛ تتبعنا أصواتنا حتى نجدها تستقر عندك ». وذلك منهم إشارة إلى أنه وارث الشيخ، فقال لبعض أصحابه: « سر إلى مكان (عَيَّنَه له) واجعل رأسك بين ركبتيك، ونـــاد نداء المستغيث في نفسـك! ». ففعل ذلك، فأقبل الناس من كل جهة ؛ فعلم أن وقته قد حضر، فخرج مع إخوانه الواردين عليه إلى أن وصل إلى بلد فزنكار، فنزلوا على عين ماء، وأقاموا هنالك أياما ؛ فجاءهم رجل ؛ فقال لهم: « هذه العين وما والاها من الأرض كله ملكي، فإن احتجتم إليها ؛ فقد وهبتها لكم! ». فقبلوها منه، وشرعوا في البناء بها، فاستقروا، واشتهر ذكر الشيخ أبي محمد عبد الله اشتهارا عظيما، وقصده الناس من كل جهة.

وكان الفقيه عبد الكبير البادسي السفياني الأصل، أو أبوه، يصحب الولاة والعمال، ويخرج في محلاتهم قاضيا، فكثرت سعايته بالشيخ أبي محمد عبد الله إلى سلطان الوقت محمد الملقب: البرتغالي بن الشيخ الوطاسي ؛ فتحرك الشيخ لزيارة سيدي أبي سلهام ؛ فتعرض له العروسي قائد القصر الكبير، وناوله كتاب السلطان يأمر فيه بقدوم الشيخ إلى فاس – دار الملك إذ ذاك – فقال له الشيخ: « طاعة السلطان واجبة ». وقال للزائرين معه: « بلغت النية ».

فتوجه الشيخ إلى فاس من ذلك المكان، وكلما بات في منزل، ذهبت جماعة من الذين معه، فلم يصل معه إلا القليل، وكان سيدي عبد الوارث إذ ذاك ساكنا بفاس، ولم يكن صحب الشيخ قبل ذلك، فلما دخل الشيخ حضرة فاس، لقيه سيدي عبد الوارث في المدينة، فسلم عليه وشد الشيخ يده عل يده ؛ فلم يطلقها حتى

عاهده على الرجوع، فلما انفصل عنه ؛ اشترى خبزا وعنبا، وحمل ذلك الشيخ وأصحابه، فوجدهم عند القاضـي أبي عبد الله المكناسي في المسجد القريب من داره بدرب السعود ؛ فناولهم ما معه، ووجد الشيخ [212] موكلا به، وأصحابه يدخلون ويخرجون، ثم دخل عليه القاضي للمسجد، فقال للشيخ: ((ما هذا الذي يذكر عنك؟)). قال سيدي عبد الوارث: ((فتكلمت أنا وقلت: إن هذا السيد نزل بلادا عظيمة المنكر – وأخذت أعدد المناكر – وصار هذا السيد ينهاهم عن ذلك ؛ فهدى الله على يديه من هدى، وشنفه من أبى)).

فقام القاضي وركب إلى دار السلطان، ورجع وبات في داره، ومن الغد ؛ ركب أيضا إلى دار السلطان ومعه الشيخ فلما استقر مجلس السلطان بهم – وكان فيه صاحب تازا : أحمد أخو السلطان – فسكت الجمع، وتكلم كاتب السلطان، وأقام صلاته، ولم يسم لنا ؛ فقال للشيخ: ((ما هذا الذي يسمع عنك؟)). فقال له الشيخ: ((أنت لا تتكلم حتى تغتسل من جنابتك !))، فاستشاط غضبا، فقال له أخو السلطان: ((هؤلاء القوم يعنون بالجنابة غير ما تعنيه العامة)). يشير إلى ما في "الحِكَم"[1]. فقال له السلطان: ((من أين تعرف هذا؟)). فقال له: ((من سيدي محمد بن عبد الرحيم بن يجبش)). ففرح السلطان بمعرفة أخيه ذلك. وقال للشيخ: ((نحن نريد قربك، وأن تكون معنا في هذه المدينة)). فقال له: ((على بركة الله !)).

فانتقل إلى فاس، وبنى خارج باب القليعة داخل باب الفتوح، وأقام هنالك ما شاء الله، إلى أن كانت سنة تعطل فيها المطر، وأخذ الناس في إخراج السواقي للحرث ؛ فأخرج الشيخ من وادي اللبن ساقية لم يكن في سواقي السلطان وغيره مثلها، فبعث إليه أخو السلطان ؛ وهو: الناصر الملقب بالكديد (بالقاف المعقودة)، وقال له: ((نحن أحق بتلك الساقية)). فقال له الشيخ: ((خذها !)). وأخذ في الرحيل إلى مراكش.

ولما توجه تلقاء مراكش، أخذ خنيفه في يده، وجعل يشير به من جهة فاس إلى جهة مراكش، ويقول: ((أَيّا يا سلطنة إلى مُراكش!)). هذا حديث شيخنا أبي عبد الله النيجي.

وأخْنيف معروف ؛ وهو نوع مخصوص من البرانس السود. ومعنى: أَيّا بلغة عامة المغرب ؛ وهي بربرية: سر معي[2]. وموضع بني فرنكار أظنه: تاصروت ؛ فإنها رسم منسوب له إلى الآن، وإنه منزله الذي كان به، ومازالت آثاره هنالك. والدار التي بنى بباب القليعة: هي المتصيرة لتلميذه الشيخ أبي عبد الله محمد بن علي الهروي ؛ المعروف بالطالب، التي دفن بإزائها، وبنيت عليه القبة المعروفة هنالك. ولعل سنة إخراج السواقي: سنة ست وعشرين وتسعمائة ؛ فإنها تعطل فيها المطر، وحدث عنها الغلاء الكبير المؤرخ بسنة سبع وعشرين[3]

---

[1] لعله "الحكم" بخفض الياء وفتح الكاف؛ يشير إلى قول تاج الدين ابن عطاء الله : ((كيف يشرق قلب صور الأكوان منطبعة في مرآته، أم كيف يرجع إلى الله وهو لم يتطهر من جنابة غفلاته؟!... إلخ)) والله أعلم . نسخة (جـ) .

[2] بل ربما عربية، بمعنى: هيا . وهي اسم فعل أمر بمعنى: سر معي . فليتنبه.

[3] ذكر المنجور في فهرسته أن سنة ثمانية هي التي تسميها العامة: سنة الخلف، فيها ارتحل اليسيتني للمشرق هـ . نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي كما يبدو .

[213]، وكأنه أشار إلى انتقال السلطنة عن فاس وبني وطاس ملوكها إلى مراكش والشرفاء الذين جعلوها كرسي ملكهم.

والمراد بابن داود: الشيخ أبو عبد الله محمد بن داود[1] ؛ من أولاد بوزيري، وهم من أولاد بورزق من الشاوية ؛ دفين أزرارك من تادلا. وكان الشيخ أبو الحسن علي بن إبراهيم البوزيري – نزيل أجرض ودفينه – شاركه في صحبة الشيخ أبي محمد عبد العزيز، ثم سلب له الإرادة ؛ كحال البداية، وتسبب في مجيئه إلى أزرارك. وسمعت أنها كانت سنة غلاء بتامسنا، فلما جاء سيدي ابن داود، فوض إليه سيدي علي جميع أموره، ووضع مفاتيح الأهراء بيده، وصار كواحد من تلامذته – رضي الله عنهم أجمعين، ونفعنا ببركاتهم.

قال شيخنا أبو عبد الله القصار: « وكان سيدي عبد الله الغزواني من كبار المحبين لرسول الله صلى الله عليه وسلم. حدثني سيدي رضوان أنه سمعه في العام الذي مات فيه بزغرت[2] حين ظهر هلال ربيع النبوي، على المولود فيه أفضل الصلاة والسلام ».

حدثني الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ سيدي أبي بكر أنه بلغه أن الشيخ أبا محمد عبد الله الغزواني قال للفقراء: « إذا قيل لكم: من زاهدكم ؛ فقولوا: سيدي عبد الكريم الفلاح. وإذا قيل لكم: من عابدكم؟. فقولوا: سيدي علي بن إبراهيم. وإذا قيل لكم: من مجذوبكم ؟. فقولوا: سيدي محمد بن داود. وإذا قيل لكم: من مائدتكم ؟. فقولوا: سيدي رحال الكوش. وإذا قيل لكم: من عالمكم ؟. فقولوا: سيدي سعيد بن عبد النعيم. وإذا قيل لكم: من سلطانكم ؟. فقولوا: سيدي عبد الله الغزواني! »، وهؤلاء السادات المذكورون كلهم أصحاب الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع ؛ رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

[6- الشيخ أبو القاسم بن الزبير المصباحي][3]:

السادس: الشيخ أبو القاسم بن الزبير بن محمد بن أبي عسرية بن الزبير بن الحسن بن الزبير بن طلحة بن مصباح المصباحي الزناتي الشاوي، قال لي: « نحن زناتة »[4]. كان شيخا ظاهر البركات، واضح الطريقة، كثير التلميذ، محافظا على رسوم الشريعة، متيقظا في دينه، مغفلا في دنياه، لا يعرف ما منزلة الدرهم من الدينار، ولا ما يجتمع من عدده، وربما صحبته غيبة زائدة تحفظ عليه فيها أوقاته، ولا ينكر فيها من أحواله شيء.

[1] ذكر ابن الخلوف (كذا) أنه توفي في العشرة الرابعة من المائة العاشرة . نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي كما يبدو .
[2] أي: بزغرد .
[3] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (180)، ونشر المثاني" (1174 موسوعة).
[4] وأخبرني بعض أصحابه عنه أنه كان ينتسب (كلمة أكلتها الأرضة ورجحناها) إلى سيدي أبي مدين، وأنه من ذريته . والله أعلم . نسخة (جـ) كأنها بخط الناسخ .

جاء مرة إلى الشيخ أبي المحاسن يزوره بفاس ؛ فكان يصلي بين يدي المحراب، وكان شيخنا أبو العباس يصلي إماما، فإذا فرغ كلمه، فيقول له: « من أنت؟ »، فيقول له: « أحمد بن يوسف »، فيقول: « بَبَ أحمد مْتَاعْنَا »، فيرحب به ويكلمه. تكرر منه ذلك [214] في صلاة النهار فضلا عن صلاة الليل.

وحدثونا أنه: ربما سأل عن صبي من هو؟. فيقال له: « ولدك!». وأنه مرة رأى صبيا له يحبو؛ فأخذ يقول: « هو ؟! » . يشير: أي: صبي بحال من عرف شيئا لم يكن عرفه من قبل.

وكان من أحسن الناس أخلاقا، وأوطاهم كنفا، وأكثرهم بِشْرا، وكان يحضر مجالس العلم، ويكثر النوافل، ولا يخوض في شيء من أمر الدنيا إلا ما لا بال له. وقدم مرة لزيارة الشيخ أبي المحاسن، وأقام عنده أياما، ولما خرج منصرفا إلى وطنه ؛ سمعته يقول: « ابقَوْا بالعافية يا ديار الصالحين ». فلم يعد حتى مات. وسمعت بعد ذلك من أصحابه أنه تكمّل منه في تلك المرة.

وقد جالسته وتبركت به كثيرا، وكان يحبني، ويدعو لي بالخير. وذلك فضل من الله تعالى.

توفي — رضي الله عنه – في القصر، ودفن في داخله يوم الأربعاء مهل محرم سنة ثمان عشرة وألف، وبنوا عليه قبة، وقبره هنالك شهير، ومولده تقريبا: سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، أو ما يقرب منها. فإني سألته هل يعقل أباه؟. فقال لي: « نعم ؛ أعقل أني كنت أقعد في حجره ومع ركبته وأنا صبي صغير ». أو كلاما هذا معناه أو قريب منه. وسيأتي الخبر عن أبيه.

وقال لي: إنه أخذ عن قريبه الشيخ أبي محمد الحسن بن عيسى المصباحي ؛ وكان شهير الذكر، عظيم البركة، له زاوية عظيمة لإطعام الطعام، لم يكن لغيره في قطره وعصره مثلها، وتوفي سنة (ست) [1] وسبعين وتسعمائة.

[ترجمة عيسى بن أبي القاسم المصباحي]:

وخلفه ولده: الشيخ أبو مهدي عيسى، ودخل فحص طنجة — أعادها الله — مجاهدا، فمات شهيدا سنة (كذا) [2] وسبعين وتسعمائة، ودفن مع أبيه في الروضة المبنية لهما في الدعداعة، على وادي مظى، من عمل القصر، وهنالك كانت منازلهم.

---

[1] ذكر ابن الخلوف (كذا) أنه توفي في العشرة السابعة . نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي . وفي الأصلين لفظة: كذا . غير أن السنة بالضبط أخذناها من "ممتع الأسماع" ص 128 .

[2] في "ممتع الأسماع" ص148: « قال بعضهم: توفي يوم الأربعاء في النصف من جمادى الأولى سنة اثنين وثمانين وتسعمائة بفحص طنجة. . »
.

وأخذ – أيضا – عنه شيخنا أبو القاسم صاحب الترجمة[1]، وهو عن أبيه أبي محمد الحسن وعن الشيخ أبي عبد الله محمد الطالب ؛ وإليه انتسب، وهو عن الشيخ أبي محمد الغزواني. أخذ الشيخ أبو محمد الحسن عن سيدي محمد أبي عسرية المصباحي عن سيدي عبد العزيز التباع.

[ترجمة الزبير بن محمد المصباحي]:

وأدرك شيخنا أبو القاسم صبيا والده الشيخ أبا طلحة الزبير، وكان عظيم القدر، شهير الذكر والبركة. ومما اشتهر من بركاته: أنه لما التقى مقاتلة فاس وسلطانهم أحمد بن محمد الوطاسي، ومقاتلة مراكش وسلطانهم أبو العباس أحمد بن محمد الشريف؛ المعروف بالأعرج، ومعه أخوه السلطان بعده أبو عبد الله محمد الشيخ سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة على [215] مشرع بوعقبة من وادي العبيد ؛ انهزم السلطان أحمد الوطاسي، وتفرقت جموعه، وتبعته الخيل، فكادوا يقبضونه، فحضر هنالك رجل على فرس أنثى يحول بينه وبينهم، ويقول له: « يا أحمد ؛ لا تخف! ». ولم يزل معه إلى أن رجعوا عنه، وأمن الطلب. وقد عرف السلطان صفته وتحققها، ولم يسأل عن صاحب تلك الصفة حتى قيل له: « هذه صفة سيدي الزبير بن محمد المصباحي ». وتحقق ذلك.

ولما كان خروجه الذي وصل فيه إلى تطاون، وتزوج بها الحرة بنت الأمير السيد أبي الحسن علي بن موسى ابن راشد الشريف ؛ قصد سيدي الزبير ونزل به، فلما رآه ؛ عرفه، وأيقن أنه الرجل الذي أغاثه، فأكب عليه السلطان، وذكر ما وقع له معه، ونوه به ؛ فقال له الشيخ: « يا رب ؛ كيف العيش مع هذه الشهرة ؟ !. فاقبضني إليك ! ». فمات من عامه بقرب ذلك[2].

سمعت هذه الحكاية من غير واحد، وسألت شيخنا أبا القاسم، فقال لي: « عقلت مجيء السلطان وأنا صغير جدا، أقعد في حجر أبي، ومع ركبته ».

قال الشيخ قاضي الجماعة أبو محمد عبد الواحد بن أحمد الونشريسي[3] – رحمه الله – فيما قرأته بخطه: « وتزوج السلطان الحرة في ربيع الأول عام ثمانية وأربعين، وبنى بها ببلد تطاون ».هـ . ففي تلك السنة كانت وفاة سيدي الزبير. رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

[7 – الشيخ محمد كَدار بن يحيى ابن أبي خصيب المالكي]:

---

[1] الكلام هنا يعود للشيخ أبي القاسم المصباحي.

[2] ومر بموضع دفنه فقال لهم: « هنا نغرس الفت (كذا) هذا العام » فمات ذاك العام ودفن به . نسخة (جـ) بخط الناسخ كما يدو .

[3] كان تخلف عن القضاء في آخر عمره، وآثر الفتوى لما مات ابن هارون . انظر فهرسة المنجور هـ . نسخة (جـ) بخط الناسخ كما يبدو .

السابع: الشيخ أبو عبد الله محمد ؛ الملقب بكَدار (بالقاف المعقودة) بن الشيخ أبي زكرياء يحيى بن علال بن موسى بن محمد بن يحيى بن الشيخ غانم الذي كناه شيخه أبو محمد صالح بن قيصارن بأبي خصيب، ولعله سقط في عمود النسب شيء ؛ إلا أن يكونوا قد عمروا كثيرا جدا، يعرف فخذهم في بني مالك بأولاد أبي خصيب، ولبني مالك ينتسبون، ولهم فيهم الرياسة الكبيرة، وقد لبسوا جلدتهم.

[مبحث في علم الأنساب]:

وهم ينتسبون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولا يُدْفَعون عنه، وكثيرا ما يقع أن المعروف في قبيلة ينتسب في غيرها، ويظهر الوجه في ذلك بما قاله ابن خلدون في جانب مهدي الموحدين، ونصه: « وأما إنكار نسبه في أهل البيت ؛ فلا تعضده حجة، مع أنه – إن ثبت أنه ادعاه وانتسب إليه – فلا دليل يقوم على بطلانه، لأن الناس مصدقون في أنسابهم، وإن قالوا: إن الرياسة لا تكون على قوم في غير أهل جلدتهم كما هو الصحيح، والرجل قد رأس سائر المصامدة، ودانوا باتباعه والانقياد إليه، وإلى عصابته من هرغة، حتى تم الأمر في دعوته ؛ فاعلم أن هذا النسب الفاطمي لم يكن أمر المهدي [216] يتوقف عليه، ولا اتبعه الناس بسببه، وإنما كان اتباعهم له بعصبية الهرغية والمصمودية، ومكان منها، ورسوخ شجرته فيها، وكأن ذلك النسب الفاطمي لم يكن قد درس عند الناس، وبقي عنده وعند عشيرته يتناقلونه بينهم، فيكون النسب الأول كأنه انسلخ منه ولبس جلدة هؤلاء وظهر فيها، فلا يضره الانتساب الأول في عصبيته، إذ هو مجهول عند أهل العصبية، ومثل هذا وقع كثيرا إذا كان النسب الأول خفيا ». هـ. وما ذكره ظاهر في مطلق النسب، وأما النسب في أهل البيت ؛ فالظاهر أن ذلك لا يجري فيه.

[الناس مصدقون في أنسابهم ما لم يدعو الشرف]:

ومما يتصل بهذا: ما في أجوبة ابن رشد، ونورده تتميما للفائدة ؛ فإنه سئل عن رجل شهد عليه أنه قال: أنا معافري. وقد كان جده ينتسب: الأموي، ويثبت الآن إشهاده على نفسه بذلك. وكان أبوه لا يذكر لنفسه نسبا، وإنما يكتب: فلان بن فلان ويقف. ثم هذا الرجل بعدهما كذلك، هل يكون ذلك قدحا في شهادته، وتسقط عدالته أم لا ؟.

فأجاب: « لا يكون ذلك جرحة فيه تسقط به عدالته ؛ لأنه يقول: تحققت الآن من نسبي بالبحث عليه ما لم أعلم به قبل، وما جهله جدي ». ونقله البرزلي وعقبه بما لا يتوقف عليه، وليس من مقصودنا هنا، وإنما أوردنا هذه المسألة إيثارا لحصول الفائدة والمناسبة في الجملة.

وأما بنو مالك ؛ فبطن من سويد: أولياء دولة بني مرين، وانحاز بنو مالك إليهم، فدخلوا المغرب الأقصى على أيام أحد ولد السلطان أبي الحسن – فيما أظن – ونزلوا ببلاد ملوية في آجرْسيف وما والاه، وتقلبوا في

تلك الضواحي مدة، وكانت الرياسة لعريف بن يحيى وولده بعده، ثم ورثوا بلاد أرياح والخلط بأزغار[1].

كان الشيخ أبو عبد الله – صاحب الترجمة – كبير الشأن، جليل القدر، ظاهر الولاية، شهير البركة، مقيما لرسوم الشريعة، متحققا بأسرار الحقيقة، صادق الفراسة.

وكان شديد المحبة والتعظيم للشيخ أبي المحاسن، كثير الزيارة له والمجالسة، والاستفادة والاستشارة. وكانت بينهما معاشرة قديمة، وألفة أكيدة، وموالاة كموالاة القرابة. وصاهر بابنته شيخنا أبا محمد عبد الرحمن بن محمد، وهي من الخيرات الصالحات، الفاضلات المباركات، ولم تزل مع ولدها منه إلى أن توفيت ليلة الاثنين في ذي القعدة سنة ثمان وأربعين وألف. [217] نفع الله ببركتها.

وكان يطرأ عليه حال لا يستفزه، مع ظهور أثره عليه، حضرته مرة وهو يتكلم بمعارف. والتفت إلى بعض الحاضرين ؛ فقال له: « أهل داره حامل ». فقال له: « لا علم لي ». فقال له: « هي حامل، وتلد ذكرا! ». فكان كذلك.

وكان مرة جالسا مع الشيخ أبي المحاسن وأنا في أيام الصبا ؛ فجئت للسلام عليه، فأقبل علي، ورحب بي، وقال لي : « أين وصل لوحك؟ ». فقلت له: ﴿ *سارعوا إلى مغفرة من ربكم* ﴾. [آل عمران: 133] فقال: « نسارع يا أخي! ». وسُرَّ والتفت إلى الشيخ أبي المحاسن يكلمه في ذلك. وكأنه صادف أمرا كان في باطنه.

وطال عمره كثيرا، فنفع الله به خلقا كثيرا، وزرته مرتين في بلاده بأزْغَار، وتوفي هنالك في ربيع الأول سنة أربع وعشرين وألف، وبنوا عليه قبة.

وأخذ عن الشيخ أبي عثمان سعيد بن أبي بكر المشنزائي دفين خارج مكناسة ؛ وشهرته بالولاية والبركة بلغت الغاية، وقد تقدم سنده. وتوفي سنة (كذا) [2] وتسعمائة.

ولقي الشيخ أبو عبد الله – أيضا – الشيخ أبا محمد عبد الله بن حسين بتامصلوحت، والشيخ أبا عمرو بمراكش، رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

[8- الشيخ علي بن منصور البوزيدي (أبو الشكاوي)]: (1)

---

[1] ابن خلدون: « ولما قضى السلطان – يعني: عبد العزيز بن أبي الحسن المريني – حركة مراكش وفرغ من شأن عامر ورجع إلى فاس؛ لقاه بها أبو بكر بن (كلمة غير واضحة) أمير سويد في قومه من بني مالك بحللهم وناجعتهم، صريخا على ابي حمو لما نال منهم، ويقبض على أخيهم محمد ورؤساء بني مالك جزاء بما يعرف لهم ولسلفهم من ولاية صاحب المغرب » هـ . ويظهر من سنين كلامه قبل؛ ان ذلك سنةتسبعين من الثمانين . نسخة (جـ) بخط الناسخ .

[2] قال في "ممتع الاسماع" ص126 : « توفي رحمة الله عليه في أواسط العشرة السادسة ، بل في آخرها » .

الثامن: الشيخ أبو الحسن علي بن منصور ؛ المعروف بأبي الشكاوي، البوزيدي. ذكر لي ولده الفاضل أبو العباس أحمد الخضر أن نسبهم يرجع إلى عيسى بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي – رضي الله عنهم – وأن عيسى المذكور مدفون في بلاد آيت عَتَّاب وهنالك عقبه.

كان الشيخ أبو الحسن من أهل الولاية، والأحوال السنية، والواردات الربانية، والبركات الظاهرة، وكان يحب الشيخ أبا المحاسن محبة عظيمة، وكانت بينهما ألفة ومعاشرة قديمة، وكان يزوره ويقيم عنده ما شاء الله.

حدثني الثقة عن شيخنا أبي محمد عبد الرحمن أن الشيخ أبا الحسن: ورد على الشيخ أبي المحاسن بفاس، وأقام عنده أياما، فأصبح يوما وجعا، فقال له الشيخ أبو المحاسن: « مالك ؟! »، قال له: « أغثنا البارحة سفينة، فضربني مقدمها في صدري ! ». فقال له الشيخ أبو المحاسن ممازحا له: « أغثتموها بالروحان أو بالجسمان؟! ». فقال: « لا يخفى عليك ؛ أغثناها بالروحان، واستجاب في الجسمان!! ».

وحدثني – أيضا – بأصل الحكاية الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ سيدي أبي بكر ؛ وفيها أن الشيخ أبا المحـاســن قال له: « لم تحتاجُ إلى حضـور جثمانك في [218] ذلك. وهلا كفى غيره عنه ؟! ».

وحدثني غير واحد أنه جاء بسبعة أو سُق من القمح للبيع، ووضعه في موضع من زاوية الشيخ أبي المحاسن، ثم خرج. وأمر الشيخ أبو المحاسن بكيل القمح، ونقله إلى موضع آخر هنالك لأمر اقتضى ذلك، فلما جاء الشيخ أبو الحسن ؛ قال لهم: « لم كلتم الزرع وأنا غائب ؟، لو حضرت لزاد !. أعيدوا كيله! ». فأعادوا وجلس هو على الزرع ؛ فزاد عن الكيل الأول، وكان ذلك بمرآى من الشيخ أبي المحاسن . فلما بلغت الزيادة خمسة أوسق ؛ قال له الشيخ أبو المحاسن: « يكفيك ؛ قم عن الزرع وما جعلت فيه بركة ». فقام، وكيل ما بقي، فكان وسقا، وبلغت الزيادة ستة أوسق.

قدم علينا بفاس سنة أربع وألف، فكنت أسلم عليه، وأقعد بين يديه، فيدنيني إليه، ويرحب بي، ويدعو لي بالخير. وقال للشيخ أبي المحاسن: « إن الأجل قد قرب، وما جئت إلا لوداعك! ». وانصرف. فمكث غير بعيد وسمعنا خبر موته بشالة[2] في السنة المذكورة، وبها كانت سكناه، ودفن خارجها، وقبره هنالك مشهور معظم مزور.

وذهب عني تحقيق نسبته، والذي حضرني الآن متلقى من بعض تلامذته أنه: أخذ عن سيدي العسال عن سيدي محمد الزيتوني عن سيدي اللهبي عن سيدي مالك بن خدة. فليستظهر على ذلك ما أمكن. وقال لي ولده: « إنه لقي الشيخ أبا زيد المجذوب وأخذ عنه، وعن الشيخ أبي الرواين أيضا »، وقال لي: « إنه أخذ عن

---

[1]- انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (217) و"الاغتباط" (437).

[2]- شالة: مدينة قديمة على حاشية الرباط. وضريحه بها مشهور معروف.

ستة وعشرين شيخا ؛ آخرهم: الشيخ أبو الحسن علي الشلي السريفي؛ لقيه بقرب وفاته » . رضي الله عن جميعهم، ونفعنا ببركاتهم آمين.

[9- الشيخ محمد بن علي العفاني][1]:

التاسع: الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي العفاني ؛ نزيل القصر، أحد الأفراد من الأولياء الأكابر، رطب اللسان على الدوام بالتلاوة والذكر، دائم الحضور، ورأى في بدايته امرأة شابة متزينة؛ فقال: « عين ترى حريم المسلمين إنما حقها العمى! » . فكف بصره من حينه. وكان ظاهر البركات كثير المكاشفات.

قدمت إلى القصر وأنا صبي صغير مع والدي الشيخ أبي المحاسن سنة ست وتسعين وتسعمائة؛ فكان الشيخ أبو عبد الله كثير المجيء إليه، والقعود عنده، وكان شديد التعظيم له، والمحبة فيه، والانحياش إليه. فرأيته وتبركت به، ثم دخلت القصر أيضا في ذي الحجة من سنة ألف ؛ فزرته في داره غير مرة، وتبركت به، ودعا لي، وأعطاني عكازا، ثم رجعت سنة سبع وألف ؛ فزرت قبره، وكان قد توفي قبل سنة خمس وألف، ودفن في المنزلة خارج باب سبتة؛ أحد أبواب القصر.

ورأيت بخط [219] شيخنا أبي عبد الله القنطري – رحمه الله – كتابا كتبه للشيخ أبي المحاسن ذكر فيه وفاة صاحب الترجمة. ثم قال ما نصه: « وقد كانت جنازته حافلة ؛ اجتمع الناس فيها على طبقاتهم، ودفن بالمكان الذي وقفنا عليه معكم، وعرفتنا أن قبره يكون هنالك بعدما كثر اللغط في موضع دفنه، وحفروا له بداره، وأبى الله سبحانه إلا ما أشرتم إليه، فكان ذلك عندنا من معروف كرامتكم، وصدق فراستكم » .

وأخذ عن الشيخ أبي حفص عمر الخطاب الزرهوني، وهو عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع – رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم.

[10- الشيخ موسى بن محمد الشاوي الطليكي][2]:

العاشر: الشيخ أبو عمران موسى بن محمد بن معرف الشاوي ثم الطليقي منشأ: شيخ ركب الحجيج، ينتسب إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما، ثم إلى الأدارسة من عقبه.

كان من أهل الفضل والبركات الظاهرة، سار بالركب إلى الحج مرات متعددة ؛ فتيمن الناس بنقيبته، وسعدوا بصحبته، وما نكب الركب معه قط، وكان يجتمع له ركب عظيم في شارة حسنة وزي جميل، يخرج فيه أهل فاس وغيرهم في الأخبية المنوعة من القوراء والمستطيلة، والقياطين المثلثة، ويسعهم سديد نظره، ويسوسهم السياسة النافعة. وساس قبائل الصحراء، وظهرت له بركات ؛ فأذعنوا له، وعرفوا محله، وتلقوه بالبر والإجلال.

---

[1] انظر ترجمته في "نشر المثاني" (1088 موسوعة).
[2] انظر ترجمته في "نشر المثاني" (1085 موسوعة) .

وكان جميل الصورة، بهي الهيئة، حلو المنطق، طلق اللسان، عارفا بفضل القول، حسن الخلق، صائب الرأي. نفع الله به في ذلك القصد الشريف نفعا لا كفاء له، ولم يكن له في عصره نظير في ذلك.

كانت بينه وبين الشيخ أبي المحاسن محبة أكيدة، وألفة قديمة، وكان إذا جاء من المشرق ونزل على باب الفتوح؛ خرج الشيخ أبو المحاسن للقائه، وكان يبعث ولده وأصحابه يشيعونه إذا سار، ويتلقونه إذا جاء ؛ تعظيما لشعيرة الحج، والوفادة على حرم الله وحرم رسوله صلى الله عليه وسلم، وقيامه هو بذلك الوظيف الشريف.

أدركت من ذلك في صغري ركبين: خرجت مع أخي شيخنا أبي العباس وجماعة من الأصحاب للتشييع، فنقيم معه الليالي ذوات العدد ؛ إلى أن يرحل من صَفرُ، وربما زدنا معه، ونفعل مثل ذلك في لقائه إذا قدم، وكان يلطف منزلتي ويبرني كثيرا، ويطعمني لصغري من طرائف ما لديه، ويدعو لي كثيرا بالخير.

وكانت آخر قدماته: سنة ثلاث وألف، ومات بعد قدومه بنحو ثلاثة أشهر في سنة أربع، ودفن بمدشره [220] الذي عمره في بلاد مصمودة عمل أزاجن، وروضته هنالك مشهورة.

أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد الشاهد المصباحي، وفي صحبته نشأ، وهو – فيما أظن – عن الشيخ أبي عبد الله محمد أبي عسرية المصباحي.

وأخذ – أيضا – الشيخ أبو عمران عن الشيخ أبي الرواين أحمد بن حسين السهلي العبدلي، وهو عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى، وهو عن الشيخ أبي العباس الحارثي وأبي محمد عبد العزيز التباع، وهما معا عن الشيخ الجزولي، رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

[11– الشيخ جابر بن مخلوف الرياحي الطليكي]:

الحادي عشر: الشيخ أبو محسن جابر بن مخلوف الرياحي ثم الطليكي. كان من أهل الولاية والبركات، حسن الأخلاق، طيب المعاشرة، كريم النفس، كثير الإطعام. كانت له زاوية عظيمة ؛ يبيت عنده ستمائة من الناس وأكثر، فيكفيهم طعامه، ويفضل عنهم، وكانت في طعامه بركة ظاهرة.

وحدثني غير واحد من رعاء غنمه أنهم: ربما ذبحوا الشاة ؛ ومن الغد يجدونها في الغنم، يعرفونها ولا يشكون فيها.

وكان قد صحب الشيخ أبا المحاسن، وانتسب إليه ؛ فكان يأمره بالبذل والمبالغة في إطعام الطعام، وشكى إليه مدة شدة السنة ؛ فقال: « زد في بيت الصلاة والضيفان ». وكان من الشعَر ؛ فزاد في طوله حتى بلغ خمسة وأربعين ذراعا ؛ فاتسعت حاله، وكان يقول له: « وسع يوسع عليك! ». وكانت بينهما محبة أكيدة منذ الصبا ؛ فإنه نشأ في حجر الشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف، وكان والده الشيخ مخلوف من أولياء الله تعالى.

ومن مشهور ما يحكى عنه: أنه عطب له ثور، فجاء الحَرَّاث يطلب ثورا، فقال له: « انتظرني غدا في الفدان ». فانتظره، فجاء بثور وربطه للحرث، وقال له: « إذا أطلقت الزَّوْج ؛ فدعه يذهب حيث شــاء، ومن الغد يأتيك ! ». فكان كذلك. فلما أكمــل غرضه من الحرث وأطلقه ؛ وجده أسدا !.

وكان قد صحب الشيخ أبا الحسن علي بن عثمان اليروثني ؛ وهو من أكابر أصحاب الشيخ أبي محمد الغزواني، ومات في حياته شهيدا في الجهاد سنة خمس وعشرين وتسعمائة . ولم تطل حياة الشيخ مخلوف ؛ فمات وبقي ولده صاحب الترجمة صغيرا . وكانت لأبيه زاوية، تولى القيام بها بعض أخوته لأمه ؛ فلم ينهضوا بها .

وكان للشيخ أبي عبد الله محمد بن يوسف هنالك غنم كثيرة، فأمر صاحب الترجمة بإقامة الزاوية، وأن يذبح من تلك الغنم لكل وارد عليه، وأن لا يذبح إلا الكبيرة المنقية، فإن الكبيرة تستر عرض [221] صاحبها، وما زالت الصغيرة تكبر وترقد في مرقد الكبيرة ؛ بخلاف العكس، وكان ينعشه إلى أن انتعش، وصحب الشيخ أبا عبد الله محمد بن عمر المختاري ؛ وهو من أصحاب الشيخ أبي عبد الله محمد بن عيسى الفهدي، وقد تقدم سنده.

وكان الشــيخ أبو عبد الله يشير له إلى الشيخ أبي المحــاسن، ويقول له: « لِمَ تتخطــى من حاله كذا وكذا ؟ !». ويقول له: « هنالك شاب حاله كذا وكذا »، ولا يتنبه صاحب الترجمة لكون المراد: الشيخ أبا المحاسن مع شدة اتصاله به. إلى أن صرح له الشيخ به، وأمره بصحبته ؛ فصحبه، وسلب له الإرادة.

وكانت له وفادة على الشيخ أبي المحاسن بفاس في فصل الربيع من كل عام، وكانت منازله على مسيرة ساعة من روضة الشيخ أبي سلهام، واتفق لنا مرة أنا زرنا العلم، ونزلنا إلى تطاون ؛ فزرنا من عرفناه بها من الأحياء وأهل المقابر، واستهل شهر محرم عام واحد وألف، وسرنا إلى العرايش ؛ فزرنا كذلك، وسرنا إلى سيدي أبي سلهام وقد انهلت السماء بالمطر الغزير، فما وصلنا إلى منزل صاحب الترجمة إلا بعد جهد جهيد . ولما وصلنا إليه ؛ أقلع المطر، ومن الغد زرنا الشيخ أبا سلهام، وعزمنا على السفر من الغد؛ فقال: « لا بد أن تقيموا عندي ثلاثة أيام! ». فقلنا له: « نخاف المطر! » ، فقال: « قد ضمنت لكم رفع المطر حتى تصلوا إلى دياركم! ». فأقمنا كما قال، وكنا نزور الشيخ أبا سلهام في كل يوم. ثم انصرفنا إلى فاس، وعرضت لنا في الطريق إقامات عند أصحابنا والسماء مضحية، إلى أن وصلنا إلى فاس، وبعد وصولنا ؛ غيمت السماء من يومها، ثم أمطرت!!!.

وكانت وفاته في حدوث ثلاث وألف. رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

[12- الشيخ علي بن يوسف الفاسي][1]:

[1] انظــر ترجمته في "نشــر المثاني" (1: 139)، و"التقاط الدرر"ص77، و"عناية أولي المجد" ص24، و"زهر الآس" (2 : 71).

الثاني عشر: الشيخ أبو الحسن علي بن الشيخ أبي المحاسن: أخذ عن والده، وأدرك الشيخ أبا زيد المجذوب وتبرك به، وأدرك جماعة من المشايخ ؛ منهم: الشيخ أبو عبد الله محمد بن الزبير بن أبي عسرية؛ وهو عن أبيه، وعن الشيخ أبي حفص عمر الحصيني، وعن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر المختاري.

ورأيت بخط الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر المذكور كتابا للشيخ أبي عبد الله محمد بن الزبير يأمره فيه وينهاه عن صورة لا تكون إلا من الشيخ للتلميذ.

ومنهم: الشيخ أبو الحسن علي بن الحسن الشلي ؛ وهو عن الشيخ أبي يعقوب يوسف بن الحسن التليدي[1] عن الشيخ أبي محمد الغزواني.

ومنهم: الشيخ أبو العباس أحمد الردَّام بهذا السند. ومنهم: الشيخ أبو إسحاق إبراهيم [222] أبو الخيرات. ومنهم: الشيخ أبو الحسن علي الحنشي. . . وغيرهم من الأولياء، وكلهم أو أكثرهم عرفهم في دار والده، وكانت لهم مألفا – رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم.

[13– الشيخ أحمد بن يوسف الفاسي]:

الثالث عشر: الشيخ أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي المحاسن: لازم أباه، وفتح له على يديه، وأدرك الشيخ أبا زيد المجذوب كما تقدم في الفصل السادس من الباب الثاني، ولقي من ذكر في ترجمة أخيه الشيخ أبي الحسن علي.

وفي محرم فاتح ثمانية عشر وألف، زار الشيخ أبا بكر بن محمد بن سعيد الصنهاجي ثم المجَّاطي دفين الدلاء، فأقبل عليه إقبالا عظيما، وأنزله من الإجلال والتعظيم منزلا رفيعا؛ فأقام عنده أياما، وأخذ عنه وانتفع به، ورجع إلى فاس، فسأله أهل فاس عنه، فقال: ((أخذ الناس بالأوصاف، وأخذ سيدي أبو بكر بالاتصاف)).

[ترجمة الشيخ أبي بكر بن محمد المجاطي الدلائي][1]:

---

[1] وكناه ابن الخلوق بأبي الحجاج، قال: ((وكانت له شهرة حيث ضريحه بقبائل بني تليد من قبائل غمارة على مسيرة نصف يوم من مدينة شفشاون من ناحية الغرب، كانت ترد عليه الوفود والآلاف من الزوار والمريدين، ويطعم كلا على حسب شهوته في كل ليلة، وكان ممن وضع له القبول في الارض . توفي توفي في حدو الخميس (كذا، والاظهر انها: في حدود الخمسين من القرن العاشر) ولم يعقب . ودفن بزاويته، وحبس جميع أملاكه على الفقراء والمساكين . وترك الآلاف من تلامذته)) . نسخة (جـ) بخط الشيخ عمر بن يوسف الفاسي كما يبدو .

والشيخ أبو بكر: من أكابر مشايخ المسلمين، وأولياء الله المقربين، واحد عصره، ونسيج وحده، مترسم بالشريعة، متحقق بالحقيقة، بحر جود لا ساحل له ؛ يعطي عطاء من لا يخاف الفقر[2]:

فلو رأى من مضى بعض مكـارمه   لم يذكروا في الندا معنا ولا هَرِما[3]

أقام الله به رسم الجود، وأفاض به نعمته على الوجود، يكل اللسان والقلم، عن استيفاء فضائله التي هي أشهر من نار على عَلَم، وحسبك أن المغرب لما تداعت قواعده، وانهدت أركان الملك به ؛ فاختل النظام، وماج الناس ؛ كان موئلا لأهل العلم والدين، وموردا للضعفاء والمساكين؛ فاعتصم الإسلام بربوة منه ذات قرار مكين[4]، فهو الذي أمسك رمقه، وأبقى رواءه ورونقه.

وخلفه خلفه ؛ فدارهم ما زالت — ولا تزال إن شاء الله — دار العلم والدين، ومشرع الجود العذب المعين، والنهوض بأعباء مصالح المسلمين، والله المعين.

ولد الشيخ أبو بكر سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة، وتوفي عند طلوع الشمس من يوم السبت الثالث من شعبان سنة إحدى وعشرين وألف[5]، ودفن في الدلاء.

[ترجمة الشيخ أبي عمرو بن أحمد القسطلي][6]:

وأخذ على سبيل الإرادة والتحكيم عن الشيخ أبي عمرو بن أحمد بن أبي القاسم القسطلي المراكشي، الكبير الشأن الجليل القدر، الشهير الذكر، ذي البركات المشهورة، والمآثر المأثورة، والفضائل التي لا تزال على الأيام مسطورة. وتوفي في أواخر رمضان سنة أربع وستين وتسعمائة، وفي هذا التاريخ كان كسوف الشمس

---

[1] الإمام شيخ الزاوية الدلائية. انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (145)، و"نشر المثاني" (1 : 112)، و"التقاط الدرر" (56)، و"الصفوة" ص46، و"نزهة الحادي" ص245، و"الزاوية الدلائية" ص43 .

[2] وقد قال فيه مؤلف هذا الكتاب رحمه الله:

أصح وأعلى ما رويناه في الندى   من الخبر المأثور في سالف العصر
أحاديث ترويها السيول عن الحيا   عن البحر عن كف الولي أبي بكر

غير فيها قافيتي بيتين قديمين لغيره . نسخة (جـ) .

[3] هذا البيت من قصيدة حازم النحوية، التي صدرها بمدح سلطان تونس أبي عبد الله المنتصر بن السلطان أبي زكرياء يحيى بن عبد الواحد الحفصي، إلا أن المؤلف غيره من الخطاب إلى الغيبة لمقتضى الحال في لفظ حازم هكذا:

يا أيـهـا الملك المنصور ملكك قد   شب الزمـان به من بعد ما هرما

فلو رآى من مضى أدنى مكارمكم. . . .إلخ . نسخة (جـ) .

[4] في الأصل: قرار ومكين . والظاهر أنه سهو .

[5] تعليق محذوف السطر الأول، والباقي منه: محمد بن علي القشتالي بقوله:

وإن أبا بكر غـمام بلـجـة   (لآل) من الأرزاق تنحط من عل

[6] انظر ترجمته في "دوحة الناشر" (2:916 موسوعة) و"ممتع الأسماع" (94) ، و"نشر المثاني" (3:1094 موسوعة) . و"الإعلام بمن حل مراكش" (1:330)، وأعلام المغرب العربي" (2:95) وكلهم ضبطوها : أبو عمر (بفتح العين والميم) .

الكبير ؛ المشهور المعروف عند الناس بالظليماء: تصغير ظلماء. وكثيرا ما يؤرخون به، وكانت وفاته [223] بمراكش، وبها قبره.

[ترجمة الشيخ عبد الكريم بن عمر التيكي الفلاح][1]:

وأخذ عن الشيخ أبي محمد عبد الكريم بن عمر الحاحي التيكي ؛ المعروف بالفلاح، وهو معروف بجلالة القدر، وكبر الشأن، وتوفي بمراكش في ثاني ربيع الأول سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة.

وأخذ عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع، ولقي – أيضا – الشيخ أبو بكر الشيخ أبا الطيب ابن يحيى ابن أبي القاسم اليحياوي ؛ نزيل ميسور ودفينه، زاره بمنزله من ميسور، وكانت وفاته في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وتسعمائة.

[ترجمة سيدي عبد الله الخياط][2]:

وهو أخذ عن الشيخ أبي محمد عبد الله الخياط الزرهوني ؛ وهو من كبار المشايخ الذين نفع الله بهم، وكثرت الهداية على أيديهم، وكان كثير الاتباع للسنة، ويحضر مجالس العلماء، ويحض أصحابه على التعلم. توفي سنة تسع وثلاثين وتسعمائة[3]، ودفن بجبل زرهون، وروضته هنالك مشهورة.

أخذ – أولا – عن الشيخ أبي محمد الحسن بن عمر آجانا ؛ دفين بورمان من بلاد بني وحود[4]. وهو عن الشيخ أبي عبد الله الجزولي، وصحبه اثنتي عشرة سنة، ثم قال له: « أنا طهرت فخَّارتك، وسيدي أحمد بن يوسف هو الذي يعمرها ! »، فسار إليه، فكان تكميله على يديه، واشتهرت نسبته إليه.

[ترجمة الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني][5]:

والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي الملياني دفين مليانة: من كبار المشايخ أهل العلم والولاية، وعموم البركات والهداية، وكان كثير التلقين ؛ فقال له الشيخ أبو عبد الله الخروبي: « أهنت الحكمة في تلقينك الأسماء للعامة حتى للنساء ! ». فقال له: « قد دعونا الخلق إلى الله ؛ فأبوا، فقنعنا منهم بأن نشغل جارحة من جوارحهم – وهو: اللسان – بالذكر ». قال الشيخ أبو عبد الله الخروبي: « فوجدته أوسع مني دائرة ».

---

[1] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (66)، و"دوحة الناشر" (2:851 موسوعة)، و"الإعلام بمن حل مراكش" (8:170).

[2] انظر ترجمته في "دوحة الناشر" (2:859 موسوعة)، و"لقط الفرائد" (5:858 موسوعة). "السلوة" (3:191)، و"الإعلام بمن حل مراكش" (8:267).

[3] الذي رأيته مكتوبا في مشهده أنه: توفي يوم الإثنين خامس صفر سنة ثمان وثلاثين (أي: وتسعمائة) . نسخة (جـ) بخط الناسخ.

[4] الذي في بورمان هو الحفيد؛ واسمه: الحسن بن عمر بن الحسن بن عمر . (وكان) يقرأ عليه سيدي الحسن الرزاوي بالسبع . وأما الجد (الذي) أخذ عن سيدي محمد بن سليمان؛ فإنما هو (بأرض) اللبن من بلاد الحياينة في تجملت هنت . نسخة (جـ) بخط الناسخ.

[5] انظر ترجمته في "لقط الفرائد" (2:842 موسوعة). و"السلوة" (2:11).

وانتسبت إليه الطائفة المعروفة بالشَّراقة (بتشديد الراء) وهو بريء من بدعتهم، فما كان إلا إمام سنة وهدى، مقتدى به في العلم والدين، قد نزهه الله وطهر جانبه من ذلك، وقد أظهروا شيئًا من ذلك في حياته ؛ فتبرأ منهم، وقاتلهم، وبلغ المجهود في تشريدهم.

وحدثني شيخنا أبو عبد الله النيجي أن الشيخ أبا محمد عبد الوارث لما ظهرت بدعة الشرافة وانتسابهم إليه ؛ وقع في نفسه من ذلك شيء . فقيل له: « إن سيدي عبد الله الخياط من أصحابه » . فقال: « أنا تائب إلى الله ؛ كفى في طهارة جانبه كون الخياط من أصحابه ».

وتوفي الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف سنة سبع وعشرين وتسعمائة.

وأخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي [224] الفاسي؛ المعروف بزروق ؛ دفين مسراته ذات الرحال، من أطراف برقة. وكانت وفاته ليلة الأحد لثمان وعشرين من صفر سنة تسع وتسعين وثمانمائة، ومولده –كما ذكره هو – سنة ست وأربعين وثمانمائة. وأخذ عن مشايخ كما تقدم.

[ترجمة الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي][1]:

منهم: الشيخ أبو العباس بن عقبة، وقد رأيت له تأليفا لطيفا في أخباره، قال فيه: « سيدنا وسندنا، ووسيلتنا إلى الحق في وقتنا: الشيخ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن عبد القادر بن محمد بن عمر بن أحمد بن عقبة اليمني الحضرمي رضي الله عنه وأرضاه. ولد في إحدى الجمادين سنة أربع وعشرين وثمانمائة، ولقيته بمصر سنة ست وسبعين وثمانمائة، وكان يروي عن أبيه وأمه وعمه، وكانت الولاية في آبائه منذ مائتي سنة. وقال رضي الله عنه لما سألته: لمن تنتمي طريقته؟. قال: نحن لا نعرف شيئًا من هذا، ولكن تتصل طريقة والدي[2] بأبي مدين. قال: وقد سماني النبي صلى الله عليه وسلم: رفاعيا. إذ رآه صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له: قل لفلان: الرفاعي. قلت: وذلك لأحد أمرين: إما موافقته طريق الرفاعية، أو لأنه رفيع القدر في حاله. والله أعلم . وتوفي – رضي الله عنه – ليلة الجمعة السابع عشر من شوال سنة خمس وتسعين وثمانمائة، ودفن بتربة البرقوقة ». انتهى باختصار.

وقوله: « والدي ». هكذا رأيته في النسخة التي رأيت، ونقله بعض شيوخنا بلفظ: « أمي ». وقد تقدم نقله كذلك، وكأنه سقط فاعل: « رأى » والله أعلم. وقد تقدم الكلام على باقي السند ومن ذكر فيه من المشايخ. والله أعلم . رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم.

---

[1] انظر لترجمته: "تحفة أهل الصديقية (37)، و"البرهان الجلي" (15) .
[2] أحسب أن (والدي) تصحيف، والأصل (والدتي) كما سبق في محال أخرى. ويأتي ذلك بعد أسطر.

[14- الشيخ محمد بن أبي بكر المجاطي الدلائي][1]:

الرابع عشر: الشيخ أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبي بكر بن محمد بن سعيد المجاطي الصنهاجي خاتمة مشايخ المغرب، انتهت إليه رياسة الدين والدنيا، واستقل بسياسة الأمور الجليلة والرتب العليا، عالم حافظ دراك، متوسع في علم التفسير ومعاني الحديث وعلم الكلام، حسن المشاركة فيها وفي غيرها، رصين العقل، سديد الرأي، جميل المعاشرة، مراع لحقوق الصحبة، كريم النفس، عالي الهمة، فياض العطا، واسع المعروف[2]. لو تفرغ متفرغ لجمع فضائله في ديوان مستقل ؛ لم يجمع منها إلا ما ينزر ويقل، ولو صنف من أنواعها أصنافا، وألف من أعدادها آلافا ! .

ولد – رضي الله عنه – تقريبا سنة سبع وستين وتسعمائة، وتوفي في صلاة العصر [225] من يوم الأربعاء الحادي عشر من رجب سنة ست وأربعين وألف، ودفن من الغد ضحوة يوم الخميس في الدلاء، قرب روضة والده، وبنيت عليه قبة[3] ملاصقة لها، بلغ التأنق فيها غايته[4].

صحبته سنين في محبة خاصة، ومراعاة تامة، ومجالس خاصة وعامة، جرت فيها من الفوائد والنكت ما لا يحصى ولا يحصر. نفع الله بذلك.

---

[1] انظر ترجمته في "نزهة الحادي" (396)، و"نشر المثاني" (333:3 موسوعة)، والزاوية الدلائية" (76)، و"الحركة الفكرية" (510:2).

[2] وقد قال فيه الشيخ العالم العامل، السني السني؛ أبو عبد الله محمد بن ناصر الدرعي من قصيدة مدحه بها :

له يدان: يد للظلم مخمدة	ويد جود تفيد الناس أموالا
(كلام مبتور) يخاطبه	أنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا

نسخة (جـ) .

[3] الآمر بإنشائها هو: السلطان أبو عبد الله محمد الشيخ ابن السلطان أبي المعالي زيدان، كما أشار إلى ذلك الشيخ أبو عبد الله محمد بن سعيد المرغتي – دفين مراكش – في أبياته التي كتب على ضريحه؛ وهي:

هذا ضريح التقى والجد والكرم	هذا الولي الوفي العهد والذمم
هذا المحب لأهل البيت قاطبة	محمد بن أبي بكر الرضى العلم
قد سار في رجب لله عام مسوا	به إلى جنة الفردوس والنعم
من أجل ذا قام في تشييد روضته	محمد الشيخ مولى العرب والعجم

ورمز بعض شيوخنا من الأشراف وفاته أيضا بقوله:

محمد الأسمى الدلائي هاشم	بكت فقده لما تنا . . . . .حا

نسخة (جـ) ، وفي البيت الأخير بتر كما ترى، لم يمكنا قراءته .

[4] وجدت بخط مؤلف هذا الكتاب في كناش له ما نصه: ((ورد على شيخ الإسلام سيدي محمد بن سيدي أبي بكر – رضوان الله عليهم – وارد قلبي في قراءة رسالة الأستاذ أبي القاسم القشيري – رضي الله عنه – ليلة السبت سابع رجب بعد العشاء، واستمر إلى صلاة العصر من يوم الأربعاء الحادي عشر منه عام ستة وأربعين وألف، وهو آخر يوم من نونبر؛ فتوفي رضي الله عنه ودفن في الدلاء ضحوة الغد يوم الخميس)) . انتهى المراد مما وجدته بخط المؤلف . ووجدت أيضا بخط بعض الثقات من أقاربنا أنه: أخبره الأستاذ الضابط المحقق أبو عبد الله محمد المدعو الشرقي بن الشيخ سيدي أبي بكر الدلائي أن أخاه لأبيه سيدي محمد بن أبي بكر المذكور لما عرض له ما عرض من الوارد المذكور الذي كان سبب موته؛ سأل بعض من كان معه عن دخول دجنبر؛ فأخبره . فكان دفنه في أول يوم منه، وذلك – والله أعلم – هو موجب السؤال عنه . نسخة (جـ) .

أخذ على سبيل الإرادة والانتساب عن الشيخ أبي عبد الله محمد ؛ المدعو: الشرقي بن الشيخ أبي القاسم ؛ المعروف بالزعري الجابري ، ثم الرتمي. وينتسبون إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأخذ أيضا عن والده الشيخ أبي بكر ؛ وقد تقدم سنده. وزار بفاس الشيخ أبا المحاسن وتبرك به، وقد تقدم سنده.

وزار أيضا الشيخ أبا عبد الله محمد بن مبارك الزعري ؛ دفين تاستاوت. المتوفى بها بالوباء في الثاني من شوال سنة ست وألف[1]، وكان جليل القدر، شهير الذكر. وأخذ عن الشيخ أبي عمرو، وزار أيضا صاحب الترجمة الشيخ أبا مهدي عيسى بن علي البُوُكيلي، وهو عن الشيخ أبي محمد عبد الله الهبطي عن الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني.

وحج سنة خمس وألف ؛ فلقي الشيخ زين العابدين البكري ولازمه مدة إقامته بمصر، واستفاد منه، ولقي غيرهم[2] من المشايخ.

[ترجمة الشيخ محمد الشرقي بن أبي القاسم الزعري الجابري الرتمي][3]

وأما الشيخ أبو عبد الله الشرقي: فمن كبار المشايخ، شهير البركة، بعيد الصيت، كثير الأتباع، نفع الله به خلقا كثيرا، وتخرج به كثير ممن بانت خصوصيته وظهرت بركته، وكانت بينه وبين الشيخ أبي المحاسن مواصلة ومراسلة، وتوفي ليلة أول يوم من محرم سنة عشر وألف عن سن عالية، ودفن في جُعَيْدَان من بلاد تادلا.

وأخذ عن والده الشيخ أبي القاسم عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع. وأخذ أيضا أخذ إرادة وانتساب عن الشيخ أبي محمد عبد الله بن ساسي عن الشيخ أبي محمد عبد الله الغزواني عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع. وأخذ أيضا عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن عمر المختاري ؛ وقد تقدم سنده.

حدثني الشيخ أبو عبد الله – صاحب الترجمة – أن الشيخ أبا عبد الله الشرقي أخذ عنه، وأنه قال له: « كنت مع سيدي محمد بن عمر مثل والدك سيدي أبي بكر معي، وقال لي: ضيق الباب. وقل أنت لسيدي أبي بكر: ضيق الباب! ». فقلت لصاحب الترجمة: « ما قصدهم بذلك؟! ». قال: « التقليل من جموع الناس ».

ولما زار الشيخ أبو بكر الشيخ أبا الطيب – كما تقدم – كان معه ولده صاحب الترجمة [226] في صغره ؛ فجاء معه بعض أصحاب أبيه إلى الشيخ أبي الطيب، وقالوا له: « يا سيدي ؛ هذا ولد سيدي أبي بكر ». فتلقاه بما يحسن ويجمل، وقال لهم: « عند أبيه ما يكفيه! ».

---

[1] الذي عند أبي العباس أحمد بن عبد الله بوعجلي أنه: توفي سنة سبع – بتقديم المهملة على الموحدة – بعد الألف، في الوباء الذي عم دول المغرب واستئصال فيها هكذا . فائدة: وذكر ابو العباس احمد بن عبد الله المذكور في موضع اخر من كتاب "الإصـليت" أنه: توفي عام ستة والف بلا شك، ثاني عيد الفطر، في الوباء النازل بالمغـرب حينئذ، هذا لفظه . هـ . نسخة (جـ) بخط الناسخ .

[2] كالشيخ الولي الصالح الزاهد، العالم العامل العابد، ذي المكاشفات الكثيرة؛ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الحسين الخالدي السلاسي؛ المعروف بابن حسون؛ دفين سلا المحروسة، وكانت وفاته سنة ثلاث عشرة والف، وهو عن الشيخ أبي محمد عبد الله الهبطي عن الغزواني . . .إلخ . فإن في "الابتهاج": « وكان الشيخ سيدي عبد الله ابن حسون مشهورا بخدمة الجن والإنس، والتصرف بخواص الأسماء . . .» . هـ . نسخة (جـ) .

[3] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (149)، و"الصفوة" (25)، و"نشر المثاني" (1:80) .

وأما الشيخ زين العابدين البكري الصديقي ؛ فأخذ عن والده الشيخ أبي المكارم محمد، ووجدت بخط شيخنا أبي عبد الله القصار في ذكر سند الشيخ أبي المكارم ما نصه: « أخذ الفقير محمد الصديقي الطريق عن والده الأستاذ محمد تاج العارفين أبي الحسن عن والده الشيخ العالم الولي محمد جلال الدين عن والده الشيخ الإمام العامل العالم الكامل عبد الرحمن عن والده شيخ الإسلام العارف بالله تعالى زين الدين عن والده شيخ مشايخ الإسلام رأس علماء الأعلام ناصر الدين عن أستاذ الأساتذة العظام القطب الجامع الفرد الغوث أبي الحسن الشاذلي. **وفي الحقيقة: ليس المدار إلا على الصدق والتقوى ؛ وإن كان في الاتصال الصوري بركة عظيمة، والاتصال القلبي هو المقصود**. ولي سند لسيدي عبد القادر الجيلي، وآخر لسيدي الجنيد ». هـ. وهو من كلام الشيخ أبي المكارم لا محالة، ولعله كتبه من خطه، فإنه في غالب ظني كتب له بالإجازة، رضي الله عنهم ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

[15- الشيخ أحمد بن يوسف ابن مهدي الزياتي][1]:

الخامس عشر: الشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف ابن مهدي العبد الوادي الأصل، ثم الزياتي: هو أخو شيخنا أبي الطيب، وقد تقدم ذكره في ترجمته، وكان من أيمة النحاة، حافظا للفقه، قائما عليه، مشاركا في كثير من العلوم. قرأ بفاس، وأوطن تطاون، وخطب ببعض جوامعها، ودرس العلم بها، وكان عالمها حقيقة إلى أن توفي بها سنة ثلاث وألف، ودفن خارج باب العيون منها، قريبا من روضة سيدي طلحة.

وكان قد صحب الشيخ أبا العباس الفلالي، ثم بعد موته: صحب الشيخ أبا المحاسن، وفتح له على يديه فتحا استنارت به عوالمه، واتحدت به وجهته، وأقبل على الله بكليته، وأعرض عما سواه، ولم يبق له اعتبار لصورة ولا هيئة، ولا تخيير لجلوس ولا غيره. حتى قبضه الله إليه.

[ترجمة الشيخ أحمد بن محمد الفلالي]:

والشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الفلالي: أحد الأفراد من مشايخ الزهاد والعباد: أهل العلم والعمل، وهداية الخلق، وتربية المريدين، لم يتمسك من الدنيا بقليل ولا كثير، ولا تلبس منها بجليل ولا حقير، ولا اتخذ أهلا ولا دارا، ولا وطنا ولا قرارا.

تخرج به كثير من الفضلاء الأخيار، واتخذ كثير منهم [227] الخلوات لعبادة الله تعالى إلى أن لقوه على خير عمل.

وتوفي سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، ودفن في قنة جبل على أميال يسيرة من البحر الرومي في بلاد بني بوزر؛ إحدى قبائل بني يال (بالمثناة التحتانية) من قبائل غمارة، وبنوا عليه قبة عالية تظهر من المواضع البعيدة

---

[1] انظر ترجمته في "درة الحجال" (1:169) و"نشر المثاني" (3:1070 موسوعة)، و"التقاط الدرر" (2:21)، و"تاريخ تطوان" (1:315)، و"أعلام المغرب العربي" (5:213).

جدا، وتجتمع هنالك أموال كثيرة من الصدقات، وهنالك خدام يطعمون الزائرين، ويقومون بمؤونتهم، ولهم قيِّم تجتمع الصدقات بيده، ويصدرون عن رأيه.

واستفتاني مرة في مال عريض من ذلك اجتمع بيده فاضلا عن الإطعام هنالك وما يحتاج إليه؛ فأجبته بأن يفدي به الأسارى ؛ لأني رأيت ذلك هو الآكد إذ ذاك بحسب الزمان والمكان. وقد ذكر البرزلي عن ابن عرفة حكم الفتوح الذي يوتى به للصالحين.

وأخذ الشيخ أبو العباس الفلالي عن الشيخ أبي القاسم الملقب بالغازي بن أحمد الدرعي ثم الفلالي دفين تافلالت، الجليل القدر الشهير الذكر، وتوفي في شعبان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة عن الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي التزجيزتي عن الشيخ أبي العباس أحمد بن يوسف الراشدي رضي الله عنه، ونفعنا ببركاتهم. أجمعين.

[16- الشيخ مسعود بن محمد الفلالي الدراوي][1]:

السادس عشر: الشيخ أبو سرحان مسعود بن محمد الفلالي ؛ المعروف بالدَرَوِي، نسبة إلى درعة ؛ القطر المعروف، والعامة يقولون: دَرَا. وينسبون إليه كذلك.

شيخ من أهل الأحوال والبركات والكرامات، وله أصحاب كثيرة، ظهرت عليهم بركته. وكان لا يفتر لسانه عن الصـــلاة على النبي صلى الله عليه وســـلم، وكان بادنا، ولم يكن أكولا ؛ فسمعته يقول: « إنما بدنت بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فهي لي طعام وشراب ! ». أو كلاما هذا معناه.

وكان في أول أمره فتح له على يد الشيخ أبي المحاسن، وكان قد بُودِهَ مذ أول أمره بحال عظيم، وكان ذلك في القصر، وفي حياة الشيخ أبي زيد المجذوب، وأوصله الشيخ أبو المحاسن إلى الشيخ أبي زيد قبل وفاته بنحو شهر أو أكثر يسيرا ؛ فلازمه إلى موته، وأدرك منه ما لم يدركه من لازمه سنين طويلة. والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.

وتوفي بفاس سنة إحدى عشرة وألف، وحضر جنازته خلق عظيم، ودفن خارج باب الفتوح في سفح المصلى حيث سيدي علي حُمَامُوش وسيدي علي الصنهاجي وغيرهما، وبنوا عليه – رحمهم الله تعالى ورضي عنهم، ونفعنا ببركاتهم [228] أجمعين.

[17- الشيخ محمد بن علي النيار الأندلسي][2]:

---

[1] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (183)، و"الصفوة" (84:1)، و"التقاط الدرر" (39:1)، و"نشر المثاني" (1011 موسوعة)، و"الروض العطر الأنفاس" (178)، و"السلوة" (212:2)، و"زهرة الآس" (408:1).

[2] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (186)، و"تحفة أهل الصديقية" (30)، و"إتحاف أعلام الناس" (264:4).

السابع عشر: الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي النَّيَّار، الأندلسي الأصل، القصري المولد والمنشأ، المكناسي السكنى والوفاة. كان من أهل الصلاح والدين المتين، والبركة الظاهرة، والانقباض عن أهل الدنيا، والإقبال على الله. كثير القراءة لكتاب "دلائل الخيرات".

صحب الشيخ أبا زيد المجذوب قديما إلى وفاته، وكان بالقصر، فلما توفي الشيخ أبو زيد ودفن بمكناسة؛ انتقل هو إليها إلى أن مات بها سنة (كذا) وألف، وكان رفيقا للشيخ أبي المحاسن وأسن منه، واعتقده شيخا بعد الشيخ أبي زيد.

[ترجمة الشيخ إبراهيم الزواري التونسي][1]:

وأخذ أيضا – على وجه التبرك والاستفادة – عن الشيخ أبي سالم إبراهيم الزواري التونسي، وكان من أولياء الله تعالى؛ سمعت من غير واحد أنه: كانت له سياحة، ومرض مرة في مفازة مرضا ألزمه مكانه فريدا؛ فرأى حمامة تطير حتى قربت منه؛ فنزلت، فإذا هي امرأة حاملة للطعام المصنوع من خمير القمح؛ وهو المعروف بالحريرة، ومما يحتاج إليه في الوقت، وتكرر تفقدها إياه حتى برئ؛ فقال لها: « سألتك بالله من أنت؟! ». فقالت له: « اسمي: فاطمة بنت فلان (سمته وأنسيته أنا) قالت: وأنا من فاس؛ فإذا جيئتها، فسل في زنقة حجامة عن دار فلان؛ تجدني هنالك! ». ولما دخل المغرب ووصل إلى فاس؛ سأل عن الدار؛ فوجدها، فضرب الباب؛ فخرجت ورحبت به، وأقام ضيفا عندها.

فجاء رجل عليه أحوال السُّكر ملوث الثياب بالطين؛ فتلقته، وغسلت عن رجليه، ونظفت ثيابه، ووطَّأتْ مضجعه، وفعلت المستطاع في بره.

فأقام الشيخ أبو سالم في ضيافتهم ثلاثة أيام، وتأمل أحوالها في عادتها وعبادتها؛ فرآها في لباسها على عادة النساء، وفي عبادتها لا تزيد على إحسان أداء فرائضها وما يتعلق بها، فعجب من ذلك، وسألها عما نالت به ما رآه قبل؟!. فقالت له: « بالقيام بحق الله تعالى فيما أمر بالقيام به من حق الزوج! ». سمعت هذه الحكاية من غير واحد، إلا أني لم يتصل لي بها سند.

وأوطن القصر مدة، وهنالك كان اتصال الشيخ أبي المحاسن والشيخ أبي عبد الله صاحب الترجمة به، وكان يصلي العشاء مع الفقراء، وتطول إقامته بعدها معهم فيما هم فيه من سبل الخير، فإذا رجع إلى داره؛ فربما وجد امرأته قد نامت، فيوقظها قرعُه الباب، فتقوم وتفتح له، وربما انتظرته؛ فأضجرها ذلك. فجاء ليلة [229]؛ فلم تقم، وطال مقامه بالباب، فقال إليها: « يا بُرَيْغِيثُ ». فسقط برغوث في أذنها لم يمكنها معه إلا القيام، فلما فتحت الباب؛ سقط من أذنها. حضر ذلك جماعة من الفقراء؛ فإنهم كانوا يشيعونه إلى داره، وغالب ظني أن صاحب الترجمة ممن حضر، وأني سمعتها منه.

---

[1] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (78)، و"الروض العطر" (276)، و"السلوة" (3:124)، و"زهر الآس" (1:475).

وتوفي بفاس سنة إحدى وستين وتسعمائة، سمعت ذلك من الشيخ أبي المحاسن، وقبره خارج باب الجيسة، عن يسار الخارج منها، عليه روضة مبنية فوق الطريق ، على مقربة من روضة الشيخ أبي عبد الله محمد بن الحسن. وكان جماعة للخير، حريصا على لقاء المشايخ والأخذ عنهم. وطال عمره كثيرا حتى زاد على المائة بكثير، وألحق الأحفاد بالأجداد.

أخذ عن الشيخ منصور الزواري ؛ وهو: تلميذ الشيخ أبي العباس ابن عروس، ومن صحبته: الشيخ منصور شهر بالزواري. وأخذ أيضا عن الشيخ أبي العباس بن عروس دون واسطة، وحج ولقي الشيخ أبا العباس أحمد بن عقبة، وأخذ عنه، ولقي أيضا الشيخ أبا العباس أحمد بن أحمد المعروف بزروق وأخذ عنه.

ودخل المغرب الأوسط ؛ فلقي الشيخ أبا العباس أحمد بن يوسف الراشدي وأخذ عنه، وقد تقدم أنه آخر من أخذ هو عنه، ودخل المغرب الأقصى ؛ فلقي الشيخ أبا محمد عبد العزيز التباع بمراكش وأخذ عنه، وكان الشيخ أبو العباس أحمد بن عروس في أول أمره في بادية إفريقية مشهورا بالإقدام والجراة ؛ فكانت المارة تخافه وتحذره، إلى أن سرى مرة قوم معهم امرأة عروس على بعير وحاديهم يقول:

يا جميل العرايس لا تَرْعَ الندا　　　　العكبا طويلا والرحيل غدا

ثم قالوا: « اسكتوا ؛ فهذا الموضع قريب من الموضع المعهود لابن عروس! ». واتفق أن كان ذلك بمسمع منه، وقد اتعظ بما سمع،وقال: « أنا جمل العرايس، والرحيل إلى الآخرة ». فخرج إليهم، وقال: « لا خوف عليكم ؛ أنا ابن عروس، وأنا تائب إلى الله تعالى!! ». فكان ذلك ابتداء إقباله على الله تعالى، وأخذه في سلوك الطريق إلى أن وصل مقامات عالية في الولاية الخاصة.

ودخل تونس، وصحب الشيخ سيدي فتح الله العجمي، وظهرت على يديه خوارق كثيرة حيا وبعد وفاته. حدثني الفقيه القاضي، خاصة الملوك وسفيرهم ؛ أبو فارس عبد العزيز بن محمد الثعالبي عن الفقيه الكاتب أبي عبد الله محمد الأندلسي ؛ وكان كاتب [230] السلطان حميدة ؛ آخر ملوك بني أبي حفص بإفريقية، قال: « استدعاني ليلة السلطان حميدة، وكان فتاكا سفاكا للدماء، فلم يمكني إلا إجابته، وخفت غائلته ؛ فتطهرت وتهيأت، وسرت مع رسوله ؛ فوجدته عند الباب الأول، وبين يديه الشموع تضيء وطعام. فقال لي: رأيت الليلة في منامي سيدي أحمد بن عروس وهو يأمرني بحمل طعام إلى خديم روضته، ويتهددني إن لم أفعل. قال: فسرنا إلى أن وصلنا باب الروضة، وهي في داخل تونس، فلما أحس بنا الخديم ؛ سمعناه يقول: الآن اشعل عليك الضوء. وكرر ذلك، وفتح لنا، فقلنا له: ما شأنك؟. فقال: لم يكن عندي الليلة عشاء؛ فجئت قبر الشيخ وحلفت له أن لا أشعل عليه الليلة مصباحا إلا إن عشاني !. فكان ما رأيتم. فقال له السلطان: لقد أتعبتنا بعشائك وعنَّيتنا».ويؤثر عنه كلام كثير على الطريقة التي تسلكها العرب المستعجمة في أشعارها ؛ منها قوله:

ما ياعْ الدنيا فقير ولا كار — إلا وكّان رجالْ مَعْدودِينْ رُوس
سلام بن عياش وعلي الأندار — وسالم الكرباس[1] واحْمدْ بن عروسْ
وتالِ الناسْ نظيرْ بَيّاعْ وشار — عروسْ
اسْهَ عن فمكْ تُروحْ بلا ضرْوس

وقوله:

يا عين قم اسهر اللّيل — سَهْر الليالي تُجَارا
مَنْ لا يحرثْ يبّس الكَيلْ — ولا تُمَشْلالُ غَرَارا
ينظُر إلى عَرْمة الغيرْ — وَلالُو عْليها جُسَارَا

وقوله:

الدّنيا شَبَّهْتُها دلاعا — تدَرْدَب ما بين الدّلاع
فإذا غرّتْ من طمّاعا — حتى رْماتهم في بير مالوكاع

وقد ذكر ابن خلدون جملة من أشعار العرب لعهده وقبله على هذه الطريقة، وهذه العربية التي غلب عليها اللحن ؛ تسمى بالمنحرفة، وللشيخ أبي العباس ابن عروس كلام كثير من هذا النوع، كثير الحكم والمواعظ، وله حلاوة، وعليه رونق.

وأخذ عنه الشيخ أبو العباس زروق ؛ رأيته معدودا عنده في برنامج شيوخه. قال الشيخ زروق: « وكانت للشيخ فتح الله طريقة غريبة »، وحدثني شيخنا أبو عبد الله النيجي – أظنه عن أبيه عن الشيخ أبي الحسن علي الزرهوني ؛ وكان ممن رحل وسلك طريقه – أن الشيخ سيدي فتح الله ذكر عنه لسلطان تونس ما استدعاه بسببه ؛ فلما قعد معه في قصره، قال له: « ما هذا الذي يذكر عنك؟ »، فقال الشيخ [231] الجزء الأول من الهيللة ؛ يمد به صوته، مائلا لجنبه، حتى انتهى إلى الأرض، فمال القصر بأجمعه! ؛ فتمسك السلطان برجلي الشيخ يقبلهما ويضرع إليه تائبا، فقال الشيخ: « إلا الله ». يمد بذلك صوته، رافعا رأسه، حتى استوى جالسا، فاستوى القصر كما كان، وقام الشيخ وانصرف. رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

[18- الشيخ علي بن يوسف البيطار الأندلسي][2]

الثامن عشر: الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف الأندلسي، المعروف بالبيطار: كان من أهل الجد والاجتهاد، وصدق اللهجة، والصدق مع الله تعالى، والرضى بقضائه ؛ لا يظهر عليه أثر من ضيق حال ولا من فقد عزيز، ولقد أصيب في الوباء بجميع أولاده ؛ فما تأثر بشيء من ذلك، ولا نقص شيء من بشره المعتاد

---

[1] كلمة غير واضحة في الأصلين؛ فأثبتناها كما اتضح .
[2] انظر ترجمته في "نشر المثاني" (1157 موسوعة)، و"السلوة" (2:328)، و"زهر الآس" (1:207).

منه، ولقد كان يُرى في حال دفنهم مستبشرا، وكأنه غلب عليه السرور بما ينتجه ذلك، أو مشاهدة أنه فعل المحبوب، وكل ما يفعل المحبوب محبوب.

وكان قوالا بالحق، صليبا في الدين، صحب الشيخ أبا عمرو بمراكش سنين، وانتفع به كثيرا، وبعد موته ؛ صحب الشيخ أبا المحاسن، ولازمه كثيرا، يقيم أكثر نهاره عنده، ويرافقه إذا خرج للمسجد الجامع وغيره. جالسته كثيرا، وسمعت منه كثيرا من أخبار الشيخ أبي عمرو وغيره.

وتوفي سنة أربع عشرة وألف، ودفن في داخل سور روضة الشيخ أبي المحاسن. رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

[19- الشيخ محمد بن علي القنطري][1]:

التاسع عشر: الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن قاسم القنطري: عالم فاضل متفنن، متوسع في فنون الأدب، شاعر مجيد، حسن المحاضرة، كثير الحفظ. كان مدرسا للعلوم بالقصر، منفردا بالتفسير، محسنا للفروسية، يحضر الجهاد ويبلي البلاء الحسن، كريم النفس، حسن المعاشرة. ولد في حدود الستين وتسعمائة.

أدرك الشيخ أبا زيد المجذوب، وكان والده الشيخ أبو الحسن من قدماء أصحابه وكبارهم، وكان أسن من الشيخ أبي المحاسن، وبينهم أخُوة محفوظة مرعية.

وقد عقلت وأنا صبي صغير صورته واقفا بدار الشيخ أبي المحاسن بفاس في ابتداء مرضه الذي مات منه بالقصر سنة ثلاث وتسعين وتسعمائة، وكان الشيخ أبو عبد الله مع شدة موالاته للشيخ أبي المحاسن يدلي بتلك الأخوة. وقد أشار إلى ذلك في القصيدة الميمية التي تقدم إنشاد بعضها، وقد كنت كتبت عليها تعليقا شرحت فيه ألفاظها، ولما رآه سر به كثيرا.

وكنت مرة معه في القصر سنة سبع وألف ؛ [232] بين يدي الشيخ أبي المحاسن، وتجاذبنا أطرافا من الأحاديث في التاريخ وضبط الأسماء ؛ فقال لنا: «أنتما تكتبان من دواةٍ واحدة»، وكان الشيخ أبو عبد الله معدودا في الفقهاء والفقراء، قائما بالوظيفين، وله نظم حسن على حِكَم الشيخ ابن عطاء الله. وأخذ عن الشيخ أبي النعيم رضوان بن عبد الله، وانتسب في الطريق إليه ؛ وأخذ عن الشيخ أبي المحاسن بعده.

[المسلسل بالمصافحة]:

---

[1] انظر ترجمته في "تحفة الأكياس" (2:447). نقلا عن "السلوى".

جالسته كثيرا وسمعت كثيرا من فوائده، وحضرت تدريسه، وصافحني بزاوية والده بالشريعة من القصر، بعد صلاة العصر من يوم الأربعاء الثاني من جمادى الأولى عام سبعة عشر وألف. وقال: صافحني الشيخ أبو النعيم رضوان بن عبد الله بمنزله المعروف بعدوة الأندلس من حضرة فاس، حاطها الله، في شوال عام تسعة وثمانين وتسعمائة وقال: صافحني الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن علي السُفياني العاصمي الفاسي، الشهير بسُقَيْن، بباب منزله من جامع الأندلس من فاس، وهو إذ ذاك الخطيب به، وقال: صافحني شيخ الإسلام زكرياء وقال: صافحني الحافظ الزين رضوان المستملي وقال: صافحني الشرف أبو الطاهر الربعي وقال: صافحني أبو إسحاق القطي وأنا في الرابعة وقال: صافحني النجيب أبو عبد الله الخولي وقال: صافحني أبو المجد القزويني وقال: صافحني أيضا أبو بكر المقري وقال: صافحني القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن إسماعيل بن أبي زرعة وقال: صافحني أبو منصور عبد الرحمن بن عبد الله الفزاري وقال: صافحني أبو محمد عبد الملك بن محمد بن نجيد بن عبد الكريم البغوي بها وقال: صافحني أبو القاسم عبدان بن حميد بن عبدان المنبجي بحلب وقال: صافحني عمر بن سعيد بن سنان المنبجي وقال: صافحني أحمد بن دهقان وقال: صافحني خلف بن تميم وقال: « دخلنا على أبي هرمز نعوده، فصافحنا وقال: دخلنا على أنس بن مالك نعوده ؛ فصافحنا وقال: صافحت بكفي هذه كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فما مَسَسْتُ خَزّا ولا حريرا ألين من كفه صلى الله عليه وسلم ».

قال شيخنا أبو عبد الله القنطري – فيما سمعته منه، وناولنيه بيده، وكتبته من خطه هكذا – حدثني – يعني: الشيخ رضوانا – وقرأت عليه السند مكتوبا بخطه، وأردت مراجعته في ألفاظه وبياضه ؛ فقال: « هكذا أخذته عن الشيخ عبد الرحمن بصورة ألفاظه وبياضه، وأردت أن أقبل يده في حالة المصافحة ؛ فقال: لا تفعل؛ ولا تغيرها [233] بزيادة ولا نقصان ! ». هـ .

وقال الشيخ أبو النعيم فيما رأيته عند غير شيخنا أبي عبد الله: « هذا السند ليس بعمدة، نعم: المتن صحيح: قال الإمام أحمد: حدثنا ابن أبي عدي عن حميد قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما مسست شيئًا قط خزا ولا حريرا ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم ». انتهى من خط السيد مفتي مراكش أبي محمد عبد الواحد بن أحمد الشريف، وعقبه بخط الشيخ أبي النعيم: « صحيح ؛ قاله وكتبه: رضوان ».

وهذا الذي قاله ؛ هو نحو ما في فهرسة الشيخ ابن غازي ؛ فإنه سلسله عن شمس الدين السخاوي بسند يجتمع مع هذا في أبي القاسم عبدان بن حميد . . . إلخ. وفيه قول كل واحد لمن حدثه: « صافحني بالكف التي صـافحت بها . . . » . إلى تمامه. قال الشيخ ابن غازي: « قال مجيزنا السخاوي: وهذا السند ليس بعمدة ». هـ .

والمشار إليه بهذا يحتمل أن يكون السيد الذي ذكره هو، ويحتمل الإطلاق، وهو المراد والله أعلم. قال البرزلي في جامع نوازله: « يروي شيوخنا طريق المصافحة وصفتها ؛ وهي: أن تجعل كفه اليمنى في الكف

اليمنى. ويقبض كل أصابعه على يد صاحبه)) .

وقال – أيضا – الشيخ أبو محمد عبد الرحمن سقين: صافحني الشيخ أبو عبد الله ابن غازي، وقال: صافحني أبو عبد الله محمد بن محمد بن يحيى بن جابر الغساني المكناسي بالمسجد الأعظم منها، وقال: صافحني أبي وقال: صافحني العالم الزاهد أبو عبد الله محمد بن علي المراكشي ؛ المعروف بابن عليوات بيده المباركة، وأمرني أن أشد على يده وقال: معنى ذلك: ((الاشتداد في الدين))، فشددت، وذلك بالمسجد الأعظم من مدينة مكناسة، في أوائل عام اثنين وثمانمائة، وأخبرني أنه صافحه كذلك أبو عبد الإلاه الصدفي، وصافح أبا عبد الإلاه الصدفي أبو العباس ابن البنا، وصافح أبا العباس ابن البناء ولي الله تعالى أبو عبد الله الهزميري ؛ أخو أبي أيد الهزميري وشيخه، وصافح أبا عبد الله الهزميري أبو العباس الخضر، وصافح أبا العباس الخضر سيدنا ونبينا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الشيخ أبو عبد الله ابن غازي: وصافحني الشيخ العدل المبارك أبو خالد يحيى بن خالد بن أبي بكر ابن يحيى بن خالد قال: صافحني والدي المذكور، والشيخ الفقيه المفتي أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى ابن معطي العبدوسي قالا: صافحنا الأستاذ أبو عبد الله ابن جابر المذكور بمثل السند المذكور. . هكذا أورد الشيخ أبو عبد الله ابن غازي هذا [234] السند، ولعل ذكر ابن البنا فيه من المزيد في متصل الأسانيد .

ففي "إثمد العينين" لأبي محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله ما نصه: ((قال المؤلف: دخلت يوما على أبي عبد الله الصدفي ؛ فوجدته يأكل الخبز، فسلمت عليه، فرد علي السلام وأعطاني كسرة، وقال لي: كلها وأبشرك ببشارة. فأخذت شيئا منها ؛ فأكلته، ثم قال لي: هات يدك أصافحك. فصافحته. فقال لي: صافحت سيدي أبا عبد الله – يعني: الهزميري – وصافح سيدي أبو عبد الله الخضر، وصافح الخضر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فبيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم يدان: يد الشيخ، ويد الخضر. وتكون أنت بينك وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيد !)). هـ.

وكان السلطان أبو المعالي زيدان – صاحب مراكش – ابن السلطان أبي العباس أحمد المنصور التقى مع ولد أخيه صاحب فاس السلطان أبي محمد عبد الله بن السلطان محمد الشيخ برؤوس الشعب يوم الخميس السابع والعشرين من شوال عام سبعة عشر وألف ؛ فانهزم السلطان عبد الله وفر إلى محلة أبيه على العرائش، ثم رجع إلى جهة فاس، وانتهى إلى دار ابن أبي مشعل من بلاد بني يَزْنَاسِنْ، واستولى عمه على محلته، وسار إلى فاس ؛ فدخلها، وأقام إلى أوائل سنة ثمان عشرة، ورحل إلى مراكش، واستخلف بفاس العلج مصطفى باشا، ثم إن السلطان عبد الله زحف إلى فاس؛ فخيم مصطفى بظاهرها من ناحية باب الفتوح، وعرض لصاحب الترجمة غرض من الأمور العامة، جاء فيه وتردد إلى المحلة ؛ فركب إليها يوم الإثنين السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثمان عشرة وألف؛ فالتقى الجمعان بين الظهرين يومئذ ؛ فأجلت الحرب عن قتل مصطفى وفقد

صاحب الترجمة رضي الله عنه.

أخبرني ولده العلامة أبو عبد الله محمد أنه انتهى في قراءة التفسير، سنة موته، في تفسير قوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾. [القصص: 88]. وكانت القراءة على العادة في المغرب الأقصى في فصل الشتاء، وأول فصل الربيع، وكانت وفاته في المصيف. رضي الله عنه، وعن جميع المشايخ، ونفعنا ببركاتهم.

[20- الشيخ أحمد اللوزي الأندلسي][1]:

العشرون: الشيخ أبو العباس أحمد (كذا) الأندلسي، الشهير باللوزي: من أهل الدين والخير، والمعرفة والقدم الثابت في الطريق، والكلام في التصوف.

[طائفة أهل الخواطر]:

كان أولا من **أهل الخواطر** ؛ وهم: طائفة من [235] الفقراء يعرفون بهذا الاسم ؛ طريقهم: معرفة الخواطـر، والكلام عليها، وعرضها على الشـيخ. فكلامهـم كله دائر علـى قولهم: « قال لي خاطر كذا »، ثم يميزون في ذلك الخواطر وأدركناهم يجتمعون بمسجد في حومة بَرْزَخْ في عدوة الأندلس من فاس، يعرف ذلك المسجد بهم.

وكان شيخ الطائفة إذ ذاك: الشيخ أبو عبد الله محمد العوني، وخلفه بعد موته بعض تلامذته، ثم انقرضوا، وكان لهم اتصال بالشيخ أبي الحسن علي بن ميمون الغماري المغربي. وكنت قد رأيت له تأليفا ألفه في الشام وبعث به إلى المغرب: علق بذهني منه أنه ذكر أنه شريف[2]، وأنه قرأ بفاس، وذكر جماعة من أهل ذلك العصر من طبقة الشيخ أبي عبد الله ابن غازي، وكنت أعرف جملة من طريقهم ومشايخهم، واختل حفظي لذلك لطول العهد، وعدم المذاكرة، وما يراجع في ذلك من كتاب أو صاحب ؛ فأضربت عن ذكر ذلك. وقد وقع لي مثل هذا في تراجم كثيرة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ثم أخذ صاحب الترجمة عن الشيخ أبي المحاسن، وصحبه، وانتسب إليه ؛ ففتح له على يديه، وترقى في مراقي الكمال.

اتفق لي معه: أني كنت مرة في صغري تعتادني الحمى ؛ فقال لي: « إذا جاءتك الحمى ؛ فقل لها: امشي إلى أحمد اللوزي! ». ففعلت ذلك ؛ فذهبت عني من حينها وغاب هو، فتفقده الإخوان فوجدوه محموما !!.

---

[1] انظر ترجمته في "نشر المثاني" (1104 موسوعة).

[2] لعمنا الشيخ عبد الحي الكتاني رحمه الله تعالى كتاب: "البحث الميمون عن أخبار الشيخ علي بن ميمون" . مخطوط .

وكانت له أحوال ومنازلات، وتوفي سنة أربع وألف. رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

[21- الشيخ محمد بن موسى السريفي القجاج][1]:

الحادي والعشرون: الشيخ أبو عبد الله محمد بن موسى السريفي ؛ المعروف بالقجاج: من أهل البله في أمور الدنيا، والفطنة في أمور الآخرة. حاله كحال الساهي، كأنه في عالم آخر، فإذا نُبه ؛ تنبه.

أقمت سنة سبع عشرة في القصر شهورا ؛ فكان يعتادني كثيرا، وذكر لي صحبته للشيخ أبي المحاسن، وأنه أقام مدة بفاس عنده، وذكر لي أمورا وقعت له معه، وأنه أسر إليه بشيء في شأنه ؛ وقد رأيت ما ذكر لي عيانا. ونسأل الله تعالى إتمام نعمته، وحسن الخاتمة بفضله ورحمته.

وكانت في زاوية الشيخ أبي عبد الله الصباغ في القطانين من القصر عادة مستمرة: أن تبيت بها ليلة الجمعة جماعة يجتمعون على الذكر، وكان صاحب الترجمة يبيت معهم إذا صادفها في مجيئه للقصر ؛ فبات ليلة هنالك ؛ فحدثني غير واحد ممن بات معه أنه: بعد هُدْءٍ [236] من الليل ؛ بكى ! ؛ ولما صلوا الصبح قال لبعض الجماعة: « أعينوني على شراء كفن وحَنُوط ! ». فاشتروا له ذلك، وخرج مسرعا إلى منزله من بلاد سريف ؛ فلقي نفرا ؛ فكروا ينعون إليه ابنه، فقال لهم: « مات المسكين رحمه الله! ». حال من سبق إليه الخبر. ووصل إلى ولده، فجهزه بذلك الكفن والحنوط، وكان هنالك رجل يطلب قتل رجل له عليه جناية، فذكر للطالب أن الجاني يبيت في موضع هنالك، فجاء ليلا ليقتله، فغلط وقتل ولد صاحب الترجمة، وغالب ظني أنه بات في أندر على العادة في المبيت في الأنادر.

ومن المستفيض عند أهل القصر: أنه جاء يوما إلى السوق ؛ فجلس وأسند ظهره إلى أسفل حانوت[2]، ووقف عكازه بإزائه مسندا أعلاه إلى باب الحانوت، فاختطفه صاحب الحانوت ورمى به في قعر حانوته ؛ فلما قام صاحب الترجمة، تفقد عكازه فلم يجده. فسأل صاحب الحانوت عنه، فقال له: « لا أدري ؛ أحرقته النار ! ». فقال الشيخ: « النار النار ! ». يكررها، وسار من حينه إلى صاحب له هنالك في حانوت ؛ فقال له: « لا يبيت لك في الحانوت شيء ! ». فامتثل ذلك.

ومن الليل تذكر مختطف العكاز حاجة في حانوته ؛ فجاء إليه بمصباح معه، وفتحه وتفقد حاجته، وانصرف، وإذا به قد سقطت من مصباحه شرارة في بعض ما في الحانوت ؛ فاشتعلت وأحرقت جميع الحانوت، واستمر الحريق على غيره من الحوانيت.

---

[1] انظر ترجمته في "نشر المثاني" (1202 موسوعة)، و"السلوة" (1:252).
[2] أي: دكان.

وسألته أنا عن ذلك ؛ فقال لي: « نعم ؛ كان ذلك. شممت رائحة الدخان ؛ فقلت لذلك الرجل: احمل ما في الحانوت ». هذا الذي أجابني به. وتوفي سنة اثنتين وعشرين وألف.

وأخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الصباغ القصري، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي فَنْدَرِيرُ، وهو عن الشيخ أبي العباس أحمد الحساني، وهو عن الشيخ أبي الحسن علي صالح، وهو عن الشيخ أبي محمد عبد العزيز التباع — رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

[ترجمة سيدي أبي الشتاء][1]

وأخذ أيضا عن الشيخ أبي شتاء ؛ دفين آمركو من بلاد فشتالة، التي بقرب نهر ورغة، بينه وبين نهر سبو، وهو من كبار المشايخ أهل الأحوال الربانية، والجذب ودوام الغيبة عن الخلق وإن كان بينهم. وله البركات الشهيرة التي لا تحصى. ويقال: إن اسمه: محمد بن موسى، وإنه شاوي النسب. ويذكر شائعا أنه أخذ عن الشيخ أبي محمد الغزواني.

ولم يكن [237] رضي الله عنه يتحدث مع الناس حديثا متصلا ؛ إنما يلتقطون من كلامه كلمات بعضها يحمل على ظاهره، وبعضها على الإشارة. وثبت عندي أنه كان في العَلَم عند الشيخ أبي زيد عبد الرحمن ابن ريسون الشريف ؛ وهو من أصحاب الشيخ الغزواني.

وسمعت أنه هنالك كني بأبي شتاء، في حكاية حاصلها أنه: احتيج إلى الشتاء[2] في تلك البلاد، فجاء الناس إلى سيدي عبد الرحمن ابن ريسون يطلبون منه الاستسقاء ؛ فأخذ بتلابيب سيدي أبي شتاء، ودفعه إليهم ؛ وقال لهم: « هذا أبو شتاء ؛ خذوا بتلابيبه، ولا تطلقوه حتى تمطروا ! ». فأمطروا في الحال، وجرى عليه ذلك الاسم. وكانت وفاته سنة سبع وتسعين وتسعمائة. رضي الله عنهم، ونفعنا ببركاتهم أجمعين.

وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

انتهى وكمل هذا الكتاب المبارك، بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه الجميل ويمنه. [238]

---

[1] انظر ترجمته في "ممتع الأسماع" (104).
[2] الشتاء: المطر.

[تقريظ مصحح الطبعة الحجرية العلامة أحمد بن المهدي البوعزاوي]

الحمد لله. نحمدك يا من أظهرت مرآة محاسن جودك على الأنام، حتى اتضحت لهم منها كمالات الإحسان والإنعام، ونصلي ونسلم على حبيبك وصفيك سيدنا ومولانا محمد الذي أتانا بالحنيفية السمحة الواضحة الأعلام، وعلى آله وأصحابه وأتباعهم من الصلحاء والأعلام.

أما بعد ؛ فقد تم بفضل من به الإعانة على البدء والاختتام، طبع الكتاب الذي طابق اسمه مسماه، وحسُّه معناه، على الكمال والتمام، وهو: "مرآة المحاسن، من أخبار الشيخ أبي المحاسن"، لولده الحجة المتقن، أحد أفراد علماء هذه الأمة، ومن تنجلي بمجرد ذكره كل غمة، طود العلوم الراسخ الراسي ؛ أبي الحامد والمآثر سيدي العربي الفاسي، أعاد الله علينا من نفحاته، ونور بصائرنا بنزر من واضح أسرار لمحاته.

ولعمري: إنه من الذخائر والنفائس العالية القدر العظيمة ؛ لِما احتوت عليه من جواهر الفوائد والفنون العميمة، بحيث — لعزة وجودها — كادت أن لا تساويها قيمة، وطالما تشوفت إليها نفوس المعتنين ؛ فهي عليها متلهفة، وهممهم بكليتها إلى الظفر بالعثور على محاسنها منصرفة متشوفة، إلى أن وفق المولى جل وعلا لابتدار هذه الحسنة العميمة النفع، على يد مدبر من فاق غيره في إتقان الطبع، وجميل الصنع، المعلم الحسيب الأحذق، الطالب السيد العربي الأزرق، جمل الله طباعه، وأثابه على عموم نشرها بحسب الاستطاعة.

وذلك تحت ظل من فاق الأمراء ذوي الفخر والتبريز، أمير المؤمنين مولانا عبد العزيز، أدام الله عزه المؤيد، وسعده المخلد.

بتصحيح العبيد الحقير، المذنب الفقير، أحمد بن المهدي بن محمد بن العباس ابن صابر البوعزاوي، غطى الله بجميل ستره عنه المساوي، وبرأ ساحته من الدعاوي، على أني لا أبرئ نفسي من الغلط، تحقيقا لمعجزة كتاب الله المجيد، الذي ﴿ *لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد* ﴾ [فصلت: 42]. نفع الله الجميع، بجاه خاتم الأنبياء والأرسال ومن هو لنا شفيع، صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، ومجد وعظم [240].

ووافق الفراغ من طبعه، وانتهاء بديع صنعه، مهل جمادى الثانية عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد، وآله وأصحابه أجمعين، وعلى التابعين وتابع التابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعوانا أن: الحمد لله رب العالمين.

فهارس الكتاب

فهرس أوائل الآيات الواردة في المتن

فهرس أطراف الأحاديث الواردة في المتن

فهرس الأبيات الشعرية المذكورة في المتن

فهرس التعاريف المذكورة في الكتاب

فهرس الأعلام المذكورين في الكتاب

فهرس الطوائف والمجموعات والبيوتات

اليملاحيون 22

فهرس الأماكن والمواقع المذكورة في الكتاب

فهرس الكتب والمؤلفات المذكورة في الكتاب

فهرس مراجع المؤلف

1. القرآن الكريم
2. إثمد العينين في مناقب الأخوين . تأليف عبد الله بن محمد ابن تيجلات.
3. أجوبة الشيخ عز الدين ابن عبد السلام.
4. الإحاطة في أخبار غرناطة . تأليف لسان الدين ابن الخطيب السلماني .
5. إحياء علوم الدين . تأليف أبي حامد محمد بن محمد الغزالي .
6. الأربعين . تأليف علي بن المفضل المقدسي .
7. أمالي القصار . تأليف محمد بن قاسم القصار .
8. اختصار إحياء علوم الدين . تأليف شمس الدين البلالي .
9. البدع . تأليف أبي بكر الطرطوشي .
10. تأليف للشيخ أحمد زروق في ترجمة شيخه أحمد بن عقبة الحضرمي .
11. تاريخ العبر و ديوان المبتدأ والخبر . تأليف عبد الرحمن بن خلدون .
12. تاريخ القيروان . تأليف عبد الرحمن بن محمد ابن الدباغ .
13. تاريخ بغداد . تأليف أبي بكر الخطيب البغدادي .
14. التبيان في فضائل القرآن . تأليف يحيى بن شرف النووي.
15. ترتيب المدارك في تراجم رجال مذهب مالك . للقاضي عياض بن موسى اليحصبي .
16. ترجمة الشيخ أبي المحاسن الفاسي .تأليف أحمد بن يوسف الفاسي.
17. الترغيب والترهيب . تأليف الحافظ عبد العظيم المنذري .
18. التعلل برسوم الإسناد . تأليف محمد بن أحمد ابن غازي العثماني .
19. الثواب . تأليف أبي الشيخ ابن حيان.
20. الجامع الصغير . تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .
21. جواب للشيخ محمد بن قاسم القصار حول حزب الفلاح . تأليف محمد بن قاسم القصار .
22. حلية الأولياء . تأليف أبي نعيم الأصفهاني .
23. الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة . تأليف جلال الدين عبد الرحمن السيوطي .
24. الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة . تأليف محمد بن عبد الملك الأنصاري المراكشي.
25. رسائل إخوان الصفا .
26. رسائل الشيخ يوسف بن محمد الفاسي . تأليف يوسف بن محمد الفاسي .
27. الرسائل الكبرى . تأليف أبي عبد الله محمد بن عباد النفزي .
28. الريحانة. تأليف لسان الدين ابن الخطيب السلماني .
29. سماعات الشيخ يوسف الفاسي . جمع أحمد بن محمد الجزولي .
30. السنن . تأليف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني .
31. السنن . تأليف أحمد بن عمرو البزار .
32. السنن . تأليف ابن ماجه محمد بن يزيد الربعي القزويني.
33. السنن . تأليف الحافظ أحمد بن الحسن البيهقي .
34. سنن المهتدين في مقامات الدين . تأليف أبي عبد الله ابن المواق الغرناطي .
35. شجرة الأشراف العلميين . تأليف أحمد بن علي الشريف العلمي .
36. شرح الكفاية . تأليف أبي عبد الله ابن ثابت .

37. شرح حزب البحر . تأليف أحمد بن أحمد زروق البرنسي .
38. شعب الإيمان . تأليف الحافظ أحمد بن الحسن البيهقي.
39. الصحاح للجوهري .
40. الصحيح . تأليف ابن حبان محمد بن حبان البستي .
41. الطب . تأليف جعفر بن محمد المستغفري .
42. العتبية . تأليف محمد بن أحمد العتبي .
43. علم الهدى .
44. عين الخبر فيما بدا وظهر من طوائف الصوفية . لأبي إسحاق بن فضيلة.
45. فتح الباري بشرح صحيح البخاري . تأليف أحمد بن علي بن حجر العسقلاني .
46. الفهرس . تأليف أحمد بن أحمد زروق البرنسي .
47. الفهرس . تأليف أحمد بن محمد ابن العزفي .
48. القصيدة المنفرجة . تأليف أبي الفضل ابن النحوي .
49. قصيدة في الشيخ أبي المحاسن . تأليف أحمد بن محمد اليلصوتي .
50. قصيدة في الشيخ أبي المحاسن . تأليف الحسن بن مهدي الزيات.
51. قصيدة في الشيخ أبي المحاسن . تأليف عبد الله بن عبد الرزاق العثماني .
52. قصيدة في الشيخ أبي المحاسن . تأليف محمد بن علي النيجي .
53. قصيدة ميمية في الشيخ أبي المحاسن . تأليف محمد بن علي القنطري.
54. قصيدة ميمية في مدح الشيخ أبي المحاسن ومعارضة ميمية القنطري . تأليف الحسن بن مهدي الزيات .
55. قوت القلوب . تأليف أبي طالب المكي .
56. كتاب في الأذكار . تأليف أبي عبد الله ابن السكاك الفاسي .
57. الكفاية . تأليف أبي عبد الله ابن ثابت .
58. المختصر في فقه مالك . تأليف خليل بن إسحاق الجندي .
59. المسالك والممالك . تأليف أبي عبيد البكري.
60. المستدرك على الصحيحين . تأليف أبي عبد الله الحاكم النيسابوري .
61. المعارف . تأليف عبد الله بن مسلم ابن قتيبة .
62. المعجم الكبير . تأليف سليمان بن أحمد الطبراني .
63. المغني عن حمل الأسفار في الأسفار . للحافظ زين الدين العراقي .
64. المقدمة في علوم الحديث . تأليف الحافظ ابن الصلاح .
65. المناسك . تأليف أبي معلى .
66. المناسك . تأليف خليل بن إسحاق الجندي .
67. مناقب الشيخ أبي العباس السبتي . تأليف أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي الزيات .
68. النبذة المفيدة تأليف أبي عبد الله محمد السكندري؛ سبط الإمام الشاذلي .
69. النوازل . تأليف أبي القاسم البرزلي .
70. نور الحدق في لبس الخرق . تأليف جلال الدين الكوكي .

فهرس مراجع المحقق

1. القرآن الكريم.
2. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس . تأليف عبد الرحمن بن زيدان العلوي . طبع غير تام بالمطبعة الوطنية في الرباط في خمسة أجزاء .
3. إتحاف المطالع بوفيات القرن الثالث عشر والرابع . تأليف عبد السلام بن عبد القادر بن سودة . اعتناء د.محمد حجي . طبعة دار الغرب الإسلامي .
4. الأزهار العاطرة الأنفاس بترجمة قطب المغرب وتاج مدينة فاس إدريس بن إدريس باني فاس . تأليف الإمام محمد بن جعفر الكتاني . بامطبعة الحجرية الفاسية.
5. إظهار الكمال في تتميم مناقب سبعة رجال. تأليف العباس بن إبراهيم التعارجي. طبع بالمطبعة الحجرية بفاس .
6. الأعلام . تأليف خير الدين الزركلي .طبعة دار العلم للملايين.
7. أعلام المغرب العربي . إشراف الأستاذ عبد الوهاب ابن منصور . المطبعة الملكية .طبعت منه سبعة أجزاء .
8. الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام . تأليف العباس ابن إبراهيم التعارج . اعتناء ذ. عبد الوهاب ابن منصور . منشورات المطبعة الملكية ، في أحد عشر جزءا مع الفهارس .
9. الأنساب. تأليف صالح ابن عبد الحليم .دراسة وتحقيق محمد يعلى. طبعة المجلس الأعلى للأبحاث العلمية – الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي – مدريد .
10. إيليغ قديما وحديثا .تأليف المختار بن علي السوسي . طبع بالمطبعة الملكية بالرباط .
11. الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصا . تأليف أحمد بن خالد الناصري . بإشراف ولدي المؤلف جعفر ومحمد . طبعة دار الكتاب بالدار البيضاء.
12. الاغتباط بتراجم أعلام الرباط . تأليف محمد بن مصطفى أبي جندار الرباطي . نسخة بخط المؤلف مصورة وموزعة في الأسواق .
13. البرهان الجلي في صحة انتساب الصوفية لعلي .تأليف أحمد بن محمد بن الصديق الغماري . تحقيق أحمد محمد مرسي . طباعة مطبعة السعادة بمصر .
14. بلوغ الآمال في ذكر مناقب السادات سبعة رجال.تأليف: سيدي أمان محمد بن عبد السلام بوستة. طبعة المطبعة والوراقة المغربية .
15. تاريخ بغداد .تأليف أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي. طبع بمكتبة الخانجي.
16. تاريخ تطوان . تأليف محمد داود .طبعة المطبعة المهدية – تطوان .
17. تجديد الأسنة في الذب عن السنة . تأليف جبل السنة عبد الكبير بن محمد الكتاني . نسخة مخطوطة عندنا صورة عنها .
18. تحفة الأكياس . ومفاكهة الجلاس . فيما غفل عنه صاحب كتاب زهر الآس في بيوتات أهل فاس . تأليف محمد بن عبد الكبير بن هاشم الكتاني . تحقيق د.علي بن المنتصر الكتاني . طبعة دار النجاح الجديدة . العدد الثاني من الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس .
19. التراتيب الإدارية في الحكومة النبوية .تأليف الحافظ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني. نسخة دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان .

20. التشوف إلى رجال التصوف .تأليف أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي ؛ عرف بابن الزيات . تحقيق د .أحمد توفيق . طبعة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط .
21. التعقبات على فهرسة الكوهن . تأليف حافظ المغرب الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني . مخطوط بحوزتنا صورة عنه .
22. التقاط الدرر. ومستفاد المواعظ والعبر . من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر .تأليف محمد بن الطيب القادري. تحقيق هاشم العلوي القاسمي . طبعة دار الآفاق الجديدة بيروت.
23. جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ .تأليف مبارك بن محمد ابن الأثير الجزري. تحقيق عبد القادر الأرناؤوط . طبع بمكتبة الحلواني والملاح – دمشق.
24. الجامع الكبير .تأليف جلال الدين السيوطي. طبعه مجمع البحوث الإسلامية.
25. جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام مدينة فاس .تأليف أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي . طبعة دار المنصور . الرباط.
26. الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي .تأليف محمد بن أحمد الكنسوسي. تقديم وتعليق وتحقيق أحمد بن يوسف الكنسوسي. غير مذكور اسم الناشر.
27. الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين .تأليف د. محمد بن عبد الله الجزار حجي .طبعة مطبعة النجاح الحديثة . الدار البيضاء.
28. خلاصة الأثر في أعيان أهل القرن الحادي عشر . تأليف محمد الأمين بن فضل الله المحبي. طبع بمصر.
29. دراسات في التصوف الإسلامي: شخصيات ومذاهب .تأليف د .محمد جلال شرف. طبعة دار النهضة العربية – بيروت .
30. درة الحجال في أسماء الرجال .تأليف أحمد بن محمد ابن القاضي المكناسي. تحقيق محمد الأحمدي أبو النور. طبعة دار التراث – القاهرة. في ثلاثة أجزاء .
31. الدرر البهية .والجواهر النبوية . في الفروع الحسنية والحسينية. تأليف إدريس بن أحمد الفضيلي العلوي. المطبعة الحجرية الفاسية .
32. دليل مؤرخ المغرب الأقصى . تأليف عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة .طبعة دار الكتاب – الدار البيضاء . في جزأين .
33. دوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر .تأليف الشريف محمد بن الحسن ابن عسكر الشفشاوني. تحقيق د .محمد بن عبد الله الجزار حجي . طبعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر – الرباط .
34. دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقرطبة . تأليف إسماعيل العربي . طباعة دار الغرب الإسلامي – بيروت .
35. ديوان ابن الصباغ الجذامي .تأليف محمد بن أحمد الصباغ الجذامي. دراسة وتحقيق د .نور الهدى بنت عبد الرحمن الكتاني. أطروحة لنيل شهادة الدراسات العليا بجامعة محمد الخامس بالرباط بتاريخ 1885/1405 .
36. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة . تأليف ابن بسام الشنتريني . تحقيق د .إحسان عباس .
37. الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس . تأليف محمد بن عيشون الشراط دراسة وتحقيق زهراء النظام . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط .
38. الروضة المقصودة . والحلل الممدودة . من مآثر بني سودة . تأليف أبي الربيع سليمان بن محمد الحوات الشريف العلمي . تحقيق ذ .عبد العزيز تيلاني .مطبوعات مؤسسة أحمد ابن سودة الثقافية . في مجلدين.
39. رياض الجنة في معجم الشيوخ . تأليف عبد الحفيظ بن الطاهر الفاسي .طبع الجزء الأول منه بالمطبعة الوطنية – الرباط، والثاني بمطبعة فاس – المدينة الجديدة.

40. الرياض الربانية . في الشعبة الكتانية . ذات المحاسن الفاشية الكافية الشافية . تأليف شيخ الإسلام جعفر بن إدريس الكتاني . مخطوط بخط المؤلف، بحوزتنا صورة عنه .
41. الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي. تأليف د. محمد بن عبد الله الجزار حجي . طبعة مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء .
42. الزاوية الفاسية . تأليف د. نفيسة الذهبي . مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء .
43. زهر الآس في بيوتات فاس . تأليف عبد الكبير بن هاشم الكتاني . تحقيق د. علي بن المنتصر الكتاني . مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء . العدد الأول من الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس .
44. سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال . تأليف عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة . باعتناء د. محمد بن عبد الله الجزار حجي . طبعة دار الغرب الإسلامي .
45. سلوة الأنفاس . ومحادثة الأكياس . بذكر من أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس . تأليف الإمام محمد بن جعفر الكتاني. المطبعة الحجرية الفاسية . في ثلاثة مجلدات .
46. سلوك الطريق الوارية بالشيخ والمريد والزاوية. تأليف محمد الزبادي المنالي . دراسة وتحقيق نعيمة بنونة. بحث لنيل دبلوم الدراسات العليا . كلية الآداب – مراكش.
47. سنن أبي داود . تأليف أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني. طبع بالقاهرة.
48. سنن ابن ماجه . تأليف ابن ماجه محمد بن يزيد القزويني . حققه محمد فؤاد عبد الباقي. طبع بمطبعة عيسى الحلبي – القاهرة .
49. سنن الترمذي . تأليف محمد بن عيسى الترمذي . طبع بمكتبة مصطفى البابي – القاهرة .
50. سنن الدارقطني. تأليف علي بن عمر الدارقطني . طبع بمكتبة عالم الكتب – بيروت .
51. سنن الدارمي . تأليف عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي. تحقيق محمد دهمان . طبع بدار إحياء السنة – بيروت.
52. السنن الكبرى للبيهقي . تأليف أحمد بن الحسن بن علي البيهقي . طبع بحيدر أباد الدكن – الهند .
53. سوس العالمة . تأليف محمد المختار بن علي السوسي . طبعة المطبعة الملكية بالرباط .
54. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية . تأليف محمد حسنين بن محمد مخلوف . طبعة دار الكتاب العربي . في جزأين .
55. شعب الإيمان . تأليف أحمد بن الحسن البيهقي . طبع بدار الكتب العلمية – بيروت .
56. صحيح الإمام البخاري . تأليف محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي مولاهم. طبعة دار ابن حزم، وبولاق.
57. صحيح الإمام مسلم . تأليف مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري. طبع بدار إحياء الكتب العربية – مصر .
58. صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر. تأليف محمد السوسي الإفراني . المطبعة الحجرية بفاس .
59. الصلة بين التصوف والتشيع . تأليف د. كامل مصطفى الشيبي. طبعة بغداد
60. عقد الدرر في نظم نخبة الفكر . تأليف محمد العربي بن يوسف الفاسي . تحقيق د. محمد عزوز. طبعة دار ابن حزم – بيروت .
61. عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد . تأليف السلطان أبي الربيع سليمان بن محمد العلوي . تقديم واعتناء محمد العابد بن عبد الله الفاسي . طبعة المطبعة الجديدة بطالعة فاس.
62. غرر البهاء الضوي، ودرر الجمال البديع البهي، في ذكر الأئمة الأمجاد، والعلماء العارفين النقاد، والفقهاء المبرزين الأسياد، من بني الشيخ بصري وبني الشيخ جديد وبني الشيخ علوي بني الشيخ عبد الله بن الشيخ أحمد بن عيسى الأشراف الحسينيين نفع الله بهم آمين. تاليف محمد بن علي بن علوي خرد باعلوي الحسيني العلوي التريمي. طبعة مطابع المكتب المصري الحديث. في 622صحيفة.

63. فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور .تأليف الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولاتي. تحقيق العلامة محمد إبراهيم الكتاني، ود .محمد حجي. طبعة دار الغرب الإسلامي – بيروت.
64. الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي . تأليف محمد بن الحسن الحجوي .طبعة المكتبة العلمية – المدينة المنورة.
65. فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات . تأليف حافظ المغرب الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني . تحقيق د .إحسان عباس . طبعة دار الغرب الإسلامي .
66. فهرسة المنجور .تأليف أحمد بن علي المنجور المكناسي . تحقيق د .محمد بن عبد الله الجزار حجي . طباعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.
67. قدم الرسوخ في معجم الشيوخ . تأليف أحمد بن العياشي سكيرج . اعتناء الأستاذ محمد الراضي كنون . نسخة مرقونة على الآلة الراقنة .
68. قواعد التصوف .تأليف أحمد بن أحمد زروق البرنسي. طبع مرارا.
69. كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج . تأليف أحمد بابا التنبكتي السوداني . تحقيق محمد مطيع . منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.
70. كنوز الأسرار في أنساب آل البيت الأطهار .تأليف أحمد بن محمد المقري. طبع بمراكش.
71. لسان العرب .تأليف جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي. طبعة دار الفكر للطباعة والنشر، دار صادر – بيروت
72. لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد .تأليف أحمد بن محمد ابن القاضي . تحقيق د .محمد حجي . مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.
73. مؤرخو الشرفاء . تأليف ليفي بروفنصال .تعريب عبد القادر الخلادي . طباعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر – الرباط .
74. المجتبى من سنن النسائي .تأليف أحمد بن شعيب النسائي . طبع بالمكتبة التجارية الكبرى – مصر.
75. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد .تأليف نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي . طبع بدار الكتاب العربي – بيروت .
76. مراة المحاسن بأخبار الشيخ أبي المحاسن . تأليف العربي بن يوسف الفاسي الفهري . المطبعة الحجرية الفاسية .
77. مسند أبي يعلى الموصلي . تأليف أحمد بن علي بن المثنى التميمي. طبع بدار المأمون للتراث – دمشق – بيروت.
78. مسند الإمام أحمد بن حنبل .تأليف الإمام أحمد بن حنبل الشيباني . تحقيق أحمد شاكر . طبع بدار المعارف – ودار صادر– بيروت .
79. مسند البزار (البحر الزخار) .تأليف أحمد بن عمرو البزار. تحقيق د .محفوظ الرحمن. طبع بمطبعة العلوم والحكم – المدينة المنورة .
80. مسند الطيالسي .تأليف سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري . طبع بحيدر آباد الدكن – الهند .
81. المصادر العربية لتاريخ المغرب . تأليف محمد (الكتاني) بن عبد الهادي المنوني .منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط . في ثلاثة أجزاء.
82. المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية . تأليف حافظ المغرب الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني . مخطوط بحوزتنا نسختان عنه، ونسخة حققها والدنا العلامة الدكتور علي بن المنتصر الكتاني رحمه الله تعالى مرقونة على الآلة الراقنة.
83. المعجم الأوسط .تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب البلخي الطبراني. تحقيق د .محمود الطحان – مكتبة المعارف – الرياض.

84. المعجم الكبير . تأليف سليمان بن أحمد بن أيوب البلخي الطبراني. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي – طبعة وزارة الأوقاف – العراق.
85. معجم المطبوعات المطبوعات العربية والمعربة. تأليف يوسف إلياس سركيس. طبع بمصر.
86. معلمة الملحون . تأليف د.محمد الفاسي . طبعة الأكاديمية الملكية المغربية .
87. مناقب الحضيكي .تأليف امحمد بن أحمد بن عبد الله الحضيكي اللكوسي السوسي. طبعة المطبعة العربية بالدار البيضاء. في جزأين .
88. الموسوعة الذهبية للحديث النبوي الشريف وعلومه . إعداد مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي – عمان – الأردن.
89. الموسوعة الشيعية .تأليف محسن الأمين . طبعة بيروت .
90. موسوعة وفيات المغرب خلال ألف عام . جمع وتحقيق د.محمد حجي . طبعة دار الغرب الإسلامي – بيروت.
91. الموطأ .تأليف الإمام مالك بن أنس الأصبحي. رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي. طبع بمطبعة عيسى البابي الحلبي – القاهرة .
92. نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي. تأليف محمد السوسي الإفراني . طباعة المطبعة الحجرية – فاس .
93. نسيم حاجر في مذهب الإمام المهاجر .تأليف عبد الرحمن بن عبيد الله السقاف الحضرمي .
94. نشر المثاني لأعلام القرن الحادي عشر والثاني .تأليف محمد بن الطيب القادري . تحقيق د.محمد حجي، ود.أحمد توفيق . طباعة دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. – الرباط، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء .
95. نظم الدرر والعقيان في بيان شرف بني زيان. تأليف محمد بن عبد الله التنسي. ملحقا بكتاب دولة الأدارسة ملوك تلمسان وفاس وقطبة. تأليف إسماعيل العربي . طباعة دار الغرب الإسلامي.
96. النفائس الكتانية (1 – 11): من رسائل الإمام محمد بن عبد الكبير الكتاني الشهيد في الآداب والسلوك – الأمالي في علم الأمهات .تأليف الإمام الشهيد محمد بن عبد الكبير بن محمد الكتاني . تحقيق د.حمزة بن علي الكتاني . طبعة دار الرازي للطباعة والنشر – عمان – الأردن .
97. وثيقة في البيعة وخلع السلطان . تأليف الشيخ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني . نشرت ضمن مجلة "وجهة نظر" العدد 9/8/السنة الثالثة: 2000.

الفهرس العام لكتاب "مرآة المحاسن"

ذكر اتصالنا بأسانيد الشاذلية 271

  

تمّت

هذا الكتاب

يعد كتاب "مرآة المحاسن بأخبار الشيخ أبي المحاسن" لبنة مهمة من ضمن الكتب التي درست التاريخ المغربي عموما؛ فهو إلى اختصاص موضوعه بترجمة الشيخ يوسف بن محمد الفاسي الفهري – شيخ الطريقة الشاذلية بفاس والمغرب في وقته – فقد ملأه المؤلف الشيخ أبو حامد العربي بن يوسف الفاسي بعدة فوائد استطرادية هامة بخصوص التاريخ المغربي في الحقبة السعدية، مع ما حواه من تراجم عشرات الأعلام المغاربة الذين عاشوا تلك الحقبة، والذين يعد هذا الكتاب أول من تطرق لتراجمهم، وقد يكون المرجع الوحيد في ذلك.

إضافة إلى تطرق المؤلف في كتابه إلى العديد من الفوائد في مختلف العلوم والمعارف، وتعريفه لعدة مواضع ومواقع مهمة في المغرب. بحيث يعد موسوعة مصغرة استفاد منها أغلب من جاء بعده في مختلف مجالات المعرفة.

وقد صدره المحقق بدراسة مسهبة عن التصوف في المغرب؛ رابطة إياه بتاريخ الأدارسة ودولتهم، وعن تاريخ الطريقة الشاذلية في المغرب وسيرورتها، إضافة إلى تاريخ العائلة الفاسية الفهرية التي كان لها دور أساس في إثراء المعرفة بالمغرب. وختمه بأحد عشر فهرسا تفصيليا بحيث يتيسر الوقوف على أي معلومة فيه، مع إثباته لجميع الطرر والفوائد التي وقف عليها بنسخ الكتاب التي اعتمدها في التحقيق.

المحقق